

الباب الأول

ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

التعريف بالقرآن- التعريف بالمقرئ والقارئ- نزول القرآن على سبعة أحرف- جمع القرآن- كيف نشأ القراء العشرة- الرُّواة- الطرق- ترجمة الأئمة: الدانى، والشاطبى، وابن الجزرى. بعض اصطلاحات القراء: الأصول- الفرش- القراءة- الرِّوَاية- الطريق- الوجه- الخلاف الواجب- الخلاف الجائز.

الفصل الثانى:

أركان القراءة الصحيحة.

الفصل الثالث:

مراتب القراءة.



الفصـــــل الأول

التعريف بالقرآن :

كلام الله، المنزَّل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المنقول إلينا تواترًا، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتى المصحف، المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس.

التعليق على التعريف:

بقولنا (كلام الله)، يخرج كلام غيره من الإنس، والجن، والملائكة.

وبقولنا (المنزل على محمد)، يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوارة، والإنجيل، وغيرهما.

وبقولنا (المتعبد بتلاوته)، يخرج قراءات الآحاد (المعروفة بالقراءات الشاذة)، والأحاديث النبوية؛ لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث النبوية كذلك.

المعنى اللغوى لكلمة (قرآن):

قرأ: تأتى بمعنى الجمع والضم. والقراءة: تعنى ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، والقرآن فى الأصل كالقراءة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ سورة القيامة: ١٧،١٨.

أى فاتبع قراءته، تقول: قرأته قَرْءًا وقِرَاءَة وقُرْآنًا بمعنى واحد. وخص القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، ويطلق على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعنا من يتلو آية من القرآن صح أن نقول إنه يقرأ القرآن. وذهب بعض العلماء إلى أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله راجع إلى كونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه لثمرة كل العلوم.

أسماؤه:

سماه الله بأسماء كثيرة منها:

القرآن: قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء.

الكتاب: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾الأنبياء.

الفرقان: قال تعالى:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾الفرقان.

الذكر: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾الحجر.

التنزيل: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء.
وأشهر الأسماء (القرآن والكتاب).
وقال العلماء:

روعى فى تسميته (قرآنًا)، كونه متلوًّا بالألسن. كما روعى فى تسميته (كتابًا)، كونه مدونًا بالأقلام.

أوصافه :

وصف القرآن بأوصاف كثيرة منها :

نور، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء.

هُدًى- شِفَاءٌ- رَحْمَةٌ- مَوْعِظَةٌ. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس.

سور القرآن وآياته :

سور القرآن أقسام أربعة :

١- الطوال: سبع: البقرة- آل عمران- النساء- المائدة- الأنعام- الأعراف.
وقيل السابعة هى الأنفال وبراءة معًا لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل هى يونس.
٢- المئون: التى تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.
٣- المثانى: هى التى تليها فى عدد الآيات، سميت بذلك لأنها تثنى فى القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين.
٤- المفصل: قيل من أول سورة (ق)، وقيل من أول (الحجرات)، وأقسامه ثلاثة:
- طوال المفصل: من (ق) أو من (الحجرات)، إلى (عمَّ) أو (البروج).
- أوساط المفصل: من (عمَّ) أو (البروج)، إلى (الضحى) أو إلى (البيِّنة).
- قصار المفصل: من (الضحى) أو من (البيِّنة)، إلى آخر القرآن.

وقيل فى سبب تسميته المفصل: كثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

*****وأطول الآيات فى القرآن آية الدين من سورة البقرة، وأطول سورة سورة البقرة.**

الفرق بين القرآن وغيره من الكتب المنزلة :

يمتاز القرآن من غيره من الكتب المنزلة بفرقين، هما:

الفرق الأول:

هذا القرآن جيء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، فجميع الكتب السماوية جيء بها على التوقيت، أما القرآن فجيء به على التأبيد.

ولذلك حفظه الله بحفظين– فى موضعين– لا فى موضع واحد كباقى الكتب السماوية الأخرى. فالتوراة والإنجيل لا توجد إلا فى كتاب، ولا يتلوها أصحابها إلا نظرًا، أما القرآن فقد حفظه الله فى الصدور وفى السطور معًا، ولابد أن يوافق المكتوب المحفوظ، فلا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر. ولابد أن يوافق المحفوظ المكتوب، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من أصحاب رسول الله ﷺ. وبهذه العناية المزدوجة بقى القرآن محفوظًا بالنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، إنجازًا لوعد الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند.[1]

الفرق الثانى:

نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا فى ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث، منذ بعثته إلى أن توفى صلوات الله وسلامه عليه، حيث أقام فى مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات.

وجاء الدليل على نزوله مفرقًا فى قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء.

---

[1] مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان بتصرف.

قال العلماء:

يدل التعبير بلفظ التنزيل، دون الإنزال، على أن المقصود النزول على سبيل التدرج، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقًا، والإنزال أعم. أما الكتب السماوية الأخرى، فكان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان.

فلو كان نزولها مفرقًا لما كان هناك مايدعو الكفار إلى التعجب.

وقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾إجابة على سؤالهم وبيان لحكمة نزول القرآن مفرقًا، وهى تقوية قلب الرسولﷺ.

وقوله تعالى ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ أى قدَّرناه آية بعد آية، بعضه إثر بعض، أو بَيَّناه تبيينًا، فإن إنزاله مفرقًا حسب الحوادث أقرب إلى الحفظ والفهم، وذلك من أعظم أسباب التثبيت، والأحاديث الصحيحة دالة على أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر، وأقل، وقد صح نزول عشر آيات فى قصة الإفْكِ جملة بسورة النور، وصح نزول عشر آيات فى أول سورة المؤمنون جملة، وصح نزول

﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ وحدها وهى بعض آية.

ولقد رَغَّبَنا الله سبحانه وتعالى فى تلاوته وتدبر معانيه فى آيات وأحاديث كثيرة، نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

وقال رسول الله ﷺ : "الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البررَةِ، والذى يقرأُ القرآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه وَهُوَ عليهِ شاقٌّ لهُ أَجْرَانِ".

(صحيح متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها)

وقال ﷺ : مَنْ قَرَأَ حَرفًا من كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمثالِها، لا أَقول ﴿الم﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ".

(حديث صحيح أخرجه البخارى)

القراءة فى المصحف والقراءة عن ظهر قلب، أيهما أفضل ؟

اختلف العلماء على ثلاثة أقوال:

الأول: أن القراءة فى المصحف أفضل؛ لأن النظر فيه عبادة فيجمع بين ثواب القراءة وثواب النظر.

الثانى: أن القراءة عن ظهر القلب أفضل؛ لأنها أدعى إلى حسن التدبر، وهو المقصود من قراءة القرآن.

الثالث: أن الأمر يختلف باختلاف الأحوال، فإن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من النظر فى المصحف، فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل.

والقراءة إما جهرية وإما سرية، ولابد أن تكون مسموعة للقارئ يحرك لسانه بها، أما الاكتفاء بالنظر فى المصحف بالعينين دون نطق الحروف فليس بقراءة، وإنما هى مجرد اطلاع.

ويسن أن يقرأ بترتيب المصحف، لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد به الشرع، كصلاة صبح يوم الجمعة بالسجدة والإنسان، وما شابه ذلك. فلو قرأ بتفريق السور أو عكسها جاز وقد ترك الأفضل، ومثله أن يلتقط الآيات من كل سورة فيقرأها، فقد كره بعض العلماء ذلك، وأجازه آخرون.

أما ما يعرف بتنكيس القرآن، أى قلبه وقراءته من آخر سورة إلى أولها، فيبدأ من آخر السورة منتهيًا بأول السورة فهذا العمل حرام بالإجماع.

وسببا حرمته:

1- **يذهب بالمعانى .**
2- **ترتيب الآيات بتوقيف ولحكمة تذهب ولا تظهر مع التنكيس.**

وأما تقديم سورة متأخرة على أخرى تسبقها فى التلاوة- داخل أو خارج الصلاة- فجائز وليس بتنكيس.

ترجمة القــرآن :

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، فأصبحت اللغة العربية جزءًا من كيان الإسلام، وأساسًا للتخاطب فى إبلاغ دعوته، ولأنَّ بعثة رسولنا ﷺ إلى الإنسانية كلها، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف. فلن يتأتى لمسلم التعرف على أصول الإسلام، وأسسه إلا إذا فهم القرآن بلغته، ومن ثَمَّ ظهرت الحاجة إلى ترجمة القرآن.

معنى الترجمــة :

الترجمة تطلق على معنيين :

الأول: الترجمة الحرفية:

وهى نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى، بحيث يكون النظم موافقاً للنظم، والترتيب موافقاً للترتيب، والذين على بصر باللغات يعرفون أن الترجمة الحرفية- بالمعنى المذكور- لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه؛ لأن التعبير العربى يحمل فى طياته من أسرار اللغة مالا يمكن أن يحل محله تعبير آخر بلغة أخرى.

والقرآن الكريم فى قمة الفصاحة والبلاغة، وله خواص وأسرار فى الأسلوب الموصل إلى لطائف المعانى وأدقها، ولهذا لا توجد أدنى شبهة فى حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها؛ لأن أى خروج بالقرآن عن اللفظ العربى الذى نزل به لا يجعله قرآنا؛ لأن القرآن كلام الله ولم يتكلم سبحانه إلا بما نتلوه بالعربية، والمتعبَّد بتلاوته هو ذلك القرآن العربى المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته، ننطق بها كما نطق بها النبى ﷺ.

الثانى: الترجمة التفسيرية:

وتسمى (ترجمة تفسير القرآن)، بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، ولا بأس بذلك، بشرط أن يقوم عالم من علماء الإسلام أولاً بتفسير القرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة.

حفظ القــرآن :

القرآن هو الوحى المنطوق المنزل على قلب النبى ﷺ، وهو لم يقدمه للناس ألواحًا أو صحفًا مكتوبة كالتوراة والإنجيل، والقرآن لا يؤخذ من مصحفىّ، بل يؤخذ عرضًا وسماعًا ومشافهة عمن يحسن تلاوته؛ لذلك كان حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة؛ لئلا ينقطع عدد التواتر فيتطرق إليه التبديل أو التغيير.

فضل حفظ القرآن:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : "يُقَالُ لِصَاحِبِ القرآن اقرأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ فى الدنيا فَإِنَّ منزِلَتَكَ عند آخرِ آيةٍ تَقْرَؤُها" رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه. وقال الترمذى حديث حسن صحيح، وسئل ابن حجر مَن المخصوص بهذه الفضيلة: هل هو من يحفظ القرآن فى الدنيا عن ظهر قلب ومات كذلك، أم يستوى فيه هو ومن يقرأ فى المصحف؟ فأجاب بقوله:

"الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب لا من يقرأ فى المصحف، لأن مجرد القراءة فى الخط لا يختلف الناس فيها، ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذى يتفاوتون فيه هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تتفاوت منازلهم فى الجنة، بحسب تفاوت حفظهم، ومما يؤيد ذلك أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة، ومجرد القراءة فى المصحف من غير حفظ لا يسقط بها الطلب، فليس لها كثير فضل كفضل الحفظ فتعين أنه – أعنى الحفظ عن ظهر قلب – هو المراد فى الخبر، وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل." انتهى.

والمراجعة، والمعاهدة للحفظ السابق أولى من زيادة مقدار ما نحفظ، فالحفظ الجديد أمر مندوب إليه وغير مكلف به المسلم، أما معاهدة ما سبق حفظه فهو أمر واجب، ومكلف به لأن ترك الحفظ بلا مراجعة كعدم الحفظ تمامًا.

وفى الصحيحين: "تَعَاهَدُوا القرآنَ فوالَّذِى نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا من الإبِل فى عَقْلِها".

ونسيانُهُ أو نسيانُ شَىءٍ منه كبيرةٌ، كما صرح به النَّوَوِى. والنسيانُ المُوَاخَذُ بِهِ، هو ما كان عن تفريطٍ بتركِ المعاهدةِ والمراجعةِ والتكرارِ، أما من ابتُلِى بمرضٍ، أو بغيره من الأعذار، بحيث أفقده ما كان قد حَفِظَهُ، فلا حَرَجَ عليه، ولكن يحرصُ بعد ذهابِ السَّبَبِ إلى العودةِ إلى الحِفْظِ وكثرةِ التلاوةِ والمراجعةِ.

ولابد لمن يريد حفظ القرآن: أن يتعلم أولاً القراءة الصحيحة من مخارج الحروف وصفاتها ومشهور الأحكام، كالإظهار والإدغام، والقلب، والإخفاء، والمدود، والتفخيم والترقيق، وعلامات الوقف وكيفية الابتداء، وكل ذلك قبل شروعه فى الحفظ ثم يتابع أثناء الحفظ إتقان باقى الأحكام. ولابد من التلقى على يد شيخ متقن يصحح له ويهديه إلى الصواب قبل الحفظ، لأن تصحيح الأخطاء بعد حفظ القرآن بها من أصعب الأمور.

ومن أهم الوسائل المعينة على الحفظ :

١- اهتمام الأسرة بتدريب الأطفال على الحفظ والاعتناء به واغتنام السنين الذهبية فى حفظ القرآن، وهى من سن الخامسة إلى العشرين.

٢- إخلاص النية.

٣- الالتزام بالتلقى على يد شيخ متقن.

٤- تحديد وقت يلتزم به فى الحفظ والمراجعة، ولا يجعل لهما بقايا الأوقات.

٥- يجعل لنفسه مصحفًا واحدًا لا يتغير، ويشرك نظره مع سمعه عند استيعاب الآية بعقله ومع كثرة الترديد وربط الآيات بعضها ببعض تسجل فى ذاكرته، وكلما أعاد المراجعة زاد حفظه حتى يتقنه تمامًا ويرسخ فى ذاكراته رسوخًا عميقًا.

آداب تلاوة القرآن :

ينبغى على قارئ القرآن أن يتأدب بالآداب التالية:

١- أن يستقبل القبلة ما أمكنه ذلك.

٢- أن يستاك تطهيرًا وتعظيمًا للقرآن.

٣- أن يكون طاهرًا من الحدثين.

٤- أن يكون نظيف الثوب والبدن.

٥- أن يقرأ فى خشوع وتفكر وتدبر.

٦- أن يكون قلبه حاضرًا فيتأثر بما يقرأ تاركًا حديث النفس وأهواءها.

٧- يستحب له أن يبكى مع القراءة، فإن لم يبك يتباكَ.

٨- أن يزين قراءته ويحسن صوته بها، وإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع بحيث لا يخرج به إلى حد التمطيط.

٩- أن يتأدب عند تلاوة القرآن الكريم، فلا يضحك، ولا يعبث، ولا ينظر إلى ما يلهى، بل يتدبر، ويتذكر، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

وقال العلماء فى معنى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، تلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه: اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان: تصحيح الحروف، وحظ العقل: تفسير المعانى، وحظ القلب: الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار.

ومن الآداب التى نقلت عن التابعى الجليل إبراهيم النخعى قوله: يستحب للقارئ خفض الصوت عند نحو: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾،﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾، أو﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾، وما شابهه، من كلام الكفار والمشركين ومن شابههم، وعلق الإمام ابن الجزرى على قول النخعى، بقوله: (هذا من أحسن آداب التلاوة).

التعريف بالمقرئ (بضم الميم وكسر الراء) :

هو الشيخ العالم بالقراءات أداءً، ورواها مشافهة، وأجيز له أن يعلم غيره بما تعلمه.

وشرطه: أن يكون مسلمًا بالغًا، عاقلاً، ثقة، مأمونًا، ضابطًا، متنزهًا عن أسباب الفسق ومسقطات المروءة، ولا يجوز له أن يقرئ إلا بما سمعه ممن توافرت فيه هذه الشروط، أو قرأه عليه وهو مصغ له، أو سمعه بقراءة غيره عليه.

وقال الإمام: مكى بن أبى طالب القيسى[1] فى كتاب (الرعاية)، فى باب صفة من يجب أن يقرأ عليه وينقل عنه:

يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته، ونقله وضبطه، أهل الديانة والصيانة والفهم فى علوم القرآن والنفاذ فى علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم، فإذا اجتمع للمُقْرِئ هذه الأمور كملت حاله ووجبت إمامته. ثم قال: والمقرِئون يتفاضلون فى العلم بالتجويد : فمنهم من يُعَلِّمُهُ رواية وقياسًا وتمييزًا، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من ينقِلُهُ سماعًا وتقليدًا، فذلك الوهن الضعيف لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يبن نقله على أصل، ولا نقل عن فهم.

وجاء فى نهاية القول المفيد ما نصه:

وكان شيخنا الشيخ نور الدين المنزلى يقول: لا يجوز لشيخ أن يقدم على إقراء الناس حتى يعرف ثلاثة علوم: علم الرسم وعلم التجويد وعلم القراءات، ويعلل بأنه ربما رأى شيئًا فى المصاحف من الرسم المجمع عليه فيغيره، وربما سمع قراءة تخالف محفوظه فيغيرها، فيحرم عليه. انتهى.

ولأن للأستاذ فى تلميذه تأثيرًا، وللتلميذ فى أستاذه قدوة، فيجب على المقرئ أو الشيخ: أن يخلص النية لله تعالى، ولا يقصد بذلك غرضا من أغراض الدنيا، كمعلوم يأخذه، أو ثناء يلحقه من الناس، أو منزلة تحصل له عندهم، وأن لا يطمع فى رزق

---

[1] هو مكى بن أبى طالب بن حيوس بن محمد بن مختار أبو محمد القيسى القيروانى ثم الأندلسى القرطبى إمام علامة محقق ولد سنة خمسين وثلاثمائة بالقيروان، ومن تأليفه: التبصرة والكشف عليها. وتفسيره الجليل ومشكل إعراب القرآن والرعاية فى التجويد والموجز فى القراءات وتواليفه تزيد على ثمانين تأليفًا، مات فى الثانى من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

يحصل له من بعض من يقرأ عليه، سواء كان خدمة أو مالاً وإن قل، ولو كان على صورة الهدية التى لولا قراءته عليه لما أهداها إليه.

وينبغى له أن يتخلق بالأخلاق الحميدة المرضية، من: الزهد فى الدنيا، والتقلل منها، وعدم المبالاة بها وبأهلها، والسخاء، والحلم، والصبر، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة، وملازمة الورع، والخشوع، والسكينة، والوقار، والتواضع، والخضوع، وأن ينزه نفسه من الرياء، والحسد، والحقد، والغيبة، واحتقار غيره، وإن كان دونه، ومن العُجْبِ (وقل من يسلم منه)، ومن المزاح ودنىء المكاسب، وأن يصون بصره عن الالتفات إلا لحاجة، ويديه عن العبث بهما إلا لضرورة، ولتكن ثيابه نظيفة، وليحذر من الملابس المنهى عنها، ومما لا يليق بأمثاله، وأن يراقب الله تعالى فى سره وعلانيته، ويعول عليه فى جميع أموره، وأن لا يقصد التكثر بكثرة المشتغلين عليه، ويستحب له أن يوسع مجلسه ليتمكن جلساؤه فيه، ويظهر لهم البشاشة وطلاقة الوجه، ويتفقد أحوالهم ويسأل عمن غاب منهم، ويسوى بينهم، إلا أن يكون أحدهم مسافرًا أو يتفرس فيه النجابة، أو نحو ذلك.

وليقدم الأول فالأول، فإن رضى الأول بتقديم غيره قدمه، ولا بأس بقيامه لمن يستحق الإكرام من الطلبة وغيرهم.

وينبغى له أن يرفق بمن يقرأ عليه، ويرحب به، ويحسن إليه بحسب حاله، ويكرمه وينصحه ويرشده إلى مصلحته، ويساعده على طلبه بما أمكن، ويؤلف قلبه، ويتلطف به، ويحرضه على التعليم، ويذكره فضيلة الاشتغال بقراءة القرآن وسائر العلوم الشرعية ليزداد نشاطه ورغبته، ويزهده فى الدنيا، ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها، ويجريه مجرى ولده فى الشفقة عليه والاهتمام بمصالحه، والصبر على جفائه وسوء أدبه، ولا يكره قراءته على غيره ممن ينتفع به، ولا يتعاظم عليه بل يلين ويتواضع معه، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير، ويكره له ما يكره لنفسه من النقص، ويؤدبه على التدريج بالآداب الشرعية والشيم المرضية، ويعوده الصيانة فى جميع أموره، ويحرضه على الإخلاص والصدق وحسن النية ومراقبة الله تعالى فى جميع حالاته، وأن يحرص على تعليمه، مؤثرًا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية غير الضرورية، ويحرص على تفهيمه، ويعطيه ما يليق

بـه، ويأخذه بإعادة محفوظاتـه، ويثنـى عليـه إذا ظهرت نجابتـه، مـا لـم يخش عليـه فتنـة بإعجاب أو غيره، ويعنفه تعنيفا لطيفا إذا قصر، ما لم يخش تنفيره.

وإذا انتهى الطالب من عرض القرآن كـاملا على شيخه- بنيـة الحصول على الإجـازة- فلا يجوز للشيخ المجيز حبس الإجازة عمن استحقها نظير مال ونحوه.

التعريف بالقارئ:

هو الذى جمع القرآن حفظًا عن ظهر قلب، وهو: مبتدئ، ومتوسط، ومنته.

فالمبتدئ: من أفرد إلى ثلاث روايات.

والمتوسط: من أفرد إلى أربع أو خمس.

والمنتهى : من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها.

ويجب على القارئ: أن يخلص نيته ثم يجد فى قطع مـا يقدر عليـه من العلائق والعوائق المانعة عن مراده، وليبادر فى شبابه وأوقات عمره للتحصيل ولا يغتر بخداع التسويف فإنه آفة الطالب، ولا يستنكف عن أحد وجد عنده فائدة.

وليقصـد شـيخًا كملـت أهليتـه وظهـرت ديانتـه جامعًـا للشـروط المتقدمـة أو أكثرهـا، وليطهر قلبـه مـن الأدنـاس ليصـلح لقبـول القرآن وحفظـه واستثماره، ولـيكن حريصًـا علـى الـتعلم، ولا يحمـل نفسـه مـالا يطيـق، وليبكـر بقراءتـه علـى شيخه، وليحـافظ علـى تعاهـد محفوظاته، ولا يعجب بنفسـه، ولا يحسد أحدًا من رفقتـه أو غيـرهم علـى فضيلة رزقـه الله إياها، ويجب عليه أن يحترم شيخه، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على نُظَرائه، ويلزم معه الوقار والتأدب والتعظيم، ويتواضع لـه وإن كان أصغر منه سنًّا وأقل شـهرة ونسبًا وصـلاحًا، ولا يأخذ بثوبـه إذا قـام، ولا يلـح عليـه إذا كسل، ولا يشبـع مـن طـول صـحبته، وينقـاد لـه ويشاوره فى جميـع أمـوره، ويقعد بين يديـه قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يشيرن بيده ولا يغمـزن غيره بعينـه، ويتحرى رضـاه وإن خـالف رضـا نفسـه، ولا يـدخل عليـه بغيـر استئذان إذا كان فى مكان يحتاج إليه، ولا يُفْشِ لـه سرًّا، ولا يـذكر أحدًا مـن أقرانـه عنـده، ولا يَقُلْ : قال فلان خلاف قولك، ويرد غيبته إذا سمعها إن قدر، فإن تعذر عليـه ردهـا قـام وفارق ذلك المجلس، وإذا قرب مـن حلقـة الشيخ فليسلم علـى الحاضرين وليخص الشيخ بتحية، ويسلم عليه وعليهم إذا انصرف، ولا يتخطَّ رقاب النـاس بل يجلس حيث انتهى بـه

المجلس إلا أن يأذن له الشيخ فى التقدم أو يعلم من إخوانه إيثار ذلك، ولا يُقِمْ أحدًا من مجلسه، فإن آثره فلا يقبل إلا أن يقسم عليه أو يأمر الشيخ بذلك أو يكون فى ذلك مصلحة للحاضرين.

ولا يجلس فى وسط الحلقة إلا لضرورة ولا بين صاحبين بغير إذنهما، وليتأدب مع رفقته وحاضرى مجلس شيخه، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا، ولا يكثر الكلام إلا لحاجة، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً بلا حاجة، بل يتوجه إلى الشيخ ويصغى لكلامه، ولا يغتب عنده أحدًا، ولا يشاور أحدًا فى مجلسه، ولا يقرأ عليه فى حال شغله وَمَلَلِهِ وغمه وجوعه وعطشه ونعاسه وقلقه، ونحو ذلك مما يشق عليه أو يمنعه من كمال حضور القلب ونشاطه، وليحتمل شدَّتَه ولا يصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله، وإذا وجده نائمًا أو مشتغلاً بمهم فليصبر إلى استيقاظه أو فراغه أو ينصرف، وإذا جاء إليه فلم يجده انتظره، ويجوز له القيام لشيخه أو لمن فيه فضيلة من علم أو صلاح أو سن أو حرمة بولاية أو غيرها، واستحب ذلك النووى ولكن بشرط أن يكون على سبيل الإكرام لا على سبيل الرياء، وفى هذا القدر كفاية، وبالله التوفيق. [1]

---

[1] انظر إرشاد المريد للشيخ الضَّبَّاع. وهو على بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع مصرى علاَّمة كبير وإمام مقدم فى علم التجويد والقراءات والرسم العثمانى وضبط المصحف الشريف وعد الآى وغيرها. وَلِي مشيخة عموم المقارئ والإقراء بالديار المصرية وله أقران مبرزون منهم شيخنا فى الإجازة العلامة الفذ الكبير فضيلة الشيخ أحمد عبد العزيز أحمد محمد الزيات رحمه الله رحمة واسعة. وقد بورك للمترجم له فى وقته فأخذ عنه التجويد والقراءات عالم كثير وجم غفير من مصر وخارجها لا يأتى عليهم العد وذاع صيته فى كل مكان برفعة الشأن. فممن أخذ عنه القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة وطيبة النشر وكذلك القراءات الأربع التى فوق العشر من خارج مصر العلامة المحقق فضيلة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد على عيون السود شيخ القراء وأمين الإفتاء بحمص بسوريا. وعين- رحمه الله تعالى- مراجعًا للمصاحف الشريفة بمشيخة المقارئ المصرية قبل توليته لرئاسة هذه المشيخة وبعدها أيضًا فكان يعنى بكتاب الله تعالى ويسهر عليه ويحتاط له حتى تخرج طبعاته دقيقة مطابقة للأحكام المتعلقة بكتابة المصاحف. وللعلامة الضبَّاع مؤلفات كثيرة تزيد على الثلاثين كتابًا فى علوم التجويد والقراءات وشروح عديدة للشاطبية والدُّرة والطيبة. توفى رحمه الله فى سنة ١٣٧٦ هجرية.

كيفية الأخذ عن الشيوخ :

الأخذ عن الشيوخ على نوعين:

(أحدهما) أن يسمع من لسان المشايخ، وهذا مسلك المتقدمين.

(وثانيهما) أن يقرأ فى حضرتهم وهم يسمعونه، وهذا مسلك المتأخرين.

واختلف أيهما أولى، فقال العلماء: الأظهر أن الطريقة الثانية أفضل بالنسبة إلى أهل زماننا وَنِعْمَ الجمع بينهما، لما ذكر أنه جرت السنة بين القراء أن يقرأ الأستاذ ليسمع التلميذ ثم يقرأ التلميذ؛ لأن رسول الله ﷺ قال لأبى بن كعب ﷺ إن الله أمرنى أن أقرأ القرآن عليك، والمراد من قراءته ﷺ على أبى تعليمه وإرشاده، وهو أول قراء الصحابة وأشدهم استعدادًا لتلقف القرآن منه ﷺ كتلقفه عليه الصلاة والسلام من أمين الوحى، فلذلك خص بذلك.[1]

سجود التلاوة:

شرع سجود التلاوة للقارئ والمستمع طاعة للرحمن ومخالفة للشيطان.

قال رسول الله ﷺ: "إِذَا قَرَأَ ابنُ آدمَ السجدةَ فسَجَدَ اعتزلَ الشيطانُ يبكى يقولُ: ياويْلَه (وفى رواية: يا ويلى) أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجنَّةُ وأُمِرْتُ بالسُّجُودِ فعَصيتُ فَلِى النارُ" (رواه مسلم).

وكيفية السجود وعدد السجدات من الأمور الفقهية وليست من اختصاص علم التجويد والقراءات، ولذلك فعلى القارئ غير المتخصص فى الفقه أن يلتزم بسجدات المصحف الذى يقرأ فيه.

---

[1] انظر نهاية القول المفيد للشيخ مكى نصر.

وهو محمد مكى نصر الجريسى عالم كبير فى التجويد والقراءات وغيرها. مصرى وله مؤلفات يرجع إليها ويعول عليها منها "نهاية القول المفيد فى علم التجويد" فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء الرابع من شهر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة... وهو كتاب مشهور أجاد فيه وأفاد وانتفع به طلاب العلم قاطبة فى أنحاء البلاد الإسلامية وطبع كثيرًا، ويؤخذ من هذا الكتاب أن المترجم له كان حيًّا فى سنة خمس وثلاثمائة وألف للهجرة فيعد من علماء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين رحمه الله تعالى.

أركانـــــه :

١- النية. ٢- تكبيرة قبل السجود. ٣- سجدة واحدة كسجدات الصلاة.

ويسن التكبير للرفع من السجود ولا يقرأ التشهد، وقيل: من لم يستطع فعل سجدة التلاوة، قال: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أربع مرات، فإن ذلك يجزئه عن سجدة التلاوة ".

المواضع التى تطلب فيها سجدة التلاوة

تطلب سجدة التلاوة فى أربعة عشر موضعًا، هى:

١- آخر الآية (٢٠٦) من سورة الأعراف:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾.

٢- الآية (١٥) من سورة الرعد:

﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴾.

٣- الآيتان (٤٩، ٥٠) من سورة النحل:

﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴾.

٤- الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩) من سورة الإسراء:

﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴾.

٥- الآية (٥٨) من سورة مريم:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴾.

٦،٧- الآيتان (١٨، ٧٧) من سورة الحج:

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ ... إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾.

٨- الآية (٦٠) من سورة الفرقان:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴾.

٩- آية (٢٥، ٢٦) من سورة النمل:

﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴾.

١٠- آية (١٥) من سورة السجدة:

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴾.

١١- الآيتان (٣٧، ٣٨) من سورة فصلت:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾

١٢- الآيات (٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢) من سورة النجم:

﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴾

١٣- الآيتان (٢٠، ٢١) من سورة الانشقاق:

﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾.

١٤- الآية (١٩) من سورة العلق:

﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴾.

وأما آية (٢٤) من سورة ص، وهى:

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ ﴾، فليست من مواضع سجود التلاوة عند الشافعية والحنابلة.

وجاء فى نهاية القول المفيد:

وأما سجدة (ص) فسجدة شكر، والصارف لها عن سجدات التلاوة إلى الشكر حديث النسائى : "سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا"، أى على قبول توبته.

كيف نزل القرآن

قال العلماء: إن القرآن له تنزيلان، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن للقرآن وجودًا فى اللوح المحفوظ، فى قوله تعالى:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾سورة البروج٢١،٢٢.
فيكون للقرآن، بعد إثباته فى اللوح المحفوظ، نزولان:
الأول: نزوله جملة واحدة فى شهر رمضان فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ،إلى بيت العزة من السماء الدنيا. والدليل قوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، البقرة. وقوله:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾، القدر.
الثانى: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض، مفرقًا بحسب الوقائع والأحداث.
القول فى أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل :

"أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾، وآخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة (الْمُؤْمِنُونَ)، ويقالَّ (العنكبوت)، وأول سورة نزلت بالمدينة: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾، وآخر سورة نزلت فى المدينة (بَرَاءَةٌ)، وأول سورة عَلَّمَهَا رسول الله ﷺ بمكة ﴿وَٱلنَّجْمِ ﴾، وأشد آية على أهل النار: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾، وأرجى آية فى القرآن لأهل التوحيد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ .. ﴾ الآية، وآخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ البقرة:٢٨١، وعاش النبى ﷺ بعدها تسع ليال".[1]

نزول القرآن على سبعة أحرف:

ثبت أن: المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارئ، سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان،فى حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبَّبْتُه بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت،

---
[1] انظر أسباب النزول للإمام الواحدى تحقيق الأستاذ أيمن صالح شعبان.

فانطلقت بـه أقوده إلـى رسـول الله ﷺ، فقلـت: إنـى سـمعت هـذا يقـرأ سـورة الفرقـان علـى حروف لـم تقرئنيهـا، فقـال رسـول الله ﷺ: "أرسـلـه اقـرأ ياهشـام". فقـرأ عليـه القـراءة التـى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقـرأ يـاعمر" فقـرأت القـراءة التـى أقرأنى، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت.. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فـاقرءوا ما تيسر منـه". أخرجـه البخـارى فـى كتـاب فضـائل القرآن، ومعنـى أسـاوره: أقتلـه، وأواثبـه. ومعنى فلبَّبْته بردائه: جمعت عليه رداءه عند لبته حتى لايفلت.

وحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حديث متواتر، رواه بضع وعشرون صـحابيًّا. فقد ثبـت عن ابـن عبـاس رضـى الله عنـهمـا أن رسـول الله ﷺ قـال: "أقرأنـى جبريـل علـى حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلـى سبعة أحرف". ومعنـى أستزيده أى أطلب مـن جبريـل أن يطلـب مـن الله عز وجـل الزيـادة عن الحـرف تخفيفًا علـى الأمـة ورحمـة وتوسـعة عليهـا، حتـى انتهـى إلـى سبعة، فأَيّمـا حـرف قرءوا عليـه أصـابوا. معنـى الحرف فى الحديث :

الأصل: أن الحرف هو أحد حروف الهجـاء، ولكن المحققين من أهل اللغة قالوا: إن المراد من الحرف فى الحديث الكلمة أو اللفظ القرآنى، سواء كانت اسمًا، أو فعلاً، أو حرف معنى، والدليل على ذلك قولـه ﷺ فـى الحديث المعروف (لا أقول: (آلـم) حرف ولكن ألـف حرف ولام حرف وميم حرف)، مـع العلـم أنـه ﷺ نطق بأسماء الحروف، ولـو كـان المراد بالحرف فى الحديث حرف الهجاء لقال: ألف بثلاثة أحرف، ومثلها اللام، والميم.

ولهذا لما سأل الخليل بن احمد الفراهيدى أصحابه عن النطق بـالزاى فقالوا: (زاى)، فقال: نطقتم بالاسم وإنما الحرف (زه).

ولكى نفهم دلالة الحديثين، (حديث عمر ﷺ، وحديث الأحرف السبعة) لابد أن ننبـه إلى أنه من المعلوم- لكل قارئ متخصص فى علم القرآن وكيفيـة تلاوتـه- أن القرآن لـم ينزل بكيفية أدائية واحدة، وإنمـا نـزل بأحكام مختلفـة ولكنها مُطَّرِدَة متكـررة يكثر ورودها فـى السـور ويجرى القيـاس عليهـا، وهـى التـى اصطلح علـى تسميتها بعد ذلك بالأصول، نحـو: المـد والقصـر- التحقيـق والتسـهيل والإبـدال- الإظهـار والإدغـام- الفـتح والإمالـة- التفخيم والترقيق... إلخ.

ونزل بحروف يقل ورودها فى السور ولا تطَّرِد إلا فيما ندر ولا يقاس عليها، ومن أمثلة ذلك:

نزول بعض الكلمات، فى بعض السور، بأكثر من قراءة: فقد تنزل الكلمة الواحدة بقراءتين: واحدة بالجمع، والثانية بالإفراد، وواحدة بالخبر والثانية بالاستفهام، وقد تنزل الكلمة الواحدة بتغيير فى الحركات الإعرابية، فيكون لها أكثر من قراءة نزلت بها. وهذا على سبيل المثال، مما اصطلح على تسميته بالفرش بسبب انتشار هذه الكلمات وتفرقها فى السور، فيقولون (فرش البقرة)، أى الكلمات التى نزلت فى سورة البقرة بأكثر من قراءة،(فرش آل عمران) (فرش النساء)... إلخ حتى سورة الناس.

ولقد اختلف العلماء فى المراد بحديث الأحرف السبعة، ولكن أقوى المذاهب وأقربها إلى الحق والصواب والأداء العملى هو مذهب الإمام أبى فضل الرازى، حيث بَيَّنَ أَنَّ المراد بهذه الأحرف أن التغاير والاختلاف فى مجمل القرآن المنزل لا يخرج عن سبعة، وذلك بسبب:

أولاً : نزول اللفظ القرآنى بقراءتين: واحدة بالإفراد والأخرى بالجمع، أو واحدة بالتثنية والأخرى بالجمع، أو واحدة بالتذكير والأخرى بالتأنيث، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ سورة البقرة: ١٨٤.

نزل لفظ ﴿مِسْكِينٍ﴾بالإفراد، ونزل بالجمع (مَسَاكِين).

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ سورة الحجرات: ١٠.

نزل لفظ ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ هكذا بالتثنية، ونزل (إِخْوتكم) بالجمع.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ نزل لفظ ﴿يُقْبَلُ﴾ هكذا بياء التذكير، ونزل بتاء التأنيث (تُقْبَل).

ثانيًا: نزول اللفظ القرآني بقراءتين باختلاف في تعريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ سورة البقرة:١٨٤، نزل لفظ ﴿تَطَوَّعَ﴾ هكذا على أنه فعل ماض، ونزل (يَطَّوَّع) على أنه فعل مضارع مجزوم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة الأنبياء:٤، نزل لفظ ﴿قَالَ﴾ هكذا على أنه فعل ماض، ونزل (قُلْ) على أنه فعل أمر.

ثالثًا: نزول اللفظ القرآني بقراءتين باختلاف وجوه الإعراب.

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ سورة البقرة: ١١٩. نزل لفظ ﴿تُسْأَلُ﴾ هكذا بضم التاء ورفع اللام على أن (لا) نافية، ونزل (تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على أن (لا) ناهية.

رابعًا: نزول الآية الواحدة باختلاف في الزيادة والنقص.

كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾، آل عمران: ١٣٣، نزلت هكذا بإثبات الواو، ونزلت بحذفها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ..... وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ سورة التوبة:١٠٠، نزلت هكذا:

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾، ونزلت (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) بزيادة (مِنْ).

خامسًا: نزول الآية الواحدة باختلاف في التقديم والتأخير.

كقوله تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ آل عمران:١٩٥. نزلت هكذا بتقديم﴿وَقَاتَلُوا﴾ وتأخير ﴿وَقُتِلُوا﴾ ونزلت بتقديم (وقُتِلُوا) وتأخير (وقَاتَلُوا).

سادسًا: نزول اللفظ الواحد بقراءتين باختلاف فى إبدال حرف مكان آخر.

مثل قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ سورة يونس: ٣٠.

نزل هكذا بتاء مفتوحة فباء ساكنة، ونزل بتاءين: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة (تَتْلُوا).

ومثل قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ سورة الحجرات:٦، نزلت هكذا ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ ونزلت (فَتَثَبَّتُوا).

سابعًا: نزول اللفظ القرآنى الواحد بقراءتين أو ثلاثٍ نتيجة لاختلاف اللهجات، ويشمل ذلك:

الفتح والإمالة والتقليل، ففى نحو:

﴿مُوسَى﴾ نزلت بفتح الألف، ونزلت بإمالتها، ونزلت بين الفتح والإمالة، وهو ما يعرف بالتقليل.

الإظهار والإدغام، ففى نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾:

نزلت بإظهار الدال عند السين والضاد، ونزلت بإدغامها.

التحقيق والتسهيل، ففى نحو:

﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ﴾ نزلت بتحقيق الهمزتين، ونزلت بتسهيل الثانية أى بقراءتها بين الألف والهمزة، ونزلت بهمزة واحدة على الخبر (أعجمى).

التفخيم والترقيق، ففى نحو:

﴿يُسِرُّونَ﴾ نزلت بتفخيم الراء ونزلت بترقيقها، وفى نحو: ﴿اَلطَّلَٰقَ﴾ نزلت بتفخيم أو تغليظ اللام ونزلت بترقيقها.

تغيير الحركات، ففى نحو:

﴿خُطُوَٰتِ﴾ نزلت بتحريك الطاء بالضم ونزلت بإسكانها.

وكذلك فى نحو: ﴿بُيُوتٍ﴾ نزلت بتحريك الباء بالضم ونزلت بكسرها.

والأمثلة كثيرة يصعب حصرها.

ومما سبق يتضح لنا أن الاختلاف فى كيفية قراءة اللفظ القرآنى الواحد ليس اختلاف تضاد أو تناقض، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا يناقض الأول ولا يُبَدِّلُه. ويستدل من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: أن نزول القرآن على سبعة أحرف لم يكن من أول وهلة؛ وإنما نزل بلسان قريش(أحد الأحرف السبعة)، ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون فى قراءتها تسهيلاً وتيسيرًا، فتنزل الكلمة أول مرة بقراءة واحدة وفى الثانية بباقى وجوهها.

ونزول القرآن على أحرف متعددة وأوجه مختلفة كان رحمة بالأمة، ولتيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان ولغة، ولا عهد لهم بحفظ الشرائع والأحكام مما كان له أبلغ الأثر على جريان ألفاظ القرآن على أَلْسنة الناس فسهل نشر الإسلام وتعلم أحكامه.

قال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

وَأَصْلُ الاخْتِلافِ أَنَّ رَبَّنَا أَنْزَلَهُ بِسَبْعةٍ مُهَوَّنَا

وزيادة فى التيسير والتخفيف على الأمة، أذن الله لنبيه ﷺ أن يقرئ كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها، فمثلاً: كان من العرب من لا يحسن النطق بالحاء فينطقها عينًا، فيقول: (عتَّى) بدلاً من (حتَّى)، فسمح لهم النبى ﷺ بذلك رخصة من الله؛ لأنه يتعذر على العربى أن ينتقل من اللهجة التى نشأ عليها وتعود لسانه التخاطب بها حتى صارت له طبعًا، إلاَّ بعد فترة وزمن.

وكان النبى ﷺ، يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى رمضان من كل عام مرة، وفى العام الذى قبض فيه عرضه عليه مرتين، وفى العرضة الأخيرة رفعت تلك الرخصة، التى ذكرناها آنفًا، ونُسِخَت كثير من الأحرف التى نزلت موافقة للغات بعض القبائل، غير قريش، وذلك بعد أن رسخت العقيدة ولانت الألسنة بكثرة التلاوة، فأصبح الحرف القرشى هو السائد، وبذلك وَحَّدَ القرآن بين لهجات القبائل، إلى درجة بعيدة.

الثمرات المستفادة:

١- أن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا فى الذروة العليا دقة وضبطًا لألفاظ القرآن، والبرهان على ذلك: موقف عمر ﷺ، لما سمع قراءة على غير القراءة التى أقرأه إياها الرسول ﷺ.

٢- قراءة اللفظ القرآنى الواحد بأكثر من وجه وأكثر من كيفية إنما هو مبنى على التلقى والرواية، لا على الرأى والدراية، فقد تكررت فى حديث عمر ﷺ لفظة (الإقراء)، مما يدل على أن القراءات إنما ثبتت بالتوقيف والتلقين والتلقى والأخذ والمشافهة والنقل والسماع عن رسول الله ﷺ.

٣- أن كل ما تلقاه الصحابة رضوان الله عليهم عن الرسول ﷺ من أوجه القراءات المختلفة، إنما هو منزل من عند الله وموحى به إليه صلوات الله وسلامه عليه،بدليل قوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآن أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف)، الحديث.

فوائد اختلاف القراءات:

١- دليل على كمال الإعجاز، فالقرآن معجز إذا قرئ بهذه القراءة، ومعجز أيضا إذا قرئ بتلك القراءة الثانية، ومعجز أيضا إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلم جرًا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.

٢- دليل على بلوغه نهاية البلاغة وغاية الاختصار، إذ كل قراءة بمنزلة آية، فكان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان فى ذلك من التطويل.

٣- دليل قاطع على أنه منزل من عند الله، ففيه الدلالة الواضحة على ذلك، إذ هو مع كثرة الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، بل كله يصدق بعضه بعضًا ويبين بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد من الروعة وجمال الاتساق، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ سورة النساء ٨٢.

٤- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من اختصاصها بهذا الإسناد لكتاب ربها واتصال هذا السند بقراءة نبيهم، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله،

وهذه خاصية اختص بها الله الأمة المحمدية فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، فإن الله تعالى لم يُخْلِ عصرًا من الأعصار ولو فى قطر من الأقطار من إمام حجة قائم باتصال سند رسول الله إلى كل قارئ عليه مع إتقان حروف القرآن وتصحيح وجوهه وقراءاته، فيكون وجوده سببًا لوجود هذا السند القويم على مر الدهور[1].

٥- إعظام أجور هذه الأمة، من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم فى تتبع معانى ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، ولا يوجد علم من علوم العربية والشريعة إلا وتعتبر القراءات رافدًا من روافده؛ فعلم النحو، وعلم الصرف، وعلوم البلاغة، وعلم متشابه القرآن، وعلم فواصل القرآن (أى معرفة عدد آياته)، وعلم رسم المصحف، وعلم فضائل القرآن، وعلم آداب تلاوته، وكتب المعاجم اللغوية، يشكل القرآن بقراءاته المختلفة أصلاً أصيلاً وركنًا ركينًا فيها.
قال الشيخ سعيد الأفغانى، وهو من علماء النحو، متحدثًا عن القرآن الكريم:
(هو النَّص الصحيح المجمع على الاحتجاج به فى اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعًا حجة لا تضاهيها حجة).

٦- اختلاف القراءات للكلمة الواحدة له دور مهم فى تفسير معناها، ولقد كان المفسرون الأولون مأخوذين بلزوم الالتفات إلى القراءات والاعتماد عليها لما لها من دور مهم فى إيضاح المعانى، لأنه مع تعدد القراءات، ينكشف من معانى الآية مالا ينكشف بالقراءة الواحدة.

---

[1] انظر النشر للإمام ابن الجزرى وستأتى ترجمته.

قال الشيخ القسطلانى: (لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ بـه قارئ معنىً لا يوجد فى قراءة الآخر، فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط ومحجتهم فى الاهتداء إلى سواء الصراط)[١]

وإليك بعض الأمثلة: **المثال الأول**:

قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ سورة الفاتحة:٤، نزلت كلمة ﴿ مَٰلِكِ ﴾، بقراءتين: (مَالَك)، بالألف، ومعناها: المالك المتصرف فى الأعيان المملوكة كيف شاء، من (المِلك) بكسر الميم.

والثانية: نزلت (مَلِك)بدون الألف، من (المُلْك) بضم الميم، ومعناها: الملك المتصرف بسلطانه فى الأمر والنهى.

وحاصل القراءتين:

بين القراءتين تعدد فى المعنى: فقد أخبر الله تعالى أنه يوم القيامة هو(مَالِكِ يَومِ الدِّين) أى المنفرد بالمالكية فى ذلك اليوم فليس لأحد تصرف فى شىء إلا له سبحانه، وأنه هو (مَلِكِ يَوم الدِّين)، أى المنفرد بالملك والأمر والنهى دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصَغار.

المثال الثانى:

فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ سورة البقرة: ٨٥.

نزلت ﴿ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ بقراءتين:

الأولى: بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها (تُفَادُوهم)، بمعنى أن كل واحد من الفريقين يدفع مَنْ عنده من الأسرى ويأخذ مَنْ عند الآخرين من الأسرى والفعل حاصل من اثنين.

الثانية: بفتح التاء وسكون الفاء بلا ألف(تَفْدوهم)، بمعنى تدفعون الفداء والفعل حاصل من واحد.

---

[١] انظر القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد محمد سالم بازمُوُل.

وحاصل القراءتين:

بين القراءتين تعدد فى المعنى: فتارة يُفْدَى الأسير بالمال، وتارة يُفْدَى أسير بأسير وهو ما يعرف بتبادل الأسرى، فقراءة (تَفْدوهم)، تدل على الحال الأول، وقراءة (تُفَادُوهُمْ) تدل على الحال الثانى.

المثال الثالث

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ سورة هود ٤٦.

نزلت ﴿ عَمَلٌ غَيْرُ ﴾ بقراءتين:

الأولـى: بفتح الميم ورفع اللام منونة ورفع غير (عَمَلٌ غيرُ)

والمعنى: أن مسألتك إياى هذه عمل غير صالح، فكأن الله يعاتب نوحًا ﷺ فى قوله: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ ، هذا مروى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعى.

الثـانية: بكسر الميم وفتح اللام ونصب غيرَ (عَمِلَ غَيْرَ).

والمعنى: إن ابنك يا نوح عَمِلَ عَمَلاً غيرَ صالح، إشارة إلى أنه مشرك وأنه مع الكافرين لتركه الركوب مع المؤمنين.

حاصل القراءتين:

ينهى الله عز وجل نوحًا ﷺ عن سؤاله لولده المشرك، ويعلل هذا النهى بكون الولد (ابن نوح)عَمِلَ عَمَلا غيرَ صالح فى شركه وكونه مع الكافرين وعدم ركوبه مع المؤمنين.

جمع القرآن وترتيبه

يراد بجمع القرآن، عند العلماء، أحد معنيين:

المعنى الأول: جمعه بمعنى حفظه، وجماع القرآن حفاظه، وهذا المعنى هو الذى ورد فى قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ سورة القيامة: ١٦-١٧، فى خطابه لنبيِّه، وقد كان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحى، حرصًا على أن يحفظه.

وعن ابن عباس قال: "كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه، فقال له الله تعالى: إن علينا أن نجمعه فى صدرك ثم نقرأه، فإذا قرأناه فاستمع له وأنصت، فكان رسول الله بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق واستمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله"، أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس.

فكان الرسول ﷺ بذلك أول الحفاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة، وقد نزل القرآن فى بضع وعشرين سنة، وكلما نزلت آية حفظت فى الصدور ووعتها القلوب. والعرب كانت بسجيتها قوية الذاكرة تستعيض عن أميتها فى كتابة أخبارها وأشعارها وأنسابها بسجل صدورها.

وقد أورد البخارى فى صحيحه، بثلاث روايات، سبعة من الحفاظ، هم:

عبد الله بن مسعود- سالم بن معقل مولى أبى حذيفة- معاذ بن جبل- أبى بن كعب- زيد ابن ثابت- أبو زيد بن السكن- أبو الدرداء.

وذكر هؤلاء السبعة،لا يعنى الحصر، فإن النصوص الواردة فى كتب السير والسنن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون فى حفظ القرآن ويحفِّظونه أزواجهم وأولادهم ويقرءون به فى صلواتهم فى جوف الليل، حتى يُسمع لهم دوى كدوى النحل.

فهذا الحصر للسبعة المذكورين محمول على أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله فى صدورهم وعرضوه على النبى ﷺ واتصلت به أسانيدهم، أما غيرهم من حفظة القرآن- وهم كثر- فلم يتوافر فيهم هذه الأمور كلها، لا سيما وأن الصحابة تفرَّقوا فى

الأمصار وَحَفِظَ بعضهم عن بعض. وعن عبادة بن الصامت قال: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى إلى رجل منا يعلمه القرآن.

والدليلُ على كثرة الحُفَّاظ من غير السّبعةِ المذكورينَ: القراءُ الذين قتلوا فى بئر معونة من الصحابة وكانوا سبعين رجلاً.

وبذلك يتبين لنا أن حَفَظَةَ القرآن فى عهد النبى كانوا جمعًا غفيرًا، فإن الاعتماد على الحفظ فى النقل من خصائص هذه الأمة، كما قال ابن الجزرى فى التمهيد:

(ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة).

وَلَمَّا خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم فى إتقانه وتلقوه من النبى ﷺ حرفًا حرفًا لم يهملوا منه حركة ولا سكونًا ولا إثباتًا ولا حذفًا ولا دخل عليهم فى شىء منه شك ولا وهم.

المعنى الثانى: جمع القرآن بمعنى كتابته كله مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة فى صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور فى صحائف مجتمعة تضم السور جميعًا وقد رتب إحداها بعد الأخرى. وجمع القرآن بهذا المعنى له ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : فى عهد النبى ﷺ.

المرحلة الثانية: فى عهد أبى بكر ﷺ.

المرحلة الثالثة: فى عهد عثمان ﷺ.

المرحلة الأولى : كتابة القرآن فى عهد النبى ﷺ :

بُعِثَ النبى ﷺ إلى أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، ولا تكاد تعرف عن الرسم والكتابة شيئًا، اللهم إلا نزرًا يسيرًا فى جزيرة العرب كلها عرفوا الخط والكتابة قبل البعثة، منهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، وأبو سفيان بن حرب وابنه معاوية، وأبان بن سعد، والعلاء بن الحضرمى، وجميعهم من أهل مكة. وعمرو بن سعيد، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، والمنذر بن عمر، وجميعهم من أهل المدينة. وبقيت الكتابة محصورة فى أفراد قلائل إلى أن هاجر ﷺ إلى المدينة فشجع الكتابة وحث على تعلمها حتى أنه جعل مقابل فك أسر واحد من أسرى

قريش فى بدر أن يعلم عشرة من صبيان المدينة، وبذلك راجت سوق الكتابة فى المجتمع الإسلامى. ولم يتم القرآن نزولاً حتى كان للرسول ﷺ أكثر من أربعين كاتبًا.

واتخذ رسول الله كُتَّابًا للوحى من أجلاء الصحابة، ومن الذين اشتهروا بكتابته بين يدى النبى ﷺ : أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، على بن أبى طالب، معاوية بن أبى سفيان، أبان بن سعيد، خالد بن الوليد، أبى بن كعب ، زيد بن ثابت، ثابت ابن قيس، وغيرهم، ﷺ أجمعين.

وقيل أن أول من كتب الوحى بمكة عبد الله بن أبى سرح، ولكنه ارتد بعد الهجرة وهرب من المدينة إلى مكة، ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح.

وأول من كتب الوحى بالمدينة هو أبى بن كعب ﷺ، وكان أكثرهم مداومة على ذلك بعد الهجرة زيد بن ثابت ثم معاوية بن أبى سفيان بعد فتح مكة.

وكان الرسول ﷺ كلما نزلت آية يأمرهم بكتابتها ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، فكتب القرآن كله، وكانوا يكتبون جسم الحروف بلا نقط ولا تشكيل، وكانت كتابته على الرقاع أى على قطع من الجلد، واللخاف جمع لخفة وهى القطع من الخزف أو الحجارة الرقيقة، والألواح، والعسب، جمع عسيب وهو جريد النخل، فكانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض.

والأكتاف جمع كتف وهو العظم الذى للبعير أو للشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه، وكذلك يفعلون بالأضلاع جمع ضلع، والأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

ولم يكن مجموعًا فى موضع واحد، بل كان متفرقًا بين من احتفظ به عنده من الصحابة ﷺ.

وكان جبريل ﷺ يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة فى ليالى رمضان، وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة كذلك.

وَقُبِضَ رسول الله والقرآن محفوظ فى الصدور ومكتوب، على نحو ما سبق، مفرق الآيات والسور، أَوْ مرتب الآيات فقط وكل سورة فى صحيفة على حدة.

وفى عهد النبى ﷺ لم تدع الحاجة إلى تدوين القرآن فى مصحف واحد لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحى من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ لشىء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول، بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا فى سورة كذا، ولو جمع القرآن كله فى مصحف واحد لأدى هذا إلى التغيير كلما نزل شىء من الوحى.

قال الزركشى: وإنما لم يكتب فى عهد النبى "مصحف"لئلا يفضى إلى تغييره فى كل وقت؛ فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ ، وأيضا: بسبب عدم وجود الورق فكان الاعتماد على حفظه فى الصدور، حتى لا يتعرض للتحريف والتشويه، نتيجة لنقص أدوات الكتابة.

ولم يأذن الرسول ﷺ فى كتابة شىء سوى القرآن خشية أن يلتبس القرآن بالحديث.

وسمى العلماء جمع القرآن فى عهد النبى (حفظًا فى الصدور، وكتابة فى السطور) بالجمع الأول للقرآن.

المرحلة الثانية: كتابة القرآن فى خلافة أبى بكر ؓ :

لما قُبِضَ رسول الله ﷺ، قام بالأمر بعده أحق الناس به أبو بكر ؓ، وفى خلافته ارتدت قبائل من العرب، وكان مسيلمة الكذاب وأصحابه منها، وكان يدعى النبوة بكذبه، فجهز إليه عصابة من المسلمين أولى بأسٍ شديد، وأَمَّرَ عليهم سيف الله خالد بن الوليد ؓ فقاتلوهم قتالاً شديدًا،وتأخر الفتح،فَقُتِلَ من المسلمين ألف ومائتان،منهم سبعمائة من القراء، فانهزم المسلمون، فحمل البراء بن مالك على أصحاب مسيلمة فانهزموا، وقُتِلَ مسيلمة وأصحابه، وقُتِلَ من المسلمين زهاء عشرة آلاف، فلما رأى عمر بن الخطاب ؓ ما وقع بقراء القرآن، خشى على من بقى منهم، وأشار على أبى بكر بجمع القرآن فى مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقف فى ذلك من حيث إن النبى ﷺ لم يفعله، ثم اجتمع رأيه ورأى الصحابة على جمعه.

وكان زيد بن ثابت ؓ قد شهد العرضة الأخيرة، وهى حاكمة على المتقدمات، وهى التى كان يقرئ الناس بها حتى مات ؓ، ولذلك اعتمده الصديق ؓ فى جمع القرآن.

وجاء فى نهاية القول المفيد: [قال زيد فكنت أتتبع القرآن من الصحف ومن صدور الرجال والرقاع والأكتاف والأضلاع والعسب واللخاف وهى الحجارة العريضة البيض كاللوح، (فإن قيل كان زيد حافظًا للقرآن وجامعًا له فما وجه تتبعه المذكورات)؟

فالجواب: أنه كان يستكمل وجوه قراءاته ممن عنده ما ليس عنده، وكذا نظره فى المكتوبات التى قد عرفت كتابتها وتيقن أمرها، فإنها أو أكثرها مما كتب بين يدى النبىﷺ فلا بد من النظر فيها، وإن كان حافظًا، ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا؟. وإذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت. وفى إرشاد القراء والكاتبين: أن زيدًا كتب القرآن كله بجميع أحرفه وأوجهه المعبر عنها بالأحرف السبعة]. انتهى.

وكان يضع على الكلمة التى نزلت بأكثر من قراءة علامة، أو يضعها فى الهامش؛ إن لم يحتملها الرسم.

وقد راعى زيد فى كتابة هذه الصحف: أن تكون مشتملة على ما ثبتت قرآنيته متواترًا واستقر فى العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته، وأن تكون مجردة عما كانت روايته آحادًا، وعما ليس بقرآن، من شرح أو تأويل، وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعاً.

قال زيد: "فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن".

ولم تكن الكتابة فى عهد النبى مجتمعة عند واحد، وإنما كانت موزعة بين الصحابة فكان عند هذا ماليس عند ذاك.

وكان زيد لا يقبل من أحد شيئًا حتى يُشْهِد شهيدين، فكان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعًا- مع كون زيد كان يحفظه- وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ، لذلك قال زيد: "حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى ولم أجدها مع أحد غيره من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة.

وهذا الصحابى كان رسول الله قد جعل شهادته بشهادة رجلين، فقال: من شهد له خزيمة فهو حسبه، أى يكفيه، فلمَّا علم زيد أن ليس مع خزيمة شاهد غيره قبلها منه، مع العلم أن زيدًا وغيره يحفظون.

ثم لما تمت الصحف أخذها أبو بكر عنده، فكان أبو بكر الصديق ﷺ أول من جمع القرآن بهذه الصفة فى مصحف، وعرف عند العلماء (بالمصحف الصِّدِّيقىّ) وسمى العلماء هذا الجمع للقرآن الجمع الثانى.

وظل (المصحف الصِّدِّيقىّ) عند أبى بكر إلى أن حضره مرض الموت، فسلمه إلى الفاروق ﷺ، فلم يزل عنده إلى أن مات، فأخذته أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنهما.

المرحلة الثالثة: كتابة القرآن فى خلافة عثمان ﷺ:

فى خلال الفترة من خلافة أبى بكر الصديق حتى خلافة عثمان ﷺ كان الصحابة القراء يعلمون الناس القرآن بالتلقى، وقد تغايرت قراءتهم بما يتفق وأوجه القراءات المختلفة التى تلقاها كل منهم شفاهة من النبى ﷺ، وتمسك كل إنسان بما تلقاه سماعًا من الصحابى دون أن يعلم أن هناك وجهًا آخر لقراءته صحيحًا وثابتًا نزوله على النبى ﷺ، حتى اجتمع الناس فى غزوة أرمينية وأذربيجان سنة ثلاثين من الهجرة فى خلافة عثمان ﷺ فاستمع بعضهم إلى بعض، فاختلف الناس فى القرآن اختلافًا كبيرًا، فكان كل منهم يقول للثانى قراءتى أصح من قراءتك، حتى هم بعضهم أن يقتل الآخر بسبب ذلك، فجاء حذيفة بن اليمان ﷺ إلى عثمان بن عفان، وقال: يا أمير المؤمنين، أدرك القرآن لئلا يختلف الناس فيه اختلافًا شديدًا كاليهود والنصارى فى التوراة والإنجيل؛ فقد وقعوا بسبب ذلك الاختلاف فى أمر عظيم، فاكتبه فى مصحف، ترجع الناس إليه، ففزع لذلك عثمان وجمع الصحابة ﷺ، وكانت عَّدتهم يومئذ اثنى عشر ألفًا، وأخبرهم الخبر، فأعظموه جميعًا ورأوا ما رأى حذيفة، فأرسل عثمان إلى حفصة أم المؤمنين أن أرسلى إِلَىَّ الصحف ننسخها ونردها إليك، فبعثت بها إليه، وأحضر زيد بن ثابت ومعه جماعة من قريش وأمرهم أن ينسخوها فى المصاحف، وجعل الرئيس عليهم: زيد بن ثابت، لعدالته وحسن سيرته ولكونه كان كاتب الوحى بين يدى النبى ﷺ، وقالوا: كان مع زيد بن ثابت كل من: عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ فزيد بن ثابت أنصارى، والثلاثة قرشيون، وقالوا كانوا اثنى عشر رجلاً منهم أبى بن كعب.

وكان عثمان قال: "من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأى الناس أَعْرَب (وفى رواية: أفصح)؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال: فلْيُمِلَّ سعيد، وليكتب زيد.

فنسخوها رضي الله عنهم فى الورق،ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقدموا ولم يؤخروا بل كتبوه على الترتيب، كما فى اللوح المحفوظ، باتفاق منهم بتوقيف جبريل عليه السلام للنبى ﷺ على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها، وأين تكتب، ولم يختلفوا إلا فى لفظ (التَّابُوت)، فقال بعضهم يكتب بالتاء المجرورة، مثل (الطَّاغُوت) وخالف بعضهم فقال يكتب بالهاء المربوطة مثل ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾، فراجعوا عثمان فى ذلك فقال:اكتبوه بالتاء المجرورة فإنها لغة قريش، فكتبوا كما أمرهم به. فلما تمت الكتابة قال عثمان ﷺ التمسوا له اسمًا، فقال قوم: (الكِتَاب)، وقال آخرون: (السِّفْر)، وقال آخرون: (المُصْحَفْ)– وهو اسم أعجمى– وهو الذى انتهوا إليه، ومعناه: (جامع الصحف). ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة رضى الله عنها، وأرسل إلى كل مصر بمصحف مما نسخوا، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذى أرسل إليهم.

واختلف فى عدد المصاحف التى نسخها الصحابة فى عهد عثمان ﷺ، فقيل: إنها أربعة، وهو الذى اتفق عليه أكثر العلماء، وقيل إنها خمسة، وقيل إنها ستة، وقيل سبعة، وقيل ثمانية. أمَّا كونها أربعة، فقيل: إنه أبقى مصحفًا بالمدينة، وأرسل مصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى الكوفة، ومصحفًا إلى البصرة، وأما كونها خمسة: فالأربعة المتقدم ذكرها،والخامس أرسله إلى مكة، وأما كونها ستة: فالخمسة المتقدم ذكرها، والسادس اختلف فيه؛ فقيل: جعله خاصة لنفسه وقيل أرسله إلى البحرين، وأما كونها سبعة: فالستة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليمن.وأما كونها ثمانية: المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الذى قتل وهو بين يديه.

وجاء فى النشر للإمام ابن الجزرى :

"وأصح الأقوال فى عددها وأولاها بالقبول، أنها ستة: البصرى، الكوفى، الشامى، المكى، المدنى العام لأهل المدينة، المدنى الخاص (وهو الذى حبسه عثمان لنفسه)، وهو الذى يسمى بالمصحف الإمام، أو مصحف الإمام."

ولعل إطلاق هذا الاسم عليه نظرًا لأنـه هو الـذى نسـخ أولاً، ومنـه نسـخت المصـاحف العثمانيـة الأخـرى. ولا مـانـع مـن إطـلاق اسم "الإمـام" علـى كـل مصـحف مـن المصـاحف العثمانية الأخرى الموزعة على الأمصار لاقتداء أهل الأمصار بهـا، ذلك أنـه قد أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها.

وبعث عثمان ﷺ قارئًا متقنًا مـع كل مصـحف أرسله إلـى مصر من الأمصار يُقْرِئ الناس بما يوافق مصحفهم، فبعث عبد الله بن السائب مع المكى، وبعث المغيرة بن شهاب مع الشامى، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى، وعامر بن قيس مع البصرى ، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ أهل المدينة بما يوافق المصحف المدنى.

الفرق بين الجمع الثانى فى عهد أبى بكر والجمـع الثالـث فـى عهـد عثمـان رضى الله عنهما:

يختلف جمع أبى بكر عن جمع عثمان رضى الله عنهما فى: الباعث والكيفية:
فالباعث لدى أبى بكر ﷺ لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب الحفاظ.

والباعث لـدى عثمـان كـان درءًا للفتنـة حـين شـاهد هـذا الاخـتلاف بـين النـاس فـى الأمصـار. وكيفيـة جمـع أبـى بكـر للقرآن: كـان نقـلاً لمـا كـان مفرقًـا فـى الرقـاع والأكتـاف وغيرها، وجمعًا له فى مصحف واحد مرتب الآيات والسور مشتملاً على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، فكانوا يكتبون فى الهامش الكلمـة التى نزلت بـأكثر من قراءة ولا يحتملها الرسم، نظراً لأن الجمع فى مصحف واحد.

أمَّا جمع عثمان للقرآن: فكان نسخًا من ذلك المصحف الصديقى، فنُسِخَت منـه عدد من المصاحف وزعت على الأمصار.

وكانت طريقة الرسم أو الكتابة، كما يلى:

إذا كانت صورة الكلمة تحتمل القراءات المختلفة- بسبب خلوها من النقط والشكل- كتبوها بصورة واحدة فى جميع المصاحف، معتمدين فى بيان الفرق بينها على الرواية وعلى المحفوظ وإقراء الذين بعثهم عثمان ﷺ مع المصاحف إلى الأمصار، ومثال ذلك:

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ﴿تَبْلُوا﴾.

حيث رسمت الكلمـة بصورة تحتمل هذه القراءة، وتحتمل القراءة الأخرى (فتثبَّتُوا) (تَتْلُوا).

أمـا إذا وجـدوا أن رسـم الكلمـة لا يمكـن أن يحتمـل القـراءات التـى نزلـت بهـا، فَرَّقُوا كتابتها، فكتبوها فى مصحف وفق قراءة، وفى مصحف وفق قراءة أخرى.

وجـاء فـى كتـاب حـق الـتلاوة لحسـن شـيخ: (وإنمـا لـم يكتبـوا هـذا النـوع مـن الكلمـات بالرسمين معًا فى مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نـزل مكررًا فـى قـراءة واحـدة، وليس كذلك، بل لِيَعْلَمَ القارئ أنهما قراءتان نزل اللفظ فى إحداهما بوجـه،وفى الثانيـة بوجـه آخر، من غير تكرار فى واحدة منهما.

وكذلك: لم يكتبوا هذه الكلمات برسمين أحدهما فى الأصل والثـانى فـى الحاشـية، لـئلا يتوهم أن الثانى تصحيح لـلأول وأن الأول خطأ، كما أن كتابـة أحدهما فى الأصل والآخر فى الحاشية تحكم وترجيح بلا مرجح عندما يظن أن الأول أصل والآخر مرجوح.

وكذلك لأنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميـع وجوه قراءاته وحروفه التـى نـزل بها ، فكانت هذه الطريقة للإحاطة بالوجوه التى نزل عليها القرآن الكريم، فلا يقال:

إنهم أسقطوا شيئًا من قراءته، لأنها كلها منقولة نقلاً متواترًا عن رسول الله ﷺ.

وذهـب جمـاهير العلمـاء مـن السـلف والخلـف إلـى أن المصـاحف مشـتملة علـى مـا يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، ومتضمنة لما ثبت من القراءات المتواترة فى العرضـة الأخيرة، فهى محتملة للأحرف السبعة، كل مصحف منها مشتمل على ما يحتملـه رسـمه من هذه الأحرف، وأن مجموعها لا يخلو عن الأحرف السبعة.

فالأحرف السبعة منتشرة فـى المصاحف العثمانيـة ومتفقـة فيهـا، فقراءة﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ مـثلاً، وإن لـم توجـد فـى المصـحف المـدنى والشـامى، فقـد وجـدت فـى غيرهمـا، وقـراءة ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ التوبـة: ١٠٠، موجـودة فـى المصـحف المكـى فقـط.. وهكـذا، والخلاصة: أنك لو نظرت إلى المصاحف العثمانية مجتمعة لوجدتها مشتملة على جميع ما نزل)، انتهى.

ولذلك لما وزعت المصاحف على الأمصار والتزم كل مصر بخط مصحفهم اختلفت قراءتهم تبعًا لذلك، ومثال ذلك:

فى سورة التوبة الآية رقم (١٠٠) فى قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية، نزلت هكذا، ونزلت بزيادة ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فكتبت الزيادة فى رسم المصحف الذى أرسل إلى مكة، فكانت قراءة المكيين بتلك الزيادة وفقًا لمصحفهم، وقراءة غيرهم بدونها وفقًا لمصاحفهم، وقس على ذلك المثال كل ما شابهه.

وسمى العلماء جمع القرآن فى عهد عثمان ﷺ بالجمع الثالث، وجميع النسخ التى نسخت باليد أو طبعت بعد دخول الطباعة منسوبة جميعها إلى هذا الجمع الثالث الذى اشتهر بتسميته بالمصحف العثمانى نسبة إلى خلافة عثمان ﷺ .

وسميت طريقة الكتابة فى المصحف العثمانى بالرسم العثمانى، وتعتبر خلافة عثمان ﷺ هى بداية علم رسم القرآن؛ لأن بعده ظهرت مؤلفات وكتب على مر العصور لكثير من الأئمة والعلماء تتناول خصائص هذا الرسم وضوابطه.

وأمَّا بداية علم إعراب القرآن وتشكيل كلماته فكانت فى خلافة على ﷺ، حيث وضع أبو الأسود الدؤلى[١] قواعد النحو بأمر من الخليفة صيانة لسلامة اللفظ وضبطاً للقرآن الكريم، وبعده ظهرت أيضا مؤلفات وكتب على مر العصور تتناول علم النحو وقواعده وضوابطه.

---

[١] اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الدؤلى قاضى البصرة ثقة جليل. أول من وضع مسائل فى النحو بإشارة على ﷺ فلما عرضها على على قال: ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فمن ثم سمى النحو نحوًا. أسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره فهو من المخضرمين أخذ القراءة عرضًا عن عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما. وروى القراءة عنه ابنه أبو حرب ويحيى بن يعمر. توفى فى الطاعون الجارف بالبصرة سنة تسع وستين من الهجرة.

كيف نشأ القراء العشرة

كان النبى ﷺ يقرئ الصحابة بما نزل، وكان دَأَبهم – رضوان الله عليهم –المبادرة إلى حفظ القرآن وتتبع وجوه قراءاته، وكانوا هم بدورهم يُقْرِئُونَ غيرهم بما تلقوه مشافهة من النبى ﷺ .

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، فى أول كتابه فى القراءات،من نَقَلَ عنهم شيئًا من وجوه القراءة من الصحابة، وغيرهم، فذكر من الصحابة: أبا بكر، عمر، عثمان، عليًّا، طلحة، وسعدًا، وابن مسعود، وحذيفة، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين.

وذكر من الأَنصار: أبى بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد اشتهر فى كل طبقة من طبقات الأمة جماعة بحفظ القرآن وإقرائه، فصار هناك الجم الغفير من حفاظ القرآن من التابعين، نقلوا عن الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﷺ، ثم قام من بعدهم الجم الغفير من تابعى التابعين وتابعيهم، كثروا وانتشروا فى البلاد، حتى قيَّض الله للقرآن رجالاً، من بين هؤلاء، سهروا ليلهم فى ضبطه وتجردوا للقراءة واشتدت عنايتهم بها، حتى صاروا أئمة أعلامًا يأخذها الناس عنهم ويقْتدون بهم فيها.

قال الإمام الشاطبى عن سبعة منهم:

جَزَى اللهُ بالخَيرَات عنَّا أَئمَّةً   لَنَا نقلُوا القرآن عَذْبًا وَسَلْسَلاَ

فَمِنْهُمْ بُدُورٌ سَبْعَةٌ قد تَوَسَّطَتْ   سَمَاءَ العُلَى والعَدْلِ زُهْرًا وُكُمَّلاَ

وقال الإمام ابن الجزرى عن العشرة:

وَمِنْهُمُ عَشْرٌ شُمُوسٌ ظَهَرَا   ضِيَاؤُهُمْ وَفِى الأَنَامِ انْتَشَرَا

وكان هؤلاء الأئمة فى: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام.

فكان بالمدينة:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى:

انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة، وكان تابعيًّا جليلاً، أخذ القراءة عن كثير من الصحابة، توفى سنة ثلاثين ومائة هجرية.

ثم نافع بن عبد الرحمن بن أبى تميم:

ولد سنة سبعين هجرية، وأصله من أصبهان بإيران، وحظى بسكنى المدينة، انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة، وأجمع الناس عليه بعد التابعين، وتصدى للإقراء نحو سبعين سنة. وكان أسود اللون حالكًا، وتوفى بالمدينة سنة تسع وستين ومائة وعمره ٩٩ سنة.

وكان فى مكة:

عبد الله بن كثير ويُكَنَّى أبا سعد:

ولد بمكة سنة خمس وأربعين هجرية، وكان إمام الناس فى القراءة بمكة حتى مات، وكان عالمًا بالعربية فصيحًا بليغًا، لقى من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصارى، وأنس بن مالك، وتوفى سنة عشرين ومائة وعمره ٧٥ عامًا.

وكان فى الكوفة:

عاصم بن أبى النَّجُود، يُكَنَّى أبا بكر:

وهو عاصم بن أبى النَّجُود، بفتح النون مشددة، وضم الجيم.

ويقال له ابن بَهْدَلَة، وقيل:اسم أبى النَّجُود (عبد)، وبهدلة اسم (أمه)، وهو مولى نصر ابن معين الأسدى شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد الإمام أبى عبد الرحمن السلمى، جمع بين الفصاحة والإتقان، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وهو من التابعين، توفى سنة سبع وعشرين ومائة هجرية، ودفن بالسماوة فى اتجاه الشام.

ثم حمزة بن حبيب الزَّيَّات الكوفى :

ولد سنة ثمانين هجرية، وكان إمام الناس فى الكوفة بعد عاصم، وكان حجة فى القراءة عالمًا بالفرائض والعربية حافظًا للحديث، مع الورع والزهد، وكان يجلب الزيت والجبن من العراق إلى الكوفة، ولذلك سمى بالزَّيَّات، توفى سنة ست وخمسين ومائة وعمره ٧٦ عامًا.

ثم الكِسائى، واسمه على بن حمزة الكوفى:

قال ابن الأنبارى: اجتمعت فى الكِسَائِى أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم فى الغريب، وأوحد الناس فى القرآن، تولى رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، وتوفى سنة تسع

وثمانين ومائة هجرية بعد أن عاش سبعين سنة. وقيل لـه: لِمَ سميت الكسائى؟ قال: لأننى أحرمت فى كساء؛ وأشار الإمام الشاطبى إلى ذلك بقوله:

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَٱلْكِسَائِّى نَعْتُـهُ   لِمَا كَانَ فِى الإِحْرَامِ فِيهِ تَسَرْبَلاَ

ثم خلف بن هشام بن ثعلب البزَّار البغدادى:

ولد سنة خمسين ومائة هجرية، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وكان إمامًا كبيرًا عالمًا، روى عنه أنه قال: أشكل عَلَىَّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألفًا حتى عرفته، وتوفى ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين.

وكان بالبصرة:

أبو عمرو بن العلاء المازنى البصرى:

ولد سنة ثمان وستين من الهجرة، نشأ بالبصرة، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والأمانة والدين، وتوفى بالكوفة سنة أربع أو خمس وخمسين ومائة وعمره ٨٥ عامًا.

ثم يعقوب ابن إسحاق الحضرمى:

كان إمامًا كبيرًا ثقة، انتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبى عمرو، وكان إمام جامع البصرة سنين كثيرة. قال أبو حاتم: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف فى القراءات وعِلَلِها ومذاهبها، ومذاهب النحاة، وتوفى سنة خمس ومائتين وعمره ٨٨ عامًا.

وكان بالشام:

عبد الله بن عامر الْيَحْصَبِى:

ولد سنه إحدى وستين (وقيل إحدى وعشرين) هجرية، وكان إمامًا جليلاً أَمَّ المسلمين بالجامع الأموى سنين كثيرة، وكان يجمع بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائة، وهو من التابعين.

تنبيه: جميع القراء مَوَالٍ، ما عدا: عبد الله بن عامر، وأبا عمرو البصرى، فهما عربيان.

لماذا نسبت القراءة إليهم فيقال: قراءة نافع- قراءة عاصم- قراءة ابن كثير وهكذا...

قلنا قبل ذلك فى معنى (نزول القرآن على سبعة أحرف)، أن القرآن لم ينزل بكيفية أدائية واحدة، ولكنه نزل بكيفيات متعددة كأحكام مطردة يقاس عليها غيرها، ولكونها متكررة فى القرآن كله سميت بالأصول، وهى ضمن آخر نوع من أنواع التغاير والاختلاف

السبعة السابق ذكرها عند كلامنا على (نزول القرآن على سبعة أحرف)، ونزلت كلمات بأكثر من قراءة، لايقاس عليها ولا تطَّرِد إلا ما ندر، ولأنها متفرقة فى السور سميت بالفرش، وهو ما يمثل الأنواع الستة الباقية من جملة الاختلاف والتغاير فى القرآن المنزل.

بالنسبة للأصول المطردة اتفق أهل الأداء على أنها تحتوى – تفصيلاً – على عشرين مسألة، وجعلوا لكل مسألة بابًا، وهى:

(١) باب الاستعاذة. (٢) باب البسملة. (٣) باب سورة أم القرآن، أى الفاتحة.

(٤) باب الإدغام الكبير، أى إدغام الحرفين المتحركين.

(٥) باب إدغام الحرفين المتقاربين من كلمة أو كلمتين.

(٦) باب هاء الكناية. (٧) باب المد والقصر. (٨) باب الهمزتين من كلمة.

(٩) باب الهمزتين من كلمتين. (١٠) باب الهمز المفرد.

(١١) باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

(١٢) باب الوقف على الهمز المتطرف.

(١٣) باب الإظهار والإدغام ويتفرع منه:

١- باب ذال (إذ). ٢- باب دال (قد).

٣- باب تاء التأنيث. ٤- باب هل وبل.

٥- باب اتفاق القراء فيما يدغم من (إذ- قد- تاء التأنيث- هل- بل).

٦- باب ذكر حروف قربت مخارجها.

(١٤) باب الفتح والإمالة وما بين الفتح والإمالة، ويتفرع منه:

باب إمالة هاء التأنيث عند الوقف.

(١٥) باب الراءات. (١٦) باب اللامات. (١٧) باب الوقف على أواخر الكلم.

(١٨) باب الوقف على مرسوم الخط. (١٩) باب ياءات الإضافة.

(٢٠) باب ياءات الزوائد.

كل باب من الأبواب العشرين المذكورة يمثل أصلاً نزل بأكثر من كيفية، ونذكر على سبيل المثال: فى باب المد والقصر:

الكلمة التى بها حرف من حروف المد الثلاثة أى:

الألف التى قبلها فتح نحو (قَال)، والواو الساكنة التى قبلها ضم نحو (يقُول).

والياء الساكنة التى قبلها كسر نحو (قِيل).

إذا أتى بعده همزة قطع متصلة به فى كلمة واحدة، نحو : (جَاء- سُوء- جِىء). فحرف المد فى الكلمات الثلاث ، وما ماثلها، نزل بالمد بمقدار ثلاث، وأربع، وخمس، وست حركات.

وعندما قرأ النبى ﷺ بالمد ثلاث حركات لم يقرأ بذلك فى موضع واحد أو سورة واحدة، وإنما فعل ذلك فى جميع القرآن، وأقرأ أصحابه كذلك، وعندما قرأ بالمد أربع حركات فعل ذلك فى جميع القرآن، وأقرأ أصحابه كذلك.

وعندما قرأ بالمد خمس وست حركات فعل نفس الشىء، وأقرأ أصحابه كذلك، ولذلك سمى أصلا مطردًا أى متكررًا يقاس مثله عليه.

كما قال الإمام ابن الجزرى: (وَاللَّفْظُ فِى نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ).

وفى كل باب من الأبواب العشرين: اختار كل إمام من الأئمة العشرة قراءة أو كيفية واحدة أو أكثر، من جملة ما نزل، تخصص فيها واشتهر بالقراءة والإقراء بها فنسبت إليه.

فمثلاً فى باب المد والقصر:

فى نحو: (جَاء)، (سُوء)، (جِىء)، اختار حمزة القراءة بالمد ست حركات، واختار عاصم المد أربع أو خمس حركات فنقول: قراءة حمزة المد ست حركات، وقراءة عاصم المد أربع أو خمس حركات؛ وهكذا تنسب القراءة للإمام بحسب اختياره.

وفى باب الهمزتين من كلمتين:

فى نحو: ﴿السُّفَهَاءُ أَلا......... ﴾

التقت همزتا قطع من كلمتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة، نزلت هاتان الكلمتان، وما ماثلهما، بقراءتين: إحداهما تحقيق الهمزتين، والثانية تحقيق الأولى وإبدال الثانية واوًا مفتوحة، (وهذا لفظًا لاخطًّا)، فنسبت القراءة للإمام بحسب اختياره.

فالذى اختار القراءة بتحقيق الأولى وإبدال الثانية، مثل:ابن كثير، ونافع، وأبى عمرو، وأبى جعفر نسبت إليهم.

والذى اختار القراءة بتحقيق الهمزتين، وهم الباقون، ومن بينهم عاصم، نسبت إليهم. وقس على ذلك باقى الأبواب العشرين، فكل إمام من الأئمة العشرة له قراءة فى كل باب منها نسبت إليه بحسب اختياره.

هذا بالنسبة للأصول، أما بالنسبة للفرش، أى الكلمات المفروشة الموزعة على السور ولا تتكرر غالبًا، ولايقاس عليها، فلم يجعل لها أئمة الأداء أبوابًا، وإنما أفردوا سور القرآن سورة سورة، وذكروا فى كل سورة الكلمات التى نزلت بأكثر من قراءة، ونسبوا إلى كل إمام من الأئمة العشرة القراءة التى اختارها.

فمثلاً: فى سورة الفاتحة: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، نزلت بقراءتين (مَالِكْ) (مَلِكْ) اختار عاصم، والكسائى، ويعقوب، وخلف، القراءة بـ(مَالِكْ)، واختار باقى الأئمة العشرة القراءة بـ (مَلِكْ).

فنقول: قراءة عاصم، وقراءة الكسائى، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف (مَالِك)، وقراءة الباقين (ملك).

وفى سورة البقرة: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ... ﴾، الآية ٨٥، نزلت (تَفْدوهم) و(تُفَادوهم)، فاختار عاصم، ونافع، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب القراءة بـ (تُفَادوهم)، واختار الباقون القراءة بـ (تَفْدُوهُم)، فنقول: قراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة الكسائى، وقراءة أبى جعفر، وقراءة يعقوب (تُفَادوهم)، وقراءة الباقين (تَفْدوهم).

وهكذا فى كل سورة من السور بترتيبها فى القرآن الكريم.

وهنا شيء مهم لابد من الإشارة إليه، وهو: هناك كلمات فى بعض السور التزم الإمام قراءتها بما يوافق رسم المصحف الذى أرسله عثمان ﷺ إلى كل مصر من الأمصار.

فقد قلنا سابقًا: إن الكلمات التى لم يحتملها رسم المصحف وزِّعت على المصاحف، والتزم أهل كل مصر بالقراءة بها، وضربنا مثالاً بالآية رقم ١٠٠ من سورة التوبة، التى توجد بها زيادة رسمت فى المصحف المكى – أو بالأحرى – الذى أرسل قَدَرًا إلى مكة فالتزم المكيون وحدهم بهذه القراءة، دون غيرهم،ولذلك: كانت قراءة ابن كثير المكى تختلف عن غيره من القراء العشرة فى هذه الآية، موافقةً لرسم المصحف المكى.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة، نذكر منها:

قراءة الإمام ابن عامر الشامى: كلمة (إبراهيم) بالألف بدل الياء هكذا (إبراهام)، موافقة لرسم المصحف الذى أرسله عثمان ﷺ إلى الشام فقرأ الشاميون بحذف الياء موافقةً لرسم مصحفهم، وقرأ الباقون فى مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة بالياء موافقةً لرسم مصاحفهم، فاختلفت قراءة ابن عامر الشامى عن غيره من القراء العشرة فى هذه الكلمة.

وكذلك قراءة ابن عامر: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾، بالبقرة دون (و)، لأن ذلك ثابت فى المصحف الشامى، وقراءة الباقين ﴿ وَقَالُواْ .... ﴾، بزيادة الواو موافقة لرسم مصاحفهم.

وكذلك قراءة ابن عامر: ﴿ ...... وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾، بسورة آل عمران بزيادة الباء، لأن ذلك ثابت فى المصحف الشامى، وقراءة الباقين بدون الباء ﴿ .... وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾، موافقة لرسم مصاحفهم.

وكذلك قراءة ابن عامر: ﴿ ......وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ ..... ﴾، سورة الأنعام، لأنها رسمت فى المصحف الشامى بلام واحدة وتخفيف الدال وخفض تاء الآخرة.

وقراءة الباقين ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾، بلامين مع التشديد ورفع تاء (الآخرة)، موافقة لرسم مصاحفهم، ومثل ذلك كثير، فى مواضع شتى من القرآن، اختلفت المصاحف فيها فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار بما يوافق رسم مصحفهم.

الثمرات المستفادة: وعَدَدُها ثمرتان:

الثمرة الأولى:

لكل إمام من الأئمة العشرة (أصول لقراءته)، عبارة عن اختياره فى كل مسألة من المسائل العشرين المذكورة. وله أيضًا (فرش)، فى كل سورة من سور القرآن وهى كلمات اختار القراءة بواحدة أو أكثر من القراءات التى نزلت بها فنسبت إليه، وكلمات التزم القراءة فيها بما يوافق خط مصحفه فنسبت إليه أيضًا.

وهذا يعنى أن كل مسلم يقرأ بقراءة أحد الأئمة العشرة لابد أن يتبع أصول قراءة هذا الإمام، فيقرأ بما قرأ به فى كل مسألة من المسائل العشرين.

وكذلك يقرأ بما قرأ به فى فرش كل سورة من سور القرآن، وإن خالف فى شىء من أصول، أو فرش قراءة الإمام الذى يقرأ بقراءته يقع فيما يعرف بالتركيب، أو التلفيق، والذى يعنى نسبة اختيار قارئ إلى غيره، فالذى يقرأ للإمام عاصم مثلاً، إن خالفه فى شىء من الأصول، أو كلمة فى فرش سورة، فهذا معناه أنه نسب للإمام عاصم مالم يختره كقراءة تنسب إليه، وقرأ لغيره من الأئمة، فيكون قد ركَّبَ قراءة إمام على قراءة إمام آخر.

الثمرة الثانية:

نسبة القراءة لصحابى بقولنا قراءة عمر بن الخطاب، قراءة عبد الله بن مسعود، قراءة على بن أبى طالب... إلخ. ليس معناه أن الصحابى اخترعها من تلقاء نفسه ولكن معناه أنه كان مداومًا عليها، ملازمًا لها، أكثر إقراءً بها عن غيرها ممن تلقاه مشافهة عن رسول الله ﷺ .

وكذلك نسبة القراءة لإمام من الأئمة العشرة بقولنا قراءة نافع، قراءة ابن كثير، قراءة عاصم... إلخ، ليس معناه أنه اخترعها من تلقاء نفسه، وإنما لأنه اختارها، وآثرها، وضبطها، وأجاد معرفتها، وكرس حياته على قراءتها والإقراء بها دون غيرها من جملة ما تلقاه مشافهة عمن نقلوا عن رسول الله ﷺ .

لذلك نجد أصحاب القراءات من الأئمة العشرة كل منهم عزا قراءته التى اختارها ونسبت إليه إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله، فمثلاً:

أسند عاصم قراءته إلى على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود.

وأسند ابن كثير قراءته إلى أبى بن كعب، وهكذا باقى القراء.

وفى كل ذلك تأكيد على أن القراءات تلقٍّ ورواية، وليست رأيًا ودراية.

وإلى ما سبق أشار الإمام ابن الجزرى بقوله:

" نعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له، وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له، وميلاً إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشْتُهِرَ وَعُرِفَ به، وقُصِدَ فيه وأَخِذَ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد".[1]

وعلى ذلك لا يقال قراءة إمام من الأئمة العشرة أبلغ من أختها، أو أفضل منها، فالجميع على مستوى واحد من الفضل، والبلاغة، والجميع كلام الله، وكل إمام من الأئمة لم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أَنكره، بل سوَّغه وجوَّزه، إذْ مرجع ذلك كله إلى النقل الصحيح المتواتر عن رسول الله ﷺ.

كيف انتقلت قراءة كل إمام من الأئمة العشرة بتفاصيلها من أصول وفرش، واستمر تناقلها بالتواتر أى نقل الكافة عن الكافة على مر العصور وحتى يومنا هذا ؟

الجـواب:

بواسطة الرُّواة ثم الناقلين عن الرُّوَاه، وبفضل الكتب التى صنفت لتسجيل هذا العلم وحفظه منذ بداية القرن الثانى الهجرى وعلى مر القرون التالية بعده.

---

[1] انظر النشر فى القراءات العشر.

(الـــــرُّوَاة)

جَمْعُ راوٍ، وهو: الناقل عن إمام من الأئمـة العشرة، فلقد كـان لكل إمـام تلاميذ كثر، اختير من أجودهم نقلاً اثنان يرويان، أى يُقْرِئُون الناس بما تلقوه من الإمام، إمَّا مشافهة أو بواسطة.

أشار إليهم الإمام الشاطبى بقوله:

لـها شُهُبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ ⁂ سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفرَّقَ وانْجَلاَ

والمعنـى: أن لـهؤلاء الأئمـة شُـهُبًا، أى كواكب مضيئة، استضـاءت بهـا الأمـة، بعد ذهاب الأئمة، فنورت سواد ظلمات الجهل، حتى تفرق ذلك السواد وانكشف.

وذكرهم الإمام ابن الجزرى فى الطيبة فقال:

وهَاُهُمو يَذْكُرْهُمُو بَيَانِـى ⁂ كُلُّ إمـامٍ عَنْهُ رَاوِيَـانِ

فَنَافِعٌ بِطَيْبَةٍ قَدْ حَظِيَـا ⁂ فَعَنْهُ قَالُونٌ وَوَرشٌ رَوَيَا

المعنى: الإمام نافع، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما : قالون وورش.

قالون: الراوى الأول للإمام نافع:

واسمه: عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد، وكنيته أبو موسى.

لقـبه: قـالون : لقبـه بـه شيخه نـافع، وذلـك لجودة قراءتـه، فإن قـالون، باللغـة الروميـة، الجيد.

أخذ القراءة عَرْضًا على نافع المدنى، فلم يزل يقرأ عليه غير مرة، حتى مهر وحـذق. ولد سنة ١٢٠هـ وتوفى سنة ٢٢٠ هـ بالمدينة المنورة عن ١٠٠ سنة.

ورش: الراوى الثانى للإمام نافع:

اسمه: عثمان بن سعيد المصرى، وكنيته أبو سعيد.

لقبـه : ورش، قـال صـاحب النجـوم الطوالـع: "كـان أشـقر، أزرق، أبـيض اللـون، قصيرًا، ذا كدنـة، هو إلـى السمن أقرب منـه إلـى النحافـة، وقيـل: إن نافعًـا لقبـه بالورشـان؛ لأنـه كـان على قصره يلبس ثيابًا قصارًا، وكـان إذا مشـى بدت رجـلاه مـع اختـلاف ألوانـه، فكـان نـافع يقول: هات يا ورشـان، واقرأ يـا ورشـان، وأين الورشـان؟،ثم خفف،فقيل: ورش، والورشـان طائر معروف. وقيل: إن الورش شىء يصنع من اللبن لقب بـه لبياضـه، ولزمـه ذلك حتـى صار لا يعرف إلا به، ولم يكن– فيما قيل– أحب إليه منه، فيقول: أستاذى سمانى به.

رحل إلى نافع بالمدينة المنورة سنة ١٥٥هـ وقرأ عليه عدة ختمات، ولما رجع إلى مصر أقرأ الناس مدة طويلة وانتهت إليه رياسة الإقراء بها فى زمانه، لاينازعه فيها منازع. وقد قرأ ورش على الإمام نافع مباشرة دون واسطة، وكذلك قالون.

ولد ورش سنة ١١٠ هـ بقرية قفط بصعيد مصر بمحافظة قنا، وتوفى بمصر سنة ١٩٧هـ عن ٨٧ سنة.

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

وابْنُ كَثِيرٍ مَكَّةٌ لَهُ بَلَدْ بَزٍّ وَقُنْبُلٌ لَهُ عَلىَ سَنَدْ

المعنى: الإمام ابن كثير، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: البزِّى وقنبل.

البزِّى: الراوى الأول للإمام ابن كثير:

اسمه : أحمد بن محمد عبد الله بن أبى بَزَّة، وكنيته أبو الحسن.

لقبه: البزى نسبة إلى جده الأعلى وهو بزة، ولد سنة ١٧٠ هـ وتوفى سنة ٢٥٠ هـ عن ٨٠ سنة، كان مؤذنًا بالمسجد الحرام وانتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة.

روى القراءة عن ابن كثير بسند:

فقد روى عن عكرمة بن سليمان، وروى عكرمة عن شبل بن عياد وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين وهما عن ابن كثير.

قنبل : الراوى الثانى للإمام ابن كثير:

اسمه: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المخزومى المكى، وكنيته أبو عمرو.

لقبه: قنبل، قال الذهبى: لقب به لأنه كان يستعمل دواء يسقى للبقر يقال له- قنبيل- فلما أكثر استعماله عرف به ثم خفف وقيل (قنبل)، وهو من قوم يقال لهم: القنابلة. ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفى سنة ٢٩١ هـ عن ٩٦ سنة، وكان إمام الإقراء بالحجاز.

روى عن ابن كثير بسند:

فقد قرأ على أحمد بن محمد بن عون النيالى وهو عن البزى، وبذلك يكون راويا ابن كثير لم يرويا عن ابن كثير نفسه، بل بواسطة السند الذى أوصلهما إلى قراءته. قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

ثُمَّ أَبُو عَمْرٍو فَيَحْيَى عَنْـهُ وَنَقَلَ الدُّورِىُّ وسُوسٍ مِنْـهُ

المعنى: الإمام أبو عمرو البصرى، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: الدورى والسوسى.

وقد أخذا القراءة عنه بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدى المتوفى سنة ٢٠٢ هـ.

الدُّورِى: الراوى الأول للإمام أبى عمرو:

اسمه: حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى النحوى البغدادى، وكنيته أبو عمر، وقيل إنه أول من جمع القراءات فى كتاب.

لقبه: الدُّورى نسبة إلى الدُّور، وهو موضع بالجانب الشرقى ببغداد.

ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٤٦ هـ عن ٩٦ سنة.

روى القراءة عن الإمام أبى عمرو بسند:

حيث تلقى القراءة عن يحيى بن المبارك اليزيدى، وهو عن أبى عمرو البصرى.

السوسى: الراوى الثانى للإمام أبى عمرو:

اسمه: صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل السوسى، وكنيته: أبو شعيب.

لقبه : السوسى. توفى سنة ٢٦١هـ وقد قارب التسعين.

روى القراءة عن الإمام أبى عمرو بسند:

حيث قرأ على يحيى بن المبارك اليزيدى، وهو عن أبى عمرو البصرى.

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

ثُمَّ ابْنُ عَامِرِ الدِّمَشْقِى بِسَنَدْ عَنْهُ هِشَامٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَرَدْ

المعنى: الإمام ابن عامر الدمشقى، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما:

هشام وابن ذكوان، وقد رويا القراءة عنه بسند:

هشام: الراوى الأول للإمام ابن عامر:

اسمه: هشام بن عمار بن نصير القاضى الدمشقى، وكنيته: أبو الوليد. وكان قاضى دمشق ومفْتيها، ولد سنة ١٥٣هـ وتوفى سنة ٢٤٥هـ عن ٩٢ سنة.

أخذ القراءة عن عراك، عن خالد، وهو عن يحيى بن الحارث الذمارى، عن ابن عامر.

ابن ذكوان: الراوى الثانى للإمام ابن عامر:

اسمه: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشى الدمشقى، وكنيته: أبو عمرو. كان شيخ الإقراء بالشام وإمام الجامع الأموى بها. ولد سنة ١٧٣هـ وتوفى سنة ٢٤٢هـ بدمشق عن ٦٩عامًا. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وهو عن يحيى بن الحارث الذمارى، عن ابن عامر.

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

ثَلاَثَةٌ مِنْ كُوفَةٍ فَعَاصِمُ فَعَنْهُ شُعْبَةٌ وَحَفْصٌ قَائِمُ

والمعنى: ثلاثة من الأئمة العشرة من الكوفة هم: عاصم، حمزة، الكسائى.

عاصم الإمام، وأشهر الرواة عنه اثنان هما: شعبة وحفص.

وقد أخذا القراءة عنه مباشرة من غير واسطة.

شعبة: الراوى الأول للإمام عاصم:

اسمه: شعبة بن عيَّاش بن سالم الأسدى الكوفى، وكنيته: أبو بكر. كان من كبار أئمة السنة. ولد سنة ٩٥هـ وتوفى بالكوفة سنة ١٩٣هـ عن ٩٨سنة.

سند روايته: أخذ القراءة عرضًا على عاصم بن أبى النَّجُود، وهو عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ .

حفص: الراوى الثانى للإمام عاصم:

اسمه: حفص بن سليمان ابن المغيرة بن داود الأسدى الكوفى المشهور بِحُفَيْص، وكان ربيب عاصم أى ابن زوجته، كنيته: أبو عمر. وكان ضابطًا متقنًا أخذ القراءة عرضًا وتلقينًا عن عاصم فأتقنها، حتى شهد له العلماء بذلك ولقد كان – رحمه الله– كثير الحفظ والإتقان، وقد أثنى عليه الإمام الشاطبى بقوله:

.... وحفصٌ وبالإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلا.

ولذلك اشتهرت روايته وتلقاها الأئمة بالقبول، وليس ذلك بغريب عليه، فقد تربى فى بيت عاصم، ولازمه وأتقن قراءته حتى كان أعلم أصحابه بها، وقام بإقراء الناس بعد وفاة عاصم فترةً طويلةً من الزمان.

قال أبو هشام الرفاعى: كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءته، فكان مرجحًا على شعبة بضبط الحروف. وقال الذهبى: هو فى القراءة ثقة ثبت ضابط.

وقال ابن المنادى: قرأ على عاصم مرارًا، وكان الأولون يعدونه فى الحفظ فوق أبى بكر شعبة بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التى قرأها على عاصم، وأقرأ الناس بها دهرًا طويلا.

ولد حفص ﷺ سنة ٩٠ من الهجرة، وتوفى رحمه الله سنة ١٨٠ هجرية عن ٩٠ سنة. روى القراءة عنه عَرْضًا وسماعًا خلق كثير، وأشهر الناقلين عنه:

عمرو بن الصبَّاح وعبيد بن الصبَّاح.

سند روايته: أخذ القراءة عَرْضًا على عاصم بن أبى النَّجُود، وهو عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على ﷺ ، عن رسول الله ﷺ .

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

وَحَمْزَةٌ عَنْهُ سُلَيْمٌ فَخَلَفْ مِنْهُ وَخَلاَّدٌ كِلاَهُمَا اعْتَرَفْ

المعنى: حمزة الإمام، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: خلف وخلاد.

وقد أخذا القراءة عنه بواسطة سُلَيْم بن عيسى الحنفى الكوفى. وكان أضبط أصحاب حمزة وأقومهم لقراءته، وهو الذى خلفه فى القيام بالقراءة، وتوفى سنة ١٨٨هـ.

خلف: الراوى الأول للإمام حمزة:

اسمه: خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادى، وكنيته: أبو محمد، وهو نفسه إمام من الأئمة العشرة- وقد سبقت الإشارة إليه معهم- وقد روى عن حمزة بواسطة، فقد أخذ القراءة عن سليم، وهو عن حمزة.

خلاد: الراوى الثانى للإمام حمزة:

اسمه: خلاد بن خالد الشيبانى الصَّيْرَفِى الكوفى، وكنيته: أبو عيسى. ولد سنة ١١٩هـ وتوفى سنة ٢٢٠هـ عن ١٠١ سنة. روى عن حمزة بواسطة، فقد قرأ على سُلَيْم، وهو عن حمزة.

قال الإمام ابن الجزرى

ثُمَّ الكِسَائىُّ الفَتَى عَلِىُّ عَنْهُ أَبُو الحَارِثِ وَالدُّورِىُّ

المعنى: الإمام الكسائى، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: أبو الحارث والدورى.

وقد أخذا القراءة عنه مباشرة من غير واسطة.

أبو الحارث: الراوى الأول للإمام الكسائى:

اسمه: الليث بن خالد البغدادى، وكنيته: أبو الحارث. توفى سنة ٢٤٠هـ، وقد أخذ القراءة مباشرة عن الكسائى.

الدُّورى: الراوى الثانى للإمام الكسائى:

وهو حفص بن عمر الدورى- الذى تقدم الكلام عنه عند الكلام عن رواة الإمام أبى عمرو البصرى- لأنه روى عن الإمامين: أبى عمرو، والكسائى.

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

ثُمَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَبْرُ الرِّضَا فَعَنْه عِيسَى وابْنُ جَمَّازٍ مَضَى

المعنى: الإمام أبو جعفر وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: عيسى ابن وردان وابن جَمَّاز.

وقد أخذا القراءة عنه مباشرة من غير واسطة.

ابن وردان: الراوى الأول للإمام أبى جعفر:

اسمه: عيسى بن وردان المدنى، وكنيته: أبو الحارث، تلقى القراءة مباشرة من أبى جعفر، وقرأ على نافع توفى سنة ١٦٠هـ .

ابن جَمَّاز: الراوى الثانى للإمام أبى جعفر:

اسمه: سليمان بن محمد بن مسلم بن جَمَّاز المدنى، وكنيته: أبو الربيع، توفى بعد سنة ١٧٠هـ بالمدينة المنورة. وقد تلقى القراءة مباشرة من أبى جعفر وقرأ على نافع.

قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

تَاسِعُهُمْ يَعْقُوبُ وَهْوَ الْحَضْرَمِى لَهُ رُوَيْسٌ ثُمَّ رَوْحُ يَنْتَمِى

المعنى: الإمام يعقوب، وأشهر الرواة عنه اثنان، هما: رويس وروح. وقد أخذا القراءة عنه مباشرة من غير واسطة.

رويس: الراوى الأول للإمام يعقوب:

اسمه: محمد بن المتوكل اللؤلؤى البصرى، المعروف برويس، وكنيته: أبو عبد الله، توفى سنة ٢٣٨هـ بالبصرة، وأخذ القراءة مباشرة عن الإمام يعقوب.

روح: الراوى الثانى للإمام يعقوب:

اسمه: روح بن عبد المؤمن البصرى النحوى، وكنيته: أبو الحسن.

توفى سنة ٢٣٤هـ وقيل ٢٣٥هـ، وأخذ القراءة مباشرة عن الإمام يعقوب.

قال الإمام ابن الجزرى :

وَالْعَاشِرُ الْبَزَّارُ وَهْوَ خَلَـفُ   إِسْحَاقُ مَعْ إِدْرِيسَ عَنْهُ يُعْرَفُ

المعنى: الإمام خَلَفْ، وأشهر رواته اثنان، هما: إسحاق، وإدريس. وقد أخذا عنه القراءة مباشرة، من غير واسطة.

إسحاق: الراوى الأول للإمام خلف:

اسمه: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزى البغدادى، وكنيته: أبو يعقوب. توفى سنة ٢٨٦هـ. روى عن خلف قراءته التى اختارها مخالفاً الإمام حمزة فيها، وقام بإقرائها بعده.

إدريس: الراوى الثانى للإمام خلف:

اسمه: إدريس بن عبد الحكيم الحداد البغدادى، وكنيته: أبو الحسن. توفى سنة ٢٩٢هـ. روى عن خلف قراءته التى اختارها مخالفًا الإمام حمزة، وكذا قراءته التى وافق الإمام حمزة فيها، أى روايته عن سُلَيْم عن حمزة.

تنبيهات هامة: وعددها خمسة.

التنبيه الأول: السبب فى أن لكل إمام من الأئمة العشرة راويين، أن الإمام كان يقرئ تلاميذه بأكثر من اختيار له، أى بأكثر من قراءة، أو كيفية للفظ القرآنى الواحد.

ولذلك اختلفت رواية الراوى الأول عن رواية الراوى الثانى، فى أبواب الأصول العشرين، وفى فرش السور، وقد تكون الاختلافات بين رواية الراويين عن الإمام الواحد كثيرة، وقد تكون قليلة. ولتقريب المعنى نقول: الإمام هنا مثل الأستاذ الذى تلقى من العلم الكثير حتى أصبح واسع العلم فى مادة ما، وكان يعلم تلاميذ مدرستين تلك المادة، فكان فى المدرسة الأولى يتناول بعض مسائل هذه المادة بطريقة، ويتناولها فى المدرسة الثانية

بطريقة أخرى، فتكون النتيجة: أن ينقل تلاميذ المدرسة الأولى عن أستاذهم أمورًا تختلف عما ينقله عنه تلاميذ المدرسة الثانية،مع كون المادة،أو المنهج واحدًا، وكون الأستاذ واحدًا، والأمثلة فى القرآن كثيرة جدًّا، يصعب حصرها، نأخذ منها:

فى قوله تعالى فى سورة مريم الآية ٢٤: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ ....﴾.

نزلت بقراءتين: قراءة بكسر الميم وجر تاء تحتها ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾.

والمعنى: كون جبريل عليه السلام مِن تَحْتِهَا، أى فى مكان أسفل منها.

وقراءة بفتح الميم ونصب تاء تحتها ﴿مَن تَحْتَهَا﴾.

اختار القراءة الأولى: نافع، حمزة، الكسائى، أبو جعفر، خلف، واختارها عاصم وأقرأ بها راويه حفصًا، واختارها يعقوب وأقرأ بها راويه روْحًا.

واختار القراءة الثانية: باقى القراء ومن بينهم عاصم ويعقوب، فأقرأ بها عاصم راويه شعبة وأقرأ يعقوب راويه رويسًا.

فيكون عاصم قد أقْرَأَ حفصًا بقراءة تختلف عن الذى أقرأها لشعبة، وكذلك يعقوب أقرأ روحًا بقراءة غير التى أقرأها لرويس.

فتكون النتيجة: أن رواية حفص عن عاصم فى هذه الآية تختلف عن رواية شعبة، مع كون الآية واحدة، وكون الإمام واحدًا. وكذلك رواية روح عن يعقوب، تختلف عن رواية رويس مع كون الآية واحدة، وكون الإمام واحدًا.

وقد يقرئ الإمام أحد الرواة بقراءتين، ويقرئ الراوى الثانى بقراءة واحدة من القراءتين، وكل من الراويين ينقل عن إمامه ما قرأ، مثال ذلك:

كلمة ﴿ضَعۡفٍ﴾ فى سورة الروم، نزلت بفتح الضاد ونزلت بضمها.

أقرأ عاصم حفصًا بالوجهين. وأقرأ شعبة بوجه الفتح فقط. فتكون النتيجة:

من قرأ برواية حفص له القراءة بالفتح والضم، ومن قرأ برواية شعبة له القراءة بالفتح فقط.

ولقد روى عن حفص أنه قال: قلت لعاصم إن أبا بكر شعبة يخالفنى فى القراءة، فقال: أقرأتك بما أقرأنى به أبو عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب ﷺ، وأقرأت شعبة بما أقرأنى به زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

وتعدد قراءات الرواة واختلافها علامة على غزارة علم الإمام لكثرة تلقيه، وطول مداومته على السماع والنقل عما سمع منهم.

التنبيه الثانى: قولنا (الرَّاوى الأول- الرَّاوى الثانى)، لا نقصد به ترتيبًا، ولكن جرى عرف المصنِّفين على اتباع ترتيبِ ذكرِهم فى كل من الشاطبية والطيبة، وكذلك جرى عرف القراء عند إفراد قراءات الرُّواة، فيقرءون لقالون قبل ورش، ولشعبة قبل حفص، وهكذا....

التنبيه الثالث: لكل إمام من الأئمة العشرة راويان، فبلغ مجموعهم عشرين راويًا، إلا أنَّ حفصًا الدورى روى عن الإمام أبى عمرو البصرى، وروى أيضًا عن الإمام الكسائى، فهم: من حيث الذات، تسعة عشر، ومن حيث الرواية، عشرون. وإذا أردنا الدُّورى- راوى الإمام أبى عمرو- قلنا دورى أبى عمرو، وإذا أردناه للإمام الكسائى،قلنا دورى الكسائى.

التنبيه الرابع: الإمام خلف أحد الأئمة العشرة، هو نفسه الراوى الأول للإمام حمزة، إذا أردنا خلف (الإمام)، قلنا خلف العاشر؛ لأنه العاشر فى ترتيب القراء فى الطيبة، وفى ترتيب القراء عند جمع الشاطبية والدُّرَّة، وإذا أردناه راويًا للإمام حمزة، قلنا خلف حمزة.

التنبيه الخامس: تَعَلُّم رواية واحدة من الروايات العشرين، فرض عين، على كل مسلم ومسلمة، حتى يقرأ القرآن برواية صحيحة متواترة متصل سندها بالنبى ﷺ .

أما تعلم باقى الروايات ففرض كفاية ، إن قام به البعض سقط عن الباقين.

ولقد قام المصنفون باستخراج رواية كل راوٍ فى أبواب الأصول المختلفة، وكذلك فى فرش السور ليسترشد بها القارئ، دون أن يحتاج إلى الرجوع إلى أصول وفرش قراءة الإمام، فنجد أصول رواية ورش، وأصول رواية قالون، وأصول رواية حفص...إلخ وكذلك فرش كل سورة.

وذلك تسهيلاً على المسلمين، وضبطاً للتلاوة، حتى لا يقع القارئ فى خطأ التركيب والتلفيق.

حكم تعليم القراءات:

الوجوب الكفائى (على من عندهم علم بها)، إذا قام بـه البعض؛ سقط عن الآخرين، وإذا لم يقم به أحد؛ أثم الجميع.

أشهر الروايات المتداولة فى العصر الحديث:

الروايات العشرون للقراء العشرة، يعرفها أهل القراءات وعلماؤها الذين تلقوها، وهم كُثُر، وعددهم كافٍ للتواتر فى العالم الإسلامى، ولله الحمد، وهم يُقْرِئونَ القراءات كلها فى كل عصر ومصر خلفًا عن سلف.

أما العامة من المسلمين: فأغلبهم لا يعرف إلا رواية واحدة.

ففى بلاد الجزائر والمغرب: يقرءون برواية ورش عن الإمام نافع، وفى ليبيا وتونس: يقرءون برواية قالون عن الإمام نافع، وفى السودان، وحضرموت، وجنوب الجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا: يقرءون برواية حفص الدُّورى عن الإمام أبى عمرو البصرى، وباقى العالم الإسلامى يقرأ برواية حفص عن الإمام عاصم، فهى أشهر الروايات السائدة، وأكثرها انتشارًا.

وفى العصر الحاضر توجد مصاحف مضبوطة على رواية حفص، ومصاحف مضبوطة على رواية ورش، ومصاحف مضبوطة على رواية قالون، ومصاحف مضبوطة على رواية الدُّورى، حيث قام علماء الضبط بوضع علامات استرشادية يستدل بها القارئ عند التلاوة بما يتفق وأحكام كل رواية.

وانتشار رواية دون أخرى، بين العامة،لا يعنى أنها الأفضل، فكل الروايات فُضليات، ولا يعنى أنها الأسهل والأيسر، فكل رواية فيها ما هو سهل ميسور على أبسط العآمة، ومنها ما هو فى حاجة إلى تدريب حتى يلين اللسان به، فمثلاً:

رواية ورش عن نافع، انفردت عن باقى الروايات بمسائل كثيرة تحتاج إلى تدريب وعناية عند أدائها، ومع ذلك انتشرت وذاعت فى بلاد المغرب والجزائر، ولعل السبب فى وجود روايات لا يقرأ بها بين العامة يرجع- والله أعلم- إلى: عدم وجود العدد الكافى من الناقلين لها فى كل مصر من الأمصار، فكلما كثر وجودهم فى منطقة انتشرت روايتهم، وتناقلها الناس من بعدهم.

ويؤكد هذا التصور ما جاء فى كتاب (فتح المعطى) للشيخ المتولى[1] حيث قال: عندما فتحت مصر كان فيها من كبار الصحابة والتابعين، وكانت كل ناحية تقرأ بقراءة الصحابى الذى نزل فيها بين أهلها، يعلمهم قواعد الدين وأصوله، إلى أن رحل الإمام ورش عن مصر إلى المدينة، وأخذ القراءة عن نافع، ولما عاد إلى مصر اشتهرت روايته فيها وغلبت على غيرها قرونًا، إلى أن نقلت إلى مصر قراءة أبى عمرو البصرى، على يد القاضى ابن مصرى سنة ٥٨٦ هجرية.

وظلت على شهرتها إلى أن دخل الأتراك، فاشتهرت على عهدهم قراءة عاصم برواية حفص التى لا تزال إلى الآن يقرأ بها أهل مصر. انتهى.

ومن هنا يتضح لنا أهمية تعلم قراءات القراء العشرة حتى يتوافر لها شرط التواتر على مر العصور، ولا يأتى زمن لا تجد قراءة من ينقلها فتندرس، وتذهب بذهابها حروف قرأ الرسول ﷺ القرآن بها، وقرأ بها الصحابة ﷺ من بعده، وقرأ بها التابعون وتابعوهم ونحن نضيِّعها بالركون إلى السهل الميسور وعدم بذل الجهد فى تلقى باقى الروايات اكتفاءً بواحدة.

الناقلون عن الرواة (الطـرق)

وهم أشهر تلاميذ الرواة الذين نقلوا روايتهم.

وفى اصطلاح القراء يسمى الناقل عن الراوى (طريق)، فكما أن للأئمة العشرة رواة فإن لكل راو طريقًا، وبين كل طريق وآخر اختلافات قد تكون كثيرة أو قليلة بحسب ما نَقَلَ كلٌّ عن راويه.

---

[1] هو محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالمتولى من أعلام القراء فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ومطلع الرابع عشر تولى مشيخة القراء والإقراء بالديار المصرية فى وقته وكان واسع الحفظ والاطلاع شديد الضبط للقراءات المتواترة والشاذة ومحيطًا بعلوم الرسم والضبط والفواصل. على دراية فائقة بمذاهب القراء والرواة والطرق. واشتغل الإمام المتولى بالتأليف وله زهاء الأربعين مصنَّفًا فى القراءات وغيرها من علوم القرآن- توفى رحمه الله عام ١٣١٣هـ.

قال الإمام ابن الجزرى:

وَهَٰذِهِ الرُّوَاةُ عَنْهُمْ طُرُقُ ....

وقال الإمام الشاطبى:

لَهُمْ طُرُقٌ يُهْدَى بِهَا كُلُّ طَارِقٍ ....

أى لأولئك الرواة فى روايتهم عن مشايخهم طرق تضاف للآخذين عنهم كما تضاف الرواية لهم والقراءة لمشايخهم، وذلك لأن أئمة القرآن اصطلحوا على أن ما ينسب للإمام يسمى (قراءة)، وما ينسب للراوى عن الإمام يسمى (رواية)، وما ينسب للناقل عن الراوى يسمى (طريق)، وكل طريق تتدلى منه سلسلة من الرجال عنه فعنه.

وسنأخذ حفصًا راوى الإمام عاصم كمثال فنقول:

قرأ على حفص خلق كثير، منهم حسين بن محمد المروزى، وحمزة بن القاسم الأحول، وسليمان بن داود الزهرانى، وحمدان ابن أبى عثمان الدقاق، والعباس بن الفضل الصفاد، وعبد الرحمن بن محمد بن واقد، وعمرو بن الصبَّاح، وعبيد بن الصبَّاح، وأبو شعيب القواس، وغيرهم.

وأجودهم نقلاً عنه اثنان: عبيد بن الصبَّاح ، وعمرو بن الصبَّاح.

فنقول: قراءة (عاصم)، رواية (حفص)، طريق (عمرو بن الصبَّاح أَو عبيد بن الصبَّاح)، ولايقال: رواية عاصم، ولا طريق عاصم، ولا يقال: قراءة حفص ولا طريق حفص، كما لا يقال: قراءة عبيد بن الصباح، ولا قراءة عمرو بن الصباح، ولايقال: رواية عبيد بن الصباح، ولا رواية عمرو بن الصباح.

وأصحاب الطرق أيضًا لهم تلاميذ قرءوا عليهم ونقلوا عنهم، فقرأ على عبيد بن الصباح أناس كثر، ونقلوا عنه، أشهرهم أبو العباس أحمد بن سهل المعروف بالأشنانى.

وقرأ على عمرو بن الصباح أناس كثر ونقلوا عنه، أشهرهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حميد البغدادى، المعروف بالفيل، وأبو الحسن ذرعان البغدادى، المعروف بذرعان.

وقرأ على الأشنانى أناس كثر نقلوا عنه، أشهرهم أبو الحسن الهاشمى وعبد الواحد بن أبى هاشم، المعروف بأبى طاهر.

وقرأ على كل من الهاشمى وأبى طاهر أناس كثر ونقلوا عنهما، ومن بين الذين نقلوا عن الهاشمى الإمام أبو عمرو الدانى، صاحب كتاب التيسير.

وقرأ على الدانى ونقل عنه أبو داود سليمان بن نجاح، وقرأ على ابن نجاح ونقل عنه أبو الحسن على بن هذيل.

وقرأ على علىّ بن هذيل ونقل عنه الإمام الشاطبى صاحب المنظومة المشهورة المعروفة بالشاطبية، وهكذا تتوالى السلسلة حتى نصل إلى الإمام ابن الجزرى صاحب كتاب النشر فى القراءات العشر ومنظومته المعروفة بطيبة النشر، وقرأ على الإمام ابن الجزرى أعداد لا تحصى ونقلوا عنه، وتتوالى السلسلة بشيوخ الإقراء فى كل عصر عنه فعنه، حتى نصل إلى شيوخ الإقراء فى عصرنا الحاضر، رجل عن رجل بسند متصل تام موصول ليس فيه انقطاع، كل رجاله مشهود لهم بالعلم والإتقان، وهذه أفضل مَزيَّة للأمة المحمدية ألا وهى اتصال سند تلاوتنا لكتاب ربنا من لدنه سبحانه إلى جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ إلى الصحابة رضوان الله عليهم إلى التابعين وإلى تابعيهم، وهلم جرّا إلى شيوخ عصرنا، وإلى شيوخ كل عصر بعدنا، وحتى تقوم الساعة بإذن الله. وبذلك كتب الله للقرآن الحفظ بالنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، ولم تتوافر هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة؛ لأنها جاءت موقوتة بزمن معين. أما نحن فلا يخلو زمن إلا وفيه حامل لهذا السند قائم بإيصاله إلى كل متلقٍّ عنه، وهو ما نعرفه (بالإجازة).

التعريف بالإجازة:

الإجازة هى شهادة يشهد فيها الشيخ الذى تلقى القرآن بالإسناد المتصل عن رسول الله أن تلاوة تلميذه الذى علمه وأقرأه القرآن كاملاً من الفاتحة حتى الناس كانت مطابقة لما تلقاه هذا الأستاذ عن شيخه، وشيخه عن شيوخه، بأسانيدهم إلى رسول الله، حيث يقول الشيخ المجيز: أخبرت من قرأ عَلَىَّ أنِّى قرأت القرآن العظيم من أوله الى آخره بقراءة كذا أو برواية كذا عن طريق كذا على شيخى فلان، وقرأ شيخى على شيخه فلان وهلم جرًّا، حتى ينتهى إلى الإمام الذى يقرأ عنه أو الراوى الذى يروى عنه إلى النبى ﷺ إلى جبريل عليه السلام إلى رب العزة سبحانه وتعالى.

وأهمية الإجازة أنها تدل على أن الشخص المجاز قد وصل إلى مرحلة من الإتقان تجيز له أن يقرئ الآخرين تلاوة صحيحة، مطابقة لتلاوة رسول الله من غير زيادة ولا نقصان، فهى من أهم الأسباب فى تحسين تلاوة القرآن على مر العصور.

ولقد ورد عن السلف الصالح أنهم كانوا يتسابقون فى الإجازة وعلو السند، أى قلة عدد الرجال إلى النبى ﷺ .

قال العلامة المسند الثقة أبو القاسم ابن عساكر الدمشقى:

لَقَوْلُ الشَّيْخُ أَنْبَأَنِى فُــلانٌ ... وكانَ مِنَ الأَئِمَّةِ عَنْ فُـلاَنِ
إِلَى أَنْ يَنْتَهِىْ الإِسْنَادُ أَحْلَـى ... لَقَلْبِى مِنْ مُحَادَثَةِ الحِسَانِ
ومسْتَمْلٍ على صَوْتٍ فَصِيحٍ ... أَلذُّ لدىَّ من صَوْتِ القِيَانِ

وأبرز شيوخ الإقراء فى عصرنا وأعلاهم سندًا بينه وبين رسول الله ستة وعشرون شيخًا وحامله الشيخ عبد العزيز الزيات[1]، رحمه الله تعالى، ولقد شرفنى الله بأن أقرأ عليه ختمة كاملة برواية حفص عن عاصم فلله الحمد والمنة.

أهمية معرفة سند القراءة:

على أصحاب الطرق قام علم الأَسانيد، ويعنى باختصار: الطرق الموصلة إلى قراءة النبى ﷺ، وهو من أهم العلوم؛ لأنه يفصل بين القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة، إذ لا تقبل قراءة إلا بعد ثبوت انتقالها بالسند المتواتر، ولذلك: كانت معرفة سند القراءة شيئًا

---

[1] هو أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد الزَّيات. ولد بالقاهرة عام ١٩٠٧ ميلادية والتحق بالأزهر بعد أن حفظ القرآن وأخذ القراءات العشر الصغرى من طريقى الشاطبية والدُّرة، والعشر الكبرى من طريق الطيبة عن كل من الشيخين الجليلين خليل الجناينى وفضيلة العلامة عبد الفتاح هنيدى، وهما قد أخذا عن العلامة الكبير شيخ مشايخ الديار المصرية فى وقته محمد بن أحمد الشهير بالمتولى غفر الله له. ثم جلس المترجم له للإقراء بمنزله بجوار الأزهر الشريف بالقاهرة وانقطع له مدة، ثم اختير مدرسًا للقراءات بقسم تخصص القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وظل هكذا إلى أن أحيل للتقاعد. ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية سنين طويلة قرأ عليه فيها أناس عديدون ثم عاد إلى القاهرة، وقد أفاء الله نعمته على يدى المترجم له إلى خلق كثير من الديار المصرية وخارجها حصلوا منه على إجازات فى التجويد والقراءات السبع والعشر الصغرى والكبرى يخطئهم العد، فالله تعالى يثيبه ومن مؤلفاته: تنقيح فتح الكريم فى تحرير أوجه القرآن العظيم من طريق طيبة النشر، وهو من أنفس كتب تحرير طيبة النشر ثم شرح تنقيح فتح الكريم وله تحقيق على عمدة العرفان للإمام الأزميرى مع تلميذه العلامة المحقق فضيلة الشيخ جابر المصرى من أفاضل علماء الأزهر، وغير ذلك من التحقيقات.

متعارفًا عليه لدى القراء منذ نشأة القراءات. وهو يشبه علم مصطلح الحديث، فكما أن للحديث رواة، وأسانيد، فكذلك علم القراءات له رواة، وأسانيد، وهو علم جدير بالدراسة والاهتمام لأنه يؤدى إلى التدقيق فى الوجوه المروية عن أصحابها وتهذيبها من كل خطأ أو غموض، وهو ما يعرف (بالتحريرات)، كما يؤدى إلى منع خلط الروايات بعضها ببعض، أو اسناد القراءة لغير قارئها، فيمتنع بذلك التركيب فى الوجوه المروية، وهذا الأمر فى غاية الأهمية، لأنه إذا كان هذا التركيب ممنوعًا فى الحديث الشريف فقراءات القرآن من باب أولى لتعلقها بالرواية عن الله عزوجل فى كلامه.

ولقد قيَّض الله لهذا العلم (علم الأسانيد) عالمًا فذًّا هو الإمام الحافظ ابن الجزرى، الذى لم يترك قراءة ولا وجهًا يقرأ به إلا وذكره برواته وأسانيده فى كتابه العظيم (النشر فى القراءات العشر)، حتى أن البحث فى أسانيد القراءات قد توقف بعد عصر ابن الجزرى، ولا يجوز لأحد أن يذكر قراءة غير موجودة فى كتاب النشر لانقطاع سندها.

أشهر الكتب التى صنفت لتسجيل القراءات المختلفة وحفظها:

قراءة القراء العشرة هى جملة القرآن المنزل، وصيانة كل قراءة من التحريف هى صيانة للقرآن، لذلك عنى السلف والخلف بتسجيل أصول وفرش كل قراءة فى كتب، مع ذكر أسانيد القراء والرواة وطرقهم، ومع بداية عصر التدوين فى القرن الثانى الهجرى: ألف يحيى بن يعمر كتابًا جمع فيه الكلمات التى نزلت بأكثر من قراءة فيما وافق خط المصحف العثمانى.

وفى القرن الثالث الهجرى: ألف أبو عبيد القاسم بن سلام[١] فى الناسخ والمنسوخ، وفى القراءات، وقيل إنه أول من جمع القراءات فى كتاب، وقيل حفص بن عمر الدورى راوى الإمامين: أبو عمرو البصرى، والكسائى.

---

[١] هو القاسم بن سلام أبو عبيد الخراسانى الأنصارى البغدادى الإمام الكبير الحافظ العلامة أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف فى القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر. أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن على بن حمزة الكسائى– الإمام المعروف– وروى عنه القراءة كثيرون، قال عنه الدانى: إمام أهل دهره فى جميع العلوم صاحب سنة ثقة مأمون.

وقال ابن الأنبارى: كان أبو عبيد يقسم الليل فيصلى ثلثه وينام ثلثه، ويصنف ثلثه ومناقبه جمَّة توفى – رحمه الله– سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة فى المحرم بمكة المكرمة عن ثلاث وسبعين سنة.

وفى القرن الرابع الهجرى: ألف الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادى[1] كتابًا أفرد فيه القراء السبعة وقراءتهم، وهم الأئمة: نافع، ابن كثير، أبو عمرو، البصرى، ابن عامر الدمشقى، عاصم، حمزة، الكسائى.

وفى القرن الخامس الهجرى: ألَّف أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى، صاحب كتاب الرعاية، المتوفى عام ٤٣٧ هجرية كتابه (التبصرة فى القراءات السبع).

وألَّف الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى كتبًا كثيرة من أهمها، كتاب (التيسير فى القراءات السبع)، والذى صار عُمْدَةَ القراء بعده، فهم يدورون حوله شرحًا وقراءة وإقراءً.

وفى القرن السادس الهجرى: جاء الإمام أبو القاسم بن فِيْرُّه (بكسر الفاء وسكون الياء ممدودة وتشديد الراء مضمومة بعدها هاء) ابن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى الأندلسى فألَّف كتبًا عديدة أشهرها:

قصيدته اللامية المسماة (حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع) والمشهورة بالشاطبية، والتى نظم فيها كتاب التيسير للإمام الدانى، واختصره فى ثلاثة وسبعين ومائة وألف بيتٍ، فصار الفرع أشهر من الأصل وأكثر شروحًا منه؛ لأن المنظوم أسهل للحفظ وأوفق للمتعلم من الأصل المنثور، ولكنه لا شك فى أن كل من يهتم بإتقان علم القراءات تحقيقًا وتعميقًا لا بد له من مطالعة الأصل.

ويقول الشاطبى فى مقدمة قصيدته:

أَهَلَّتْ فَلَبَّتْهَا المعانِى لُبَابُهاَ وَصُغْتُ بِهاَ مَاساَغَ عَذْبًا مُسَلْسَلاَ

يقول: نادت القصيدة لباب المعانى وخيارها فلبتها وأجابتها، وبينت فيها من الفوائد ما لذَّ وطاب، حال كونه عذبًا سلسلاً: أى سهلا.

وَفِى يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَأَجْنَتْ بِعَوْنِ اللهِ مِنْهُ مُؤَمَّلاَ

---

[1] هو أحمد بن موسى بن العباس التميمى أبو بكر بن مجاهد كبير العلماء بالقراءات فى عصره من أهل بغداد وكان حسن الأدب رقيق الخلق فطنًا جوادًا. له كتاب القراءات الكبير، وكتاب الياءات، وكتاب الهاءات. توفى عن سبع وسبعين سنة.

يقول: طلبت اختصار جميع مسائل التيسير فيما يَسَّرَ الله تعالى من أبياتها اليسيرة، فأثمرت القصيدة وكثرت فوائدها بتوفيق الله، حال كون ذلك التوفيق مؤملاً منه تعالى.

وَأَلْفافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ   فَلَفَّت حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفضَّلاَ

يقول: مسائل تلك القصيدة المتكاثرة الملتف بعضها بالبعض، زادت على كتاب التيسير بفوائد ليست فيه كباب مخارج الحروف، فغطت وجهها حياءً من أن تفضل هى عليه، وإن كان زائدها فائقًا.

وَسَمَّيْتُهاَ حِرْزَ ٱلأَمَانِى تَيَمُّنًا   وَوَجْهَ التَّهانِى فَاهْنِه مُتَقَبَّلاَ

يقول: سميت تلك القصيدة. "حرز الأمانى ووجه التهانى" تيمنًا بذلك الاسم وتفاؤلاً، فاهنأ أيها الطالب، بهذا النظم حالة كونك متلقيًا له بالقبول. والحرز هو ما يوضع فيه الأشياء الثمينة.

وَنادَيْتُ أَللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِع   أَعِذْنِى مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلاً ومِفْعَلا

يقول: دعوت الله قائلاً "اللهم"، بقطع الهمزة للضرورة، أى:يا ألله، يا خير سامع للدعوات، اعصمنى من طلب السمعة، والرياء فى القول، والعمل.

وفى هذه القصيدة: ذكر الإمام الشاطبى أصول قراءة القراء السبعة، بأبوابها العشرين، مع فرش كل سورة من سور القرآن بالترتيب من أول الفاتحة حتى سورة الناس، ولا يحتاج القارئ الكريم إلى التنبيه على: أن القراء السبعة غير الأحرف السبعة، كما يظن بعض العوام، لأن هؤلاء القراء لم يكونوا قد وُجدوا أثناء نزول القرآن.
قال ابن تيمية رحمه الله:

(لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة، التى ذكر النبى ﷺ أن القرآن أنزل عليها، ليست هى قراءات القراء السبعة المشهورة. بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، لأنَّه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين، والعراقين، والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هى التى خرج منها علم النبوة من القرآن، وتفسيره، والحديث، والفقه، وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك، جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقًا لعدد الحروف التى أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هى الحروف السبعة،

أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يُقْرَأ بغير قراءتهم).[١] ولهذا قال بعض أئمة القراء: لولا ابن مجاهد سبقنى إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمى إمام جامع البصرة وإمام قراء عصره فى زمانه فى رأس المائتين.[٢]

ولقد جعل الإمام الشاطبى لكل إمام من الأئمة السبعة رمزًا، وكذلك للراويين عنه. فمجموع الأئمة سبعة، ومجموع الرواة أربعة عشر، لكل راوٍ طريق واحد، فيكون عدد سلاسل الأسانيد أربع عشرة سلسلة.

عندما نقرأ لإمام أو راوٍ منهم بمضمون ما فى الشاطبية نقول:

(من طريق الشاطبية).

فمثلاً: قلنا قبل ذلك إن عاصماً قد أقْرَأ حفصًا بقراءة تختلف عن قراءته لشعبة فى كلمة ﴿ ضَعْفٍ ﴾ بسورة الروم فمن أين عرفنا ذلك؟

الجواب:

من قول الشاطبى فى قصيدته:

وفى الروم صف عن خُلْفٍ ....

أى قرأ من رمزه الصاد من (صف) وهو شعبة، والعين من (عن) وهو حفص، بالفتح ولحفص الوجهان الفتح والضم، ولذلك قال (خُلْفٍ).

وأيضًا قلنا إن ابن كثير انفرد بقراءة آية فى سورة التوبة بزيادة ﴿ مِن ﴾ وهى الآية رقم (١٠٠)، فكيف علمنا ذلك، ومصاحفنا التى بين أيدينا غير مرسومة بهذه الزيادة؟

الجواب من قول الشاطبى:

وَمِنْ تَحْتِهَا المكِّى يَجُرُّ وزادَ مِنْ ....

أى قرأ ابن كثير المكى(مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) الواقعة بعد ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ بزيادة لفظ ﴿ مِن ﴾وجر﴿ تَحْتِهَا ﴾، فتكون قراءة الباقين بترك﴿ مِن ﴾ ونصب﴿ تَحْتَهَا ﴾

---

[١] انظر النشر فى القراءات العشر.

[٢] انظر القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد/ محمد سالم بازْمُول

وهكذا... عندما نقرأ لقارئ من القراء السبعة أو لراو من الرواة الأربعة عشر مستدلين بما ذكره الشاطبى فى قصيدته (الشاطبية) نقول (من طريق الشاطبية).

ولقد كتب الله لهذه القصيدة القبول، فكم من إمام نظم على مثال الشاطبية، وبعضهم نظم ما هو أسهل منها وأصغر، ومع ذلك لم يكتب لتلك المنظومات القبول لدى الناس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم توالت مؤلفات الأئمة فى هذا العلم تترى، وفى القرن الثامن الهجرى:

قيض الله عز وجل إمام المحققين شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى، الذى جدَّد هذا العلم وحقَّقه وألَّف الكثير من الكتب منها كتاب (تحبير التيسير)، حيث عَمَدَ إلى كتاب التيسير للإمام الدانى- الذى هو أصل الشاطبية- وأضاف إليه ثلاث قراءات متممة للعشر، وهى: قراءة الإمام أبى جعفر المدنى، وقراءة الإمام يعقوب الحضرمى، وقراءة الإمام خلف البزَّار، المعروف بخلف العاشر.

وأخرج من هذا العمل كتابًا سماه (تحبير التيسير) أى تكميل وتنسيق كتاب التيسير، ثم عَمَدَ ثانيًا إلى القراءات الثلاث فنظمها فى منظومة مستقلة عن الشاطبية والتيسير، سماها: (الدُّرة المضيَّة فى القراءات الثلاث المروية)، وأصلها (المضيئَة) بالهمز وأبدلت الهمز ياء تخفيفًا.

ويقول فى أولها:

وَبَعْدُ فَخُذْ نَظْـــمِى حُرُوفَ ثَلاَثَةٍ ... تَتِمُّ بها العَشْرُ القِرَاءاتُ وانْقُلاَ

كَمَا هُوَ فِى تَحبير تَيْسيرِ سَبْعِهَا ... فَأَسْــأَلُ رَبِّى أَنْ يَمُنَّ فَتَكْمُـلاَ

والمعنى: خَذ أيها القارئ المتعلم ما نظمته لك من حروف القراءات الثلاث التى تتم بها القراءات العشر، وهذا حث من الشيخ للطالب الذى قرأ السبع أن يقرأ الثلاث أيضًا ليحيط بقراءة العشر، وأن يكون ذلك عن طريق النقل من الأئمة المعتبرة المتصل سندهم بالنبى ﷺ ، ولهذا قال (وانقلا)، وأن نظمى لأصول القراء الثلاثة فى هذه القصيدة على الوجه الذى ذكرته فى كتابى الذى سميته تحبير التيسير.

ثم بعد (الدُّرة المضية)، ألَّف الإمام ابن الجزرى كتابه (النشر فى القراءات العشر)، وهو من جزأين، اشتمل على كل ما فى التيسير والشاطبية من طرق صحيحة، وكذلك على

ما فى الدُّرة، ثم نظمه فى قصيدته المعروفة (بطيبة النشر)، والمشهورة بالطيبة. وهى تحتوى على ألف بيت، ذكر فيها أصول قراءات القراء العشرة بأبوابها العشرين مع فرش كل سورة من سور القرآن من الفاتحة إلى الناس، وجعل لكل إمام من الأئمة العشرة رمزًا، وكذلك للراويين عنه، فمجموع الأئمة (عشرة)، ومجموع الرواة (عشرون)، لكل راوٍ طريقان، يتفرع عن كل طريق طريقان، ويتفرع منها طرق حتى صار عدد الطرق ثمانية وثمانين وتسعمائة طريقٍ.

يقول الإمام ابن الجزرى فى طيبته:

وَهَذِهِ الرُّوَاةُ عَنْهُمْ طُرُقُ   أَصَحُّها فى نَشْرِنَا يُحَقَّقُ

باثْنَيْنِ فِى اثْنَيْنِ وإلاَّ أَرْبَعُ   فَهْىَ زُهَا أَلْفِ طَرِيقٍ تَجْمَعُ

وجاء فى مختصر شرح الطيبة للإمام النُّويرى:

اعلم أنَّهُ قد تفرَّعت عن الرُّواة العشرين طرق كثيرة منها الأصح والصحيح، ومنها القوى والضعيف، وقد حققها ابن الجزرى فى النشر وبيَّن أصحها من صحيحها، وقويها من ضعيفها، واختار منها عن كل راو طريقين، وعن كل طريق طريقين، فيكون عن كل راو من العشرين أربع طرق غالبًا، وحينئذٍ يبلغ مجموع الطرق عن الرواة العشرين ثمانين طريقًا، وهذه هى الطرق الأصلية، ثم تتشعب هذه الطرق فتبلغ طرق القراء العشرة ألف طريق تقريبًا. انتهى.

وكلها مفصَّلة فى كتاب النشر فى القراءات العشر.

وهذا من اتساع علم الإمام ابن الجزرى وعلو همته فى البحث والاطلاع، فهذه الطرق استخرجها من بطون الكتب التى ألَّفها الناقلون عن الرواة وتلاميذهم من بعدهم، والتى تصل إلى أكثر من عشرين كتابًا سجلوا فيها ما وصل إليهم وما قرءوا به على سبيل الرواية المجردة، فقام الإمام ابن الجزرى بإثبات ما وصل إليه منها من القراءات وتوثيق ما صح لديه من روايات عن الأئمة العشرة ومن اقتدى بهم فى سالف الأعصار. واستقرت جملة الطرق عنده عن الأئمة العشرة على ثمانين وتسعمائة طريقٍ، لحفص منها اثنان وخمسون طريقًا، وهذا يعنى: أن حفصًا قد قرأ على عاصم ختمات عديدة بكيفيات متعددة، وحفص أقرأ تلاميذه ختمات عديدة، مما تلقاه من إمامه عاصم، وهؤلاء التلاميذ أقرءوا

بدورهم غيرهم بروايات عن حفص، وسجلوا ما تلقَّوه وما قرءوا به ليأتى الإمام ابن الجزرى ويستخرج تلك الروايات من بطون الكتب.

ولأن الإمام الشاطبى اعتمد على كتاب التيسير فقط، فعن طريق الشاطبية: لكل راوٍ طريق واحد، وجملة الطرق بعدد الرواة أربعة عشر طريقًا، ولذلك كانت روايات حفص عن عاصم فى الطيبة أكثر بكثير مما جاء فى الشاطبية.

ومن أمثلة ذلك:

فى نحو ﴿مِن لَّدُنَّهُ﴾ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾، من طريق الشاطبية، ليس لحفص إلا الإدغام بغير غنة. أما من طريق الطيبة، فله وجهان: الإدغام بغنة، والإدغام بغير غنة.

وكذلك عن طريق الشاطبية، لم يرد عن حفص السكت بسبب الهمز، فى نحو: ﴿ٱلْأَرْضُ﴾، ﴿شَيْـًٔا﴾.

أما عن طريق الطيبة فقد ورد عنه السكت وترك السكت، إلى غير ذلك...

وعندما نقرأ بمضمون الطيبة، أى بالأبيات الدالة على قراءتنا التى نظمها الإمام ابن الجزرى فى منظومته طيبة النشر، نقول: (من طريق الطيبة).

هذا: ويعتبر طريق الشاطبية هو طريق عامة المسلمين فى بلاد المشرق والمغرب، يسلكونه فى قراءتهم ويستدلون به ويقرءون بمضمونه؛ لأنه أيسر كثيرًا لكونه طريقًا واحدًا لكل راوٍ، أما طريق الطيبة فلكثرة طرقه فلا يسلكه إلا المتخصصون مخافة التركيب.

وفى مصطلح القراء: إذا أتم الطالب قراءة القرآن بالقراءات السبع من طريق الشاطبية، والثلاث المكملة لها من طريق الدُّرة، يكون قد أتم ما يسمى بالقراءات العشر الصغرى.

ولقد أكرمنى الله بقراءتها مرتين، مرة أمام الشيخ الفاضل والعالم الجليل الدكتور عبد العزيز عبد الحفيظ، وأجازنى فيها، والثانية أمام الشيخ الفاضل والعالم الجليل الشيخ أحمد مصطفى، وأجازنى فيها فلله الحمد والمنة، ورحمهما الله رحمة واسعة.

ولكون رواية حفص عن الإمام عاصم هى محور الموضوعات التى سأتناولها فى هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى- فسوف أقتصر على ذكر سندها من طريقى الشاطبية والطيبة:

سند قراءة الإمام عاصم بن أبى النَّجُود (ويسمون برجال عاصم)

الله جل جلاله
↓
جبريل عليه السلام
↓
النبى ﷺ

على بن أبى طالب ← أبو عبد الرحمن بن حبيب السُّلَمِى
عبد الله بن مسعود ← زر بن حبيش الأسدى

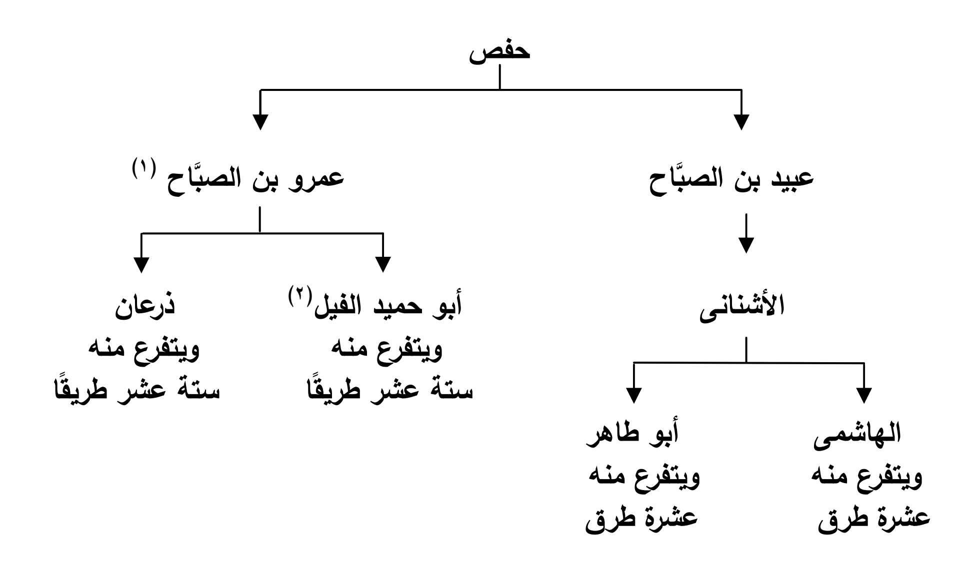
عاصم بن أبى النَّجُود

حفص بن سليمان الكوفى
أبو بكر شعبة بن عيَّاش

سند رواية حفص من طريق الشاطبية (طريق واحد)

حفص بن سليمان الكوفى
↓
عبيد بن الصبَّاح
↓
أبو العباس الأشنانى
↓
أبو الحسن الهاشمى
↓
أبو عمرو الدانى
↓
أبو داود سليمان بن نجاح
↓
أبو الحسن بن هذيل
↓
الشاطبى

أسانيد طرق رواية حفص من طريق طيبة النشر



بعض أشهر الكتب التى اعتمد عليها الإمام ابن الجزرى فى استخراج طرق حفص التى نقرأ بموجبها من طريق الطيبة:

١- كتاب تلخيص العبارات، للإمام أبى على الحسن القيراونى المتوفى سنة٤١٤هجرية.

٢- كتاب التذكرة، للإمام أبى الحسن طاهر المتوفى سنة ٣٩٩هجرية.

٣- كتاب التجريد، للإمام أبى القاسم عبد الرحمن الصقلى المتوفى سنة ٥١٦هجرية .

٤- كتاب الروضة، للإمام الشريف أبى إسماعيل بن الحسن المعَدَّل المتوفى سنة٤٨٠ هجرية.

٥- كتاب المبهج، للإمام أبى محمد الخياط البغدادى المتوفى سنة ٥٤١هجرية.

٦- كتاب الكفاية، للإمام أبى محمد عبد الله سبط الخياط المتوفى ٥٤١هجرية.

٧- كتاب الجامع، للإمام أبى الحسن على بن محمد الخياط المتوفى سنة ٤٥٠هجرية .

٨- كتاب التذكار، للإمام أبى الفتح بن الحسين البغدادى المتوفى سنة ٤٤٥هجرية.

---

[1] قال الدانى: إن عبيدًا وعمرًا أخوان، والأكثرون على غير ذلك.

[2] لقب بالفيل لضخامة جسمه، وكان مشهورًا حاذقًا توفى سنة ٢٨٧ هجرية.

٩- كتاب الإرشاد، للإمام محمد بن الحسين الواسطى المتوفى سنة ٥٢١هجرية.

١٠-كتاب الكفاية، للإمام محمد بن الحسين الواسطى المتوفى سنة ٥٢١هجرية.

١١-كتاب غاية الاختصار، للإمام أبى العلاء الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى سنة ٥٦٩هجرية.

١٢-كتاب المصباح، للإمام أبى الكرم المبارك البغدادى المتوفى سنة ٥٥٠هجرية.

١٣-كتاب المستنير للإمام أبى طاهر أحمد البغدادى المتوفى سنة ٤٩٦هجرية.

١٤-كتاب الوجيز للإمام أبى على الحسن الأهوازى المتوفى سنة ٤٤٦هجرية.

١٥-كتاب الكامل للإمام أبى القاسم يوسف المغربى المتوفى سنة ٤٦٥هجرية.

هذا بالإضافة إلى:

كتاب التيسير للإمام الدانى.

كتاب الشاطبية (منظومة حرز الأمانى ووجه التهانى) للإمام الشاطبى.

وكتب أخرى.

ترجمة الإمام الدانى صاحب كتاب التيسير (أصل الشاطبية):

هو: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الدانى الأموى القرطبى المعروف فى زمانه بابن الصَّيْرَفِى.

أمَّا تسميته بالأموى، فلأنَّه كان من موالى بنى أميَّةَ، وكانت كلمة أمويين تطلق على الأموى الأصل وعلى موالى الأمويين، وكان لهؤلاء مركز اجتماعى رفيع ومنهم بيوت مشهورة بالأندلس.

وأمَّا تسميته بالقرطبى، فلأنَّه من مواليد مدينة (قرطبة)، عاصمة الخلافة وحاضرتها فى الأندلس.

وأمَّا تسميته بالدانى، فلسكناه (دانية)، وهى مدينة عظيمة بالأندلس واستوطنها حتى مات بها، وكان أهلها أقرأ أهل الأندلس للقرآن.

وأمَّا تسميته بابن الصيرفى، فلأن والده كان يشتغل بالصيرفة وبيع العملة فى قرطبة.[1]

---

[1] المكتفى فى الوقف والابتداء.

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة هجرية، وتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة هجرية. بدأ بطلب العلم وهو ما زال صغيرًا، وقال عن نفسه: "وابتدأت فى طلب العلم فى سنة ست وثمانين، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وخرجت إلى السفر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة، فسكنت دانية." وكان من الأئمة فى علم قراءة القرآن، ورواياته، وتفسيره ومعانيه، وإعرابه، ولم يكن فى عصره من يضاهيه فى قوة حفظه، وحسن تحقيقه، ونقل عنه أنه كان يقول: ما رأيت شيئًا قط إلا كتبته، وما كتبته إلا حفظته، ولا حفظته فنسيته، وكان أيضًا عارفًا بعلوم الحديث وطرقه وأسماء رجاله، وبارعًا فى الفقه وسائر أنواع العلوم.

وله مؤلفات عديدة بلغت ثلاثين ومائة كتابٍ. ومن أشهر كتبه كتاب التيسير فى علم القراءات السبع، ويسمى أيضًا كتاب التيسير لحفظ القراءات السبع، وهو الذى نظمه الإمام الشاطبى فى منظومته (حرز الأمانى ووجه التهانى) الشهيرة بالشاطبية. ولقد لقى كتاب التيسير عناية كبيرة من العلماء شرحًا واختصارًا، فشرحه غير واحد من العلماء، من بينهم الإمام ابن الجزرى، وأضاف إليه القراءات الثلاث المكملة للقراءات العشر، وسمى كتابه (تحبير التيسير) كما سبق وذكرنا.

ترجمة الإمام الشاطبى صاحب الشاطبية:

هو القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد أبو القاسم الرعينى الشاطبى الأندلسى الضرير. ولد آخر عام ٥٣٨هـ وَسُمِّىَ بالشاطبى لأنه من مواليد (شاطبة)، وهى مدينة كبيرة بشرق الأندلس خرج منها جماعة من الأئمة الأعلام.

حفظ الشاطبى القرآن وتعلم النحو واللغة، وتفنن فى قراءة القرآن والقراءات وهو حدث، ولما أنهى الأخذ عن مشايخ بلده؛ جاب البلاد فى طلب العلم، فارتحل إلى (بَلَنْسية) قرية من قرى شاطبة، فقرأ بها القراءات وعرض كتاب التيسير، من حفظه، على أبى الحسن على بن الهذيل الأندلسى، وسمع منه الحديث وكان ورعًا، طلب إليه أن يتولى الخطابة فى بلده شاطبة فرفض، لأن ذلك يلزمه الدعاء للسلاطين. ثم ارتحل إلى مصر سنة ٥٧٢هـ، فأكرمه القاضى الفاضل عبد الرحيم، وزير صلاح الدين الأيوبى، وهو من

أئمة الكتاب، ولد بعسقلان وانتقل إلى القاهرة، وتوفى بها، وأقام قبل وفاته المدرسة الفاضلية، وأوقفها على طائفة الفقهاء الشافعية، والمالكية، وجعل فيها قاعة لإقراء القراءات، وتولى الشاطبى مشيخة الإقراء بالمدرسة، فتصدى لإقراء القراءات وتعليم النحو واللغة وغير ذلك من العلوم النافعة، فاشتهر اسمه وانتهت إليه رئاسة الإقراء، وعظم شأنه، وقصده الناس من الأقطار، واستوطن مصر، وتصدر للإقراء فى جامع عمرو بن العاص حتى توفى رحمه الله عام ٥٩٠هجرية، وكان عمره ٥٢ سنة، ودفن بمقبرة القاضى صاحب المدرسة الفاضلية، وتقع هذه المقبرة فوق سفح جبل المقطم بمصر.

ترجمة الإمام الحافظ ابن الجزرى:

هو شمس الدين أبو الخير محمد ابن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى الدمشقى ثم الشيرازى. وابن الجزرى: نسبة إلى جزيرة ابن عمر بديار بكر، بالقرب من الموصل. ولد بدمشق بعد صلاة التراويح من ليلة السبت يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٥١هجرية.

نشأ ابن الجزرى فى دمشق، واشتغل بحفظ القرآن، فأكمله فى سنة ٧٦٤هجرية، وصلى به فى السنة التى بعدها. وشرع- بعد حفظه القرآن- بقراءة القراءات ودراسة كتبها على علماء بلدته.

وفى سنة ٧٦٨هجرية، رحل ابن الجزرى إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وكانت أول رحلة له خارج بلاد الشام، واستفاد من وجوده هناك، فقرأ على الشيخ أبى عبد الله محمد بن صالح، خطيب وإمام بالمدينة المنورة.

وبعد رحلة الحجاز، تطلع ابن الجزرى إلى مصر، ليكمل هناك تحصيله العلمى، فرحل إلى مصر ثلاث رحلات لهذا الغرض، وسافر بعدها مرات كثيرة، لأغراض مختلفة.

فكانت رحلته الأولى إلى الديار المصرية سنة ٧٦٩هـ. وفى هذه الرحلة أَلَّفَ كتابه (التمهيد فى علم التجويد)، ولأَنَّه أَلَّفَه- وهو ما زال حدثًا مراهقًا- فقد تناوله بالتهذيب والتنقيح أكثر من مرة فى سنوات عمره التالية.

وكانت رحلته الثانية سنة ٧٧١هـ، ورحلته الثالثة سنة ٧٧٨هـ.

والتقى ابن الجزرى فى هذه الرحلات بكبار علماء القراءات فى القاهرة، وقرأ عليهم. ودرس الحديث والفقه والأصول والمعانى والبيان أثناء ذلك، وسافر إلى الإسكندرية فى رحلته الثالثة، وقرأ على من كان فيها من الشيوخ.

ولم تنقطع صلة ابن الجزرى بمصر بعد عودته إلى بلاد الشام، فهو إلى جانب قيامه ببعض الوظائف الرسمية التى تتطلب تردده إلى القاهرة، رحل بأبنائه ليقرءوا على علماء الديار المصرية، فرحل بهم أولاً سنة ٧٨٨هـ، ورحل بهم رحلة أخرى سنة ٧٩٢هـ.

وأَذِنَ لابن الجزرى غير واحد من علماء عصره بالإفتاء، والتدريس، والإقراء. فقد أجازه وأذن له بالإفتاء: شيخ الإسلام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير سنة ٧٧٤هـ، وكذلك أذن له الشيخ ضياء الدين سنة ٧٧٨هـ، وشيخ الإسلام البلقينى سنة ٧٨٥هـ.

وفى أثناء ذلك ولِىَ ابن الجزرى، من الوظائف العلمية فى دمشق: مشيخة الإقراء بالمدرسة العادلية الكبرى، والمشيخة الكبرى بمدرسة أم الصالح، وجلس للإقراء بالجامع الأموى سنين، وهو إلى جانب ذلك كله بنى بدمشق مدرسة للقرآن سماها (دار القرآن) وأقرأ الناس بها.

وظل ابن الجزرى مقيمًا فى بلاد الشام، يتردد إلى الديار المصرية حتى كانت سنة ٧٩٨هـ، فاضطر إلى مغادرتهما متجهًا إلى بلاد الروم [تركيا اليوم]، فقد كان ابن الجزرى قد باشر بعض الأعمال الإدارية للأمير قطلوبك، أتابك السلطان الظاهر برقوق. مما يتطلب تحصيل بعض الأموال وصرفها، وحصل له بسبب ذلك خلاف مع قطلوبك، فنقم عليه قطلوبك، فخشى ابن الجزرى من عاقبة الأمر، فاضطر إلى مغادرة القاهرة فى جمادى الأولى سنة ٧٩٨هـ قاصدًا الإسكندرية، وركب من هناك البحر متجهًا إلى بلاد الروم، حيث نزل فى مدينة تسمى (برصة) أقام بها وأخذ عنه أهلها القراءات والحديث، وكان غير منقطع عن التأليف هناك، فقد ألَّف أشهر كتبه (النشر فى القراءات العشر) ونظم منظومته (طيبة النشر) فى نفس السنة.

ولم تمض على إقامة ابن الجزرى فى بلاد الروم إلا ست سنين وأشهر، حتى نزلت بتلك البلاد كارثة مدمرة، فقد شاء الله تعالى أن تبتلى تلك الدولة الفتية بموجة المغول الهمجية، بقيادة تيمورلنك، فى أواخر سنة ٨٠٤هـ، فقطعت ما كان فيه ابن

الجزرى من حياة مستقرة ليبدأ رحلة شاقة أخرى، فقد خرج أبو الخير مع الجيوش العثمانية التى خرجت لمواجهة المغول، وشهد الواقعة التى دارت بين الجيشين فى سهل أنقرة فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة سنة ٨٠٤هـ، فكُسر الجيش العثمانى، ووقع ابن الجزرى أسيرًا فى أيدى المغول.

وَأُحْضِرَ ابن الجزري عند تيمورلنك، فأكرمه لاشتهاره بعلم القراءات. وأطلقه من أسره، لكنه احتمله معه حينما عاد راجعًا إلى بلاد ما وراء النهر، على عادته مع كبار علماء الدول الإسلامية التى دخلها، وأنزله مدينة (كش) فكان بها وبمدينة (سمرقند) ما كان تيمورلنك فى الحياة.

ولم تنل هذه المحنة من عزم ابن الجزرى، فلم ينقطع عن تعليم القراءات، ولم ينقطع عن التأليف، فقد شرح هناك كتاب مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوى (ت٥١٦هـ)، كذلك كتب هناك تذكرة العلماء فى أصول الحديث.

وظل ابن الجزرى مقيمًا فى بلاد ما وراء النهر، حتى مات تيمورلنك، فتركها وسار متجها غربًا فوصل إلى بلاد خراسان، ودخل مدينة (هراة)، فقرأ عليه للعشرة جماعة، ثم قَفَلَ راجعًا إلى مدينة (يزد)، فقرأ عليه للعشرة جماعة، منهم: المقرئ الفاضل شمس الدين محمد بن الدباغ البغدادى، وجماعة لم يكملوا، ثم دخل (أصبهان)، فقرأ عليه بها جماعة أيضًا، ولم يكملوا، ثم وصل إلى (شيراز) فى رمضان سنة ثمان وثمانمائة، فأمسكه بها سلطانها، فقرأ عليه جماعة كثيرون... ثم ألزمه بالقضاء بها وبممالكها وما أضيف إليها كرهًا.

وأقام ابن الجزرى بشيراز، مكرهًا فى بادئ الأمر، ومختارًا فى الختام، وأنشأ هناك مدرسة تعرف باسم (دار القرآن)، على غرار مدرسته التى أنشأها بالشام، فكان يقرئ القراءات ويدرّس ويؤلف إلى أن مات هناك، رحمه الله.

وفى السنوات التى قضاها ابن الجزرى فى شيراز (من سنة ٨٠٨هجرية إلى سنة ٨٣٣هجرية) قام برحلتين للحج خلالهما، وزار بعض البلدان، فقد قصد الحج فى سنة ٨٢٢هجرية، ولما جاوز بلدة عنيزة بمرحلتين خرج عليهم الأعراب فى الليل غفلة، فأخذوا جميع ما معهم، وصدوهم عن البيت الحرام وزيارة النبى ﷺ، فعاد إلى عنيزة ونظم بها (الدُّرة المضيَّة)، فى القراءات الثلاث، ثم يسَّر الله له من تكفل بحمله وإيصاله إلى المدينة، ثم إلى مكة، فجاور فيها بقية السنة، فحدَّث، وأقرأ، حتى جاء موسم الحج فحج، وسافر بعد ذلك راجعًا إلى مدينة شيراز، وفى نهاية نظم الدُّرة أشار الإمام ابن الجزرى إلى ما حدث له بقوله:

غرِيبَــــة اوْطـــانٍ بِنجّــدٍ نظمْتهَــا	وَعُظـمُ اشـتِغالِ البَـالِ وَافٍ وَكيْـفَ لا
صُـدِدْتَ عَـنِ البَيْـتِ الحَـرَامِ وَزَوْرِيَ الـ	مَقامَ الشَرِيفَ المُصْطفى اشرَفِ العُلا
وطـــوّقنِى الاعْـــرَابُ بالليـــلِ غفلـــة	فمَــا ترَكــوا شَــيْئا وَكِـــدْتَ لاقــتلا
فـــادْرَكنِى اللطـــفَ الخفِـــىُّ وَرَدّنِـــى	عُنيْـــزة حَتَـــى جَـــاءنِى مَـــنْ تكفــلا
بِحَمْلِـــى وَإِيصَـــالِى لِطِيْبَـــة امِنـــا	فيَــــارَبِّ بَلغنِـــى مُـــرَادِى وَسَـــهِّلا
وَمُـــنَ بِجَمْـــعِ الشَـــمْلِ وَاغفِـــرْ ذنوبَنـــا	وَصَــل عَلــى خيْــرِ الانــامِ وَمَــنْ تَــلا

أمَّا الرحلة الثانية كانت سنه ٨٢٧هجرية، حيث قدم (دمشق) فاستأذن منها فى قدوم (القاهرة)، فأذِنَ له، فقدمها واجتمع بالسلطان الأشرف برسباي فعظمه وأكرمه، وتصدى للإقراء والتحديث، وازدحم الناس عليه، ثم توجه مع الحاج إلى مكة، فحج وسافر من هناك فى البحر إلى بلاد اليمن، فى تجارة، فأكرمه ملكها المنصور عبد الله بن أحمد الرسولى المتوفى سنة ٨٣٠هـ، وسمع عليه الحديث، وأنعم عليه. وعاد إلى مكة، فحج سنة ٨٢٨هـ، ثم رجع إلى القاهرة، فدخلها فى أول سنة ٨٢٩هـ، ثم سافر منها على طريق الشام، ثم على طريق البصرة إلى شيراز.

ومكث فيها بضع سنوات أخرى حتى كانت منيته فيها قبيل ظهر يوم الجمعة ربيع الأول سنة ٨٣٣هجرية، ودفن بدار القرآن التى أنشأها رحمه الله تعالى.

مؤلفاته:

كان ابن الجزرى غزير الإنتاج فى ميدان التأليف، فى أكثر من علم من العلوم الإسلامية، وإن كان علم القراءات هو العلم الذى اشتهر به، وغلب عليه. ويعكس تنوع موضوعات مؤلفاته تنوع عناصر ثقافته، فنجد بين مؤلفاته، إلى جانب كتب القراءات وعلوم القرآن، كتبًا فى الحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، والتاريخ والمناقب، وعلوم العربية، وغير ذلك.

ولعل أقدم وأطول قائمة فى مؤلفات ابن الجزرى هى التى أوردها السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع)، فى ترجمته لابن الجزرى، فقد ذكر أسماء اثنين وثلاثين كتابًا من مؤلفاته، وختمها بقوله "وغير ذلك". وضم (كشف الظنون) لحاجى خليفة أكثر من خمسة وثلاثين كتابًا، وأضاف إسماعيل باشا البغدادى فى (إيضاح المكنون) مؤلفات أخرى إلى ما ذكره حاجى خليفة، وبلغ ما ذكره فى (هدية العارفين) ستة وأربعين كتابًا ختمها بقوله "وغير ذلك".

وتضيف كتب فهارس المخطوطات مؤلفات أخرى منسوبة إلى ابن الجزرى، ولقد بلغ ما أحُصِى مما جاء فى فهارس المخطوطات مع ما ذكره السخاوى وحاجى خليفة وإسماعيل باشا البغدادى وغيرهم ثمانية وسبعين كتابًا، منها ما يخص القراءات والتجويد وسنكتفى بذكر بعضها مثل:

(إتحاف المهرة فى تتمة العشرة) (الإعلام فى أحكام الإدغام) (الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء).

وغيره وغيره مع إضافة ما سبق ذكره من مؤلفات نحو (الدُّرة)، (تحبير التيسير)، (النشر فى القراءات العشر)، (طيبة النشر)، (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)، والمشهورة بالمقدمة الجزرية.

ومنها ما يخص الحديث وعلومه وسنكتفى بذكر بعضها مثل:

(الأربعون حديثًا)، (البداية فى علوم الرواية)، (تذكرة العلماء فى علوم الحديث)، وغيرها من الكتب التى تصل فى مجموعها إلى ما يزيد عن ستة عشر كتابًا فى الحديث وعلومه.

ومنها ما يخص التاريخ والفضائل والمناقب، وموضوعات أخرى، تصل فى مجموعها إلى ما يزيد عن أربعة وثلاثين كتابًا، نذكر منها على سبيل المثال:
(منظومة الجوهرة فى النحو)، (التكريم فى العمرة من التنعيم)، (الإجلال والتعظيم فى مقام إبراهيم)، (أسنى المطالب فى مناقب على بن أبى طالب)، (فضائل القرآن)، (شرح أَلفية ابن مالك)، وغيرها.
تنبيه: مصادر الترجمة (غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى).

بعض اصطلاحات القراء

معنى (اصطلاحات)، جمع اصطلاح من باب الافتعال، قلبت تاؤها طاءً وأريد بها ههنا: ألفاظ مخصوصة موضوعة لمعان يمتاز بعضها عن بعض باعتبار قيد يميزه عنه، وسبب إطلاقها عليها هو: الاتفاق على وضعها لتلك المعانى ليحصل عند استعمالها مع أَدائها إصلاح المعانى ودفع فساد التباس بعضها ببعض.[1]

الأصـــــول:

هى القواعد والأحكام الكلية المطَّردة التى يكثر ورودها فى القرآن ويجرى القياس عليها فى كل ما يتحقق فيه شرط ذلك الحكم.

الفَـــــرْش:

الكلمات القرآنية المذكورة فى داخل السور، والمختلف فى قراءتها بين قارئ وآخر، ولا تطَّرِد غالبًا ولا يقاس عليها.

وسميت بالفرش لوجودها فى أماكنها من السور على الترتيب القرآنى فهى كالمفروشة، أو لانتشارها فى القرآن وتفرُّقها فى خلال سُوَرِهِ.

قـــــراءة:

هى الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للفظ القرآنى على ما تلقاه مشافهة متصلاً سنده برسول الله ﷺ.

---
(1) انظر القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد محمد سالم بازْمُول.

تنبيـــه:

هنـاك فرقٌ بين علـم التجويد وعلم القراءات، فعلم التجويد يبحث فـى كيفيـة تحسين أداء الحرف القرآنى فى حالة الانفراد بضبط مخرجه وتحقيق صفاته، وتحسين أداء الأحكام المترتبة على تركيب الحرف مع غيره.

ولا علاقة له بقراءة بعينها بل هو قاسم مشترك بين القراءات جميعًا.

أمَّا علم القراءات فيبحث فى مجموع الوحى المنزل باختلاف الناقلين لكتـاب الله تعالى مع عزو كل قراءة لناقلها.

روايـــة:

مادة (روى) فى اللغة لها معانٍ عدة، وتدور معظم استعمالاتها حول الشُّرب والارتواء من الظمأ والتَّنعُّم. وتستعمل بمعانٍ أخرى منها– على سبيل المثال– روى عليه الكذب أى كذب عليه، وروى الحديث والشعر أى حمله ونقله.

وفـى معاجم اللغـة فرق بين (رَوَى رَيًّا) بمعنـى الارتـواء مـن الظمـأ، و(رَوَى رِوَايـة) بمعنى حمل ونقل.

ومـن رَوَى، ريًّا، قولنـا: رَوَيـتُ لِلَقومِ، وأَرَوى لَهُـم، وتسـمى الدَّابـة التـى يحمـل عليهـا الماء الرَّاوِيَة، وسمى يوم الثامن من ذى الحجة يوم التروية، لأنهم كانوا يرتوون من الماء لما بعده من أيام الحج فى منى وعرفات.

وعلى ذلك: فالمعنى اللغوى المقصود هنا (رَوَى رِوَايَة)، أى حمل ونقل.

أَمَّا المعنى الاصطلاحى فهو: ما ينسب للآخذ عن الإمام، فيقال:

روايـة حفـص عن عاصـم– روايـة شـعبة عن عاصـم– روايـة ورش عن نـافع.... وهكذا والمناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوى، والمعنى الاصطلاحى.

طريق:

الطريق فى اللغة هو السبيل، ويقـال: تطارقت الإبل، إذا جـاءت يتبـع بعضـها بعضًا. ويقال للنخل الذى على صف واحد طريق، فكأنه شُبِّه بالطريق فى تتابعه، ويقال: طَرَقَ الباب: أى ضربه ضربًا متواليًا متتابعًا.

أَمَّا المعنى الاصطلاحى فهو: ما ينسب للناقل عن الراوى، وإن سفل. فيقال مثلاً:

رواية حفص عن عاصم، طريق عبيد بن الصباح، عنه، فعنه.

رواية حفص عن عاصم، طريق عمرو بن الصبّاح،عنه، فعنه.

رواية ورش عن نافع، طريق أبى يعقوب يوسف الأزرق، عنه، فعنه ...، وهكذا باقى القراء.

والمناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوى، والمعنى الاصطلاحى:
فحيث إن الطريق هو السبيل، فكأن صاحب الطريق كان هو السبيل للوصول إلى رواية الراوى عن الشيخ الإمام.

وجـــه :

تدور مادة (وَجْه) فى اللغة حول معنى المقابلة لشىء، والوجه، هو: المستقبل للشىء. ولها معانٍ أخرى كثيرة منها: النوع، الْقِسْم.

أَمَّا المعنى الاصطلاحى فهو: اختيار القراءة بكيفية من جملة الكيفيات العامة التى لا تنسب لقارئ بعينه.

مثل: أوجه الوقف على نحو ﴿نَسْتَعِينُ﴾ (وهو ما يعرف بأوجه الوقف على السكون العارض)- أوجه الابتداء بكل سورة- أوجه الابتداء من خلال السورة- أوجه ما بين السورتين عند من أتى بالبسملة- بعض أوجه الوقف على أواخر الكلم، ومنها الوقف بالإشمام أو بالروم. فكل هذا ومثله لا نقول عليه: (قراءة) ولا (رواية) ولا (طريق) فكل قارئ يجوز له القراءة بأى وجه شاء بصرف النظر عن قراءة مَن، أو رواية مَن، أو طريق مَن، ولا يترتب على وجه منها حكمٌ خاصٌّ.

والمناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى، فحيث إن من معانى الوجه مقابلة الشىء فكأن القارئ كلما قابله واحد من الأمثلة المذكورة اختار وجهًا يقابله به.

الخـــلاف:

وهو نوعان: الخلاف الجائز والخلاف الواجب:

أ- الخلاف الجائز:

قراءة القرآن بكيفية غير ملزمة لأنها غير منسوبة لقارئ أو لراوٍ أو لطريق، ويسمى (خلاف دراية)؛ لأنه قائم على القياس العقلى والاختيار، فإذا أتى بأىٍّ منها أجزأه، ولا

يكون إخلالاً بالرواية. وهذا ينطبق على كل ما ذكرناه من أمثلة عند تعريف معنى (الوجه) فى الاصطلاح.

ب- الخلاف الواجب:

قراءة القرآن بكيفية ملزمة لكونها منسوبة لقارئ من القراء العشرة، أو لراو من الرواة العشرين، أو لطريق عن الراوى ويسمى (خلاف رواية)؛ لأنه قائم على النَّص والرواية، فإذا أخلَّ القارئ بشىء منها كان نقصًا فى الرواية.

وقد تتعدد الكيفيات فى الكلمة الواحدة، فاصطلح القراء على إطلاق لفظ (وجه) على كلٍّ منها تسهيلاً، مع علمهم أنه وجه واجب، ومثال ذلك:

العلاقة بين مد البدل لورش مع ذات الياء.

ونعنى بالبدل : إذا تقدم الهمز على حرف المد، نحو (ءَامنوا)...

ونعنى بذات الياء: الألف فى نحو: (مُوسى) ، (عيسى) ....

فالمعلوم: أن فى مد البدل لورش ثلاثة أوجه: القصر والتوسط والطول.

وفى ذات الياء لورش وجهين: الفتح والتقليل .

فإذا تقدم البدل على ذات الياء فى آية واحدة فإن لك ما يلى:

إذا قرأت بقصر البدل فأنت ملزم بفتح ذات الياء.

وإذا قرأت بتوسط البدل فأنت ملزم بتقليل ذات الياء.

إذا قرأت بمد البدل فلك الوجهان: الفتح والتقليل.

فهذا من نوع الخلاف الواجب، إذا أخل به القارئ اعتبر نقصًا فى الرواية، ومع ذلك يطلق عليها اسم أوجه تسهيلاً.

*　　　*　　　*

(الفصل الثانى)

أركان القراءة الصحيحة

بعد أن اكتمل نزول القرآن، وترتَّبت سُوره وآياته بوحى من الله، مكتوبًا فى المصاحف محفوظًا فى الصدور، وبعد أن انتهت القراءة إلى فريق من القراء المشهود لهم بالإتقان والرواية المتواترة الصحيحة عن رسول الله ﷺ جعلوا همهم نشر القراءة الصحيحة حتى كثر الناقلون عنهم وتفرقوا فى شتى الأمصار وانتشروا يُقْرِئُون الناس، وخلفهم أمم بعد أمم اختلفت صفاتهم فكان منهم المتقن للتلاوة، ومنهم المقصر، ومع قلة المصاحف المتداولة بين أيدى الناس، واعتماد الغالبية على حفظ الصدور قل الضبط وخرج الكثير منهم عن رسم مصاحفهم.

أضف إلى ذلك:

أنَّه فى القرن الثالث الهجرى ألَّف أبو عبيد القاسم بن سلام كتابًا فى القراءات، جعل القراء خمسة وعشرين، ثم فى القرن الرابع الهجرى ألَّف ابن مجاهد كتابه فى القراءات السَّبْع، فتوهَّم الناس أن غيرها شاذ لا يقرأ به، واتسع الخلاف مع مرور الأيام بين ما يرى أنَّ ما زاد عن السبع شاذ، وبين ما يرى خلاف ذلك.

ومع تطور الزمن ونشأة مدارس النحو فى البصرة والكوفة، حدث تغيير فى النظر إلى مقياس موافقة العربية، فانبرى النحاة يخطِّئون القراء لمخالفتهم بعض ما سنوا من قواعد، وانبرى القراء يسفِّهون النحاة ويهوِّنون من شأن تلك القواعد التى لا يمكن أن تكون حجة على ما ثبت بالرواية الصحيحة، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق. وكما هبَّ جهابذة علماء الأمة فوضعوا قواعد النحو ووضعوا النقط والحركات فوق جسم الحروف صيانة للفظ العربى الفصيح الذى نزل به القرآن من أن يندرس ويذهب مع كثرة العجمة لدخول الكثير من الأعاجم فى الإسلام، فكانت نتيجة جهودهم المباركة الحفاظ على حروف وكلمات القرآن كما نطقها النبى ﷺ منذ زمن النبوة وحتى نهاية الزمان.

قام جهابذة علماء أمثالهم فبالغوا فى الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات لبيان الصحيح المتواتر والشاذ النادر وما يسوغ القراءة به وما لا يسوغ بأصول أصَّلوها وأركان

وضعوها، واصطلح على تسميتها (أركان القراءة الصحيحة)، وعددها ثلاثة أركان، وإليك بيانها:

الركن الأول: موافقتها لوجه من أوجه اللغة العربية

لأنها لغة القرآن التى نزل بها، سواء أكان هذا الوجه الذروة العليا من الفصاحة أم كان أَنزل من ذلك، وسواء أكان مجمعًا عليه أَمْ مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح وتواترت قراءتهم بها، إذإن التواتر هو الأصل الأعظم والركن الأقوم.

وقد أجمع الناس على أن اللغة إذا وردت فى القرآن فهي أفصح ما يعبر عن المعانى المقصودة منها، وأقوى فى الحجة مما فى غير القرآن، ويكفى فى القراءة أن تكون صحيحة من ناحية العربية؛ لأن القرآن ليس مجرد نص لغوى كنصوص الأدب والشعر، وإنما هو كتاب نزل للناس كافة بشرائع وأحكام وأوامر ونواهٍ، ووعد ووعيد، نزلت فيه كلمات موافقة لبعض اللغات أو بعض اللهجات وقد يوجد عند النحاة ما هو أفصح منها؛ لأن للنحو مقاييسه التى يقاس عليها.

لكن القراءة نَصٌّ مروى ينبغى أن لا يدفعه قياس نحوى، وإذا ثبتت القراءة صارت أصلاً ترد إليه قواعد اللغة والنحو؛ لأن اللغة أوسع من علمنا بها، والله تعالى قد أحاط بكل شىءٍ علمًا.

وهذا ما اختاره العلماء المحققون: فلا يشترط فى قبول القراءة أن تكون موافقة لأفصح الأوجه من اللغة، ولا أن تكون موافقة لوجه مجمع عليه بين النحاة، بل متى ثبتت القراءة عن الأئمة وجب قبولها، ولو كانت موافقة لوجه لم يبلغ القمة فى الفصاحة، أو لوجه مختلف فيه بين النحاة؛ ولهذا لا يعد إنكار بعض النحاة لقراءة ما قَدْحًا فيها وسببًا فى ردِّها.

قال أبو عمرو الدانى:
"وأئمة القراء لا تعمل على شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة تلزم قبولها والمصير إليها".[1]
وقال صاحب فضلاء البشر:

وليس قول النحويين بحجة إلا عند الإجماع، ومن القراء جماعة من أكابر النحويين كأبى عمرو والكسائى ويعقوب، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم، ثم ولو قُدِّر أن القراء ليس فيهم نحوى فإنهم ناقلون لهذه اللغة وهم مشاركون للنحويين فى نقل اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم، وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى؛ لأنهم ناقلوها عمن ثبتت عصمته عن الغلط فى مثله، ولأن القراءة ثبتت متواترة وما نقله النحويون آحاد.
وقال صاحب مناهل العرفان:

علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما قعَّدوا من قواعد، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه، وإلا كان ذلك عكسًا للآية وإهمالا للأصل فى وجوب الرعاية. انتهى.

الركن الثانى: **موافقة الرسم**

والمقصود أن تكون القراءة موافقة لرسم المصاحف العثمانية، سواء وافقت رسم جميع المصاحف أَو وافقت رسم بعضها، ولو واحدًا منها.

---

[1] انظر الكوكب الدُّرى فى شرح الطيبة للإمام النويرى، وهو أبو القاسم محب الدين محمد بن محمد بن محمد النويرى فقيه عالم بالقراءات وكان ورعًا أبى القضاء. وله تصانيف كثيرة منها: شرح طيبة النشر: فى القراءات العشر لشيخه الحافظ ابن الجزرى و"القول الجاد لمن قرأ بالشاذ" و "شرح الدرة المضية فى القراءات الثلاث" "والغياث" منظومة فى القراءات الثلاث الزائدة على السبع وغيرها.

ولد رحمه الله تعالى فى سنة إحدى وثمانمائة هجرية. وتوفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة رحمه الله تعالى.

مثال الموافقة لرسم جميع المصاحف:
قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة ٢٨١.

فإن كل كلمة من كلمات هذه الآية موافقة رسم جميع المصاحف.

مثال الموافق لرسم بعض المصاحف:
قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، سورة الحديد آية ٢٤.

كتب فى مصحفى المدينة والشام بحذف لفظ ﴿ هُوَ ﴾، وفى بقية المصاحف بإثباته.

مثال الموافقة لمصحف واحد:
قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾، سورة البقرة آية ١١٦.

فقد رسم بحذف الواو الأولى من﴿ وَقَالُوا ﴾ فى مصحف الشام فقط، وفى بقية المصاحف بإثباتها.

فلو كانت القراءة مخالفة لرسم جميع المصاحف العثمانية حكم بشذوذها، ولا تسمى قرآنًا، ويحرم القراءة بها لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

وموافقة رسم المصاحف قسمان:

القسم الأول: الموافقة التحقيقية:

ويقصد بها الموافقة الصريحة، وهى ما طابق المنطوق المرسوم مطابقة تامة.

مثال ذلك:

لفظ: ﴿ مَلِكِ ﴾، ﴿ يُخَادِعُونَ ﴾.

فمن قرأَ بحذف الألف من الكلمتين أى التى بعد الميم من ﴿ مَلِكِ ﴾، والتى بعد الخاء من ﴿ يُخَادِعُونَ ﴾، فقد وافقت قراءته الرسم تحقيقًا؛ لأن رسم الكلمتين فى جميع المصاحف بحذف الألف.

ومثال ذلك أيضًا: الكلمات التى نزلت بأكثر من قراءة وجميعها موافقة لرسم المصحف تحقيقًا بحيث وافق المنطوق المرسوم؛ لأن جميع المصاحف فى بداية الأمر كتبت مجرَّدة من النقط والشكل، والاختلاف بين قراءة وأخرى فى الكلمة الواحدة كان فى النقط والشكل دون تغيير فى صورة الحرف أو ترتيبه فى الكلمة.

وإليك بعض الأمثلة:

كلمة ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾، من قوله تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات آية ٦، نزلت بقراءتين إحداهما المذكورة والثانية (فتثبَّتُوا) بالثاء ثم الباء المشددة ثم التاء المضمومة. كلمة ﴿ يُوقَدُ ﴾،من قوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ ﴾ بالنور آية ٣٥، نزلت بثلاث قراءات إحداها المذكورة، والثانية مثلها ولكن بالتاء بدلا من الياء (تُوقَدُ)، والثالثة بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال مع تشديد القاف (تَوَقَّدَ) على وزن تفعَّلَ.

كلمة ﴿ تَشَقَّقُ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ... ﴾ بالفرقان آية٢٥، نزلت بقراءتين إحداهما المذكورة (بتخفيف الشين)، والثانية بتشديدها (تَشَّقَقُ).

القسم الثانى: الموافقة التقديرية:

وتسمى بالموافقة الاحتمالية أو الموافقة غير الصريحة، وهى الموافقة فى التقدير والاحتمال فحسب. فلا يطابق المنطوق المرسوم، وذلك مثل:

قراءة إثبات الألف فى ﴿ مَٰلِكِ ﴾ ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ وأمثالها.

فالقارئ بالألف لا يجدها مرسومة وإنما يقدر رسمها، ومثل ذلك:

لفظ ﴿ الصِّرَاطَ ﴾و ﴿ المُصَيْطِرُونَ ﴾، والأصل فى الكلمتين السين، ولكنهما كتبا بالصاد فى جميع المصاحف العثمانية، وفى كل منهما ثلاث قراءات:

الأولى بالصاد، والثانية بالسين، والثالثة بإشمام الصاد صوت الزاى.

فالقراءة بالصاد توافق الرسم تحقيقًا، والقراءة بالسين توافق الرسم تقديرًا، والقراءة بإشمام الصاد زايًا توافق الرسم احتمالاً.

وعلَّق الإمام ابن الجزرى على الكلمتين، فقال فى النشر:

"رُسِمَتْ الكلمتان بالصاد، والسين هى الأصل، وذلك لتكون قراءة السين- وإن خالفت الرسم- قد أتت على الأصل، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو رسمت بالسين على الأصل لعدت كل قراءة مخالفة للسين مخالفة للرسم والأصل معًا".

ومن هذا القسم- الموافقة التقديرية- الكلمات التى أجمع القراء على قراءتها بوجه يخالف رسمها فى جميع المصاحف العثمانية مثل: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ﴿جَنَّٰتُ﴾... إلخ. فجميع القراء يقرءون بإثبات الألف، وهى محذوفة فى جميع المصاحف، فحينئذٍ يقال: إن قراءة جميع القراء فى هذه الكلمات توافق الرسم تقديرًا.[1]

ولقد وضع الإمام ابن الجزرى ضابطًا يقاس عليه حقيقة اتباع الرسم ومخالفته، فقال: إن مخالفة الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا تعد مخالفة إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفيضة، فإن الخلاف فى ذلك يغتفر. وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها- حتى ولو كانت حرفًا واحدًا من حروف المعانى- فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته.

والمقصود من قول الإمام:

إن القراءة التى تخالف المصحف تعتبر قرآنًا بشرطين:

١- أن توافق الرسم احتمالاً أو تقديرًا.

٢- أن تتواتر وتستفيض وتشتهر القراءة بها.

ولابد من اجتماع الشرطين معًا.

الركن الثالث: صحة التواتر

والمقصود بالتواتر- بالمعنى العام- هو أن يكون هناك حدث أو خبر فى زمن من الأزمنة وينتقل متتابعًا من جيل إلى جيل، ينقله الكافة أى (الجم الغفير) عن الكافة عن مثلهم وعنهم فعنهم، ومن يصل إليه يجمع على صحته لاستحالة أن يكون كل هؤلاء الرواة قد اتفقوا على الكذب.

---

[1] انظر الكوكب الدُّرى للإمام النويرى. تحقيق محمد الصادق القمحاوى.

ولقد بلغنا كتاب ربنا بهذا التواتر من زمن رسول الله ﷺ وحتى عصرنا هذا، طبقة عن طبقة لا يحصيهم العد، وذلك لأن القراءة سنة متبعة تؤخذ بالتلقى عن الشيوخ المتقنين ولا يخلو زمن من الأزمنة إلا وفيه الكم من أئمة الأداء الذين يتصدَّرون للإقراء وكلهم عرفوا بالأمانة والضبط، يقولون: تلقينا من فلان، عن فلان، وعنه، فعنه، وكل منهم يروى قراءته عن مثله، حتى يتصل السند برسول الله ﷺ .

ولا يكفى فى القرآن صحة السند، وإنما يشترط التواتر، كما قال الإمام النويرى فى شرح الطيبة:

القول بعدم اشتراط صحة التواتر، وأنه يكفى صحة السند، (أى نقل الخاصة، أو نقل العدل الضابط، الواحد، الثقة، وهو ما يعرف بحديث الآحاد) قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء، فلابد من التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة، ولم يخالف منهم أحد، وصرح به جماعة لا يحصون، كابن عبد البر، وابن عقبة، وابن تيمية، وغيرهم، وأمَّا القراء فأجمعوا فى أول الزمان على ذلك، وكذلك فى آخره، ولم يخالف من المتأخرين إلا أبو محمد مكى، ومن تبعه كابن الجزرى.

ويرى العلماء أن قراءة القرآن ليست كالأحاديث النبوية يكفى فيها صحة السند لما بينهما من فروق، منها:

١- أسانيد القراءات، لم تشتهر بين الناس، كشهرتها بالنسبة للحديث؛ لأن الذين يعرفونها هم خاصة الخاصة من المتخصصين دون غيرهم، أمَّا رواة الحديث، فيعرفها الخطباء والدعاة، ويستمع إليها جمهور المسلمين.

٢- لابد من التواتر فى القراءة؛ لأن شرط القراءة، هو: التلقى عن الشيخ المتقن، وعدم الاعتماد على القراءة فى المصحف، أما باقى العلوم الشرعية، ومنها الحديث، فلا يشترط التلقى.

٣- حفظ القرآن، لا يرتبط بحفظ أسانيد القراءة، أما الحديث فلابد من حفظ إسناده.

كما أن كتابى الشاطبية والطيبة، اللذين يقرأ القرآن من طريقيهما، يوجد بهما القراءات المتواترة، دون ذكر الطرق والأسانيد، وكل من يريد تعلم القراءة فما عليه إلا التلقى من كتابى الشاطبية والطيبة، أو الشاطبية والدُّرة، دون الحاجة إلى الأسانيد.

٤- أن البحث فى أسانيد القراءات قد توقف بعد عصر ابن الجزرى، فلا يجوز لأحد أن يذكر قراءة وهى غير موجودة فى كتاب النشر، لانقطاع سندها. أما الحديث الشريف: فالبحث فى أسانيده مستمر، وهناك أحاديث تحتاج إلى معرفة أسانيدها، وبيان صحتها، أو ضعفها، ولذلك نسمع كثيرًا من الخطباء، والدعاة، يذكرون الحديث بالمعنى، دون النَّص، ولم نسمع قارئًا للقرآن يقول بعد قراءته؛ هذه قراءة رويت عن فلان، عن فلان، إلى النبى ﷺ، لإجماع المسلمين على أن ما بين دَفَّتَى المصحف، هو كلام الله المنزل من غير تحريف، أو تبديل، محتملاً للقراءات المتواترة، سواء كان برواية حفص عن عاصم فى بلاد المشرق، أو برواية ورش عن نافع فى بلاد المغرب، أو غيرهما من القراءات.[١]

وكل ذلك بالإضافة إلى: أن مثل هذا الكتاب الذى أنزل هاديًا للخلق، معجزًا على وجه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله لم يقدروا عليه، فما كان حاله كذلك يمتنع ألا يتواتر، إذ الدواعى تتوافر على نقله إلى أن يصير شائعًا مستفيضًا متواترًا.[٢]

ونخلص مما سبق، إلى: أن التواتر، هو الركن الركين من أركان قبول القراءة. والركنان الأولان لازمان له، إذ لا يعقل أن يتحقق التواتر إلا مع موافقة القراءة لوجه من أوجه اللغة العربية، ولرسم أحد المصاحف العثمانية، وإن فُقد شرط التواتر فهي قراءة أحادية لم تشتهر، فلا يقرأ بها.

وتنقسم القراءات من جهة قبولها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القراءات المقبولة، وهى:

التى اجتمع فيها الأركان الثلاثة المذكورة آنفًا.

وهى القراءات العشر، فالذى تحرَّر من كلام أهل العلم أنها جميعًا متواترة برواتها المشهورين، بخلاف من قال إن المتواتر القراءات السبع فقط وإن القراءات الثلاث المتممة للعشر مختلف فيها، والجمهور على أن التواتر يشمل العشر وهو الذى تلقيناه من عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم.

---

[١] انظر الفتح الرحمانى للشيخ عبد الرزاق موسى.

[٢] انظر القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد محمد سالم بازمول.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

"والذى وصل إلينا متواترًا صحيحًا مقطوعًا به مجمعًا عليه غير منازع فيه متلقى بالقبول هو قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا هو الذى تحرر من أقوال العلماء وعليه المسلمون اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها."

ولا يتوهم أحد أن نسبة القراءة إلى قارئها يجعلها أحادية؛ لأن كل قراءة نسبت إلى قارئ من القراء العشرة كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها فى هذا الزمان وأضعافهم[1].

القسم الثانى: القراءات المردودة الباطلة، وهى:

التى لم يصح سندها، أو لا سند لها، سواء وافقت الرسم أَو لم توافقه، وهذه لا تسمى قراءة إلا تجاوزًا.

القسم الثالث: القراءات المتوقف فيها والتى اصطلح على تسميتها بالشاذة، وهى:

القراءة التى صح سندها وفقدت شرط التواتر بسبب مخالفتها لرسم المصاحف العثمانية، وسميت بالشاذة لخروجها عن خط المصاحف المجمع عليه.

وقال العلماء:

القراءة التى صح سندها ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية وخالفت العربية ضمن هذا القسم أيضًا، وهى لا تصدر إلا على وجه السهو، وهذا قليل جدًّا، بل تكاد تنعدم.

ولذلك اتفق العلماء على أن القراءة الشاذة هى:

كل ما صح نقله عن الآحاد لصحة السند وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصاحف العثمانية. وهذه القراءة لا تقبل ولا يقرأ بها لعلتين:

إحداهما: أنها لم تؤخذ بإجماع إنما أخذت بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

الثانية: أنها مخالفة لما قد أُجمع عليه فلا يقطع بصحتها، وما لم يقطع بصحته فلا تجوز القراءة به.

---

[1] انظر القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد/ محمد سالم بازمول.

واتفق الجمهور على أن القراءات الشاذة أربع، هى:
قراءة محمد بن عبد الرحمن بن محيصن.
وقراءة أبى محمد يحيى بن المبارك المعروف باليزيدى.
وقراءة أبى سعيد الحسن بن يسار البصرى الإمام المعروف.
وقراءة أبى محمد سليمان بن مهران الأعمش.
والأئمة الأربعة عدول مشهود لهم بالضبط وشذت قراءتهم لفقدها شرط التواتر بسبب مخالفتها للرسم العثمانى، المجمع عليه.

والسبب فى ذلك: أنه عندما نسخت المصاحف فى عهد عثمان ﷺ وأرسلت إلى الأمصار، أمر عثمان الناس أن يتركوا كل قراءة تخالف رسم مصحفهم، ورأى البعض ومنهم الأئمة الأربعة أن هذا الأمر ليس ملزمًا فاستمروا على قراءتهم التى كانوا عليها من قبل إرسال المصاحف، ثم لما ذهبوا لم يتناقلها الناس من بعدهم لمخالفتها خط مصاحفهم، ففقدت التواتر.

تنبيهات:

هذا التقسيم يدلل على أن أى قراءة لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنًا إلا إذا كانت ركيزتها التواتر الناتج عن تتابع التلقى والسماع، وإن القراءات السبع، وكذا الثلاث المتممة للعشر، متواترة اتفاقًا، والأربع بعدها شاذة اتفاقًا.

ومن هنا نعلم: لماذا اقتصرت القراءات على عشر،على الرغم من أن أول إمام معتبر بجمع القراءات فى كتاب، هو: أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤هجرية، جمع خمسًا وعشرين قراءة، ولكن لم يتواتر منها إلا عشر.

أول من أشاروا إلى أركان القراءة الصحيحة،فى مؤلفاتهم:الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠، ثم مكى بن أبى طالب القيسى، المتوفى سنة ٤٣٧، ثم أبو عمرو الدانى، المتوفى سنة ٤٤٤، ثم الإمام ابن الجزرى، المتوفى سنة ٨٣٣.

وقال ابن الجزرى فى منظومته، طيبة النشر:

فكلمَا وافقَ وَجْهَ نحْوى	وكان للرَّسْمِ احتمالا يَحْوِى
وصَحَّ إسنادًا هو القرانَ	فهذه الثلاثة الأركانَ
وحيثما يَختل ركنٌ فاثبتِ	شَذوذهَ لوْ انهَ فى السّبْعَةِ

وقوله (وصح إسنادًا): علَّق عليه العلماء وأئمة الأداء، بأن صحة السند لا تكفى لقبول القراءة، وأنه يلزم التواتر، ويقال إن الإمام ابن الجزرى قد رجع بعد ذلك عن هذا القول.

وقوله (لو أنَّه فى السبعة): مبالغة فى اعتبار الشروط والأركان، والمقصود أنَّه ليس فى القراءات السبع قراءة شاذة، ولكن؛ لو اختل ركن من الأركان الثلاثة فى قراءة، فالحكم بشذوذها، حتى ولو كانت من السبع.

(تعليق على الخطأ الذى يوجد فى بعض الكتب من أن سبب اختلاف القراءات خُلَو رسم المصحف من النقط والحركات، فكان كل قارئ يقرأ بما يحتمله الرسم دون تلقٍّ أو رواية).

وهذا مما دسَّه بعض المستشرقين، وانخدع به بعض الباحثين، فصاغوا تلك المقولة فى كتبهم، غير منتبهين إلى أن الأصل فى القراءة إنما هو التلقى، والنقل، من النبى ﷺ، ثم الصحابة ثم من بعدهم، إلى زماننا وحتى تقوم الساعة. وأن القرآن لا يؤخذ عن المُصْحَفيِّين الذين أخذوا القرآن من المصحف، ولم يعرضوه على الشيوخ.

وسبب هذه الشبهة التى دسَّها المستشرقون، أنهم: أقاموا هذا الرأى على توهم أن الأمة الإسلامية قد اعتمدت فى أخذ كتابها على مثل ما اعتمد عليه غيرها من الأمم من النقل من الصحف المكتوبة، والقراءة من الخط المرسوم، فحسب، فلذلك- وبسبب تجرد الخط فى أول الأمر من الشكل والنقط- وقعت فى التحريف، حيث قرأها كلٌّ بحسب ما اتفق له من الفهم، وما رآه من صحة المعنى وَحَسَّنَه فى نفسه، فوقعوا بسبب ذلك فى اختلاف الألفاظ.[1]

---

[1] القراءات وأثرها فى تفسير الأحكام إعداد محمد سالم بازْمُول.

والدليل على بطلان تلك المقولة، أنه: لو كان خُلُو المصاحف من الشكل، والنقط، سببًا فى تنوع القراءات واختلافها، لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف، صحيحة معتبرة، والواقع ليس كذلك، فالمتفق عليه بين علماء الأمة، أن: هناك ألفاظًا توافق رسم المصحف تحقيقًا ولا يعتدُّ بها وتحرم القراءة بها، لفقدها شرط التواتر، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى فى سورة الفاتحة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، فمن قرأ بكسر دال (الحمد) اتباعاً لكسر اللام الجارة حَرُمَ عليه، على الرغم من عدم تأثير ذلك على المعنى. فالمتفق عليه: أن كل قراءة بغير رفع دال ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾، شاذة، يحرم القراءة بها.

وقال الإمام الزَّجاج، وهو من علماء اللغة: "فأمَّا القرآن فلا يقرأ فيه ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ إلا بالرفع؛ لأن السنة تُتَّبع فى القرآن، ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة، التى قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة، والرفع هى القراءة."

ومعنى قوله (السُّنة تُتَّبع فى القرآن): أنه لا يجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به النبىﷺ، والصحابة، ومن بعدهم.

ومن الأمثلة أيضًا: قراءة ﴿ مَٰلِكِ ﴾، بفتح الكاف لمناسبتها الكاف من﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

وقراءة ﴿ نَعْبُدُ ﴾، بالبناء للمفعول (يُعْبدُ). وقراءة ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ بكسر النون.

وقراءة ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾، بالصاد فى الكلمتين، ومعناها: القبض بأطراف الأصابع. وكل ذلك ومثله متفق على شذوذه مع كونه يوافق الرسم تحقيقًا، لفقده شرط صحة التواتر.

وصدق قول من قال: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء). ولذلك عند نسخ المصاحف فى عهد عثمان، نجد أنَّ الكلمات التى نزلت بزيادة أو نقص لا يحتمله الرسم فُرِّقت على المصاحف، فجاءت بعض الكلمات مثبتة فى بعض المصاحف ومحذوفة فى بعضها؛ لكى تحتفظ بها الأمة كما نزلت من عند الله تعالى، وعلى

ما سمعت من رسول الله ﷺ، ولذلك اختلف المرسوم فى مصاحف أهل الأمصار فى تلك الكلمات.

حكم القراءات الشاذة

هل يقطع بقرآنيتها؟

قال العلماء: هذه القراءة نتوقف فيها ولا نحكم بقول الأفراد على العموم، فلا نقطع بقرآنيتها كما أننا لا نلغيها تمامًا بل نستفيد منها فى التفسير واللغة.

وجمهور العلماء على ذلك، إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به فى النفى والإثبات قطعيًا.[١]

وقال الشيخ عبد الفتاح القاضى[٢] رحمه الله فى كتابه (القراءات الشاذة)، ما نصه: والقراءات الأربع الشاذة التى انفرد بنقلها الأئمة الأربعة ابن محيصن واليزيدى والبصرى والأعمش، أو أحدهم أو راوٍ من رواتهم، لا تجوز القراءة بها مطلقًا على رأى الجمهور ولو وافقت العربية والرسم، لأنها لم تنقل بطريق التواتر.

ويجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها فى الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية، وفتاوى العلماء قديمًا وحديثًا مطبقة على ذلك، والله تعالى أعلم. انتهى.

والخلاصة:

أن القراءة الشاذة التى صح سندها تعامل معاملة الحديث الصحيح فتستخدم فى تفسير القراءة المتواترة.

---

[١] القراءات وأثرها فى التفسير والأحكام إعداد محمد سالم بازْمُول.

[٢] هو عبد الفتاح بن عبد الغنى بن محمد القاضى المولود فى مدينة دمنهور بجمهورية مصر العربية عالم مصرى مبرز فى القراءات وعلومها وفى العلوم الشرعية والعربية. له مصنفات غاية فى الإجادة تزيد عن العشرين فى علوم القراءات وغيرها من العلوم الشرعية. منها: كتاب الوافى شرح على الشاطبية فى القراءات السبع. وكتاب الإيضاح شرح على الدرة فى القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر .وكتاب البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة من طريقى الشاطبية والدرة. توفى رحمة الله عليه عام ١٤٠٣ هجرية عن ثمان وسبعين سنة.

ومن أمثلة ذلك:

قولــه تعــالى: ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ بالقارعـة أيـة ٥، جـاء فـى قـراءة آحاديـة (كالصوف المنفوش)، فبيَّنت أن معنى العهن هو الصوف.

ومثل قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾، سورة البقرة:٢٣٨.

جاءت فى قراءة آحادية (الصلاة الوسطى صلاة العصر)، فبيَّنت أن المقصود بالصلاة الوسطى هى صلاة العصر.

هل يجوز الصلاة بالقراءة الشاذة؟

قال الإمام ابن الجزرى:

هذه القراءات التى تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحًا، فلا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة، ولا فى غيرها.

وجاء فى كتاب القراءات وأثرها فى التفسير والأحكام إعداد محمد سالم بازمُول ما نصه: اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم القراءة فى الصلاة بالشاذ فأجازها بعضهم؛ لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بهذه الحروف فى الصلاة وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعى وأبى حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد.

وأكثر العلماء على عدم الجواز؛ لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبى ﷺ وإن ثبتت بالنقل فإنَّها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى، أو أنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة. انتهى.

وتوسط بعضهم فقال: إن قرأ بها فى القراءة الواجبة- وهى الفاتحة عند القدرة عليها- لم تصح صلاته؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أتى فى الصلاة بمبطل؛ لجواز أن يكون ذلك من الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن، وهذا اختيار مجد الدين بن تيمية رحمه الله.

*　　　*　　　*

(الفصل الثالث)

مــراتب القـــراءة

ويقصد بها: كيفية القراءة من ناحية السرعة والبطء. وهى ثلاث مراتب:

التحقيق– التدوير– الحدر.

كما قال الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

ويقـرأ القـرآنُ بـالتحقيق مَـعْ حَـــدْرٍ وَتْـــدويرٍ وكـــلٌ مُتَّبَـــعْ

أولاً: مرتبة التحقيق:

التحقيق لغةً: المبالغة فى الإتيان بالشىء على حقه، من غير زيادة فيه، ولا نقص، فهو بلوغ حقيقة الشىء، والوقوف على ماهيته.

اصطلاحًا: إعطاء كل حرف حقه، مع توفية المد، والغنات، وتحقيق الحروف، وبيانها، وتفكيكها، وإتمام الحركات، مع التُؤَدة، والطمأنينة، من غير تجاوز إلى حد الإفراط بتمطيط الحركات، وتحريك الساكن، وتكرير الراءات، وزيادة المدود، والغنات، إلى غير ذلك.

ومرتبة التحقيق، مذهب حمزة، وورش، وكل من روى عنه مد المنفصل إلى حد الإشباع.

وهى أنسب مراتب القراءة للمتعلم، لأنها تمكن المعلم من أن يقف على حقيقة نطق تلميذه لكل حرف، وكيفية تطبيقه لكل حكم، والإحساس بأدنى خطأ، فيسهل على المعلم توجيهه، وتصويب أخطائه، أولاً بأول.

ثانياً: مرتبة الحدر:

الحدر لغةً: مصدر(حَدَرَ) بالفتح،(يحدُر)، بالضم، إذا أسرع، فهو من (الحُدُور)، الذى هو: الهبوط؛ لأن الإسراع، من لوازمه، بخلاف الصعود.

اصطلاحًا: إدراج القراءة وسرعتها مع: مراعاة عدم بتر الحروف، وذهاب الغنن، وقصر ما لا يصح قصره من الممدود، واختلاس بعض الحركات، إلى غير ذلك من التفريط المخل الذى لا تصلح به القراءة، ولا تصح معه التلاوة.

ومرتبة الحدر: مذهب ابن كثير، وأبى عمرو، وأبى جعفر، ويعقوب، وكل من روى عنه قصر المنفصل.

ومرتبة الحدْر، لا تناسب إلا الماهر المتقن، الذى قضى سنين من عمره فى التدريب على القراءة الصحيحة بمرتبة التحقيق، ثم بمرتبة التدوير، ثم تدريجياً، ومع شدة المهارة، استطاع أن يتقن– فى سرعة وحدْر– ما كان لا يتقنه إلا فى بطء، وتحقيق، أو تدْوير.

ثالثًا: **مرتبة التدوير**:

التدوير لغةً: التوسط بين الأمرين.

اصطلاحًا: القراءة فى سرعة متوسطة بين مرتبتى التحقيق والحدْر؛ فهو أسرع من التحقيق، وأبطأ من الحدْر.

وهو مذهب كل من روى عنه عدم مد المنفصل، إلى حد الإشباع.

وهو اختيار أكثر أهل الأداء، وأنسب المراتب للعبادة لجمعه بين فضيلتين: فضيلة القراءة بطمأنينة وتدبر، وفضيلة حوز الحسنات لكثرة التلاوة.

تنبيــهان:

التنبيه الأول: السرعات الثلاث جائزة عند كل الأئمة، فيمكن لمن يمد إلى درجة الإشباع، أن يقرأ بمرتبة الحدر أو التدوير،. ويمكن لمن يقصر، أن يقرأ بمرتبة التحقيق أو التدوير، ويمكن لمن يتوسط بين الإشباع والقصر، أن يقرأ بمرتبة التحقيق، أو الحدْر. وكل ذلك مشروط بتوافر التناسق والانسجام بين أزمنة الحروف، داخل المرتبة الواحدة.

وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى:

.... وكلٌ متَّبَعْ

التنبيه الثانى: الترتيل: لفظ يعم المراتب الثلاث.

الترتيل لغةً: مصدر (رَتَّلَ) فيُقال: رتَّلَ فلان كلامه، إذا أتبع بعضه بعضًا على مُكْثٍ، والاسم منه (الرَّتْل)، والعرب تقول: ثَغْرٌ رَتَلٌ، إذا كان مفرقًا لم يركب بعضه بعضًا، ويقال: ثغرٌ مُرَتَّل: مُنَضَّد مستوى الأسنان. ورتَّل الكلام: أحسن تأليفه وجوَّد تلاوته[1].

---

[1] انظر المعجم الوسيط مادة (رتل).

قال صاحب العين: رَتَّلْتُ الكلام تمهلت فيه. وقال الأصمعىّ: فى الأسنان الرتَلُ، وهو أن يكون بين الأسنان الفُرَجُ، لا يركب بعضها بعضًا.[1]

اصطلاحًا: الترسل فى القراءة، وقال علماؤنا: أى تَرَسَّلْ فيه ترسلاً، وانبذه حرفًا حرفًا، وافصل الحرف عن الذى بعده لا تستعجل، فتدخل بعض الحروف فى بعض، مع إعطاء الحروف حقها من الصفات والمخارج، ومراعاة أحكام التجويد، مع مراعاة مواضع الوقوف لبيان المعانى وتدبرها، وهذا معنى قول الإمام على ﷺ عندما سُئِل عن معنى قوله تعالى:

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾.

قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

وهذا الأمر مطلوب فى المراتب الثلاث، فالذى يقرأ بالتحقيق أو التدوير، أو الحدْر لا تعتبر قراءته قراءة إلا بالترتيل، فلابد له منه.

فكل مرتبة من المراتب الثلاث نوع من الترتيل، وليس للترتيل مرتبة برأسه.

وقد اختلف فى الأفضل:

هل القراءة بمرتبة التحقيق مع قلة القراءة ؟، أو القراءة بمرتبة الحدر مع كثرة القراءة؟ .

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءة بالحدْر أفضل لكثرة القراءة، واحتجوا بحديث ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ: مَنْ قَرَأَ حَرْفًا منْ كتابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها.. الحديث.

وذكروا آثارًا عن كثير من السلف فى كثرة القراءة.

وقال آخرون:

المقصود من القراءة فهم معانى القرآن، وتدبرها، والتفقه فيها، والعمل بمقتضاها، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى فهم معانيه والعمل بها. فالتدبُّر مع قلة القراءة أفضل من كثرتها بدونه؛ ولذلك كان كثير من السلف يردد الآية الواحدة إلى الصباح كما فعل النبى ﷺ .

---

[1] انظر التمهيد للإمام ابن الجزرى.

وروى عن محمد بن كعب القرظى رحمة الله عليه، أنه قال: لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر، أحبُّ إلىَّ من أن أهز القرآن هزًّا أو قال: أنثره نثرا.

وروى عن عمر ﷺ أنه قال: شر السير الحَقْحَقَة (أى السير فى أول الليل)، وشر القراءة الهَذْرَمَةْ،(أى السرعة فيها).

والهَزْهَزَة، والهَذْرَمَة، والهَدْرجَة، والزَّمْزَمَة، أربعة ألفاظ تعنى جميعها القراءة السريعة بدرجة أسرع من الحدْر، فلا يمكن معها تجويد الحروف أو تحصيل المعانى. وكلها لا يجوز القراءة بها.

ونخلص مما سبق إلى أن:

أعظم المراتب الثلاث مرتبة التحقيق، ثم يليها مرتبة التدوير، ثم مرتبة الحدْر، وذلك لأن القراءة باطمئنان وتؤدة أقرب إلى التدبُّر وتحقيق التوقير والاحترام، وأشد تأثيرًا فى القلب من السرعة والاستعجال، وثواب قلة القراءة مع التدبر أجل وأرفع قدرًا.

أمَّا ثواب كثرة القراءة مع قلة التدبر فأكثر عددًا، فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة نفيسة جدًّا، والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم أو المعادن الرخيصة.[1]

*****

---

(1) من نهاية القول المفيد بتصرف.

الباب الثانى

ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

مبادئ علم التجويد العشرة.

الفصل الثانى:

اللحن.

الفصل الثالث:

الاستعاذة والبسملة والتكبير.

(الفصل الأول)

مبادئ علم التجويد

ينبغى لكل من شرع فى فن من الفنون- أى فى علم من العلوم- أن يتعرف على مبادئه العشرة المشهورة التى نظمها بعض أهل العلم، فقالوا:

إنَّ مـبادئَ كُلِّ فَنٍّ عَشَـــــرةْ	الحدُّ والموضوعُ ثُمَّ الثمَـــــرةْ
فضلُهُ ونسِبَتهُ والواضــــــــعِ	والإِسْمُ الاستمدادُ حُكمُ الشارع
مَسَائلهُ والبعضُ بالبعضِ اكتفى	وَمَنْ دَرَى الجميعَ حازَ الشَّرَفَا

مبادئ علم التجويد العشرة:

المبدأ الأول: **حدّه**: **أى** (**تعريفه أو حقيقته**)

لغة: التحسين، يقال جوَّد الرجل الشىء إذا أتى به جيدًا حسنًا، ويستوى فى ذلك القول والفعل.

واصطلاحًا: ينقسم التجويد إلى قسمين:

قسم عملى أو تطبيقى.

وقسم علمى أو نظرى.

أولاً: **القسم العملى أو التطبيقى**:

تعريفه:

هو إعطاء كل حرف (حقه) أى من كل صفة لازمة له، (ومستحَقه) - بفتح الحاء- مما ينشأ عن تلك الصفات، مع بلوغ الغاية والنهاية فى إتقان الحروف وخلوها من الزيادة والنقص بالإدمان فى تحرى ضبط مخارجها وبيان صفاتها حتى يصير ذلك للقارئ طبعًا وسجية، سواء فى حالة انفرادها أو تركيبها مع غيرها.

وعرَّف الإمام ابن الجزرى التجويد العملى بقوله:

وَهْوَ أيضـًا حلْيَةُ التلاَوَةِ	وَزِينَـةُ الأَدَاءِ والقَـراءَةِ
وَهْوَ إِعْطَاءُ الحروفِ حَقَّها	مِن صِفَةٍ لها ومُسْتَحَقَّها

ومعنى (حلية التلاوة)، أى أن قراءة القرآن بالكيفية التى نزل بها تكسب ألفاظه زينة وجمالاً.

الفرق بين الأداء والقراءة:

الأداء : الأخذ عن الشيوخ والتلقى بين يدى الأستاذ والمعلم.

القراءة: تلاوة القرآن متتابعة فى الأوراد والصلاة.

حق الحرف ومستحقه:

حق الحرف: صفته الذاتية التى لا تقوم ذات الحرف بدونها.

مستحقه : ما ينشأ عن تلك الصفات الذاتية، أو بمعنى آخر (الثمرة العملية) للصفة الذاتية.

فمثلاً:

صفة الاستعلاء (حق الحرف)، مستحقها التفخيم، أى سمن صوت الحرف وامتلاء الفم به.

وصفة الاستفال (حق الحرف)، مستحقها الترقيق، أى نُحول صوت الحرف وعدم امتلاء الفم به، وهكذا...

ولقد بيَّن الإمام ابن الجزرى السبيل إلى تحويل معنى التجويد العملى إلى حقيقة عملية بقوله:

وَرَدُّ كُلِّ واحدٍ لأَصْلِهِ ....

والمعنى: إخراج كل حرف من مخرجه الأصلى الذى عُرِف به أو حيزه المميز له.

.... واللَّفْظُ فِى نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

والمراد بالنظير الشبيه.

والمعنى: من التجويد أن يتلفظ القارئ فى اللفظ الثانى مثل ما يتلفظ بمثله أولاً، فإذا أتى حرف مرقق ثم أتى مثله فيلفظ بالحرفين بكيفية واحدة، وكذا إذا أتى حرف مفخم ثم أتى مثله فيلفظ بالحرفين بكيفية واحدة، وهكذا حتى تكون قراءته متناسقة والحروف المتماثلة على المساواة.

مُكَمَّلاً مِنْ غَيْرِ ما تَكَلُّفِ بِاللُطْفِ فى النُّطْقِ بلا تَعَسُّفِ

أى مجتهدًا فى إعطاء الحرف حقه مكتمل الصفات، على أن يكون أداؤه من دون إفراط أو مبالغة حتى لا يقع فى التعسف المكروه، فإن القراءة لها ميزان إن خرجت عنه فقدت رونقها وجمالها.

وقيل: القراءة بمنزلة البياض إن قل صار سمرة، وإن كثر صار برصًا، وما فوق الجعودة فهو القطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة.

معنى الجُعودة: يقال جَعُدَ الشعر جعودة إذا كان فيه التواء وتكسر فهو خلاف المسترسل، وشعرٌ قَطٌّ وقَطَطٌ إذا كان شديد الجعودة مع القصر.

ثم ختم الإمام ابن الجزرى كلامه عن معنى التجويد العملى بقوله:

وَلَيْسَ بَينهُ وَبينَ تَركِهِ إلاَّ رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِّهِ

والمعنى: لا فرق بين التجويد وعدمه إلا مداومة المرءِ على تكرار التدريب على النطق الصحيح والسماع من ألفاظ المشايخ الحُذَّاقِ، لا مجرد الاقتصار على النقل من الكتب.

ومعنى بفكه: أى بلسانه ونطقه.

كما قال فى النشر:

(ولا أعلم سببًا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن).

وجاء فى هداية القارى:

لا يكفى مجرد العلم بقواعد التجويد من الكتب، بل لابد من الرجوع إلى الشيوخ المتقنين الآخذين ذلك من أمثالهم المتصل سندهم برسول الله والأخذ عنهم والسماع من أفواههم المرة تلو المرة حتى يكون القارئ سليم النطق حسن الأداء، أمَّا من اقتصر على الأخذ من الكتب وترك الرجوع إلى الشيوخ فإنه يعجز لا محالة عن الأداء الصحيح ويقع فى التحريف الصريح الذى لا تصح به القراءة ولا توصف به التلاوة ولله در القائل:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عن شيخٍ مُشَافهةً يَكُنْ عنِ الزَّيغ والتَّصحِيفِ فى حَرَمِ

ومن يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْم منْ صُحُفٍ فَعِلْمُهُ عنْدَ أَهلِ الْعِلْمِ كالْعَدَمِ

والسبب فى لزوم المشافهة والسماع: أن من الأحكام ما لا يحكمه إلا المشافهة والتوقيف، مثل:

الروم- الاختلاس- الإشمام- الإخفاء- التسهيل- النقل- الإمالة- الفتح، وغيرها من الأحكام التى نجدها فى كتب التجويد ويستحيل معرفتها إلا بالتلقى والسماع ممن أتقنها وتعلمها من شيخه.

كما لا يكفى الاعتماد على سماع الشريط المسجل كمعلم؛ لأنك تردد خلف القارئ ولا تعلم هل قلت مثله أم لا؟ وهل أتقنت تقليده أم أخطأت؟ فلابد من أن تسمع من شيخ حاضر ويسمع منك حتى يصحح لك ما تكون قد أخطأت فيه حتى تصل بتلاوتك إلى الإتقان.

(الأحكام التى يجب علينا معرفتها وتعلمها قبل أن نشرع فى قراءة كلام الله أو حفظه)

قال الإمام ابن الجزرى فى المقدمة:

إِذْ وَاجِبٌ عليهِمُ مُحَتَّمُ	**قَبْلَ الشُّرُوعِ أولاً أن يَعْلَمُوا**
مَخَارِجَ الحُرُوفِ والصِّفَاتِ	**ليلفظوا[1] بأفْصَحِ[2] اللُّغَاتِ**
مُحَرِّرِى التَّجْوِيدِ وَالْمَوَاقِفِ	**وَمَا الذى رُسِمَ فى المصَاحِفِ**
مِنْ كُلِّ مقْطُوعٍ وَمَوْصُولٍ بِها	**وَتَاءِ أُنْثَى لَمْ تَكُنْ تُكْتَبْ بِهَا**

والمعنى: يجب وجوبًا محتمًا على كل من يريد قراءة القرآن أو حفظه أن يشرع أولاً فى:

تعلم مخارج الحروف والصفات حتى ينطق بالحرف العربى الفصيح الذى نزل القرآن به؛ لأن الله سبحانه قد جعل كلماته قوالب لمعانٍ مقصودة، فإن اختل حرف من الكلمة اختل معناها، وعليه أن يحسن أداء الحرف حال التركيب مع غيره كما يحسنه حال الانفراد، لأَنّه عند تركيب الحرف مع غيره تنشأ أحكام الترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والمد والقصر، وكذلك علاقة التماثل والتجانس والتقارب

---

[1] وفى نسخة (لينطقوا) والفرق بين النطق واللفظ أن النطق يشمل الحروف الهجائية بخلاف اللفظ فإنه موضوع للمركب كما يشير قوله تعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ (انظر المنح الفكرية).

[2] أفصح اللغات: المراد أفصح اللغات مطلقًا أو أفصح من لغات سائر العرب والمراد به لغة قريش وهم قومه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ (انظر المنح الفكرية).

والتباعد، إلى غير ذلك من الأحكام التى يجب عليه أن يأخذها بالتلقى من محررى التجويد، أى المدققين والمحققين المشهورين بتحرى الدقة فى تجويد حروف القرآن منفردة ومركبة، وتجويد ما ينشأ من أحكام.

١- تعلم كيف يراعى مواضع الوقف التى يحسن الوقف عليها، ومواضع الابتداء التى يحسن الابتداء بها، وبذلك يتحصل له المقصود من التلاوة وهو تدبر معانى كلام الله.

٢- تعلم كيف يتبع رسم الكلمة فى المصحف فينتبه إلى:

أ- كل كلمتين رسمت إحداهما موصولة بالأخرى أو مقطوعة عنها إذا اضطر للوقف على إحداهما لا يقف على الموصولة إلا بالوصل، ففى نحو: ﴿أَنلَّا﴾ و ﴿ألاَّ﴾ اذا إضطر للوقف على ﴿أَلَّا﴾ لا يجوز له فصلها بل يقف على الكلمة بكاملها.

ب- أن ينتبه إلى الكلمات التى آخرها تاء تأنيث رسمت بالتاء بما يخالف ما اعتدنا عليه فى الإملاء العادى، نحو: ﴿سُنَّتَ﴾ ﴿بَقِيَّتُ﴾.
حتى إذا اضطر للوقف على كلمة منها فعليه أن يقف بالتاء اتباعًا للرسم ولا يقف بالهاء إلا برواية، أمَّا الكلمات التى رسمت بالهاء نحو:
﴿جَنَّةٍ﴾ ﴿نِعْمَةٍ﴾ فالوقف عليها بالهاء إجماعًا.

والقرآن كما هو معجز فى لفظه فهو معجز فى رسمه، فنحن مأمورون باتباع رسم كلماته كما رسمت بين يدى رسول الله بلا تحريف ولا تبديل، ولا يجوز مخالفة الرسم إلا برواية متواترة متصل سندها بقراءة النبى ﷺ .

ونخلص مما سبق إلى أن تجويد القرآن يحتاج إلى:

١- معرفة مخارج الحروف وصفاتها.
٢- معرفة ما يتجدد للحرف من أحكام بسبب التركيب.
٣- معرفة الوقف والابتداء.
٤- معرفة رسم الكلمات فى المصحف.
٥- التلقى من أفواه الشيوخ المتقنين.
٦- ولا يكون لما سبق ثمرة إلا برياضة لسان القارئ وكثرة التكرار.

ثانياً: **القسم العلمى أو النظرى**:

ويقصد به: أبواب علم التجويد ومسائله المستمدة من الكتب المعتمدة لأَئِمة الأداء الذين صاغوا التلاوة المتلقاة فى قواعد وأحكام، سواء فى صورة كلمات منثورة أو قصائد منظومة حرصًا منهم على القرآن الكريم من التحريف وخوفًا من أن يفسد اللفظ القرآنى الفصيح بعد أن اختلط العرب بالعجم بعد انتشار الإسلام؛ فكانوا سببًا من أسباب حفظ الله لكتابه على مر العصور.

ولا يستغنى القارئ المجوِّد عن القسمين معًا (التطبيقى والنظرى)، فتلاوة القرآن مبنية على أمرين: قاعدة نظرية لابد من إدراكها، وتطبيق عملى هو ثمرة تلك القاعدة.

المبدأ الثانى من مبادئ علم التجويد العشرة (حكمه)

أولاً: **حكم القسم العملى أوالتطبيقى**:

هو الوجوب العينى على كل مكلف مسلم أو مسلمة يقرأ القرآن نظرًا أو يحفظه عن ظهر قلب، ولو كان الذى يقرَؤه أو يحفظه آية أو بعض آية.

وإلى ذلك يشير الإمام ابن الجزرى بقوله:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لاَزِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ[1] الْقُرْآنَ آثِمُ

لأَنَّهُ بِهِ الإلـهُ أَنْــزَلاَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَــلاَ

وقال بعض شراح الجزرية فى معنى قوله " من لم يجوّد القرآن آثم".

أى معاقب على ترك التجويد كذاب على الله ورسوله داخل فى حيز قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ الزمر: ٦٠، وقوله عليه الصلاة والسلام: "من كذب علىّ عامدًا أو متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار". والأحاديث والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة، وقد أفتى الإمام أبو الخير محمد بن الجزرى بأن من استأجر شخصًا ليقرئه القرآن أو ليقرأ له ختمة فأقرأه القرآن أو قرأ له الختمة بغير

[1] وفى طبعة أخرى (من لم يصحح القرآن آثم).

تجويد لا يستحق الأجرة، ومن حلف أن القرآن بغير تجويد ليس قرآنا لم يحنث[1].

ولقد قال بعضهم فى ذلك شعرًا، هذا نصه:

يــا ســائلاً تجويــدَ ذا القــرآنِ ... فَخُـذْ- هُـدِيتَ- عَـنْ أُولـى الإتقـانِ

تجويــدُهُ فــرضٌ كمــا الصــلاةُ ... جــاءتْ بِــهِ الأَخْبَــارُ والآيــاتُ

وَجاحــدُ التَّجْويــدِ فهْــوَ كــافرُ ... فَــدَعْ هــواه إنَّــهُ الخاسِــرُ

وَغَيــرُ جاحــدِ الوجــوبِ حُكمُــهُ ... مُعَــذَّبٌ ويَعْــدَ ذاك أنــه

يُــؤْتَى بِــهِ لِروْضَــةِ الجنَّــاتِ ... كَغَيْــرِهِ مِــنْ سَــائِرِ العُصَــاةِ

إِذِ الصَّــلاةُ مِــنْهُمُ لا تُقْبَــلُ ... ولعنــةُ المــولى عليــهِ تَنَــزَّلُ

لأنهــم كتــابَ رَبِّــى حَرَّفُــوا ... وعــن طريــق الحــقِّ زاغُــوا فــانْتَفوا

ولهذا الحكم أدلة من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أما الدليل من الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، أى اتله على تؤدة وطمأنينة وخشوع وتدبر مع مراعاة قواعد التجويد من مد الممدود، وقصر المقصور، وإظهار المظهر، وإدغام المدغم، وإخفاء المخفى، إلى غير ذلك مما سيأتى مبسوطًا فى مواضعه. وقد أخبر غير واحد من أئمتنا أنه صح عن سيدنا على بن أبى طالب ﷺ أنه قال فى معنى قوله تعالى:﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ "الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف".

وإذا تأملنا فى الآية الكريمة نجد أن الله تبارك وتعالى لم يقتصر على الأمر بالفعل فى قوله عز شأنه:﴿وَرَتِّلِ﴾ بل أكده بمصدر مؤكد للأمر وهو قوله سبحانه: ﴿تَرْتِيلًا﴾ وهذا مما يفيد الاهتمام بشأنه والترغيب فى ثوابه والعمل به.

هذا: والأمر فى هذه الآية للوجوب- كما هو الأصل فى الأمر- إلا أن تكون قرينة تصرفه عن هذا الوجوب إلى غيره من المعانى كالندب أو الإباحة أو التهديد...إلخ، ولا قرينة هنا تصرفه عن الوجوب إلى غيره مما ذكر ونحوه فبقى على الأصل وهو الوجوب.

---

[1] انظر نهاية القول المفيد.

وما الأمر بالترتيل هنا إلا لأن الترتيل صفة تَكَلُّم الله بالقرآن كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ وناهيك بهذا شرفًا وجلالاً[1].

أما الدليل من السنة: فهناك أدلة كثيرة منها ما خرجه الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور وعزاه للطبرانى فى الأوسط وابن مردويه وسعيد ابن منصور من حديث موسى بن يزيد الكندى ﷺ قال: "كان ابن مسعود ﷺ يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل:"إنما الصدقات للفقراء والمساكين" مرسلة، فقال ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها النبى ﷺ فقال: وكيف أقرأكها؟ قال: أقرأنيها ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ فمدها. فابن مسعود الذى هو أشبه الناس سمتًا ودلا برسول الله ﷺ أنكر على الرجل أن يقرأ كلمة "الفقراء" من غير مد ولم يرخص له فى تركه، مع أن فعله وتركه سواء فى عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها، ولكن لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول كما قال زيد بن ثابت ﷺ واستفاض النقل عنه بذلك؛ أنكر ابن مسعود ﷺ على الرجل أن يقرأ بغير قراءة النبى ﷺ التى أقرأ بها أصحابه ﷺ جميعًا، فدل ذلك على وجوب تعلم التجويد واتباع أحكامه عند التلاوة، لدلالة مثل هذا النص بالجزء على الكل.

الدليل من الإجماع:

فقد أجمعت الأمة منذ زمن نزول القرآن إلى يومنا هذا على أن القرآن وصل إلينا من الله سبحانه وتعالى بكيفية معينة ثابتة على لسان جبريل ﵇، متواترًا من اللوح المحفوظ، وبيان النبى ﷺ، وتعلُّم الصحابة والتابعين ثم أتباعهم- وهلم جرّا إلى مشايخنا رحمهم الله- القرآن متواترًا، بوصف الترتيل المشتمل على التجويد والتحسين وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وسائر متعلقاتها التى هى معتبرة فى لغة العرب، لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ إبراهيم: ٤ .

---

[1] انظر هداية القارى للشيخ عبد الفتاح المرصفى.

ثانياً : **حكم القسم العلمى أو النظرى**:

بالنسـبة لعامـة المسـلمين: منـدوب إليـه ولـيس بواجـب، لأن صحـة القـراءة ممكنـة بالتلقى والمشافهة دون معرفة الأحكام النظرية.

أمَّا بالنسبة لأهل العلم والمتصدرين للإقراء: فمعرفتـه واجبـة علـى الكفايـة، ليكـون فـى الأمة طائفة من أهل العلم قادرة على تعليم تلك الأحكام لمن يريد، فإذا قامت طائفة منـهم بهذا الأمر سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم تقم طائفة منهم به أثموا جميعًا.

حكم تعليم القرآن:

فرض كفاية بالنسبة لعامة المسلمين بشرط أن يكونوا من المتقنين.

فـرض عـين بالنسـبة للمتقنـين المجـازين بـالإقراء ولا يوجـد فـى بلـده مثلـه، وذلـك محافظة على اتصال السند وعدم اختلال ركن التواتر.

المبدأ الثالث من مبادئ التجويد العشرة: **واضعه**

واضع التجويد العملى أو التطبيقى: هو سيدنا رسول الله ﷺ ؛ لأن القرآن نـزل عليـه من عند الله مجودًا، وتلقاه صلوات الله وسلامه عليـه مـن جبريـل عليه السلام كذلك، وتلقتـه عنـه الصحابة وسمعته من فمه الشريف كذلك، وتلقاه من الصحابة التابعون كذلك، وهكذا إلـى أن وصل إلينا عن طريق شيوخنا متواترًا.

أمَّا واضع التجويد العلمى أو النظري أى: قواعده وقضاياه، ففيه خلاف.

فقيل: أبو الأسود الدُّوَلى، وقيل: أبـو القاسم عبيد بـن سـلام، وقيل: الخليل بن أحمد الفراهيـدى، وقيـل: غيـر هـؤلاء مـن أئمـة القـراءة واللغـة. وذلـك بعـدما كثـرت الفتوحـات الإسلامية وانضوى تحت راية الإسلام كثير من الأعاجم واختلط اللسان الأعجمـى بـالعربى فخشى ولاة المسلمين أن يفضى ذلك إلى التحريف فـى كتـاب الله، فعملـوا علـى تلافـى ذلك وإزالة أسبابه وأحدثوا مـن الوسـائل مـا يكفل صيانـة اللفظ القرآنـى مـن الخطأ، فأحدثوا فيـه النَّقط والشكل، بعد أن كان المصحف العثمانى خاليًا منهما، ثم وضعوا قواعد التجويد حتـى يلتزم المقرئون بها عندما يعلِّمون الناس شيئًا من كتـاب الله. ولقد كانت بدايـة النظم فـى علم التجويد قصيدة أبى مزاحم الخاقانى المتوفى سنة ٣٢٥هجريـة، وهى تعتبر أقدم نـص نظم فى علم التجويد النظرى.

ثم توالى التأليف فى هذا العلم: فألَّف الإمام مكى بن طالب القيسى كتابه النفيس المعروف بالرعاية، وتوفى فى الأندلس سنة ٤٣٧هـ.

وهناك مؤلفات عديدة أخرى منها: كتاب التمهيد للإمام ابن الجزرى، والمقدمة الجزرية له أيضًا، وتحفة الأطفال للإمام سليمان الجمزورى، ونهاية القول المفيد للإمام محمد مكى نصر، وهداية القارى للشيخ عبد الفتاح المرصفى، وكتب أخرى كثيرة يصعب حصرها.

المبدأ الرابع: **استمداده**

جاء من كيفية قراءة جبريل ﷺ عند نزول القرآن على قلب النبى ﷺ.

المبدأ الخامس: **موضوعه**

الكلمات القرآنية، وزاد بعض الأئمة الحديث القدسى والأحاديث الشريفة، والجمهور على أن موضوع التجويد خاص بتلاوة كلام الله المنزل وهو القرآن.

المبدأ السادس: **ثمرته**

قراءة القرآن كما أنزل وكما تلقاه النبى ﷺ، وكما قرأه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين حتى يومنا هذا بما يصون القراءة من الخطأ ويضمن للقارئ سلامة النطق مما يحقق له الفوز بسعادة الدارين بإذن الله، كما قيل:

.... مَنْ يُحْسِنِ التجويدَ يظفرْ بالرشَدِ

وعلم التجويد أفاد المسلمين فائدة لم يحظ بها علم آخر؛ وذلك لما يحتاجه من البحث فى مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجهِها الصحيح؛ لتيسير تلاوة كلمات الله على أفصح وجه مما دفع بالأئمة إلى العناية بدقائق اللغة العربية الفصحى وأسرارها حتى تشرَّب القراء بمزايا اللغة العربية وقواعدها ودقائقها، حتى أن الكثيرين من قدماء النحويين كالفرَّاء كانوا من البارزين فى علم القراءة، كما كان الكثيرون من أئمة القراء كأبى عمرو البصرى والكسائى بارعين فى علم النحو.

المبدأ السابع: نسبته

ينسب علم التجويد إلى العلوم الشرعية والدينية وإن كان مستقلاً بذاته ليس مستمدًّا من واحد منها لأنه أَقدمها وأوَّلها، فأول علم تلقاه الصحابة من علوم الشرع هو علم تجويد القرآن.

المبدأ الثامن: فضله

هو من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بكلام الله تعالى وأشرف الكتب وهو القرآن العظيم.

المبدأ التاسع: مسائله

وهى قضاياه الكلية التى تعرف بها أحكام الجزئيَّات، كقولنا: للنون الساكنة وللتنوين أحكام أربعة، وجزء من تلك الأحكام إظهار النون الساكنة عند الواو والياء فى نحو: (صِنْوَانٌ) (بُنْيَانٌ) وهكذا...

المبدأ العاشر: اسمه

اسمه علم التجويد.

*　　　*　　　*

(الفصل الثانى)

اللحـــــن

معنى اللحن لغة:

قال الإمام ابن الجزرى فى التمهيد:

اعلم أن اللحن فى الكلام على معانٍ:

فهو يستعمل بمعنى (اللغة)، ومن ذلك لَحَن الرجل بلحنه إذا تكلم بلغته، ولحنتُ أنا له إذا قلت له ما يفهمه عنى ويخفى على غيره، وقد لَحنه عنى إذا فهمه.

وفى لسان العرب مادة لحن بمعنى (الفطنة)، ويقال:

رَجُل لَحِنٌ، أى فطن.

ويقال لَحَنَ (إذا صرف الكلام عن وجهه)، ويقال منه: عرفت ذاك فى لحن قوله، أى ما دل عليه كلامه، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ سورة محمد آية ٣٠، وكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقين إذا سمع كلامهم، يستدل على أحدهم بما ظهر له من لحنه أى من ميله فى كلامه.

ومنه قوله ﷺ :(لعل بعضَكم ألحنُ فى حجَّته من بعض)، أى أَفْطن لها وأشد انتزاعًا. واللحن (الضرب من الأصوات الموضوعة) وهو مضاهاة التطريب، كأنَّه لاحن ذلك بصوته أى شبَّههُ به، ومنه ما يقال: لحن فى قراءته إذا طرَّب فيها أى قرأ بألحان.

ومن معانى اللحن فى اللغة كل (ما خالف الصواب)، وكانت العرب تسمى كل ما يأتى بقراءة ضد الإعراب الصحيح (لحانًا)، ويسمون فعله (اللحن)، لأنه كالمائل فى كلامه عن جهة الصواب. انتهى بتصرف.

ونخلص مما سبق إلى أن للحن فى اللغة عدة معانٍ، هى:

١- اللغة أو وسيلة التعبير.

٢- الرمز والإشارة.

٣- الفطنة وقوة الملاحظة.

٤- اللغز والتورية.

٥- البلاغة وطلاقة اللسان.

٦- الأصوات الموسيقية.

٧- الميل عن الصواب.

معنى اللحن فى الاصطلاح:

هى كلمة جامعة لكل خطأ فى قراءة القرآن، فكل خطأ فيه يسمى فى مصطلح التجويد، (لحنًا).

وهذا الخطأ ينقسم إلى قسمين: خطأ جلى، ويسمى (اللحن الجلى).

خطأ خفى، ويسمى (اللحن الخفى).

أولاً: الخطأ أو اللحن الجلى:

هو خطأ فى اللفظ القرآنى يَخِلُّ ببنيانه الحرفى، أو الحركى، ويمكن لكل من له علم بالعربية أن يتعرف على ذلك الخطأ.

أمثلة الخطأ فى البنيان الحرفى للكلمة القرآنية، وله عدة صور:

الصورة الأولى: إبدال حرف بحرف.

نحو إبدال الطاء تاءً فينطق (خَلَقَ الإنسانَ مِن تِينٍ، بدلا من طين).

وإبدال الضاء دالاً فينطق (وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بدر، بدلاً من بِضُرٍّ).

وإبدال الضاد ظاءً فينطق (وَلا الظآلين، بدلاً من وَلا الضَّالِّينَ).

وقس على ذلك...

الصورة الثانية: زيادة حرف على الكلمة:

كزيادة ألف بعد الخاء فى قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ﴾البقرة : ٧ فينطق (خاتم الله)، أو كزيادة واو بعد العين فى قوله تعالى ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ البقرة: ٦١ فينطق (فادعو لنا ربك)، أو كزيادة ياء بعد التاء فى قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ ﴾البقرة ١٤٨ فينطق (يأتِى بكم)، وقس على ذلك.

الصورة الثالثة: نقص حرف من الكلمة:

كنقص حرف الألف من لفظ الجلالة فيقولون (واللَّه – باللَّه)، بدون مد الصوت بالألف قبل الهاء.

وكنقص اللام الساكنة بعد الألف في نحو:

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فينطقون بلام واحدة مكسورة (وَلا الضَّالِين)، وقس على ذلك.

أمثلة الخطأ فى البنيان الحركى للكلمة:

ويقصد به: رفع ما يجب نصبه، أو نصب ما يجب رفعه، أو خفض المنصوب والمرفوع، أو ما شابه ذلك. وكذلك تشديد المخفف، وتخفيف المشدد، وتحريك الساكن وإسكان المتحرك، وقس على ذلك.

وإليك مثالاً واحدًا يبيِّن لك كيف أن الخطأ فى الحركة يؤدى إلى اختلاف المعنى:

كلمة: (الجَنَّة) بفتح الجيم يعنى، دار النعيم.

(الجِنَّة) بكسر الجيم يعنى، الشياطين.

(الجُنَّة) بضم الجيم يعنى، الوقاية.

حكم اللحـن الجلـى:

هو التحريم إجماعًا، ولكن مَن وقع فيه لكبر أو لعاهة فأقل شىء أن يتعلم كيف يضبط الفاتحة التى لا تصح الصلاة إلا بها.

وجاء فى نهاية القول المفيد:

(وقد أجمعت الفقهاء والأصوليون على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ مع وروده فى الجملة، فما بالك بقراءة ما لم يرد أصلاً، وقد نصت الفقهاء على أنه إذا ترك شَدَّةً من الفاتحة كشدة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بأن جزم اللام وأتى بها ظاهرة (اُلْرَحمن)، فلا تصح صلاته، ويلزم من عدم الصحة التحريم، لأن كل ما أبطل الصلاة حرم تعاطيه).

ثانياً: **الخطأ أو اللحن الخفى**:

هو خطأ فى اللفظ القرآنى يخل بعرف القراءة، أى بالكيفية الثابتة التى نزل القرآن بها، والمتمثلة فى أحكام التجويد ومسائله؛ ولا يتعرف عليه إلا مَن تلقَّاها من أفواه المشايخ، وضبطها على أهل الأداء.

وهو قسمان:

القسم الأول من اللحن الخفى:

الخطأ فى مشهور الأحكام: كترك القصر، والمد، والإظهار، والإدغام، والإخفاء، والقلب، والتفخيم، والترقيق، وترك الصفات التى لا تخرج بعض الحروف إلا بها كالقلقلة والهمس، وغيرها من مبادئ علم التجويد التى يجب على كل مسلم أن يتعلمها؛ ليتميز كلام الله عن غيره من الكلام.

حكمه:

التجويد العملى، أو التطبيقى، واجب وجوبًا عينيًّا على كل مسلم، أو مسلمة، يقرأ ولو بعض آية من كتاب الله؛ ولكن ترتب الإثم والعقاب على الوقوع فى خطأ ترك تلك الأحكام أو بعضها يتوقف على حال المسلم:

فالذى يبذل الجهد فى تعلمه وتطبيقه ولكن:

لا يطاوعه اللسان بسبب وجود لثغة فطرية فى بعض الحروف كحروف الصفير وحرف الراء.

أو لا يجد من يعلمه ويهديه إلى الصواب، أو وجده ولكن لا يستطيع الوصول إليه لسبب من الأسباب.

أو الأعجمى الذى منَّ الله عليه بالإسلام وبه عجمة فى اللسان لا يستطيع التخلص منها.

أو العجوز الذى منَّ الله عليه بالهداية بعد أن كبر وهرم، أو الأمِّى الذى لم ينل قسطًا من التعليم يمكنه من تجويد اللفظ القرآنى.

فكل واحد من هؤلاء وأمثالهم مسىء، ولكنه معذور مأجور من الله؛ لأنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها. ولقوله ﷺ :

(..... والذى يَقْرَأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه وَهُوَ عليهِ شَاقٌّ لهُ أَجْران).

ولكن يجب عليه أن يستمر فى الاجتهاد لتصويب ما به من خطأ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

أمَّا من كان مستغنيًا بنفسه مستبدًّا برأيه متكلاً على ما ألفه من حفظه، مستكبرًا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على تصحيح لفظه، غير معتقد بوجوب الإتيان بتلك الأحكام عند التلاوة، ويقرأ القرآن دون ضابط يرجع إليه ولا كيفية ثابتة يلتزم بها وإنما بما أَلفه طبعه واعتاده لسانه، فلا شك أنه مقصر مغرور ومسيء آثم غير معذور معاقب على فعله عند الله لتركه واجبًا شرعيًّا؛ لأن كل ما اجتمعت عليه الأمه حرمت مخالفته.

ويقول ابن حجر: اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج، ومد، وإدغام، وإخفاء، وإظهار، وغيرها وجب تعلمه وحرم مخالفته.

وقال الإمام ابن الجزرى: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده، كذلك هم متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التى لا يجوز مخالفتها ولا العدول إلى غيرها، فيجب على القارئ مراعاة ما أجمع عليه القرّاء من إخراج الحروف من مخارجها، وتوفية صفاتها من ترقيق المرقق، وتفخيم المفخم، وإدغام المدغم، وإظهار المظهر، وإخفاء المخفى، ومد الممدود، وقصر المقصور، وغير ذلك مما هو لازم فى كلامهم، وإلا كان من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ومن الداخلين فى قوله ﷺ (رُبَّ قَارِئٍ للقُرْآنِ والقُرْآنُ يَلْعَنُه).

تنبيهات:

التنبيه الأول:

اللحن الجلى، والقسم الأول من اللحن الخفى: ترك لواجب شرعى، يثاب فاعله ويأثم تاركه، وهذا يتناسق وينسجم تمامًا مع الأدلة المجمع عليها من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، على أن التجويد العملى فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وهذا اختيار المتقدمين، أمَّا قول بعض المتأخرين إنه لا يأثم تارك أحكام التجويد من إدغام، وإخفاء، ومد، وقصر، وغيرها من مشهور الأحكام، ففيه تناقض واضح بين قولهم إن التجويد العملى فرض عين، وقولهم لا يأثم تاركه مطلقًا بدون تقييد.

التنبية الثانى:

قال العلماء:

لو جاء للشيخ طالب للإجازة يجيد جميع الحروف إلا حروفًا معينة بسبب عيب خِلْقى، مثل: الراء، والسين، يجيزه الشيخ، بشرط: أن يكون عنده القدْرة على نقد هذا الحرف وتعليمه لغيره، من حيث المخرج، والصفات، ويستطيع أن يتعرف على عيوب الآخرين. على أن ينص فى الإجازة: أنه عنده الحرف كذا يجيد وصفه ولا يجيد نطقه.

التنبيه الثالث:

اللحن فى الفاتحة:

قال الإمام النووى فى شرح مسلم: وإذا لحن فى الفاتحة لحنًا يخل المعنى، كضم تاء ﴿أَنْعَمْتَ﴾، أو كسرها، أو كسر كاف ﴿إِيَّاكَ﴾، بطلت صلاته.

وإن لم يخل المعنى، كفتح الباء من ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ونحوه، كره منه ذلك، ولم تبطل صلاته[1].

أنواع اللحن فى الفاتحة:

١- نطق أغلب الحروف ممالة:

والإمالة، هى: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، كثيرًا، أو قليلاً.

٢- إثبات همزة الوصل فى الوصل.

٣- إسقاط بعض الحروف عند البدء، وتسكين بعض الحركات مع الوصل.

٤- مد أحرف المد بالزيادة، وتوليد حروف مد بإشباع الحركات.

٥- تغيير حركات بعض الحروف.

٦- عدم إخراج بعض الحروف من مخرجها، فتبدل بحروف أخرى.

٧- قلقلة بعض الحروف الساكنة، نحو:

قلقلة هاء ﴿ٱهْدِنَا﴾، قلقلة نون وميم ﴿أَنْعَمْتَ﴾، قلقلة غين ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾.

---

[1] من كتاب الفقه الواضح. د. محمد بكر إسماعيل.

٨- قطع القراءة وسط الكلمة ثم تكملتها عند قطع النفس.

القسم الثانى من اللحن الخفى، ويحتوى على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

الخطأ فى دقائق الأحكام التى لا يعرفها إلا القارئ المتقن الذى قضى من عمره سنين فى تناول هذا العلم والبحث فيه، والذى أخذ من أفواه الأئمة المتقنين الذين ترتضى تلاوتهم، فأتى بالقاعدة التجويدية فى أدق صورها، وأروع مظاهرها،فاتصفت قراءته بكمال الضبط ونهاية الحسن، فبشره الرسول ﷺ بأعظم البشرى فى قوله:

(الماهِرُ بِالقرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ).

المسألة الثانية:

تركيب القراءات الذى لا يفضى إلى القراءة بما لا يصح لغةً، نحو قوله:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الحديد: ٢٤، فقرأ : نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو جعفرٍ بترك (هو) فيصير اللفظُ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾، وَقَرَأَهُ الباقون: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ بزيادة (هو)، فالقراءة بتلك الزيادة أو بدونها لا يتعرف عليها إلا الدارس المتلقى للقراءات وله دراية بأمور الخلاف بين قراءة وأخرى.

امَّا القراءة بما لا يصح لغةً فهى من اللحن الجلى، نحو﴿ ...تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ... ﴾ التوبة:٨٩، فقرأ ابن كثير بزيادة (مِن) قبل (تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)، وقرأ الباقون بترك تلك الزيادة مع فتح التاء الثانية فى (تَحْتَها)، فان قرأ القارئ بترك الزيادة وأبقى التاء على كسرها فقد جاء بما لا يصح لغةً.

المسألة الثالثة:

الخطأ فى الوقف على كلمة متعلق ما قبلها بما بعدها من ناحية الإعراب، فيفصل بين ركنى الجملة، كأن يفصل بين المبتدأ وخبره، أو بين الفعل وفاعله، أو يفصل بين الصفة والموصوف، والمشبه والمشبه به... إلخ.

وهذا الخطأ يؤدى أيضًا إلى عدم اكتمال المعنى؛ لأن التعلق فى الإعراب يصحبه حتمًا تعلق فى المعنى.

وهذا لا يتعرف عليه إلا المتخصص فى علم اللغة وعلم التفسير.

حكـــمه:

حكم القسم الثانى من اللحن الخفى بمسائله الثلاث: أنه لا يأثم فاعله، ولا يتصور أن يكون تركه فرض عين يترتب عليه العقاب لما فيه من الحرج العظيم، وقد قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾الحج: ٧٨.

وعند المجودين: قد ترك ما يسمى بالواجب الصناعى الذى يحسن فعله ويقبح تركه ويعزر على تركه التعزير اللائق به عند أهل تلك الصناعة؛ لأنه خلاف الأولى ولكنه لا يأثم.

حكم تركيب قراءة على أخرى، أو رواية على أخرى، أو طريق على آخر.

قال العلماء:

من قرأ بمضمون متن الشاطبية أو متن الطيبة بإطلاق القراءة دون أن ينتسب إلى قارئ بعينه أو راو بعينه يكون قد ركَّب فيها، وهذا العمل جائز على أنَّه قرآن منزل من عند الله بشرط أن يكون عارفًا بالعربية ووجوه الإعراب ومتقنًا تجويد اللفظ، أما غيره فلا؛ لأن التركيب مع عدم العلم بقواعد اللغة وأصول النحو يؤدى فى بعض الأحيان إلى القراءة بما لايصح لغة، وهذا مما يحرم القراءة به لأنه كذب على الله.

ومن أمثلته:

فى قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ... ﴾ التوبة: ١٠٩

نزلت بقراءتين:

إحداهما: بضم الهمزة وكسر السين على البناء للمفعول ﴿أُسِّسَ﴾ ورفع النون على النيابة عن الفاعل ﴿ بُنْيَـٰنُهُۥ ﴾ وهذه قراءة الإمامين نافع وابن عامر.

والثانية: بفتح الهمزة والسين معًا على البناء للفاعل ﴿أَسَّسَ ﴾ ونصب النون على أنه مفعول به ﴿بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ وهذه قراءة الباقين.



إذا قرأ القارئ بتركيب القراءتين قرأ بما لا يصلح لغةً.

كقوله: أفَمن أُسِّسَ بنيانَه

أو أفَمن أَسَّسَ بنيانُه

أمَّا تركيب القراءة مع نسبتها على أنها قراءة فلان أو رواية فلان أو طريق فلان فلا يجوز؛ لأنه فى ذلك يكون قد نسب نسبة غير صادقة.

ويرى الإمام ابن الجزرى أن تركيب القراءة إن جاز من العامة فلا يجوز من أهل الأداء.

الأمور المحرمة التى ابتدعها القراء فى قراءة القرآن، لأجل صرف الناس إلى سماعهم والإصغاء إلى نغماتهم:

١- التطريب:

ويقصد به القراءة بالألحان المطربة المرجعة، كترجيع الغناء، فإن ذلك ممنوع لما فيه من إخراج التلاوة عن أوضاعها وتشبيه كلام رب العزة بالأغانى التى يقصد بها الطَّرَب. ولم يزل السلف ينهون عن التطريب لما فيه من التنغيم، والمد فى غير مواضعه، أو زيادته عن حدِّه، فيأتى بما لا يجوز تلاوة القرآن به.

وقال الإمام ابن الجزرى فى التمهيد:

(إن مما ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء، وهي التي أخبر بها رسول الله ﷺ أنها ستكون بعده ونهى عنها، ويقال إن أول ما غُنِّىَ به من القرآن، قوله عز وجل: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ الكهف: ٧٩، نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

أما القطاةُ فإنيَ سوفَ أنعتُها نعتًا يُوافقُ عِندي بَعضَ مَا فيها

أمَّا تلاوة القرآن مع مصاحبة الآلات الموسيقية، فهو من أقبح البدع، وأشد الضلالات المركبة، التى ينبغى ردها، ومعاقبة القائمين عليها، والمروجين لها). انتهى بتصرف.

وروى مالك فى موطئه، والنسائى فى سننه، عن حذيفة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(اقرءوا القرآن بلحون العرب- زاد الطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى شعب الإيمان- وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر- وفى رواية- أهل الفسق، وأهل الكبائر-

وفـى روايـة للطـبرانى، فـى الأوسـط، والبيهـقى فـى شـعب الإيمـان- ولحـون أهل الكتـابين، وأهل الفسق- وفـى روايـة- أهل العشق، فإنـه سيجىء- وفـى روايـة- سيأتـى أقـوام مـن بعـدى يرجعـون القرآن ترجيـع الغنـاء والرهبانيـة والنـوح لا يجـاوز حنـاجرهم مفتونـة قلـوبهم وقلـوب مـن يعجـبهم شـأنهم)، والمـراد بـالقراءة بلحـون العـرب: قـراءة الإنسـان، بحسـب جـبلته، وطـبيعته، علـى طـريقة عرب العربـاء، الـذين نـزل القـرآن بلغـتهم، والمـراد بلحـون أهل الفسق والكبائر: مراعاة الأنغام المستفادة من العلم الموضوع لـه، فمدوا المقصور، وقصروا الممـدود، وحركـوا السـاكن وسكنوا المتحـرك، وزادوا فـى الحـرف ونقصـوا لاسـتيفاء نغمات اخترعوا لكل لحن منها لقبًا، ولا تجوز القراءة بشىء منها.

والمـراد بالرهبانيـة: مـا تفعلـه النصـارى فـى كنائسـهم مـن التطريـب وضـرب النـواقيس ونحوها، والمراد بالنوح: ما تفعله النائحة فى التعديد وذكر الشمائل بصوت حزين. وقـولـه ﷺ (لا يجـاوز حـناجرهم)، أى: لا يقـبل ولا يرتـفع؛ لأن مـن قـرأ القرآن علـى غير مـا أنـزل الله تعالى ولم يراع فيه ما أجمع عليه فقراءته ليست قرآنا وتبطل به الصلاة، كما قرره ابن حجر فى الفتاوى وغيره.[1]

وجـاء فـى معنـى لا يجـاوز حنـاجرهم: "الـذين لا يتدبرونـه ولا يعملـون بـه. ومـن العمل بـه تجويده وقراءته على الصفة المتلقاة من الحضرة النبوية الأفصحية".

"وقولـــه ﷺ مفتونـة قلـوبهم" أى مصـروفة عن طريـق الحـق بعيـدة عن رحمـة الله.

وأما معنى الحديث الذى رواه البخارى، ومسلم وهو قوله ﷺ:

(مَا أَذِنَ اللهُ لنبىٍّ ما أَذِنَ لنبىٍّ يتغنّى بالقرآن)، وقوله ﷺ:

(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ). رواه مسلم.

فالمراد تحسين الصوت وتزيينه على وفق التجويد بحسب الاستطاعة، كمـا قـال الإمـام ابن الجزرى فى الطَّيِّبة:

مع حُسْنِ صَوْتٍ بلُحونِ العربِ   مرتَّلاً مجـــودًا بالعربـــــــي

أى تحسين الصوت وفق قواعد التجويد، فيقرأ القرآن فى منتهى الإتقان والتجويد مـرتلاً يتبـع بعضـه بعضًـا علـى مكـث وتفهم مـن غيـر عجلـة بـاللفظ العربـى الفصيح ولغـة العرب البلغاء.

---

[1] انظر المنح الفكرية فى شرح المقدِّمة الجزرية.

وقال فى كتابه النشر:

روينا بسند صحيح عن أبى عثمان النهدى قال: صلى بنا ابن مسعود ﷺ بـ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١، ووالله لوددت أنه قرأ سورة البقرة من حسن صوته وترتيله. وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجودًا مصححًا كما أنـزل تلتذ الأسماع بتلاوته وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد أن يسلب العقل عن حالته. قال: ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن لـه حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنـه كان جيد الأداء قيمًا باللفظ والبناء فكان إذا قرأَ أطرب المسامع وأخذ القلوب بالمجامع وكان الخلق يزدحمون عليه ويجتمعون للاستماع إليه. قال: وأخبرنى جماعة من شيوخى وغيرهم أخبارًا بلغت التواتر عن شيخهم الإمام تقى الدين محمد بن أحمد الصائغ المصرى رحمة الله تعالى عليه وبركاته، وكان أستاذًا فى التجويد، أنـه قرأ يومًا فى صلاة الصبح ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ النمل: ٢٠، وكرر هذه الآية، فنزل طائر على رأس الشيخ ليستمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه فإذا هو هدهد، قال: وبلغنا عن الأستاذ الإمام أبى على البغدادى المعروف بسبط الخياط صاحب المنهج وغيره فى القراءة أنـه كان قد أعطى حظًّا عظيمًا وأنـه أسلم على يده جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته وحسن صوته، وفى الحديث الشريف عن زيد بن ثابت عن النبى ﷺ أنـه قال: (إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ويؤيده قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ البقرة: ١٢١. انتهى بتصرف.

٢- الترقيص:

ومعناه أن الشخص يرقص صوته بالقرآن فيزيد فى حروف المد والغنة، بحيث يصير كالمتكسر الذى يفعل الرقص. وقال بعضهم: هو ما يعرف حديثًا بتعدد الطبقات الصوتية برفع الصوت ثم خفضه ثم إعادة الرفع والخفض مرات فى الحرف الواحد، فهذا غير جائز وينبغى أن يحافظ القارئ على طبقة صوتية واحدة، فالمستوى الصوتى الذى يدخل فيه فى حرف المد أو فى الغنة هو ذاته الذى يستمر عليه حتى نهاية الحرف أو نهاية الغنة، أمَّا

الانتقال من طبقة صوتية إلى أخرى من حرف إلى حرف فهذا جائز، لأنه ناتج عن انفعال القارئ بالنص القرآنى.

٣- التحزين:

وهو أن يترك القارئ طباعه وعادته فى التلاوة ويأتى بها على وجه آخر كأنه حزين يكاد أن يبكى من خشوع وخضوع، وإنما نهى عنه لما فيه من الرياء.

أمَّا إن أتى القارئ بالتلاوة حزينًا متأثرًا بدفع الطبع لخوف وخشية من شدة التدبر، فهو مباح.

٤- الترعيد:

ومعناه أن الشخص يرعد صوته بالقرآن كأنَّه يرعد من شدة برد أو ألم أصابه.

٥- التحريف:

وهو ما أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون ويقرءون بصوت واحد، فيقطعون القراءة ويأتى بعضهم ببعض الكلمة والآخر ببعضها الآخر، فيقرأون كلُّهم بصوت واحد فيقولون فى نحو قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يس: ٦٨﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٧ أفَلَ يعقلُن، أَوَلَ يعلمُن، فيحذفون الألف والواو، أو يحذفون الواو فيقولون: قَالُ آمنا، بدلاً من ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، ويحذفون الياء فيقولون: يوم الدن، بدلاً من ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

ويمدون ما لايمد، ويحركون السواكن التى لم يجز تحريكها، ليستقيم لهم الطريق التى سلكوها ويحافظون على مراعاة الأصوات، ولا ينظرون إلى ما يترتب على ذلك من الإخلال بالثواب فضلاً عن الإخلال بتعظيم كلام الجبار، فكل ذلك حرام يمتنع قبوله ويجب رده وإنكاره على مرتكبه. انتهى من كتاب نهاية القول المفيد بتصرف.

وقال صاحب كتاب العميد:

ومن البدع المحرمة فى القراءة أيضاً قراءة بعض الناس مجتمعين لشىء من القرآن بصوت واحد، كما يحدث فى المقابر وبعض المساجد، لما يؤدى إليه ذلك من بدء أحدهم بجزء من الآية وإكمال الآخر لها، الأمر الذى يتنافى مع قدسية القرآن وجلاله.

وقد بقى من الأمور المبتدعة فى قراءة القرآن أشياء كثيرة أيضًا، منها:

(١) المبالغة فى التحقيق، فيقرأ قراءة تشبه قراءة الكسلان.

(٢) نقر ونبر الحروف عند الانتقال من حرف إلى آخر.

(٣) تقطيع الحروف بعضها من بعض، بما يشبه السكت، خصوصًا الحروف الساكنة المظهرة، قصدًا فى زيادة بيانها.

(٤) الهذرمة، والهزهزة، وهى السرعة فى القراءة لدرجة تذهب بالحروف، كما قال عمر ﷺ:" شر القراءة الهذرمة".

وجاء رجل إلى ابن مسعود ﷺ، فقال: قرأت المفصل الليلة فى ركعة، فقال: "هَزًا كهزِّ الشعر؟!"، وقالت عائشة رضى الله عنها: "سمعت رجلاً يهذر القرآن هذرًا، إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت".

ونختم حديثنا عن اللحن بقول الإمام ابن الجزرى فى النشر:

"ولا أَعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح والترشيد مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجّها القلوب والأسماع، بل [التجويد هو] القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التى لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء".

تجويد الأذان والإقامة:

ينبغى على المؤذن أن يترسل ويتمهل فى الأذان ويسرع فى الإقامة.

وكلمات الأذان من الأمور الشرعية المتلقاة عن رسول الله ﷺ فينبغى على المؤذن أن يجود الأذان والإقامة، فيطبق فيهما ما يطبقه فى تجويد القرآن سواءً بسواء، وعليه أن يلاحظ أن الراء الأخيرة فى كل تكبيرتين متواليتين من تكبيرات الأذان ساكنة لا محالة، والمؤذن مخير فيما قبلها بين الفتح والضم، وقيل: مخير بين الفتح والضم والسكون.

وأكثر ما يقع المؤذنون باللحن فى:

١- زيادة المد عن حده، وزيادة المد الطبيعى فى ألف لفظ الجلالة عند الوصل، وزيادة ألفات مدية بدلاً من الفتحات.

٢- ترقيص صوته أثناء نطق المد، فيرفع صوته، ثم يخفضه، ويعيد الرفع والخفض فى المد الواحد مرات.

٣- وزيادة همزاتٍ وألفات فى مد الألف، فيقول مثلاً: "حَيَّ على الصلاءاءاءاه"، وربما تنفس بعضهم في أثناء التصويت بالمد، فيتقطع صوت الألف ليصير عدة همزات وعدة ألفات بهذا التقطع.

٤- وإدماج الحروف والكلمات بعضها ببعض، كأن يقول: "أَشْمَرَسولُ الله" بدلاً من "أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله"، أو يقول: "حَصَّلا"، بدلاً من أن يلفظها "حَيَّعَلَصَّلاه".

٥- والتحريف عندما يؤذن أكثر من مؤذن مجتمعين، فيأتي أحدهم ببعض الكلمة، ويأتي الآخر ببعضها الآخر.

وكثيرًا ما يقع بعض الذين يقيمون الصلاة فى اللحن عند بيان قلقلة الدال الساكنة في قوله: "قَدْ قامت الصلاة"، فيدخلون بين الدال الساكنة وبين القاف بعدهما همزة مكسورة فيلفظونها "قَدْ إقامَةِ الصلاة". وبعضهم يكسر الدال بدل إسكانها وقلقلتها فيلفظها "قَدِ قامت الصلاة". كما أن بعضهم يلفظ القاف بين الجيم والكاف (كالجيم المصرية، أو القاف البدوية).

وكل هذا- مما لا يقره أهل الأداء- من اللحن الذى ينبغى تجنبه ويمتنع قبوله، ويجب إنكاره على مرتكبه[1].

من شروط صحة الإمامة تجويد الحروف:

ذكرت كتب الفقه أنه من شروط صحة الإمامة أن يكون لسان الإمام سليمًا لا يتحول فى النطق من حرف إلى غيره، كأن يبدل السين ثاء أو الذال زايًا أو الراء غينًا أو غير ذلك من حروف الهجاء، وقد قالوا بأنه يجب على الإمام ومن كان به لثغ تقويم لسانه ويحاول النطق بالحرف صحيحًا بكل ما فى وسعه.

---

[1] من كتاب الجامع فى تجويد قراءة القرآن، جمع وترتيب كامل المسيرى.

جمال الصوت

تقوم عملية الصوت على توظيف الهواء الخارج من الرئتين مرورًا بالحنجرة والقصبة الهوائية، ثم الفم والأنف، فنجاح الصوت وجماله يقومان على دعامة أساسية هى حركة الزفير التى هى ضرورية لإخراج الصوت من الحنجرة إخراجًا منتظمًا.

فعلى الرغم من أن عملية التنفس عملية غريزية إلا أن إخراج الصوت بوضوح وجمال يتطلب التحكم فى هذه الغريزة أثناء القراءة، ومن الحقائق العلمية التى تدعو إلى الدهشة أن العلماء لم يجدوا علاقة بين جمال الصوت والناحية التشريحية للحنجرة؛ فكل الحناجر واحدة (لصاحب الصوت الجميل أو القبيح)، فليس فى حنجرة صاحب الصوت الجميل أى عنصر مادى يمتاز به على حنجرة غيره من الناس، وإنما الفرق يكمن فى الموهبة التى اختص بها وهى سيطرته على الهواء المندفع من الرئتين والقدرة على تكييفه وإخضاعه لنظام خاص عند جريانه من الرئتين حتى يصدر عن الفم والأنف. وهذا يحتاج إلى البنية السليمة والصحة الكاملة ورئتين سليمتين تعتمدان بدورهما على قلب فى حالة جيدة، ولذلك نلاحظ أن صوت الإنسان يختلف مع اختلاف حالته الصحية والنفسية.

ومن الملاحظ: أن القارئ الذي يستطيع أن يملأ رئتيه بكمية كبيرة من الهواء وسبق له أن تدرَّب على كيفية توظيف هذا الهواء فى أثناء التلاوة يمكنه الاستمرار في القراءة دون تعب زمنًا أطول من غيره، ويمكنه كذلك قراءة المقاطع الطويلة متكاملة وقلَّت بالتالي مرات وقوفه في أثناء الآية، وكانت قراءته أكثر ترسلا وطمأنينة من غيره.

فكيف يمكن الوصول إلى هذه الغاية؟

الجـــــواب:

بالوسائل التالية:

١- على القارئ قبل القراءة أن يكون مستعدًّا لها هادئًا مستريحًا.

٢- عدم تناول الطعام قبل القراءة، ويستحسن أن تكون المعدة خالية على أن يتناول مقدارًا من العسل الأبيض لإعطائه الطاقة اللازمة، دون شعور بالامتلاء.

٣- على القارئ أن يحافظ على الجلوس أثناء القراءة مستقيم الظهر، وعليه أن يتجنَّب ارتداء الملابس الضيقة وكل ما يؤدى إلى الضغط على الصدر مما يعيق امتلاء الرئتين بالهواء بكامل طاقتها.

٤- قبل القراءة يجعل استنشاقه للهواء بطيئًا عميقًا حتى إذا بدأ في القراءة تكون رئتاه مليئتين بأكبر قدر من الهواء، ثم أثناء القراءة يتحكم في إخراجه تدريجيًّا موزعًا على الحروف والكلمات المنطوقة، وكلما استطاع القارئ استخدام أقل كمية من الهواء المختزن فى الرئتين طالت فترة قراءته.

ومما يجب التنبيه عليه:

ألا يجعل القارئ فترة الوقف بين المقاطع والآيات للاستراحة فقط، وإنما للتزود بأكبر كمية من الهواء، وكثيرًا ما يغفل القارئ عن هذا الأمر.

وإليك تمرينات خاصة بالصدر والرئتين تتعلق بعمليَّتى الشهيق والزفير، تساعد على زيادة الطاقة الحيوية زيادة كبيرة، بحيث يستطيع القارئ التحكم فى هواء الرئتين للانتفاع به أثناء القراءة لأطول وقت ممكن، ومن الأفضل أن تكون هذه التمرينات فى الهواء الطلق مع ارتداء ملابس واسعة، ولا تكون بعد الأكل مباشرة، على أن يستمر عمل كل تمرين لمدة لا تقل عن شهر بانتظام كل صباح أو كل يوم.

التمرين الأول:

اجلس مستقيم الظهر وأغلق الفم، ثم استنشق من الأنف ببطء واطِّراد بحيث تتسع جدران الصدر وبخاصة الضلوع السفلى وَعِدّ – وأنت محتفظ بالنفس– من العدد (واحد) إلى العدد (خمسة)، وذلك بمقدار ثانية واحدة لكل عدد، وبعد ذلك اترك هواء الزفير يخرج كله دفعة واحدة فجأة من الفم، وكرر هذا التمرين عدة مرات، ومع التمرين المستمر سوف تشعر بسهولة حبس النفس لمدة خمس ثوانٍ، ثم زد العدد حتى يصل إلى عشر، ولا تزد عن ذلك.

التمرين الثانى:

قفْ منحنيًا– كوضع الركوع– واضعًا يديك على ركبتيك، ثم قُم بطرد هواء الزفير على دفعات متتالية بطيئة، واصطبر حتى تصل إلى الدرجة التى لا تستطيع معها الاستمرار، وحينئذٍ ابدأ فورًا فى استنشاق الهواء (الشهيق)، ببطء وعلى دفعات، واستمر فى ذلك حتى تشعر بامتلاء الرئتين تمامًا، ثم قم بطرد هواء الزفير كما فعلت أولاً، ثم كرر العملين شهيقًا وزفيرًا ثلاث مرات على الأقل.

وسوف تحصل بعد ذلك على رئتين قويَّتين تستطيع معهما التَّزَوُّد بكمية كبيرة من الهواء تكفى لقراءة طويلة.

كيف نجعل أصواتنا جميلة:

الصوت كالطفل، يمكن تربيته، وتهذيبه، وصقله، وعلاج عيوبه، حتى يبدو أجمل من حقيقته، وأهم الأعضاء التى ينبغى أن نعتنى بها لجمال أصواتنا، هى:

الجوف الحلقى بما فيه الحنجرة.

عضلات البلعوم والحنكين.

اللوزتان.

سقف الفم واللسان.

الجيوب الأنفية.

الأسنان.

ملاحظات ينبغى أن ينتبه إليها القارئ:

١- ارتفاع الصوت فوق طبقته المعتادة، وتكليف الصوت بما لا يطيق يؤدى إلى ظهور تورم حميد صغير الحجم، يتكون على الحبلين الصوتيين، الأمر الذى يؤدى إلى بحة فى الصوت، وقد يؤدى ارتفاع الصوت لفترات طويلة إلى شيخوخة مبكرة، نتيجة لاحتقان الغشاء المخاطى لجميع التجويفات الصوتية فتنخفض الأصوات الصادرة عنها، وتزيد درجة غلظ الصوت، وأحيانًا لا تستطيع العضلات خدمة الأحبال الصوتية بقوتها الأولى نتيجة لكثرة التحميل، فيظهر فى الصوت رعشة أشبه بالرعشة التى تظهر فى اليدين عند كبار السن.

٢- شرب المشروبات الساخنة جدًّا أو المثلجة، واستنشاق الهواء الملوث ودخان السجائر وغيرها من المفتِّرَات، كلها عوامل تؤثر على الجهاز الصوتى تأثيرًا خطيرًا للغاية.

٣- القيام بعمل يتطلب (النفخ) لمدة طويلة يضر بالحنجرة والحبلين الصوتيين ويجلب خشونة الصوت، وعند القراءة يجب استخدام عضلات الصدر فى دفع هواء الزفير لتقليل الحمل على الحبلين الصوتيين.

٤- فتحتا الأنف – منفذ الهواء الداخل إلى الرئتين– ولولا الأنف لعجز القارئ عن القراءة، ولو أصيب فى أنفه بأدنى أذى لتأثرت قراءته تبعًا لذلك الأذى، ولهذا ينبغى العناية بالمسالك الهوائية العليا كتجاويف الأنف والجيوب المتصلة بها وحال اللوزتين، وينبغى تجنب التهابات الحلق والأذن، فالنزلات الشُّعَبية والتعرض لها مرات متتابعة يضر بالحلق والصوت ضررًا بالغًا.

وصفات لعلاج بحة الصوت والحنجرة والقصبة الهوائية:

١- الغرغرة بعسل النحل بإضافة ملعقة صغيرة منه إلى نصف كوب من ماء فاتر يُذْهِب البحة بإذن الله.

٢- الغرغرة بالماء الفاتر المضاف إليه قليل من الملح النقى يفيد فى حالة جفاف الغشاء المخاطى.

٣- استعمال البابونج المعروف كبخار للاستنشاق يفيد فى علاج التهابات الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية، وكذلك فى علاج البحة.

٤- عصير التفاح الممزوج بسكر النبات مع الينسون مفيد جدًّا فى علاج البحة.

٥- شراب الحليب الساخن المحلى بالعسل على الريق ينقى الصوت ويزيل البلغم ويُذْهِب البحة بإذن الله.

دور القرآن فى تنمية الذوق والإحساس وتقويم اللسان

تشهد اللغة العربية وما فيها من الجمال الفنى بسلامة فطرة الذين تكلموا بها، حيث الملاءمة التامة بين اللفظ العربى ومعناه، فى تناسق تستريح إليه الأذن؛ فإذا استمعنا لكلمة مثل: (خَفَّفَ) أو (زلْزَلَ) أو (زحْزَحَ)، فسوف نلاحظ شدة التناسق بين اللفظ والمعنى فى انسجام بديع؛ فالتناسق الصوتى بين حروف اللغة العربية مجتمعة، هو موقع السحر فيها بلا شك. ومخارج الحروف وصفاتها تجرى على تنسيق من الإعجاز يفوق مدى التفكير البشرى.

ويظهر ذلك الإعجاز فى أبهى وأتم صورة فى كلمات القرآن المجوَّدة؛ ولذلك نجد أن كثيرًا من الذين احترفوا الغناء يطلق عليهم لقب (الشيخ فلان)؛ لأنهم جميعًا اتَّجهوا فى بداية حياتهم لتلاوة القرآن والإنشاد الدينى طلبًا لتقويم اللسان وتنمية الحس الموسيقى عندهم، بل إن البعض قال: لو أجرينا إحصاء بين من يسمون بنجوم الغناء والمسرح القدامى لوجدنا أن الغالبية منهم قد تخرجوا من مدرسة القرآن، وذلك فى بداية حياتهم، ثم ضلوا، ولا عجب فى هؤلاء؛ لأن قراءة القرآن مجوَّدًا تعطى القارئ الخبرة والمرونة فى الأداء الصوتى ووضوح النبرات عند نطق الحروف، وتخلق عنده حسًّا موسيقيًّا، بحيث لا تستريح أذنه إلا للصوت الحسن، ومن ثَمَّ تستنكر الصوت النشاز الذى يفتقد إلى التناسق والانسجام، إما بالزيادة أو بالنقصان.

*   *   *

(الفصل الثالث)

الاستعاذة- البسملة- التكبير

الاســـتعاذة

معناها:

الالتجاء إلى الله تعالى والتحصن به سبحانه من الشيطان، فإذا قال القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فكأنه قال: ألجأ وأعتصم وأتحصن بالله من الشيطان.

كما يقال: عُذت بفلان واستعذت به، أى لجأت إليه واعتصمت بقوته وطلبت العون منه على عَدُوىً.

ولفظ الاستعاذة- على أى صيغة كانت- ليس من القرآن بالإجماع، ولذلك لم يكتب فى جميع المصاحف، كما أنه جاء على لفظ الخبر(١) ومعناه الدعاء، أى اللهم أعذنى من الشيطان. فهو من الأساليب الخبرية لفظاً، الإنشائية معنىً.

قال العلامة القسطلانى شارح البخارى فى اللطائف: "والشيطان مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، والظاهر أن المراد به إبليس وأعوانه .

ولفظ الرجيم وصف بمعنى مرجوم؛ لأنه يرجم بالنجوم عند استراق السمع".

صيغتها:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" وهذه هى المشهورة والمختارة من حيث الرواية لجميع القراء العشرة، دون غيرها من الصيغ الواردة فيها.

قال الحافظ أبو عمرو الدانى فى التيسير: "اعلم أن المستعمل عند الحذاق من أهل الأداء فى لفظ الاستعاذة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" دون غيره، وذلك لموافقة الكتاب والسنة".

---

(١) الكلام عند العرب ينقسم إلى: جملة خبرية وهى التى تحتمل التصديق أو التكذيب. وجملة إنشائية وهى التى لا تحتمل التصديق والتكذيب، وتكون إمَّا: دعاء أو استفهامًا أو تعجبًا، ولذلك قالوا: الاستعاذة: لفظها لفظ الخبر ومعناه الإنشاء.. أى اللهم أعذنى من الشيطان الرجيم.

فأمـــا الكتـــاب: فقولـــه تعـــالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل:٩٨.

وأما السنة: فما رواه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبى ﷺ أنـه استعاذ قبل القراءة بهذا اللفظ بعينه.

وقال الإمام الدانى: وبذلك قرأت وبه آخذ.

وقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء كالشافعى، وأبى حنيفة، وأحمد، وغيرهم.

وقال فى الطيبة:

وَقُلْ أَعُوذُ إِنْ أَرَدتَّ تَقْرَا كَالنَّحلِ جَهْرًا لِجَمِيع القُرَّا

وقولـه (قل أعوذ)، أى لا يصح ولا يجوز غيره من الألفاظ، مثل: أستعيذ- أتعوذ- استعذت- تعوذت. وذلك أن السين والتاء فى قوله تعالى (فاستعذ)، شأنهما الدلالة على الطلب، فوردتا فى الأمر إيذانًا بطلب التعوذ، فمعنى (استعذ بالله)، اطلب من الله أن يعيذك، فامتثال الأمر هو أن يقول (أعوذ بالله).

وقد وردت فيه صيغ أخرى بالزيادة أو بالنقص.

أمَّا الزيادة فمنها:

"أعُوذُ بـالله السَّميعِ العَليمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ"، أو " أعُوذُ بالله الْعَظِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ "، أو " أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ إنّ اللهَ هُوَ السَّميعِ العَليمِ "، أو " أعُوذُ بالله الْعَظِيمِ السَّميعِ العَليمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ "، إلى غير ذلك من الصيغ الواردة.

أمَّا النقص:

فقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

لم يتعرض للتنبيه عليه أكثر أئمتنا، وفى سنن أبى داود من حديث جبير بن مطعم (أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيطَانِ)، من غير ذكر (الرَّجِيمِ).

وقال العلماء:

ليس للاستعاذة حد ينتهى إليه، من شاء زاد، ومن شاء نقص، وعلى الرغم من أن الصيغة الواردة فى الكتاب والسنة لفظ (أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ)، فإن الآية لا تقتضى إلا طلب أن يستعيذ القارئ بالله من الشيطان؛ لأن الأمر فيها وهو (استعذ) مطلق

وجميع ألفاظ الاستعاذة بالنسبة إليه سواء، فبأى لفظ استعاذ القارئ جاز وكان ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾سورة النحل الآية ٩٨.

وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

عَلى مَا أَتَى فِى النَّحْلِ يُسْرًا وإنْ تَزِدْ   لِرَبِّكَ تَنْزِيهًا فَلسْتَ مُجَهَّلاً

وقد ذَكَرُوا لَفْظَ الرَّسُولِ فَلَمْ يَزِدْ   وَلَوْ صَحَّ هذَا النَّقْلُ لَمْ يُبْقِ مُجْمَلاَ

والمعنى: قد ذكر جماعة من القراء أخبارًا عن رسول الله أنه لم يزد لفظه على ما ورد فى سورة النحل.

أمَّا قوله (ولو صح هذا النقل لم يبق مجملا)، إشارة إلى جواز الاستعاذة بأى لفظ وأنه من استعاذ بلفظ فيه زيادة أو فيه نقص على ما ورد فى سورة النحل فقد حصَّلَ المقصود، ثم قال:

وَفِيهِ مَقَالٌ فِى الأُصُولِ فُرُوعُهُ   فَلاَ تَعْدُ مِنْهَا بَاسِقًا وَمُظَلِّلاَ

أى أن التعوذ هل يتعين على ما فى النحل أم لا؟ فى ذلك كلام طويل فى كتب القراءات وأقسامه فتأملها، ولا تتجاوز عن الرفيع المظلل منها، أى عن القول الراجح المشهور.

حكم الجهر والإخفاء بالاستعاذة:

الجهر بالاستعاذة هو المأخوذ به لدى عامة القراء عند افتتاح القراءة، إلا ما روى عن نافع وحمزة من أنهما كانا يخفيان– أى يُسِرَّان– لفظ الاستعاذة فى جميع القرآن.

وروى سليم عن حمزة أنه كان يجهر بها فى أول أم القرآن خاصة، ويخفيها بعد ذلك، كذا قال خلف عنه، وقال خلاد عنه: إنه كان يجيز الجهر والإخفاء جميعًا.

ولكن المشهور عند جماهير العلماء هو الجهر لعامة القراء، لا فرق بين نافع، وحمزة، وغيرهما من باقى الأئمة.

قال الحافظ أبو عمرو الدانى فى التيسير: "ولا أعلم خلافًا بين أهل الأداء فى الجهر بها عند افتتاح القرآن، وعند الابتداء برءوس الأحزاب، وغيرها فى مذهب الجماعة اتباعًا للنص واقتداء بالسنة".

وقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

اقتصار ذكر الجهر فى الاستعاذة، لا يعنى إطلاقه، ولا يصح، ولابد من تقييده، فلا يجهر بها إلا أن يكون القارئ بحضرة من يسمع قراءته، لأن الجهر بالتعوذ إظهار لبداية القراءة، كالجهر بالتلبية، إظهارًا لبداية الإحرام، والجهر بالتكبيرات، إظهارًا لدخول العيد، وهكذا، ومن فوائده: أن السامع ينصت للقراءة من أولها لا يفوته منها شىء، وإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد أن فاته من المقروء شىء، أمَّا التعوذ فى الصلاة: فالمختار هو الإخفاء، لأن المأموم منصت للقراءة من أول الإحرام بالصلاة.

فيكون التعوذ عند القراءة، خارج الصلاة، مشابهًا لتكبيرة الإحرام، عند القراءة فى الصلاة، فكلاهما يجب الجهر بهما.

ومن المواضع التى يستحب فيها الإخفاء:

إذا قرأ القارئ خاليًا سواء قرأ جهرًا أو سرًّا.

أو إذا قرأ سرًّا وكان فى جماعة من الناس.

أو إذا قرأ فى الدَّور، وهو: أن يجتمع جماعة من الناس يتدارسون القرآن، فيقرأ أَوَّلُهُم ثم يتبعه الثانى، ثم الثالث، وهكذا إلى آخر الجماعة، فالجهر بالاستعاذة لا يكون إلا من أَوَّلِهم أى المبتدئ، أما من لم يكن فى قراءته مبتدئًا فلا يتعوذ جهرًا، لتتصل القراءة ولا يتخللها أجنبى؛ لأن الاستعاذة ليست من القرآن اتفاقاً، ولأن المعنى الذى من أجله استحب الجهر بالاستعاذة، وهو: الإنصات واقع. واستحب بعض العلماء الاستعاذة لكل واحد سرًّا– غير المبتدئ– لأن المقصود: اعتصام القارئ والتجاؤه بالله تعالى من شر الشيطان، فلا يكون تعوذ واحد كافيًا عن تعوذ الآخر.

ونخلص مما سبق أن للاستعاذة حالتين، هما: الجهر أو الإخفاء.

أولاً: حالة الجهر:

يستحب الجهر فى موضعين:

١- إذا كان القارئ، يقرأ جهرًا، وكان هناك من يستمع لقراءته.

٢- إذا كان القارئ، وسط جماعة، يقرءون القرآن، وكان هو المبتدئ بالقراءة.

ووجه الجهر بلفظ التعوذ، هو: الالتجاء إلى الله من وساوس الشياطين، وشعار ابتداء القراءة.

ثانياً: حالة الإخفاء أو الإسرار:

يستحب فى أربعة مواضع:

إذا كان القارئ يقرأ سرًا.

إذا كان القارئ يقرأ جهرًا، وليس معه أحد يستمع لقراءته.

إذا كان يقرأ فى الصلاة سواء أكان إماماً أم مأموماً أم منفردًا.

إذا كان يقرأ، وسط جماعة، وليس هو المبتدئ بالقراءة.

ووجه الإسرار بها، هو: الالتجاء إلى الله من وساوس الشياطين، وحصول الفرق بين ما هو قرآن، وما هو ليس بقرآن، لأن لفظ التعوذ، ليس من القرآن بالإجماع.

وقد أشار إلى أحوال الجهر والسر بالاستعاذة صاحب إتحاف البريه بقوله:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الدَّهْرَ تقرأْ فأَسْتَعِذْ   وَبِالْجَهْرِ عِنْدَ الْكُلِّ فِى الْكُلِّ مُسْجِلاً

بِشَرْطِ اسْتِماَعٍ وَابْتِدَاءِ دراِسَةِ   وَلاَ مُخْفِياً، أَوْ فِى الصَّلاَةِ فَفَصِّلا

حكم الاستعاذة من حيث الوجوب والاستحباب

بعد اتفاق العلماء على أن الاستعاذة مطلوبة من مريدى القراءة اختلفوا فى حكمها، فقال الجمهور، بالاستحباب، أى: أن الاستعاذة مستحبة، عند إرادة القراءة، وعليه: فالأمر الوارد فى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ .. ﴾ سورة النحل: ٩٨، محمول على الندب، فلا يأثم القارئ بتركها.

وقال غير الجمهور، بالوجوب، أى: أن الاستعاذة واجبة عند إرادة القراءة، وعليه: فالأمر الوارد فى الآية المذكورة، محمول على الوجوب، فيأثم القارئ بتركها.

والمأخوذ به هو مذهب الجمهور؛ لأن الأمر يأتى فى القرآن على وجوه كثيرة ليس معناها الفرض أو الحتم.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ما سبق بقوله:

.... وَاسْتُحِبْ   تَعَوذٌ وقال بَعْضُهُمْ يَجِبْ

محل الاستعاذة:

جمهور العلماء، على أن محل الاستعاذة قبل القراءة، فتكون الاستعاذة مقدمة على القراءة. وقال الإمام أبو شامة فى شرحه للشاطبية:

ووقت الاستعاذة ابتداء القراءة، جرى على ذلك العمل فى نقل الخلف عن السلف، إلا من شذ عن بعضهم أن موضعها بعد الفراغ من القراءة لظاهر الآية، وهذا غير صحيح؛ فقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾، معناه: إذا أردت القراءة، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟... ﴾، سورة المائدة آية٦، أى: إذا أَردتم الصلاة.

ما الحكم إذا قطع القارئ قراءته ثم عاد إليها؟

إذا عرض للقارئ ما قطع قراءته: فإن كان أمرًا ضروريًّا كسعال، أو عطاس، أو كلام يتعلق بالقراءة، فلا يعيد لفظ التعوذ، وإن كان أمرًا أجنبيًّا، ولو ردًّا للسلام، فإنه يستأنف التعوذ، وكذلك لو قطع القراءة إعراضًا ثم عاد إليها.

البسملة[1]

جرى العرف على تناول البسملة عقب الاستعاذة، لوقوعها بعدها فى التلاوة.

والبسملة: مصدر (بَسْمَلَ)، وهى عبارة عن قول القارئ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يقال: (بَسْمَلَ) الرجل (بَسْمَلَةً). وهى كلمة منحوتة[2] من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فهي كالنحت من اسم مركب من اسمين منسوب إليه، كحضرمى من: (حَضْرَمُوت)، وَدَرْعَمىّ من: (دَار الْعُلُوم)، ومثلها: حَوْقَلَ الرجل، أو (حَوْلَقَ)، إذا قال (لاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله)، و(حَيْعَلَ) إذا قال: (حَىَ عَلَى الصَّلاَة).

والتسمية: هى البسملة نفسها، يقال: سَمَّى، يسمِّى، تسميةً، فهو: مُسَمٍّ، أى قائل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

حكم البسملة:

أولاً: عند افتتاح القراءة بأول السورة:

لا خلاف بين القراء فى وجوب البسملة، للاتفاق على أن البسملة إنما كتبت لأوائل السور، ولموافقة خط المصحف.

ولعدم وجود البسملة فى أول براءة، اتفق القراء جميعًا على وجوب تركها.

وأشار الإمام الشاطبى إلى هذا الحكم بقوله:

وَلاَبُدَّ مِنْهَا فِى ابْتِدَائِكَ سُورَةٍ سُوَاها ....

ومعنى سواها: أى سوى سورة براءة.

وفى سبب عدم كتابة البسملة فى أول براءة أقوال كثيرة، منها:

ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قوله: بسم الله أمان، وليس فيها أمان بل نزلت بالسيف.

---

[1] ويعبر عنها أحيانًا بالفصل، لأنها تفصل بين السورتين.

[2] النحت فى اللغة: أن ينحت من الجملة كلمة، وهى من اللغة المولَدَة، التى انفرد بها العرب.

وتوضيح ذلك: أن العرب كانت تكتب(بِسْم الله)، أول كلامهم فى الصلح والأمان، فإذا نبذوا العهد، ونقضوا الأمان، لم يكتبوها، فنزل القرآن على هذه العادة، فصار عدم كتابتها دليلاً على أن هذا الوقتَ وقتُ قتال، فلا يناسب البسملة.

وقيل: إن السبب: نزولها بالسيف، يعنى ما اشتملت عليه من الأمر بالقتال.

وقيل: إن السبب: أن فيها الآية المسماة بآية السيف، وهى:

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾،الآية ٢٩، وذهب بعضهم إلى احتمال كونها من الأنفال.

وأشهر الأقوال فى سبب ترك البسملة أول براءة هو: نزولها بالسيف، وعليه الجمهور من أهل العلم.

وإليه ذهب الشاطبى لقوله فى الشاطبية:

ومَهْمَا تَصِلْها أَو بدأَتَ براءَةً   لتَنْزيلها بالسيف لست مُبسملا

أوجه الابتداء بأول السورة:

إذا اقترنت الاستعاذة بالبسملة، فى أول السورة، فيجوز لجميع القراء، أربعة أوجه:

الأول: قطع الجميع، أى الوقف على: الاستعاذة، وعلى البسملة، والابتداء بأول السورة.

الثانى: قطع الأول، ووصل الثانى بالثالث، أى: الوقف على الاستعاذة، ووصل البسملة بأول السورة.

الثالث: وصل الأول بالثانى، وقطع الثالث، أى: وصل الاستعاذة بالبسملة والوقف عليها، والابتداء بأول السورة.

الرابع: وصل الجميع، أى: وصل الاستعاذة بالبسملة بأول السورة، جملة واحدة.

أمَّا إذا لم تقترن الاستعاذة بالبسملة– كسورة براءة– فيجوز لجميع القراء، وجهان:

أحدهما: قطع الجميع، أى: الوقف على الاستعاذة والابتداء بأول آية.

ثانيهما: وصل الجميع، أى: وصل الاستعاذة بأول آية.

ثانياً: عند افتتاح القراءة بغير أول السورة، أى فى أثناء السورة:

والمراد بأثناء السورة: ما كان بعيدًا عن أولها، ولو بكلمة، أو مبتدءًا بأول الجزء، أو الحزب، أو الربع، أو أقل من ذلك.

وهنا يجوز لجميع القراء التخيير فى الإتيان بالبسملة أو تركها.
وأشار الإمام الشاطبى إلى هذا الحكم بقوله:

.... وفى الأَجْزَاءِ خُيِّرَ مَنْ تَلاَ

والإتيان بها أفضل من عدمه، لفضلها والثواب المترتب على الإتيان بها، كما قال الإمام ابن برى:

واخْتارَها بَعْضُ أُولِي الأَداءِ   لِفَضْلِها فى أَول الأَجزاءِ

أوجه الابتداء أثناء السورة:

إذا أتى القارئ بالبسملة بعد الاستعاذة، فيجوز له الأوجه الأربعة السالفة الذكر، التى فى الابتداء بأول السورة، وإذا لم يأْتِ بالبسملة بعد الاستعاذة، فله حينئذٍ وجهان، ليس غير:

أولهما: القطع، أى: الوقف على الاستعاذة والابتداء بالآية.
ثانيهما: الوصل، أى: وصل الاستعاذة بالآية.

وأمَّا الابتداء من أثناء سورة براءة، ففيه التخيير السابق، واستحب البعض منع البسملة من أثنائها كما منعت من أولها. واستحب آخرون البسملة لمن كان مذهبه البسملة بين السورتين، وتركها لمن كان مذهبه ترك البسملة بين السورتين.
وقال الإمام ابن الجزرى:

(من ترك البسملة فى غير براءة، أو جعل وسط السورة تابعًا لأولها: إن بسمل فى أولها بسمل فى وسطها، فلا إشكال عنده فى تركها فى براءة. وأمَّا من بسمل فى الأجزاء مطلقًا: فإن اعتبر بقاء العلة التى من أجلها حذفت البسملة فى أولها، وهو نزولها بالسيف، كما يرى الشاطبى وغيره، لم يبسمل، وإن لم يعتبر البقاء أَوْ لم يَرَهَا علة بسمل، والله أعلم).[1]

[1] انظر الكوكب الدُّرى. فى شرح الطيبة للإمام النويرى.

تنبيـــه:

ذَكَر العلماء والمحققون ضابطًا لاختيار الإتيان بالبسملة، أو تركها، فقالوا:
يستحب البسملة فى أثناء السورة، عند الابتداء بنحو:

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾البقرة: ٢٥٧، أو نحو ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾الأنعام: ٥٩، وأمثالهما، لما فى ذكر ذلك- بعد ذكر الاستعاذة- من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان.

وينبغى النهى عن البسملة، واستحباب الاستعاذة، عند الابتداء بنحو:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾، ونحو: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ... ﴾، وأمثالهما، لما فى ذكر ذلك- بعد ذكر البسملة- من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلى الله سبحانه.

ثالثاً: **عند الجمع بين السورتين**:

المراد بالجمع بين السورتين: انتهاء القارئ من قراءة السورة السابقة، وشروعه فى قراءة السورة اللاحقة، كالانتهاء من سورة الفاتحة، والشروع فى قراءة أول سورة البقرة.

وقد اختلف القراء فى الفصل بين السورتين بالبسملة وتركها، فبسمل بين السورتين، باتفاقٍ: قالون- عاصم- ابن كثير- أبو جعفر- الكسائى- ورش عن طريق الأصبهانى. ووصل بين السورتين بدون البسملة، باتفاق: حمزة - خلف العاشر.

واختلف عن: ابن عامر- أبى عمرو- يعقوب- ورش عن طريق الأزرق، بين الوصل، والسكت، والبسملة. ولم يأتِ نصٌ صريحٌ ينص لهؤلاء بالأخذ بوجه البسملة مع وجهى الوصل والسكت.

وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

وَلاَ نَصَّ كَلاَّ حُبَّ وَجْهٌ ذَكَرْتُهُ وَفِيهَا خِلاَفٌ جِيدُهُ وَاضِحُ الطُّلاَ

والمعنى: ولا نص فى هذا التخيير بين (السكت والوصل والبسملة)، بل هو اختيار من بعض أهل الأداء لهم، وفى وجه البسملة عنهم خلاف مشهور واضح.

وجه إثبات البسملة بين السورتين:

ما رواه سعيد بن جبير قال: كان النبى ﷺ لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وكذلك كونهم كتبوها فى المصاحف بين السورتين عدا براءة، ولما روى عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: (اقرءوا ما فى المصحف)، ولقول بعض العلماء أنها آية من أول كل سورة إلا براءة.

وجه عدم البسملة بين السورتين:

قول ابن مسعود ﷺ : كنا نكتب (باسمك اللهم)، فلما نزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ هود ٤١، كتبنا (بِسمِ الله)، فلما نزل ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾الاسراء: ١١٠، كتبنا (بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ). فلما نزل ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ النمل ٣٠، كتبناها. فهذا دليل على أنها لم تنزل مع كل سورة. كذلك قول بعض العلماء: إنها ليست بآية من كل سورة؛ لأنه يترتب على ذلك القول زيادة مائة وثلاث عشرة آية فى القرآن (وهو عدد سور القرآن ماعدا براءة)، والقرآن لا تثبت فيه الزيادة إلا بالإجماع، ولا إجماع فى هذا كما هو ظاهر من اختلافهم، وقالوا: هى مثل همزة الوصل التى تثبت فى الابتداء وتسقط فى الوصل.

أمَّا وجه الوصل بين السورتين من غير بسملة كحمزة، فإنَّهُ كان يقول: القرآن عندى كله كالسورة الواحدة فإذا بسملت فى الفاتحة أجزأنى ولم أَحْتَجْ لها.

أما وجه السكت بين السورتين من غير بسملة: فيقال إنَّه لَمَّا ابتدأ بالبسملة فى أول السورة ثم وصلها بالتى تليها أراد أن يبيِّن بالسكت بين السورتين أن الأولى قد تمت وأنَّه ابتدأ بثانية، ليحصل الفرق بين ابتداء القراءة بأول السورة وبين وصل السورتين، والله أعلم[١].

---

[١] انظر الكوكب الدُّرى فى شرح الطيبة للإمام النُّويرى.

تنبيــــه:

ما ذكر من الخلاف بين السورتين، خلاف رواية، لا يجوز مخالفته، وهو حكم عام سَوَاء تَرَتَّبَتْ السور أم لا، كواصل آخر آل عمران بأول البقرة. أمَّا لو كررت ذات السورة، فقال عنه الإمام ابن الجزرى: لم أجد فيه نصًّا لأحد والظاهر البسملة قطعًا، فإن البسملة والحالة هذه مبتدأ بها.

ولهذا: اتفق القراء جميعًا على إثبات البسملة فى أول الفاتحة – ولو وصلت بآخر سورة الناس – لأنها وإن وصلت لفظًا فهي مبتدأ بها حكمًا.

وقال الدانى: لأنها أول سورة فى القرآن فلا سورة قبلها توصل بها - وحتى لا يخالف خط المصحف وصلاً وابتداءً - من كان مذهبه ترك البسملة بين السورتين.

أوجه ما بين السورتين للمبسملين:

[ومن بينهم رواية حفص، عن شيخه عاصم، التى تدور حولها موضوعات هذا الكتاب].

يجوز ثلاثة أوجه، لمن أثبت البسملة وفصل بها بين السورتين، باستثناء آخر سورة الأنفال مع أول سورة براءة، وإليك ترتيب هذه الأوجه الثلاثة:

الأول: قطع الجميع، أى: الوقف على آخر السورة السابقة، وعلى البسملة، والابتداء بأول السورة اللاحقة.

الثانى: قطع الأول، ووصل الثانى بالثالث، أى: الوقف على آخر السورة السابقة، ووصل البسملة بأول السورة اللاحقة.

الثالث: وصل الجميع، أى: وصل آخر السورة السابقة، بالبسملة، بأول السورة اللاحقة، جملةً واحدةً.

وقد نظم هذه الأوجه الثلاثة العلامة الخليجى فقال رحمه الله تعالى:

وبيْن كلِّ سُورَةٍ وأُخْــــــرَى   لمـــن يُبسمل ثلاثٌ تُقْرَا

قَطْعُ الجميعِ ثِم وصلُ الثانِى   وَوَصلُ كلٍّ فاتْلُ بالإتقانِ

وهذه الأوجه الثلاثة، تجوز بين كل سورتين، سواء رتبتا في التلاوة، كآخر آل عمران مع أول النساء، أم لم ترتبا، كآخر الفاتحة مع أول المائدة، مثلاً.

وفى هذا يقول الإمام أحمد الطَّيبى :

وبَيَنَ كُلَّ سُورتْين لَمْ تُرَتَّباَ   مَا بَيَنَ مَا رُتِّبَتا قَدْ أَوجَبَا

هذا: ولايجوز وصل آخر السورة بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء باللاحقة؛لأن فى ذلك إيهامًا بأن البسملة لآخر السورة السابقة، والصحيح أنها لأول اللاحقة.

وهذا هو الوجه الممنوع، لجميع القراء بالإجماع، وفيه يقول الإمام الشاطبى، رحمه الله، فى الشاطبية:

ومَهْمَا تَصِلْها مَعْ أَوَاخِرِ سُورَةٍ   فَلاَ تَقفَنَّ الدَّهْرَ فَيِهَا فَتَثْقُلاَ

وعلى هذا يكون ما بين السورتين، أربعة أوجه عقلية، أمَّا الأوجه النقلية:

فهى الثلاثة الأولى.

أمَّا ما بين آخر الأنفال وأول براءة، فيجوز لجميع القراء، ثلاثة أوجه، من غير بسملة؛ وهى: الوقف، والسكت، والوصل.

ومعنى الوقف: أى الوقف على ﴿ عَلِيمٌ ﴾ مع التنفس، والابتداء ببراءة.

ومعنى السكت: أى الوقف على ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بدون التنفس زمناً أقل من زمن الوقف المعتاد، ثم الابتداء ببراءة.

ومعنى الوصل: أى وصل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ببراءة مع بيان الإعراب، وقلب التنوين ميماً مع الغنة. وقد نظمها العلامة الخليجى فقال، رحمه الله:

وَبَيْنَ الانْفالِ وتَوْبَةٍ بلاَ   بَسْمَلةٍ قِفاً أَوِ اسكُتْ أَوْ صِلاَ

ووجه الوصل: أنه جائز مع وجود البسملة، فمع عدمها أولى.

ووجه السكت: أنه جائز بين السورتين مطلقاً عن التاركين للبسملة، فمع عدمها أولى.

وأفضل الأوجه الثلاثة: الوقف، وبهذا قال الإمام ابن الجزرى: "وأما الوقف فهو الأقيس بمذاهب أهل التنزيل وهو اختيارى للجميع؛ لأن أواخر السور من أتم التمام".

تنبيهـــات: (وعددها أربعة)

التنبيه الأول:

الأوجه الثلاثة التى بين: آخر الأنفال وأول براءة، التى ذكرناها آنفًا، لم تكن مقيدة بهذا المحل فحسب، بل تجوز بين آخر أى سورة وأول براءة، بشرط: أن يكون آخر هذه السورة قبل سورة براءة فى ترتيب المصحف الشريف، فمثلاً: لو وصل القارئ آخر سورة آل عمران بأول سورة براءة، جازت تلك الأوجه الثلاثة، لجميع القراء، بخلاف ما إذا وصل أخر سورة الكهف بأول سورة براءة، فلا يجوز حينئذ إلا الوقف بدون بسملة، ويمتنع الوصل والسكت.

وكذلك إذا كرر القارئ سورة براءة، كأن وصل آخرها بأولها فليس له فى هذه الحالة إلا الوقف بدون بسملة، ويمتنع الوصل والسكت أيضًا.[1]

التنبيه الثانى:

إذا وصلت الميم من﴿ الٓمٓ ﴾، فاتحة سورة آل عمران بلفظ الجلالة، جاز فيها وجهان:

الأول: تحريك الميم بالفتح للتخلص من التقاء الساكنين، مع المد الطويل، نظرًا للأصل قبل التحريك، وهو السكون اللازم.

الثانى: تحريك الميم بالفتح للتخلص من التقاء الساكنين، لكن مع القصر، وهو حركتان، اعتدادًا بالعارض، وهو: تحريك الميم: والوجهان صحيحان، والمد الطويل هو المقدم فى الأداء.

وهذان الوجهان مقروء بهما للأئمة العشرة، باستثناء الإمام أبى جعفر المدنى، لأنه يفصل حروف التهجى المفتتح بها بعض سور القرآن، بسكتة بدون تنفس، ويلزم من السكت هنا. سكون الميم، ومدها طويلاً وجهًا واحدًا للزوم السكون، ويلزم أيضًا قطع همزة لفظ الجلالة، كما يلزم إظهار المدغم، وستعرف كيفيته فى محله إن شاء الله.

---

[1] انظر هداية القارى للأستاذ عبد الفتاح المرصفى.

أوجه الابتداء بأول آل عمران:

إن روعى هذان الوجهان مع أوجه الاستعاذة الأربعة، صارت الأوجه ثمانية، باعتبار وجهى الميم على كل وجه من أوجهها الأربعة، وهذا لعامة القراء باستثناء أبى جعفر، فليس له فى هذه الحالة إلا أوجه الاستعاذة الأربعة المعروفة فقط سواء وصل الميم بلفظ الجلالة أو وقف عليها؛ لأنه يسكت على الميم، ويلزم من هذا السكت الإسكان مع المد الطويل، ولا يجوز القصر بحال.

أمَّا إذا لم توصل الميم بلفظ الجلالة،بأن وقف عليها، فالأوجه الأربعة المعروفة، وهى للقراء العشرة.

أوجه الجمع بين آخر البقرة وأول آل عمران:

إذا كانت الميم موصولة بلفظ الجلالة، تصير الأوجه التى بين السورتين؛ فى هذا الموضع ستة أوجه؛ لأن على كل وجه من أوجه البسملة الثلاثة الجائزة الوجهين اللذين فى الميم. وهذا لحفص عن عاصم ومن وافقه من المبسملين بين السورتين. باستثناء أبى جعفر أيضًا فليس له، فى هذه الحالة، إلا أوجه البسملة الثلاثة التى بين السورتين، سواء وصلت الميم بلفظ الجلالة، أو وقفت عليها، لما تقدم من أنه يسكت على الميم.

أمَّا إذا لم توصل الميم بلفظ الجلالة بأن وقف عليها، فالأوجه الثلاثة المعروفة للمبسملين، من القراء العشرة.

التنبيه الثالث:

عند القراء ما يعرف (بالأَرْبَعِ الزُّهْرِ) والمراد بهن:

الجمع بين: آخر المدثر، وأول القيامة.

والجمع بين: آخر الانفطار، وأول المطففين.

والجمع بين: آخر الفجر، وأول البلد.

والجمع بين: آخر العصر، وأول الهمزة.

وقالوا: التارك للبسملة بين السورتين، إن كان مذهبه (الوصل)، اختير له (السكت)، وإن كان مذهبه (السكت)، اختير له (البسملة)، وذلك فيهن خاصة.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ذلك فى الطيبة بقوله:

واخْتِيرَ للسَّاكِتِ فِى ويلٌ وَلاَ   بَسْمَلَةٌ والسَّكْت عَن مَن وَصَلا

والسبب فى ذلك أن:

١- آخر آية فى سورة المدثر ﴿ ... وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، وأول آية فى سورة القيامة ﴿ لَآ أُقْسِمُ ... ﴾ .

عند الجمع بين الآيتين تأتى ﴿ لَآ ﴾ بعد ﴿ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ .

٢- آخر آية فى سورة الانفطار ﴿ ... وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾، وأول آية فى سورة المطففين ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ... ﴾.

عند جمع الآيتين تأتى ﴿ وَيْلٌ ﴾ بعد اسم الله تعالى.

٣- آخر آية فى سورة الفجر ﴿ ...وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾، وأول آية فى سورة البلد ﴿ لَآ أُقْسِمُ ... ﴾.

عند جمع الآيتين تأتى ﴿ لَآ ﴾ بعد ﴿ جَنَّتِى ﴾.

٤- آخر آية فى سورة العصر ﴿ ... وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾، وأول آية فى سورة الهمزة ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾.

عند جمع الآيتين تأتى ﴿ وَيْلٌ ﴾ بعد ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

وأكثر المحققين على عدم التفرقة بين هذه الأربع وغيرها من السور.

وقال الإمام النُّويرى فى شرح الطيبة معلقًا:

"وكلام القراء فى هذا الموضوع فيه نظر، لأنهم بهذا الرأى قد فروا من قبيح إلى أقبح؛ لأن من وجوه البسملة الوصل، فيلتصق معهم الرَّحيم بـ ﴿ وَيْلٌ ﴾، وبـ ﴿ لَآ ﴾".

ولذلك فالصحيح المختار، هو: عدم التفرقة.

وقال الأئمة المحققون: قول القراء لم ينقله أحد، فهو رأى واختيار لهم ليس له حجة. ويؤكد هذا قول الإمام الشاطبى:

وَسَكْتُهُمُ الْمُخْتَارُ دُونَ تَنَفُّسٍ وَبَعْضُهُمْ فِى الأَرْبَعِ الزُّهْرِ بَسْمَلاَ
لَهُمْ دُونَ نَصًّ ....

ولهذا المعنى: اختار القراء للتاركين للبسملة عند الابتداء بالأجزاء أو الأحزاب أو الأرباع، إن كان أولُ مذكورٍ لفظَ الجلالة، أواسماً من أسمائه، أو ذِكْر نبًى من الأنبياء، أو مؤمنٍ من المؤمنين، أو صفة من صفاتهم؛ ألا يبدأ بها، وأن يبدأ بما قبلها، فمثلا إذا قال القارئ:

(أَعُوذُ بِاَللهِ مِنَ اَلشَّيَطانِ اَلَّرجِيم) ﴿ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ ﴾ فالضمير يعود على آخر مذكور وهو(الرَّجِيم)، فمنعوا ذلك لما فيه من القبح. وقس على هذا المثال ما شابهه.

التنبيه الرابع:

جميع الأوجه المذكورة الواردة على سبيل التخيير، سواء كانت:

أوجه الابتداء بأول السورة، أو فى أثناء السورة، أو فى الجمع بين السورتين، إنما المقصود منها: معرفة جواز القراءة بكل منها، فأى وجه قرئ به جاز، ولا حاجة للجمع بينها إلا إذا قصد استيعاب الأوجه على نحو التعليم أو التعلم والتدريب.

ولكن يرى المحققون وأهل الأداء: أن وجه القطع- إن جاز- فهو أفضل من الوصل؛ لأنه:

إن كان اللفظ المبتدأ به يستحق التوقير، والإجلال، ويسمل القارئ قبله، فلا إشكال، وإذا استعاذ فقد قطع بين (الرَّجِيم)، وبين هذا اللفظ الجليل.

وإن كان اللفظ المبتدأ به يستحق الذم والزجر واستعاذ القارئ قبله فلا إشكال، وإذا بسمل فقد قطع بين (الرَّجِيم)، وبين هذا اللفظ المذموم.

التكــبير

ويقصد بالتكبير هنا: تكبير القراء فى القرآن، بقولهم: (الله أكبر)، ولم يرد التكبير من طريق الشاطبية، إلا عن ابن كثير المكِّى مع الخواتم، أى أَواخر السور التى هى بقرب الختم يعنى: قرب آخر القرآن.
وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

وَفِيهِ عَنِ الْمَكِّينَ تَكْبِيرُهُمْ مَعَ الْـ خَوَاتِمِ قُرْبَ الخَتْمِ يُرْوى مُسَلْسَلاَ

أَمَّا من طريق طيبة النشر: فقد ورد عن جميع القراء، عند الابتداء بأول السورة، أَمَّا عند الجمع بين السورتين، فللمبسملين فقط، لأن من شرط التكبير وجود البسملة.
وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ذلك بقوله:

.... عَنْ كُلِّهِمْ أَولُ كُلٍّ يَستَوِى

حكـم التكــبير:

هو ليس بقرآن، وإنما هو ذكر جليل، أثبته الشرع على وجه التخيير، بين سور القرآن، كما أثبت الاستعاذة فى أول القراءة، ولذلك لم يرسم فى جميع المصاحف العثمانية مكية وغيرها.

وجاء فى نهاية القول المفيد:
وقد اتفقت الحفاظ على أن التكبير لم يرفعه أحد إلى النبى ﷺ، إلا البزى، فقد روى عنه بأسانيد متعددة،أنه قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكى، فلما بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، قال لى: كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، فإنى قرأت على عبد الله بن كثير فأمرنى بذلك، وأخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على عبد الله بن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبىّ بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبىّ أنه قرأ على النبى ﷺ فأمره بذلك. ورواه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين،عن أبى يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد الإمام بمكة، عن محمد ابن على بن زيد الصائغ، عن البزى، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه الشيخان. وأَمَّا غير البزى، فإنما رواه

موقوفًا عن ابن عباس؛ قال ابن الجزرى:وقد صحّ التكبير عند أهل مكة قرائهم وعلمائهم وأئمتهم ومن روى عنهم صحة استفاضت وذاعت وانتشرت حتى بلغت حد التواتر فى كل حال صلاة وغيرها عند ختم القرآن العظيم. انتهى.

صيغته:

اتفق أهل الأداء على أن لفظَهُ (الله أكبر)، ويَكون قبل البسملة، وأجاز بعضهم زيادة التهليل أى يقول: (لاَ إِلَهَ إلاَّ الله وَاللهُ أَكْبَر)، أو زيادة التحميد أى يقول:

(لا إله إلا الله وَالله أَكْبَر وَللهِ الْحَمْد)، وذلك لأن الموضع موضع إطناب وتلذذ بذكر الله تعالى.

التكبير فى رواية حفص عن عاصم:

لم يرد عنه التكبير مطلقًا عن طريق الشاطبية. وورد له الوجهان (التكبير وتركه) عن طريق الطيبة.

محل التكبير:

قبل البسملة، ويستوى فى ذلك: الابتداء بأول السورة، أو وصلها بما بعدها،ولهذا منع التكبير من أول سورة التوبة، لعدم إثبات البسملة فى أولها سواء ابتدئ بها، أو وصلت بآخر الأنفال.

موضع ابتداء وانتهاء التكبير:

للعلماء ثلاثة مذاهب:

الأول: التكبير من أول سورة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾، وما بعدها إلى أول سورة الناس.

الثانى: التكبير من أول سورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾، وما بعدها إلى آخر سورة الناس.

الثالث: التكبير من أول كل سورة أى: من أول الفاتحة، إلى آخر القرآن، سوى أول براءة، (**ويعرف بالتكبير العام**)، أى العام لجميع سور القرآن، وأمَّا سورة براءة، فلا تكبير فى أولها، والسبب: أن التكبير – حيث كان – لابد من اقترانه بالبسملة مقدمًا عليها، ولعدم البسملة فى أولها انعدم التكبير بالإجماع، لحفص ولغيره.

وقد أشار العلامة الضبَّاع إلى هذه المذاهب الثلاثة بقوله:

مِنْ أَول انشراحها أَو مِنْ فَحَدِّث　　　خُلْفُ تكبير لحفص قد ورد

ويعضُهُمْ كبَّرَ فى غيْر بَـــرَاءَةٍ　　　وتَرْكُهُ لجـــــمــــهورٍ جَرَى

والمعنى: أن لحفص وجهين: التكبير وتركه، سواء أكان عامًّا فى جميع السور، ماعدا براءة، أم خاصًّا بأول الشرح أو أول الضحى؛ وذلك عن طريق الطيبة، أما عن طريق الشاطبية فليس له إلا ترك التكبير مطلقًا.

أوجه التكـــبير:

أولاً : أوجه التكبير إذا ابتدئ من أول سورة الفاتحة وما بعدها إلى أول سورة الناس، أو من أول أى سورة وما بعدها من سور التنزيل باستثناء أول براءة.

جاز لحفص ثمانية أوجه وهى:

الأول: قطع الجميع، وكيفيته: الوقف على الاستعاذة، وعلى التكبير، وعلى البسملة، والابتداء من أول السورة.

الثانى: مثل الأول، ولكن بوصل البسملة بأول السورة.

الثالث: الوقف على الاستعاذة، ووصل التكبير بالبسملة مع الوقف عليها، والابتداء بأول السورة.

الرابع: الوقف على الاستعاذة، ووصل التكبير بالبسملة بأول السورة.

* وهذه أربعة أوجه أتت على قطع الاستعاذة، والأربعة الباقية تأتى على وصلها كذلك.

الخامس: وصل الاستعاذة بالتكبير مع الوقف عليه وعلى البسملة، والابتداء بأول السورة.

السادس: مثل الخامس، إلا أنه بوصل البسملة بأول السورة.

السابع: وصل الاستعاذة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها والابتداء بأول السورة.

الثامن: وصل الجميع، أى وصل الاستعاذة بالتكبير بالبسملة بأول السورة، جملة واحدة.

ثانياً : أوجه التكبير عند الجمع بين السورتين، كالجمع بين آخر الفاتحة وأول البقرة وما بعدهما إلى آخر ما بين الليل وأول الضحى، باستثناء آخر الأنفال وأول براءة.

وهنا يجوز لحفص خمسة أوجه.

الأول: قطع الجميع، وكيفيته: الوقف على آخر السورة السابقة، وعلى التكبير، وعلى البسملة، ثم الابتداء بأول السورة اللاحقة.

الثانى: مثل الأول، غير أنه بوصل البسملة بأول السورة اللاحقة.

الثالث: الوقف على آخر السورة السابقة، ووصل التكبير بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة اللاحقة.

الرابع: الوقف على آخر السورة السابقة، ووصل التكبير بالبسملة بأول السورة اللاحقة.

* فهذه أربعة أوجه جاءت على قطع آخر السورة السابقة، أما الوجه الباقى فيأتى على وصل آخر السورة السابقة.

الخامس: وصل الجميع، وكيفيته: وصل آخر السابقة بالتكبير بالبسملة بأول السورة اللاحقة، جملة واحدة.

ثالثاً : أوجه التكبير عند الجمع بين السورتين من آخر سورة الضحى وما بعدها إلى آخر سورة الناس وأول الفاتحة.

وهنا يجوز لحفص سبعة أوجه.

الأول: قطع الجميع، وكيفيته: الوقف على آخر الضحى، وعلى التكبير، وعلى البسملة ثم الابتداء بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.

الثانى: مثل الأول، إلا أنه بوصل البسملة بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.

الثالث: الوقف على آخر الضحى، ووصل التكبير بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.

الرابع: الوقف على آخر الضحى، ووصل التكبير بالبسملة بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾.

* فهذه أربعة أوجه على قطع آخر الضحى، أمَّا الأوجه الثلاثة المتممة للسبعة فتأتى على وصله، وهى:

الخامس: وصل آخر الضحى بالتكبير موقوفًا عليه وعلى البسملة أيضًا، ثم الابتداء بـ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾.

السادس: وصل آخر الضحى بالتكبير مع الوقف عليه، ثم وصل البسملة بـ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾.

السابع: وصل الجميع أى وصل آخر الضحى بالتكبير بالبسملة بـ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾، جملة واحدة.

تنبيهات: (وعددها خمسة)

التنبيه الأول:

قسم أهل الأداء أوجه التكبير السبعة المذكورة قريباً إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويضم الوجهين المختصين بأن التكبير لأول السورة، وهما:

الوجه الثالث والوجه الرابع.

القسم الثانى: ويضم الوجهين المختصين بأن التكبير لآخر السورة، وهما:

الوجه الخامس والوجه السادس.

القسم الثالث: ويضم الأوجه الثلاثة المحتملة لكلا التقديرين، وهى:

الوجه الأول والوجه الثانى والسابع.

وسبب تقسيم أوجه التكبير السبعة إلى هذه الأقسام الثلاثة يرجع فى الأصل إلى سبب ورود التكبير.

وقال الجمهور من المفسرين والقرّاء: إنَّ سببه أن الوحى أبطأ وتأخر عن رسول الله ﷺ أيامًا، قيل اثنا عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعون يومًا، فقال المشركون- تعنتًا وعدوانًا- إن محمدًا ودعه ربه وقلاه أى أبغضه وهجره، فجاءه جبريل عليه السلام وألقى عليه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ الضحى: ١ - ٢، إلى آخرها، فقال النبىّ ﷺ عند قراءة جبريل لها؛ (الله أكبر) تصديقًا لما كان ينتظر من الوحى وتكذيبًا للكفار.

وأُلحق ذلك بما بعد ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ من السور تعظيمًا لله عز وجل، فكان تكبيره آخر قراءة جبريل وأوّل قراءته ﷺ.

واختلف فى سبب تأخر الوحى، فقيل: لتركه الاستثناء حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال: ائتونى غدًا أخبركم، ونسى أن يقول إن شاء الله، فانقطع الوحى تلك المدة. وقيل: كبر ﷺ فرحًا وسرورًا بالنعم التى عدّدها الله عليه فى سورة الضحى خصوصًا نعمة قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الضحى: ٥، فقد قال أهل التفسير هى أرجى آية فى كتاب الله، وقد قال ﷺ لما نزلت: أنا لا أرضى وواحد من أمتى فى النار، وقيل غير ذلك.

ولقد ورد فى كل كتب القراءات التى تعرضت لذكر التكبير أن النبى ﷺ قد أمر بالتكبير من سورة الضحى ومع خاتمة كل سورة بعدها إلى آخر الناس.

وقال العلماء فى ذلك: هل كان تكبيره ﷺ بعد قراءة جبريل، فيكون التكبير لآخر الضحى، أو كان تكبيره لابتداء قراءته ﷺ فيكون التكبير لأول الضحى.

وهذا هو السبب فى أن التكبير قد يكون لأول السورة وقد يكون لآخرها، ويمكن حمل تكبيره ﷺ على كلا التقديرين أى كون التكبير لآخر السورة أو لأوَّلها.

وسواء كان التكبير لأول الضحى أو لآخرها أو كان محتملاً لكِلا القولين فهذا الحكم ليس خاصًّا بسورة الضحى وحدها بل ينسحب على سائر سور الختم بعدها.

التنبيه الثانى:

ليس الاختلاف فى هذه الأوجه السبعة اختلاف رواية يلزم الإتيان بها كلها بين كل سورتين، وإن لم يفعل ذلك كان إخلالاً بالرواية، بل هو اختلاف تخيير، وإن كان يحسن الإتيان بوجه مما يختص بكونه لآخر السورة، وبوجه مما يختص بكونه لأوّلها، وبوجه من الثلاثة المحتملة للوجهين، إذا قصد جمع تلك الطرق لأجل حصول التلاوة بجميعها ولا يلزم الإتيان بها كلها.

التنبيه الثالث:

يمتنع بالإجماع وصل آخر السورة السابقة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها والابتداء بأول اللاحقة، لأن فيه إيهامًا بأن البسملة لآخر السورة لا لأوّلها.

وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

فإنْ شِئْتَ فاقْطَعْ دُونَهُ أو عَليهِ أو   صلِ الكلَّ دُونَ القطعِ مَعْهُ مُبَسْمِلا

والمقصود هو قوله (دون القطع معه مبسملا)، أى يمتنع وصل التكبير بآخر السورة بالبسملة وقطعها عن أول السورة اللاحقة.

التنبية الرابع:

من قال بالجمع بين التهليل والتكبير والتحميد فلابدّ أن يكون بهذا اللفظ وعلى هذا الترتيب (لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد)، لا يفصل بعضه من بعض مع تقديم ذلك على البسملة، كذلك وردت الرواية وثبت الأداء، ولا يسمح ولا يجوز التحميد مع التكبير إلا أن يكون التهليل معه، ويجوز التهليل مع التكبير من غير تحميد.[1]

التنبية الخامس:

إذا قرأت بالتكبير وحده أو مع غيره من تهليل، أو تهليل وتحميد، وأردت قطع القراءة على آخر السورة من سور التكبير، فعلى مذهب من جعل التكبير لآخر السورة: كبرت وقطعت القراءة، فإن أردت الابتداء بالسورة التى تليها بسملت من غير تكبير.

وعلى مذهب من جعله لأوّل السورة: قطعت على آخر السورة من غير تكبير، فإذا ابتدأت بالسورة التى تليها كبرت قبل التسمية.

ولهذا كان من يكبرون فى صلاة التراويح يكبرون آخر كل سورة، ثم يكبرون للركوع، على أن التكبير لأواخر السور.

ومن جعله لأوائلها كان إذا قرأ الفاتحة وأراد الشروع فى السورة كبر إجراء على هذا والله أعلم.[2]

*****

---

[1] انظر نهاية القول المفيد.

[2] انظر نهاية القول المفيد.



ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

نقط الحروف– ترتيب الحروف– أنواع الترتيب– الحروف الأصلية– والحروف الفرعية.

الفصل الثانى:

أهم الفوارق بين رسم المصحف العثمانى والرسم الإملائى الذى اعتدنا عليه– نبذة مختصرة عن وسائل تخفيف الهمزات فى القرآن الكريم.

الفصل الثالث:

اصطلاحات لضبط أحكام التلاوة برواية الإمام حفص عن عاصم من طريق الشاطبية– صلة هاء الكناية وعلامات الضبط الدالة عليها.

(الفصل الأول)

نقط الحروف

هذا القرآن العظيم يتألف من مائة وأربع عشرة سورة، هذه السور كل منها يتألف من مقاطع أصغر اسمها آية، وجمعها آيات وآي، والآية الواحدة تتألف من جمل أو من جملة، والجملة العربية تتألف من كلمات، والكلمة الواحدة تتألف من حروف، فالحرف هو أصغر وحدة بنائية فى الصرح القرآنى العظيم، وفى لغة العرب.

تعريف الحرف:

الحرف فى اللغة: يعنى (الطَّرَف).

ومن هذا المعنى سميت أ ب ت ث ...إلخ– على اختلاف أصواتها– حروفًا؛ لأن هذه الحروف تتكون منها الكلمة التى هى عبارة عن طرفين (طرف فى أولها، وطرف فى آخرها)، وطرفا كل شىء حرفاه من أوله ومن آخره، أو حدَّاه من أوله ومن آخره.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ هود: ١١٤، أى أوله وآخره.

وجاء فى كتاب تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين:

معنى الحرف: الحرف فى الأصل: الطرف والجانب، وحرفا الرأس: شقاه، وحرف السفينة والجبل: جانبهما، وقال الجوهرى: حرف كل شىء طرفه وشفيره وحدّه ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد.

وفى ضوء هذا المعنى الأصل أطلق لفظ (الحرف) على الصوت الهجائى، لأن كل صوت هو جانب من جوانب الكلمة، غير أن إطلاق اللفظ لم يقتصر على الهجاء، وإنما تعداه إلى عدة إطلاقات، أساسها التوسع فى تصور علاقة المعنى المجازى بالمعنى الحقيقى، وقد بلغت عدتها أربعًا، فالحرف: هو الأداة التى تسمى الرابطة، ولعلها سميت كذلك لأنها اتخذت جانبًا عاريًا من المعنى فى الكلام، بخلاف الاسم والفعل، أو لأنها الحد الذى يربط بين الاسم والفعل، ويلتقى عنده جانب الكلام.

والحرف: كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن، تقول: هذا فى حرف ابن مسعود، أى فى قراءة ابن مسعود - وهو معنى آخر من معانى الحرف - والمراد بإطلاق الحرف هنا: أن كل وجه من وجوه الكلمة فى القراءة يسمى حرفًا، والعلاقة حينئذ واضحة بين هذا المعنى والمعنى الحقيقى.

والحرف: يراد به اللغة، أى اللهجة التى تتكلم بها قبيلة من القبائل. والحرف: يراد به الوجه، وهو ما أريد به فى قوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ الحج: ١١، أى على وجه الشك لا على وجه اليقين والتسليم لأمره. انتهى بتصرف.

وكان الخط الذى يكتب العرب به لغتهم قبل نزول القرآن يعرف بالخط الحيرى، وكان عبارة عن رسم جسم الحرف فقط دون نَقْط، ويعتمدون على سليقتهم الفصحى فى فهم الكلام من خلال السياق واللحاق، وقد كان هذا الوضع مقبولاً فى العصر الأول لقرب الناس من زمان التلقى.

وهذا الخط هو الذى كتبوا به الوحى بين يدى رسول الله ﷺ، ثم كتبوا به صحف أبى بكر التى جمع فيها القرآن، ثم كتبوا به المصاحف العثمانية، وصار يسمى بالخط الحجازى.

وجاء فى تاريخ القرآن[1]: "ومن المعلوم أن العرب كانوا يعتمدون فى نقل الأخبار على الذاكرة، وأنهم لم يستعملوا الكتابة بصورة واضحة إلا فى تسجيل النص القرآنى على عهد النبى ﷺ، مخافة تحريف النص، وقد كان استعمالهم للذاكرة فى ضبط النصوص ونقلها دافعًا لبعضهم أن يهمل فيما يكتب مراعاة الإعجام، حتى بلغ الأمر أن عد بعضهم الإعجام والنقط مما لا يليق فى الكتب والرسائل، لأنه يدل على أن الكاتب يتوهم فيمن يكتب إليه الجهل وسوء الفهم". وجاء فيه أيضًا:

"فأما النقط فمن المقطوع به أن الخط الذى وصل إلى العرب لم يكن مضبوطًا بالحركات والسكنات، بل كان خلوًا مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة، بل إن ذلك شأن جميع الخطوط السامية التى تتصل بالخط العربى، وقد كان الناس يعتمدون فى ضبط كلامهم على سليقتهم الفصحى، أو على ما يحدده السياق المكتوب، انتهى.

فلما دخل غير العرب فى الإسلام صاروا يخلطون فى نطق الحروف فيقرءون الراء زايًا أو العكس، ويقرءون الدال ذالاً أو العكس، وهكذا، وأيضًا صاروا يقرءون بحركات تغير المعنى تغييرًا شنيعًا، فكان لابد من نقط المصاحف صيانة للفظ القرآنى من التحريف.

---

(١) للدكتور عبد الصبور شاهين.

والنقط له معنيان:

الأول: نقط الإعراب: وهو ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو تشديد أو مد أو غير ذلك من علامات تدل على حركات الحروف، وقد أطلق عليه القدماء (النقط)؛ لأنَّه كان فى بدايته فى صورة نقطة توضع فوق الحرف أو أسفله أو بين يديه أو عن شماله.

الثانى: نقط الإعجام: وهو ما يدل على ذوات الحرف فيفرق بين المنقوط منها، نحو: ت- ث... إلخ، وغير المنقوط نحو: ع ـ ح ـ س... إلخ.

أولاً: **نقط الإعراب**:

فى عهد معاوية بن أبى سفيان- وكان أميرًا للمؤمنين- كتب إلى ابنه زياد وكان واليًا على البصرة من قِبَل معاوية يطلب عبيد الله بن زياد، فلما قدم عليه كلَّمَه معاوية فوجده يلحن فرده إلى أبيه، وكتب له كتابًا يلومه فيه على وقوع ابنه فى اللحن.

فبعث زياد بن معاوية إلى أبى الأسود الدؤلى وقال له: إن هؤلاء الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب فلو وضعت شيئًا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود.

فاستدعى زياد رجلاً وقال له اقعد فى طريق أبى الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل الرجل ذلك، ولما مر به قرأ قول الله تعالى:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ **التوبة: ٣ بكسر اللام فى (رسوله).**

فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال: عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى ما سألتنيه، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إِلِيَّ ثلاثين رجلاً كى أختار منهم واحدًا، فأرسلهم زياد، فجعل يختبرهم حتى وقع اختياره على رجل من بنى عبد القَيْس، وقال له: خذ المصحف وصبغًا يخالف لون مداد المصحف واستمع إلىَّ فإذا وجدتنى فتحت شفتى عند النطق بحرف فاجعل نقطة فوقه، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف الذى نطقت به أى أمامه، وإذا خفضت شفتى فأجعل النقطة فى أسفله، وإذا اتبعت شيئًا من الحركات غنة (أى تنوينًا) فانقط نقطتين، وأما الساكن فاتركه بلا نقط.

وكلَّما أتم الكاتب صفحة راجعها أبو الأسود معه حتى فرغوا من ضبط المصحف جميعه على هذا النهج، وتفنن الكُتَّاب بعد أبى الأسود فى شكل النقط، فمنهم من جعلها مربعة

(□)، ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط (●)، ومنهم من جعلها مدورة مجوفة الوسط (º)، وزاد أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه إلى أعلى (ب)، ثم زيدت علامات أخرى، فوضع السكون جرة أفقية فوق الحرف (-)، وهذا هو ما انتهت إليه رموز الشكل في عهد بنى أمية.

إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدى فى العصر العباسى، وهو من أكابر الدولة العباسية الأعلام، فوضع للشكل رموزًا أوضح، فجعل أساسها صورًا من الحروف التى تتولد منها، وكان مجموع ما وضعه من رموز الشكل ثمانى علامات، وكلها حروف صغيرة أو أجزاء من حروف بينها وبين ما ترمز إليه وتدل عليه مناسبة واضحة الدلالة، بخلاف علامات أبى الأسود الدؤلى وتلاميذه التى كانت مجرد اصطلاح (فلم تكن هناك مناسبة بين النقط المصطلح عليها ومدلولاتها). كما أن الخليل وضع التشديد واخترع صورة للهمزة لم تكن معروفة من قبل.

وطريقة الخليل كالآتى:

١- الفتحة: ألف مضطجعة فوق الحرف، وحاليًا شرطة فوق الحرف، وإن لحقها تنوين فشرطتان.
٢- الكسرة: ياء تحت الحرف إشارة إلى الجر والكسر، وحاليًا شرطة تحت الحرف، وإن لحقها تنوين فشرطتان.
٣- الضمة: واو أعلى الحرف باعتبار علامة الرفع فى الأسماء الخمسة، وإن لحقها تنوين تكرر.
٤- السكون: دائرة تشبه رأس الميم إشارة إلى ميم الجزم، وسموا تلك الدائرة جزمة، أو تجعل رأس جيم إشارة إلى كلمة الجزم أيضاً.
٥- التشديد: رأس الشين إلى أعلى إشارة إلى كلمة التشديد.
٦- همزة القطع: ترسم رأس عين لقربها من مخرج العين.
٧- همزة الوصل: جَعَل لألف الوصل رأس صاد صغيرة فوق ألف الوصل رمزًا إلى أنها موصولة.
٨- المد: جَعَلَ له حرفى ميم ودال متصلتين (مد) توضعان على الحروف الممدودة، وحاليا طمست دائرة الميم والجزء العلوى من الدال فأصبحت(~).

ثانياً: نقط الإعجام:

فى العصر الأموى وفى عهد عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، كثر التصحيف فى لغة العرب، وانتشر على كثير من الأفواه، فخيف على القرآن أن يمتد إليه يد هذا العبث، فأمر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى- وكان واليًا على العراق من قِبَلِهِ- أن يعمل جاهدًا على إبعاد أسباب التحريف عن ساحة القرآن.

فندب الحجاج بن يوسف الثقفى بدوره "نصر بن عاصم الليثى[1] ويحيى بن يعمر العدوانى[1] للقيام بهذه المهمة"، وقد حاول بعض الناس ألا يستجيبوا لإعجام الحروف ولكن الحجاج بن يوسف الثقفى بسطوته أخضع الجميع لرأيه، وعم الإعجام جميع ما يكتب من القرآن وغيره، ثم عرف الناس أهميته فاستحسنوه.

هذا وقد قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بترتيب الأبجدية العربية وتنقيط الحروف، فأول ما أحدثوا فيه: النقط على الباء والتاء والثاء، فوضعوا نقطة تحت الباء حيث إنه الحرف الأول، ووضعوا نقطتين فوق التاء لأنه الحرف الثانى، ووضعوا ثلاث نقاط فوق الثاء لأنه الحرف الثالث، ثم وضعوا كل حرفين متشابهين بجوار بعض وتركوا الأول بدون نقط ووضعوا نقطة فوق الحرف الثانى، على النحو التالى:

د ذ/ر ز /س ش/ص ض/ط ظ/ع غ، وفى حرف الشين وجدوا أنه سيَحدثُ تشابه بينه وبين حرف النون إذا وضع فى وسط الكلمة فوضعوا نقطة النون فى الوسط، ورسموا الشين بثلاث أسنان، ووضعوا نقطة فوق كل سن، ثم صرنا الآن نكتب الشين بثلاث نقاط مجموعة فوقها على شكل مثلث، هكذا (ش).

وفى حروف الجيم والحاء والخاء: فقد اتفقوا على أن يكون الحرف الأول بنقطة تحته، والثانى مهملاً بدون نقطة، والثالث بنقطة فوقه.

وبالنسبة للفاء والقاف: فقد اتُّفِقَ على أن تكون نقطة الفاء أسفله، ونقطة القاف أعلاه، وما زالت مصاحف المغاربة تتبع ذلك إلى يومنا هذا، أما المشارقة فغيَّروا فجعلوا نقطة فوق الفاء، ونقطتين فوق القاف (ف ق).

---

(١) نصر بن عاصم الليثى: كان فقيهًا عالمًا بالعربية من قدماء التابعين، وكان تلميذ أبى الأسود الدؤلى فى القراءة والنحو. مات بالبصرة سنة ٩٠هـ.

(٢) يحيى بن يعمر العدوانى: كان فقيهًا أديبًا نحويًا مبرزًا- سمع ابن عمر وجابرًا وأبا هريرة، أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى. مات سنة ١٢٩هـ.

وفى حروف الصاد والضاد والطاء والظاء: ميَّزوا بين الصاد والضاد من جهة، وبين الطاء والظاء من جهة، بأن وضعوا للصاد والضاد سنًّا طويلة بعدهما (صـ – ضـ) وفى الطاء والظاء طوَّلت هذه السن، هكذا (ط ـ ظ)، ثم مُيِّز بين الصاد والضاد بأن نقطوا الضاد، ومُيِّز بين الطاء والظاء بأن نقطوا الظاء. وكثيرًا ما يعبَّرون عن حرف الظاء (بالظاء المشالة)، وسميت مشالة تفريقًا بينها وبين الضاد؛ لأن الظاء تكتب بوضع ألف عند ملتقى طرفيها، فكأن وجود الألف بمثابة الشَّول أو الرفع، وفى اللغة يقال: شال الشىء أى رفعه.

وللتمييز بين حرفى الكاف واللام: وضعوا فوق الكاف ما يشبه الهمزة (ك)، فتميزت عن اللام (ل)، وبقيت أحرف لا شبيه لها فتركوها كما هى، وهى:

الميم والهاء والألف والواو والياء.[1]

وجسم هذه الحروف وأسماؤها معروف من قديم الأزل، ولا يعلم لماذا قالت العرب (صَاد)، ولم تقل (صُود) أو (صيد)، ولا يعلم لماذا قالت العرب (عَين) بفتح العين، ولم تقل (عِين) بكسرها فهذه أمور سماعية لا تُعلَّل.

أمَّا ترتيب الحروف الأبجدية: فقام به نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر.

ونخلص مما سبق إلى:

أول ما أُحْدِث فى المصحف العثمانى هو نقط الإعراب، وواضعه أبو الأسود الدؤلى، ثم نقط الإعجام، وواضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، ثم الشكل الذى اخترعه الخليل ابن أحمد الفراهيدى.

ثم انتشرت الكتابة بعدهم وتقدمت تقدمًا كبيراً، والفضل فى ذلك منسوب لعلماء الكوفة، لأنهم أوَّل من اهتم بالكتابة وحسَّنها حتى أنها سميت الكتابة الكوفية نسبة إليهم، ثم بعد ذلك كان علماء البصرة، حيث نبغ فيهم ابن مقلة وزير المقتدر بالله أحد خلفاء الدولة العباسية الذى حوَّل بمهارته الكتابة من صورتها الكوفية إلى الصورة الحالية، وتبعه كثير من العلماء على هذا التحسين حتى وصلت الكتابة العربية إلى ما هى عليه الآن من جمال الرونق وحسن الوضع.

---

[1] انظر الجامع فى تجويد القرآن للأستاذ كامل المسيرى.

ترتيب الحروف

كانت العرب وحتى نهاية القرن الأول الهجرى ينطقون الهمزة ولا يعرفون لها صورة فى الخط، فإذا كتبوا كلمة مهموزة يستعيرون للهمزة صورة الألف، أى يكتبون مكان الهمزة ألفًا نحو (نشَأْ)، يكتبونها (نشا)، وعند النطق ينطقون الهمزة لا الألف. أو يستعيرون صورة الواو، أى يكتبون مكان الهمزة واوًا نحو (يؤْمنون)، يكتبونها (يومنون)، وعند النطق ينطقون الهمزة لا الواو.

أو يستعيرون صورة الياء، أى يكتبون مكان الهمزة ياءً نحو (بئْر)، يكتبونها (بير)، وعند النطق ينطقون الهمزة لا الياء. وقد لا يستعيرون لها صورة، وذلك فى الهمزات التى نكتبها نحن الآن على السطر، أى يحذفون الهمزة من الخط وينطقونها نحو (قُرْءان) يكتبونها (قران) وينطقونها بالهمزة كما ننطقها نحن الآن.

ومن هنا: كانت الحروف المكتوبة عددها أنقص بواحد من عدد الحروف المنطوقة؛ لزيادة حرف الهمزة التى كانت تنطق، ولا تكتب.

سميت الحروف المكتوبة (الحروف الأبجدية)، وعددها ثمانية وعشرون حرفًا، تبدأ بألف يسمونها همزة مجازًا (لأن الهمزة ليس لها صورة فى الخط فيستعيرون لها صورة الألف).

وسميت الحروف المنطوقة (الحروف الهجائية)، وعددها تسعة وعشرون حرفًا تبدأ بهمزة يسمونها ألفًا مجازًا (لأن الهمزة إذا تصدرت الحروف لابد أن توضع على ألف أو تحت الألف).

وإلى ذلك أشار الإمام "الطيبى" بقوله:

وَعِـــدَّةُ الحُروفِ للهِجَـــاءِ تِسْعٌ وعشرونَ بلا امتراءِ
أوَّلُها الهَمْزُة لكنْ سُـــمِّيَتْ بألفٍ مجازًا إذ قد صُوِّرَتْ
بِها فى الاِبتداءِ حَتمًا وَهْىَ فى ســـواءِ بالواوِ ويا وَأَلِفِ
ودونَ صـــورةٍ فما للهمـــزِ ما مَرَّ لتخـــفيفٍ إليهِ عُـلِما

وفى بداية القرن الثانى الهجرى جاء العالم الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدى شيخ سيبويه وصاحب كتاب العين فاخترع صورة للهمزة على شكل رأس العين، فأصبحت الهمزة المنطوقة مكتوبة وتصدَّرت ترتيب الحروف (الأبجدية والهجائية) حقيقة، ووضعت الألف (فى ترتيب الحروف الهجائية) بين الواو والياء، ولأن الألف هى الحرف الوحيد الذى لا يمكن كتابته منفردًا لم يدخل فى عدِّ الحروف الأبجدية، وأَمَّا فى عدِّ الحروف الهجائية فقد

وضعت الألف بين الواو والياء بعد جلب لام مفتوحة قبلها فتنطق (لاَ) أو (لام ألف)، وأشار إلى ذلك الإمام الطيبى[1] بقوله:

فمن يكن عن ألف قَدْ سُئِل   بأن يُبيِّن لَفظَهَا يَقُولُ لاَ

أنواع ترتيب الحروف:

عند علماء اللغة هناك ثلاثة أنواع لترتيب الحروف العربية:

النوع الأول: الترتيب الألفبائى، ويخص ترتيب الحروف الهجائية.

النوع الثانى: الترتيب الأبجدى، ويخص ترتيب الحروف الأبجدية.

النوع الثالث: الترتيب الصوتى، ويخص ترتيب الحروف على أساس مخارجها.

النوع الأول من أنواع ترتيب الحروف (الترتيب الأَلِفبائى):

يخص ترتيب حروف الهجاء التسعة والعشرين أولها الهمزة وآخرها الياء، كلها فصيحة منطوقة.

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى .

والهجاء فى اللغة هو: تقطيع الكلمة لبيان الحروف التى ركبت منها، وسميت حروفًا هجائية لأنه لا يتوصل لمعرفتها عادة إلا به.

وتسمى أيضًا (بحروف المُعجَم) بضم الميم وفتح الجيم، من أعجم الحرف إذا نقطه، ومعناه: حروف الخط الذى وقع عليه الإعجام. أى النقط، والإعجام لم يقع عليها كلها وإنما أطلقت التسمية للتغليب، أى تغليب الأكثر على الأقل.

وسماها الخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه (بالحروف العربية)، لتركيب كلام العرب منها.

وجاء فى نهاية القول المفيد:

حروف الهجاء "لم يكمل عددها إلا فى لغة العرب؛ إذ لا (همزة) فى لغة العجم إلا فى الابتداء، ولا (ضاد) إلا فى العربية".

---

[1] هو أحمد بن بدر الدين الطِّيبى بكسر الطاء المشددة دمشقى كان مدرسًا واعظًا فقيهًا نحويًا. توفى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة للهجرة. له تصانيف كثيرة منها: بلوغ الآمانى فى قراءة ورش من طريق الأصبهانى، المفيد فى علم التجويد، التنوير فيما زاد للسبعة الأئمة البدور على ما فى الحرز والتيسير وغيرها.

وقال الإمام ابن الجزرى فى التمهيد:

الحروف التسعة والعشرون المشهورة اشتركت لغات العرب ولغات العجم فى استعمالها، إلا (الظاء) المعجمة، فإنها للعرب خاصة، انفرد العرب بها دون العجم، وقيل إن (الحاء) أيضا انفردت بها العرب.

قال الأصمعى: ليس فى الرومية ولا فى الفارسية (ثاء)، ولا فى السريانية (ذال).

وكذا ستة أحرف انفردت بكثرة استعمالها العرب، وهى قليلة فى لغات العجم، ولا توجد فى لغات كثير منهم، وهى (العين) و (الصاد) و (الضاد) و (القاف) و (الظاء) و(الثاء).

وانفردت أيضا باستعمال (الهمزة) متوسطة ومتطرفة، ولم تستعمل ذلك العجم إلا فى أول الكلام، وليس فى لسان اختلاف فى لفظ التنوين.

وقال المحققون تعليقًا على كلام ابن الجزرى:

تكثر هذه الملاحظات فى مؤلفات أئِمة العربية وتعد هذه الأحكام صحيحة إلى حدٍّ ما إذا حملنا كلام علماء العربية على أنهم يعنون به اللغات الحية المعروفة لديهم وليس كل لغات البشر. والبحوث الحديثة تؤيد كثيرًا مما قالوا، فالمهتمون بدراسة اللغات السامية والمقارنة بينها يُجمعون على أن اللغات السامية تتميز من الناحية الصوتية بوجود أصوات الحلق(ء،هـ، ع، ح، غ، خ)، وأصوات الاستعلاء (ص، ض، ط، ظ، ق ،غ، خ)، والأصوات بين الأسنانية (ذ، ث، ظ)، ولكنهم يتفقون على أن كثيرًا من هذه الأصوات ضاع من اللغات السامية أو بعضها، فالحاء صارت (خاء)، فى العبرية، والآرامية، والهاء، والحاء، والعين، والغين، تركت فى البابلية الآشورية، والهمزة تأتى محققة بعد حركة فى كثير من اللغات السامية على أنها أصل من أصول الكلمة الثلاثية مثل (رأس) و (بئر)، وفى البابلية الآشورية تترك هذه الهمزة دائمًا ويعوض عنها بحركة المد قبلها.

وقال بعض اللغويين المعاصرين: الأصوات الحلقية والمستعلية ليست فى اللغات الأوربية كرموز صوتية متميزة ولكن بعضها مثل الهمزة قد يسمع بصورةٍ مَا فى بعض اللغات كالألمانية ولكنه لا يشكل وحدة صوتية متميزة، وتحوَّل الصوتان المطبقان الضاد والظاء، ليصيرا مع الصاد صوتًا واحدًا هو الصاد فى الحبشية، والعبرية، والآرامية، والآشورية البابلية، وقد بقى من الأصوات المستعلية فى اللغات السامية الصاد والضاد والقاف.

وقالوا أيضًا: الظاء من مستحدثات العربية متطورة عن الصاد، وأن الضاد من خصائص العربية الفصحى. وقد أضاعت اللغات السامية الذال فصارت دالاً أو زايًا، وكذلك الثاء التى تحولت إلى شين أو تاء أو سين (وقد حدث مثل هذا التغير فى العاميات العربية)، فمثل هذه الأقوال تؤكد صحة كثير مما قاله علماء العربية، والموضوع يحتاج إلى كلام طويل لا يحتمله المقام.(١)

وجاء فى التمهيد للإمام ابن الجزرى:

ومن هذه الحروف ما يسمى بالحروف الزوائد، وهى عشرة أحرف يجمعها قول [أليوم ننساه] أو [سألتمونيها]، وسميت بالحروف الزوائد؛ لأنه لا يقع فى كلام العرب حرف زائد فى اسم ولافعل، إلا أحد هذه العشرة، يأتى زائدًا على وزن الفعل [ليس بـ(فاء) ولا (عين) ولا (لام)].

وقد يجتمع فى الفعل زائدتان منها، وثلاث زوائد، نحو:

- [انكسر]: (الهمزة) و (النون) زائدتان.
- [استبشر]: (الهمزة) و (السين) و (التاء) زوائد.

وقد يجتمع منها أربعة فى المصادر، نحو:

- [استبشار]: (الهمزة) و (السين) و (التاء) و (الألف) كلها زوائد.

وقد تقع هذه الحروف أصولاً غير زوائد [إلا (الألف) فإنها لا تكون أصلاً إلا منقلبة عن حرف آخر]؛ ولذلك تسمى بالحروف المذبذبة، وسميت بذلك لأنها لا تستقر أبدًا على حال، فتقع مرة زوائد ومرة أصولا.

وأما ماعدا الزوائد المذكورة فتسمى بالحروف الأصلية؛ لأنها لا تقع أبدًا فى الكلام إلا أصولاً [إما فاء الفعل، أو عينه، أو لامه].

وقال أيضًا: فى حروف العرب حروف تسمى بـ [حروف العلة]، وهى ثلاثة: حروف المد واللين، وزاد (الهمزة) جماعة.

---

(١) انظر تحقيق التمهيد للأستاذ على حسين البوَّاب.

وإنما سميت بذلك لأن التغيير، والعلة، والانقلاب لا يكون فى جميع كلام العرب إلا فى أحدها:

تعتل الياء والواو فتنقلبان ألفا. مثل:﴿ جَآءَ ﴾، ﴿ شَآءَ ﴾، ﴿ خَابَ ﴾، ﴿ طَابَ ﴾،﴿ وَحَاقَ ﴾، ﴿ زَاغَ ﴾، ﴿ خَافَ ﴾.

والأصل: (جَيَأَ)، و(شَيَأَ) و(خَيَبَ) و(طَيَبَ) و(حَيَقَ) و(زَيَغَ) بوزن (فَعَل)، بفتح الفاء والعين فى الجميع، فالياء من أصل الكلمة، لأنها فى مقابلة العين، من (فَعَل)، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلبت الفًا، وأما (خَافَ) فهو واوى، وأصله (خَوِفَ) بوزن (فَعِلَ) بفتح الفاء وكسر العين، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفًا.

وأدخل قوم (الهاء)، فى هذه الحروف؛ لأنها تقلب (همزة)، فى نحو:

[مَاء- مَاه]، [هَيهات- أَيهات].

وزيادة فى الفائدة، إليك ما جاء فى الموسوعة الإسلامية تحت باب (الهمزة): و(الهمزة) من حروف المعانى، وتستعمل فى نداء القريب كما تستعمل فى الاستفهام، ويتجلى إعجاز القرآن الكريم فى بلاغته ونظمه، حينما يخرج بـ (الهمزة) من دائرة الاستفهام المجرد إلى أغراض بلاغية أخرى كثيرة لتثبيت العقيدة وإقامة الحجة: كالتنبيه، والتكذيب، والإنكار، والتشكيك، والتقرير، والتهكم، والسخرية.

- فقد جاءت للتنبيه على ضلال الكافرين وأصحاب العقائد الباطلة من الأمم السابقة، مثل: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المرسلات: ١٦.
- وجاءت لتكذيب الكافرين الذين زعموا لله ما ليس لهم به علم، مثل :

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾الإسراء: ٤٠.

- وجاءت بغرض الإنكار، كما فى قول الله عز وجل عندما خاطب الكافرين الذين يشركون به: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأنعام: ٤٠.
- وجاءت للتقرير، كما فى قوله تعالى مؤكدًا قدرته وحكمه: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ التين: ٨،٧ وجاءت للتشكيك، كما ورد

فى وصف الكافرين الذين كذبوا بالبعث، وراحوا يشككون فيه:﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴾المؤمنون: ٨٢

﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٨٣.

- وجاءت للتهكم والسخرية، كما ورد على لسان قوم شعيب حينما دعاهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧.

ومما يدل على ثراء اللغة العربية واتساعها أن (الهمزة) تقوم مقام خمسة أحرف فى لغات الغرب:

فإنها تقوم مقام (u-o) إذا كانت مضمومة، وتقوم مقام (e-i) إذا كانت مكسورة، وتقوم مقام (a) إذا كانت مفتوحة.

النوع الثانى من أنواع ترتيب الحروف (الترتيب الأبجدى):

ويخص ترتيب الحروف الأبجدية وعددها ثمانية وعشرون حرفًا أولها الهمزة وليس فيها حرف الألف. جمعها علماء اللغة فى ثمانى كلمات تبدأ بكلمة (أبجد)، ولذا سميت بالحروف الأبجدية. ولها ترتيب يختلف عن ترتيب الحروف الهجائية، ويختلف ترتيبها عند علماء اللغة المشارقة عن علماء اللغة المغاربة.

فعند المشارقة يكون ترتيب الحروف الأبجدية على النحو التالى:

[أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ]

[أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط ـ ى ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ س ـ ع ـ ف ـ ص ـ ق ـ ر ـ ش ـ ت ـ ث ـ خ ـ ذ ـ ض ـ ظ ـ غ].

أما عند المغاربة فيكون الترتيب كالآتى:

[أبجد هوز حطى كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش]

[أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط ـ ى ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ ص ـ ع ـ ف ـ ض ـ ق ـ ر ـ س ـ ت ـ ث ـ خ ـ ذ ـ ظ ـ غ ـ ش].

ولقد اتبع الإمام الشاطبى الترتيب الأبجدى – على طريقة المغاربة – فى الرموز التى استعملها فى منظومته (حرز الأمانى ووجه التهانى) المعروفة بالشاطبية، لكونه من قرطبة بالأندلس، فقال:

جَعلتُ أَبا جادٍ على كلِ قارئٍ   دليلاً …………………

ووافقه الإمام ابن الجزرى وسار على نهجه فى رموز منظومته (الطيبة)، فقال:

جَعلتُ رَمْزَهُمْ على التَّرتيبِ مِنْ نافعٍ كذا إلى يعقوبِ

ابجَ دَهَزْ حُطِّى كَلَمْ نصع فَضَقْ رَسَتْ ثَخَذْ ظَغَشْ على هذا النَّسَقْ

ثم بَيَّن السبب فى اتباعه رموز المغاربة مع كونه من المشارقة، فقال:

وكلَّ ذا اتَّبعتُ فيه الشَّاطِبى لِيَسْهُلَ استِحْضَارُ كُلِّ طَالِبِ

ويستعمل الترتيب الأبجدى فى الرموز والترقيم وما يعرف بحساب الجُمَّل أى الدلالة على الأرقام الحسابية.

كيفية استعمال الحروف الأبجدية فى حساب الجُمَّل:

قسمت الحروف الثمانية والعشرون عند المشارقة ثلاث مجموعات، تسعة أحرف للآحاد وتسعة للعشرات وتسعة للمئات وحرف واحد للرقم أَلْف، ويتضح ذلك فى الجدول الآتى:

الآحاد		العشرات		المئات		الألف	
الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله
أ	١	ى	١٠	ق	١٠٠	غ	١٠٠٠
ب	٢	ك	٢٠	ر	٢٠٠		
ج	٣	ل	٣٠	ش	٣٠٠		
د	٤	م	٤٠	ت	٤٠٠		
هـ	٥	ن	٥٠	ث	٥٠٠		
و	٦	س	٦٠	خ	٦٠٠		
ز	٧	ع	٧٠	ذ	٧٠٠		
ح	٨	ف	٨٠	ض	٨٠٠		
ط	٩	ص	٩٠	ظ	٩٠٠		

وإذا زاد العدد عن الألف، كررت الحروف: فخمسة آلاف [هـ غ]، وأربعون ألفًا [م غ] وهكذا.

ويتميز استعمال الحروف فى رموز الأرقام بالاختصار وجمع الأعداد الكثيرة فى كلمة واحدة؛ ولذا: فقد استعملت فى أعمال السحر والكهانة، وفى التأريخ للحوادث.

وإليك بعض الأمثلة:
قال الإمام الجمزورى صاحب التحفة (فى نهاية التحفة):

أبياتُها نَدٌّ بَدَا لِذِى النُّهى   تاريخُها بُشْرَى لِمنْ يُتْقِنُها

فى هذا البيت أجاب "الجمزورى" على سؤالين:

الأول: كم عدد أبيات "التحفة"؟ فقال: [ند بدا] أى:

[ن=٥٠/د=٤/ب=٢/د=٤/أ=١، المجموع=٦١ بيتًا].

الثانى: متى نظمت؟ فقال: [بشرى لمن يتقنها] أى:

[ب=٢/ش=٣٠٠/ر=٢٠٠/ى=١٠/ل=٣٠/م=٤٠/ن=٥٠/ى=١٠/ت=٤٠٠/ق=١٠٠/ ن=٥٠/هـ=٥/أ=١، المجموع=سنة ١١٩٨هجرية].

وقال الإمام "ابن الجزرى" فى نهاية "المقدمة الجزرية":
(أَبْياتُها قافٌ وزاىٌ فى العَدَدْ)

والمعنى: عدد أبيات الجزرية:

[ق=١٠٠/ز=٧،المجموع=١٠٧ بيت].

وقال الإمام ابن الجزرى فى نهاية الدُّرة المضيَّة: (وتمَّ نظام (الدُّره) احْسِبْ بعدِّها).

والمعنى: كمل نظم أبيات هذه القصيدة المسماة بالدُّرة، وقوله (احسب بعدِّها)،أى احسب بعدِّ ما لحروفها من الجُمَّل، تجده عدد أبياتها.

[أ=١/ل=٣٠/د=٤/ر=٢٠٠/هـ=٥، المجموع=٢٤٠بيتًا].
وقال أيضًا:

....   وعام (أَضَاحِجِّى)

والمعنى: تاريخ تأليفها بعدِّ حروف [أ=١/ض=٨٠٠/أ=١/ح=٨/ج=٣/ى=١٠، المجموع= عام ٨٢٣هجرية].

*** ونلاحظ أن الامام ابن الجزرى قد اتبع حساب الجُمَّل عند المغاربة، الذى سيأتى.

وقد سئل بعض الظرفاء عن تاريخ وفاة السلطان "برقوق" من سلاطين المماليك فى مصر، فقال: "فى المشمش"، أى سنة ٨٠١هـ؛ حيث مجموع حروف:

[ف=٨٠/ى=١٠/أ=١/ل=٣٠/م=٤٠/ش=٣٠٠/م=٤٠/ش=٣٠٠المجموع= ٨٠١هـ]

وللمغاربة ترتيب آخر لحساب الجُمَّل كما فى الجدول الآتى:

الأحاد		العشرات		المئات		الألف	
الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله	الحرف	الرقم الذى يقابله
أ	١	ى	١٠	ق	١٠٠	ش	١٠٠٠
ب	٢	ك	٢٠	ر	٢٠٠		
ج	٣	ل	٣٠	س	٣٠٠		
د	٤	م	٤٠	ت	٤٠٠		
هـ	٥	ن	٥٠	ث	٥٠٠		
و	٦	ص	٦٠	خ	٦٠٠		
ز	٧	ع	٧٠	ذ	٧٠٠		
ح	٨	ف	٨٠	ظ	٨٠٠		
ط	٩	ض	٩٠	غ	٩٠٠		

النوع الثالث من أنواع ترتيب الحروف (الترتيب الصوتى):

ويبدأ بالحروف الحلقية ع ح هـ خ غ وينتهى بالحروف الجوفيه ى و ا.

وكان هذا الترتيب هو أساس معاجم اللغة العربية التى تعتمد فى ترتيبها على مخارج الحروف، مثل: معجم (العين)، للخليل بن أحمد الفراهيدى، فقد رأى الفراهيدى:

أنَّ الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية، والمعروف بالترتيب الهجائى؛ إنمَّا استمده النُّساخ من الترتيب السامى القديم، وأن السبب فيه: أنهم وضعوا الرموز المتشابهة الصورة، بعضها بجوار بعض، فآثر أن يختار ترتيبًا آخر قائمًا على أساس علمى، أَساسه مخارج الأصوات.

الحروف الأصلية والحروف الفرعية

ينصب علم التجويد على دراسة الحروف المنطوقة، أى الحروف الهجائية، وتنقسم تلك الحروف إلى قسمين: حروف هجائية أصلية، وحروف هجائية فرعية.

أولاً: الحروف الأصلية :

وهى حروف الهجاء المعروفة التى أولها الهمزة وآخرها الياء.

تعريفها :

هى التى يعتمد كل منها على مخرج يخصه، ولا تتردد بين حرفين سواء: سميت بحروف المبانى، أو سميت بحروف المعانى.

أما حروف المبانى: فهي التى تبنى منها الكلمات: مثل كلمة ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾، بنيت من عدد من الحروف، تسمى كلها حروف مبانٍ. وقالوا هذه الكلمة جمعت أكبر عدد من حروف المبانى، ووقعت فى (سورة الحجر:٢٢).

وأما حروف المعانى: فهي التى لها معنى لا يظهر إلا مع غيرها مثل: مِن- عَلى- فِى- باء الجر- سين التنفيس... إلخ.

وعلى الحروف الأصلية تدور دراسة علم التجويد بأبوابه المختلفة.

ثانياً: الحروف الفرعية:

تعريفها:

هى الحروف التى تخرج بامتزاج مخرجين، كل منهما خالص فى موضعه، فيخرج صوتها يتردد بين صوتين.

فشرط الفرعية:

أن يكون هناك حرفان أصليان، لكل منهما مخرج خاص به، بحيث لو اعتمد القارئ على مخرج كل منهما بالضبط يخرج له الحرف الأصلى، ولو اعتمد القارئ على موضع متوسط بين المخرجين الأصليين يخرج له صوت ثالث هو خليط من صوت الحرفين الأصليين.

ولأن رسم الحروف خاص بالحرف الأصلى، فليس للحرف الفرعى صورة فى الخط. تسميتها: تسمى الحروف الفرعية، أو المشرَّبة، أو المخالِطة، أو الناقصة، وكلها مترادفات.

والحروف الفرعية قسمان:

القسم الأول: حروف فرعية فصيحة.

القسم الثانى: حروف فرعية غير فصيحة.

القسم الأول: الحروف الفرعية الفصيحة:

هى الحروف التى نزل القرآن بها موافقة للهجات بعض القبائل العربية.

والمتفق عليه منها أربعة أحرف، وهى:

(١) الألف المُمَالة:

وهى التى تتردد بين الألف الخالصة والياء الخالصة، فصوتها خليط من الحرفين.

وفى قراءة حفص لم يمل إلا ألفَ ﴿ مَجْرٜىٰهَا ﴾ هود: ٤١.

قال فى السلسبيل:

حَفْصٌ مَجْرٜىٰهَا فَقَطْ يميلُ ....

(٢) الهمزة المسهلة:

وهى التى تتردد بين الهمزة والألف إن كانت مفتوحة، نحو: ﴿ ءَأَنتُمْ ﴾.

وبين الهمزة والواو إن كانت مضمومة، نحو: ﴿ أَءُنزِلَ ﴾.

وبين الهمزة والياء إن كانت مكسورة، نحو: ﴿ أَءِنَّكَ ﴾.

فصوت الهمزة المسهلة خليط من الهمزة وحرف المد المجانس لحركتها والهمز المقصود هنا هو الهمزة الثانية، كما قال الإمام الشاطبى:

وَتَسْهِيلُ أُخْرَى هَمْزَتَيْنِ بِكِلْمَةٍ ....

وفى قراءة الإمام حفص سهل أربع همزات فى أربع كلمات وهى:

﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ ﴾ ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾.

(٣) الياء المشمة بالواو:

وهو حرف يتردد بين الياء والواو فلا هو ياء خالصة ولا هو واو خالصة، وإنما خليط من الحرفين، فَفِى نحو: ﴿ قِيلَ ﴾ ﴿ غِيضَ ﴾ تنطق حركة القاف والغين فى الكلمتين بضمة مركبة على ياء ساكنة فتخرج الياء مخلوطة بصوت الواو. وهذا عند غير حفص.

(٤) الصاد المشمة بالزاى:

وهو حرف يتردد بين صوت الزاى وصوت الصاد فلا هو بالصاد الخالصة ولا هو بالزاى الخالصة، وإنما خليط من الحرفين. فى نحو:

﴿يَصۡدِفُونَ﴾ ﴿أَصۡدَقُ﴾.

وهو عند غير حفص.

وهناك أربعة أحرف أخرى اختلف أهل الأداء فيها، فقال فريق بفرعيتها، وقال آخر بعدم فرعيتها، وهى:

١- الألف المفخمة فى نحو: ﴿خَآئِفِينَ﴾ ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾.

٢- اللام المغلظة، فى لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، أو فيما يعرف بلامات ورش.

٣- النون المخفاة فى نحو: ﴿يَنكُثُونَ﴾ ﴿يَنتَصِرُونَ﴾.

٤- الميم المخفاة فى نحو: ﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾.

قال الإمام الطيبي وقد أشار للأحرف الثمانية بقوله:

واستَعْمَلُوا أيضًا حروفًا زَائِدَةْ	**علـى الـذي قَدَّمْتُه لفائدةْ**
كقصدِ تخفيفٍ وقد تَفَرَّعتْ	**مِن تِلكَ كالهمَزةِ حين سُهِّلَتْ**
وألْفِ كاليـاءِ إذا تُمـالُ	**والصادِ كَالزَّاى كَمَا قَدْ قَالُوا**
واليـاءِ كالوَاوِ كقِيلَ مِمَّا	**كَسرُ ابتِدَائِهِ أَشَمُّوا ضَمَّا**
والألـفُ التِـى تَرَاهَا فُخِّمتْ	**وهَكَذا اللاَّمُ إِذَا مَا غُلِّظَتْ**
والنُّونَ عَدَّدْها إذَا لَم يُظهرُوا	**قُلْتُ كَذَاكَ الميمُ فِيمَا يَظهَرُ**

القسم الثانى: الحروف الفرعية غير الفصيحة

وهى اللهجات العامية التى يتحدث بها بعض المسلمين، ولا يجوز قراءة القرآن بها، وأمثلتها كثيرة نذكر منها:

الحرف الذى بين الكاف والشين الذى هو لغة غالبية أهل الخليج، وهو مقابل لحرف الكاف فى الحروف الأصلية، فيقولون (كيفك) بكاف مشربة بالشين.

والحرف الذى بين القاف والغين الذى هو لغة غالبية بلاد السودان، وهو مقابل لحرف القاف فى الحروف الأصلية فيقولون (القاعد) بقاف مشربة بالغين.

والحرف الذى بين الجيم والكاف الذى هو لغة القاهريين فى مصر، ويسمونه بالجيم غير المعطشة، وهو مقابل لحرف الجيم فى الحروف الأصلية.

تنبيهان:

التنبيه الأول:

الحرف الأصلى هو الذى اتفق عليه جميع القراء وهو من أصل اللغة، أما الحرف الفرعى فهو لهجة مولودة من امتزاج حرفين أصليين، ولا يكون – فى القرآن – إلا فى كلمات مخصوصة يقرؤها بعض القراء دون البعض الآخر.

وهناك قاعدة تقول: التعميم يهدم الفرعية، فمثلا:

لو قلنا: كل ألف فى القرآن تنطق ممالة، أى مخلوطة بصوت الياء، فهنا سؤال: أين الألف الخالصة من الياء ؟

الجواب: لا يوجد . فتكون نتيجة هذا التعميم: أننا جعلنا الألف الممالة (وهى حرف فرعى) حرفا أصلياً. ولو قلنا: كل صاد فى القرآن تنطق مخلوطة بصوت الزاى، فهنا سؤال: أين الصاد الخالصة من الزاى ؟

الجواب: لا يوجد، فتكون نتيجة هذا التعميم: أننا جعلنا الصاد المخلوطة بالزاى (وهى حرف فرعى) حرفا أصلياً ... وهكذا.

ومن هنا نفهم سبب وجود حروف فرعية متفق على فرعيتها، وحروف أخرى مختلف على فرعيتها.

فنلاحظ أن جميع الحروف المتفق على فرعيتها تقع فى كلمات مخصوصة، ولبعض القراء.
ونلاحظ أن جميع الحروف المختلف على فرعيتها تقع فى جميع القرآن، ولكل القراء، (وطريقة تغليظ اللامات لورش كتغليظ لام لفظ الجلالة).

التنبيه الثانى :

شرط الفرعية أن يتردد صوت الحرف الفرعى بين مَخرَجَيْن أصليين – فى آنٍ واحد – ولذلك:

إذا كان للحرف حالتان: حالة تفخيم وحالة ترقيق، فلا يطلق على حالة أحدهما(فرعية).
وإذا كان صوت النون والميم المخفاتين يخرج من مخرج الخيشوم فقط، فلا يطلق على أى منهما حرفًا فرعيًا.

*   *   *

(الفصل الثانى)
أهم الفوارق بين رسم المصحف والرسم الإملائى
الذى اعتدنا عليه

مقدمــة:

الخط أو الكتابة أو الإملاء هو رسم الكلمة المنطوقة، وهو قسمان:

قياسى: وهو ما طابق فيه الرسمُ اللفظَ أو النطق، فكل ما يلفظ يكتب فلا يحذف حرف من الرسم ويلفظ، أو يزاد ولا يلفظ، ويراعى فيه ثبوت الحرف المبتدأ به والموقوف عليه فلا يحذف حرف بسبب اتصاله بما بعده أو بما قبله.

اصطلاحى: وهو ما خالف فيه الرسمُ اللفظَ أو النطق، إمَّا بزيادة، أو حذف، أو إبدال، أو وصل، أو قطع، أو همز.

والأصل الذى قامت عليه الكتابة العربية- قديمًا وحديثًا- أن يطابق المنطوق المرسوم. فالكتابة العربية- فى معظمها- قياسية، إلا ما استثنى؛ ولكن لأن القرآن منزل من عند الله، معجز فى لفظه، وفى رسمه، فقد خالف النطق الرسم فى بعض الألفاظ القرآنية، منه ما نعرف سببه ومنه ما غاب عنا. فصار هناك فوارق فى رسم الكلمة الواحدة بين الإملاء الذى اعتدنا عليه وبين رسمها فى المصحف.

ولقد قام العلماء من عهد الصحابة والتابعين وتابعى التابعين بتتبع أماكن تلك الفوارق فوضعوا لها علامات ضبط تدل عليها دون المساس بالرسم الأصلى؛ لتبقى الكلمة القرآنية كما كتبت بين يدى رسول الله ﷺ، وكما رسمت بعد ذلك فى المصاحف العثمانية.

وعلامات الضبط هذه ما هى إلا علامات إرشادية اصطلح عليها العلماء فهي ليست أمرًا توقيفيًّا منزلاً وإنما هى وسيلة من وسائل حفظ القرآن وتيسير قراءته قراءة صحيحة على مر العصور لكافة المسلمين مهما اختلفت أجناسهم ولغاتهم. فنحن نجد مسلمين من غير العرب يضبطون هذه العلامات فيقرءون القرآن كما قرأه المسلمون الأوائل.

وعلى مر العصور تخصص العلماء من مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها فى علوم القرآن، منهم من تخصص فى علوم رسمه، ومنهم من تخصص فى علوم ضبطه، وألف

كلٌ فى تخصصه. ومن جهابذة هؤلاء العلماء الإمام العظيم شيخ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدى من علماء القرن الثانى الهجرى، والإمام أبو عمرو بن سعيد الدانى المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة هجرية صاحب كتاب (المُقْنِع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار)، وتلميذه أبو داود سليمان بن نجاح المتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة هجرية صاحب كتاب (مختصر التَّبيين لهجاء التنزيل)، والإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز المتوفى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة هجرية صاحب منظومة (مورد الظمآن فى علم رسم وضبط القرآن) وعدد أبياتها ستمائة وثمانية أبيات، وتناول هذه المنظومة بالشرح عدد من العلماء منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المتوفى سنة تسع وتسعين وثمانمائة هجرية صاحب كتاب (الطراز فى شرح ضبط الخراز).

ولقد حصر العلماء الفوارق بين ما اعتدنا عليه فى الإملاء العادى وبين رسم المصحف فى خمس قواعد، هى:

الحذف– الزيادة– الإبدال– الفصل والوصل– الهمز.

قاعدة الحذف

ويقصد به الحروف المنطوقة رغم حذفها من الرسم:

وانحصرت فى خمسة أحرف، هى:

الألف، والواو، والياء، واللام، والنون.

وإليك أسباب حذف أى حرف من هذه الأحرف الخمسة:

السبب الأول من أسباب الحذف (الحذف بسبب توالى المثلين)

مثال حذف الألف:

(١) فى قوله تعالى ﴿ تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ الشعراء: ٦١.

اتفق العلماء على أن ﴿ تَرَٰٓءَا ﴾ رسمت فى الرسم الأول بألف واحدة بعد الراء؛ وذلك لأنهم كانوا لا يكتبون الهمزة، فلو رسمت الألف الثانية لتوالت الألفات فحذفت واحدة.

ولضبط القراءة يضع علماء الضبط ألفًا صغيرة (تسمى بالألف الخنجرية، لأنها على شكل الخنجر)، بعد الراء على أن المحذوفة هى الألف الأولى.

(٢) ترسم كل كلمة فى أولها ألفان فصاعدًا بألف واحدة، وضابطه: كل كلمة أولها همزة مقطوعة- للاستفهام أو غيره- تليها همزة قطع أو وصل، نحو:

﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾ يـــونس: ٩١،٥١، ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ ﴾ يـــونس: ٥٩،﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ البقرة:٦

﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾ الزخرف: ٥٨. فقد حذفت الألف التى توضع فوقها همزة القطع.

(٣) فى نحو ﴿ ءَايَةٍ ﴾، ﴿ ءَادَمَ ﴾، ﴿ ءَامَنَ ﴾، وأمثالها.

ترسم فى المصاحف بألف وقبلها همزة على السطر،حتى لا يتوالى ألفان،أمَّا فى الإملاء العادى فتكتب بألف فوقها علامة المد هكذا (آية)، (آمن) (آدم).

وفى ضبط بعض المصاحف: لا يفرِّقون بين رسم المصحف والإملاء، فى مثل هذه الكلمات، فيضعون علامة المد فوق الألف المكتوبة للدلالة على المحذوفة. ولقد نبَّهت لجنة المصاحف على أن هذا خطأ، فأصل هذه الكلمات – فى الرسم الأول- بألف واحدة، لأن الهمزة لم يكن لها صورة، فلما اخترع للهمزة صورة رسمها علماء الضبط على السطر،مع حذف ألفها،حتى لا تتوالى الألفات. أمَّا علامة المد، فهي علامة ضبط تدل على مد الحرف بمقدار أكبر من مقدار المد الطبيعى، كما فى ألف ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾، ﴿ ٱلسَّمَآءُ ﴾، أمَّا وضعها للدلالة على الألف المحذوفة فهو فى الإملاء العادى، لا فى رسم المصحف.

(٤) حذفت ألف الهمزة التى بعد اللام والألف بعدها فى كلمة ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾، فى موضعى يونس، وفى جميع القرآن، فحقها أن ترسم (ءَالأَانَ)، واختلف فى التى فى سورة الجنّ، فى قوله تعالى﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ ﴾ الجن: ٩، فكتبت فى بعض المصاحف بألف، وهذه الألف هى صورة الهمزة، إذ الألف التى بعدها محذوفة على الأصل، لتوالى المثلين.

مثال حذف الواو:

اتفق العلماء على حذف إحدى الواوين المتتاليتين فى كلمة واحدة، سواء كانت صورة الواو نحو: ﴿دَاوُۥدُ﴾، ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾، ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾.

ويضع علماء الضبط واوًا صغيرة مكان المحذوفة.

أو كانت صورة الهمزة نحو: ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾، ﴿تُـْوِيهِ﴾، ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾.

مثال حذف الياء:

اتفق العلماء على أن كل كلمة بها ياءان تلاصقتا قد رسمت فى المصحف بياء واحدة وحذفت الأخرى، نحو: ﴿يُحْىِۦ﴾، ﴿يَسْتَحْىِۦ﴾، ﴿ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾، ﴿رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾، ﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾، ﴿وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ﴾.

ونلاحظ وضع علماء الضبط ياءً صغيرة مردودة إلى الخلف مكان المحذوفة، وإذا كانت الياء المحذوفة بوزن يائين، وضعوا على الياء الصغيرة علامة التشديد.

تنبيه:

إذا كانت الياء واقعة فى طرف الكلمة، وأتى بعدها همزة وصل، نحو: ﴿يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾الحج: ٦، فإن المنطوق وصلاً هو ياء واحدة، ولذلك لا يضع علماء الضبط علامة تدل على وجود ياء أُخرى، على عادتهم فى ضبط الكلمات على نية الوصل.

أمَّا فى نحو:﴿يَسْتَحْىِۦٓ أَن﴾البقرة: ٢٦، ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨، فلكون الحرف الآتى بعد الياء المتطرفة حرفًا متحركًا، والياءان ثابتتين وصلاً ووقفًا، فنجد علامة الياء الصغيرة بعد الياء الكبيرة.

وفى الوقف على الياءات التى حذفت إحداها من اللفظ والرسم- بسبب توالى المثلين مع اجتماع الساكنين فى حال الوصل- خلاف بين العلماء وأئمة الأداء:

فيرى فريق– ومن بينهم الإمام ابن الجزرى– ردَّ الكلمة إلى أصلها اتباعًا لقاعدة: (واللَّفظُ فِى نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ)، فيقولون: نقف بإثبات اليائين، فلا فرق بين ﴿يُحْىِۦ﴾التى بعدها ساكن، أو التى بعدها متحرك.

فكلتاهما فى الرسم الأول بياء واحدة، ولا دليل على حذفها عند زوال السبب، وهو التقاء الساكنين.

وقالوا أيضًا: نحن لا ندرى أى اليائين قد حذفت من الرسم الأول، هل الأولى أم الثانية؟ فالأحوط والأولى إثباتهما معًا عند الوقف.

وقالوا أيضًا: أصل كلمة ﴿ يُحْيِۦ ﴾، بيائين الأولى مكسورة، والثانية ساكنة، على وزن (يُفْعِلْ)، فالياء المكسورة، (عين الكلمة) والياء الساكنة، (لام الكلمة) وحذفها عند الوقف نقص في الكلمة لحذف لامها.

وقال الفريق الآخر: الوقف بياء واحدة، اتباعًا للرسم واعتدادًا بعلامات الضبط، بصرف النظر عن السبب في عدم وضع الياء الصغيرة، وقالوا: إعلال الكلمة بحذف لامها لا إشكال فيه لوروده في القرآن واللغة، كما حذفت في نحو:

﴿ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ القمر: ٦، ﴿ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ ﴾ هود: ١٠٥، وغيرهما كثير.

ويرد على هذا الكلام: بأن علامات الضبط علامات إرشادية، وليست توقيفية ملزمة، كما أن الاستشهاد بهذين المثالين، ليس بصحيح، لأن المحذوف لم يأت قبله مثله، كما في ﴿ يُحْيِۦ ﴾.

وزيادة فى الفائدة نورد لك ما جاء فى المنح الفكرية:

"قال المصري: فإن قلت كيف يوقف على نحو ﴿ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ ﴾ الروم: ٥٠؟ قلت: يوقف على ذلك برد الياء، لأنها حذفت من الكتابة لكراهة الجمع بين صورتين متفقتين واكتفاء بالكسرة التي قبلها، وما حذف لذلك لم يحذف في الوقف، بل يرد ما حذف، والله أعلم، قلت: يرد عليه أن هذا خلاف ما أجمع عليه القراء"[1]. انتهى بنصه.

ويرد على هذا الرد: كيف يُجْمع عليه القراء، وقد خالفه الإمام ابن الجزرى صراحة في كتابه النشر في القراءات العشر، ورأى أن يرد الحرف إلى أصله عند الوقف كما قال المصري فى المنح الفكرية، حيث جاء في كتابه النشر في القراءات العشر صفحة (١٥٨) الجزء الثاني ما نصه: (قول أئمة القراءة إن الوقف على اتباع الرسم يكون باعتبار

---

(١) من كتاب المنح الفكرية لصاحبه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى وهو أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصارى مصرى كان قاضيًا وإمامًا فى التفسير حافظًا للحديث عالمًا فى الفقه والأُصول وفى القراءات والتجويد وله مصنَّفات كثيرة معروفة فى العلوم الشرعية والتجويد. ولد سنة ٨٢٣هجرية وتوفى سنة ٩٢٦هجرية رحمه الله رحمة واسعة.

الأواخر من حذف وإثبات وغيره، إنما يعنون بذلك: الحذف المحقق، لا المقدَّر، مما حذف تخفيفًا لاجتماع المثلين، أو نحو ذلك. ثم قال: وكذا الوقف على نحو ﴿يُحْيِ﴾،﴿يَسْتَحْيِۦ﴾ بالياء) انتهى.

ومعنى قوله (بالياء)، أي بالياء الثانية التي حذفت في الوصل في ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ وثابتة في الحالتين في ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ﴿يَسْتَحْيِۦ﴾، لأنه لو كان المقصود الياء الأولى ما احتيج إلى ذكرها، لأنه أمر بديهي لا جدال فيه، فمن المستحيل أن يكون الوقف على الحاء من الكلمتين (يُحْ أو يَسْتَحْ). وأيضًا: كيف يجمع عليه القراء، والموضع ليس بموضع وقف لأحد منهم، ولم يرد ذكره في قراءة أو رواية لأحد، لا بمضمون الشاطبية، ولا بمضمون الطيبة.

مثال حذف اللام:

اتفق العلماء على حذف لام ما أوله لام، إذا سبقتها (ال) التعريف، وذلك في: ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ ﴾ الطلاق: ٤، وكذلك لام (اللَّيْل) إذا سبقتها (ال) التعريف، حيث وردت، نحو﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ الليل: ١، ووضع علماء الضبط علامة التشديد على اللام دلالة على اللام الساكنة المحذوفة من الرسم دون اللفظ؛ لأننا عند النطق ننطق بلامين الأولى ساكنة، والثانية مفتوحة.

أمَّا حذف لام: الَّذي- الَّذان- الَّذين- الَّتي- للَّذي....إلخ، فلا خلاف بين الإملاء العادي ورسم المصحف.

كما لا خلاف بين الإملاء، ورسم المصحف، في إثبات اللامين، في نحو:

اللَّغْو- اللَّهْو- اللُّؤْلُؤْ..إلخ.

مثال حذف النون:

اتفق العلماء على أن النون الأولى من كلمه ﴿تَأْمَنَّا﴾، بسورة يوسف، قد حذفت من الرسم، ووضع علماء الضبط علامة التشديد على النون، دلالة على المحذوفة من الرسم، لا اللفظ، لأننا عند النطق لابد أن ننطق بالنونين فننطق بالأولى الساكنة- مع الإشارة إلى ضمتها وهو ما يعرف بـ(الإشمام)، أي ضم الشفتين عند النطق بالحرف الساكن وكأنَّه مضموم- ثم ننطق بالنون الثانية المفتوحة.

وهناك طريقة أخرى وهى: النطق بالنونين مظهرتين ﴿ تأمَنُنَا ﴾ – كما تكتب الكلمة في الإملاء العادي– مع اختلاس ضمة النون الأولى، أي: النطق بها في سرعة من دون خفض الصوت؛ فيقل زمنها في السمع.

كما اتفق العلماء على أن النون الثانية من ﴿ نُـجِى ﴾ الأنبياء: ٨٨، محذوفة من الرسم لاجتماع المثلين في كلمة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٨.

فوضع علماء الضبط نونًا صغيرة مكان المحذوفة، وعند النطق لابد من نطق النونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة.

السبب الثانى من أسباب الحذف

(الحذف بسبب احتمال الرسم لأكثر من قراءة)

الأمثلة:

(١)اتفقت جميع المصاحف على إثبات همزة الوصل في لفظ ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾، في سورتى الحجرالآية:٧٨، و(ق) الآية:١٤، وجميع القراء يقرءون هذه الكلمة في الموضعين المشار إليهما بقراءة واحدة، وهى: إثبات همزة الوصل عند الابتداء وحذفها عند الوصل بما قبلها، على أصل القاعدة، مع سكون اللام وهمزة مفتوحة بعدها، وذلك اتباعًا للرسم.

أمَّا في سورتى (الشعراء) آية:١٧٦، و(ص) آية:١٣،في قوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾.

فقد اتفقت جميع المصاحف على حذف همزة الوصل فيهما، لنزولها بقراءتين: قراءة بلام مفتوحة بلا همزة وصل قبلها ولا همز بعدها وفتح تاء التأنيث (لَيْكَةَ)، كطلْحة، وذلك في حالتي الابتداء بها أو وصلها بما قبلها.

وهى قراءة، نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبى جعفر، وقراءة هؤلاء يحتملها الرسم تحقيقًا.

والقراءة الأخرى، بهمزة وصل وسكون اللام وبعدها همزة مفتوحة وبكسر تاء التأنيث ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾، وهى قراءة الباقين، ومن بينهم حفص. وقراءتهم يحتملها

الرسم تقديرًا.

وفي رواية حفص ومن معه، لا إشكال عند وصل الكلمة بما قبلها، لسقوط همزة الوصل – على أصل القاعدة – أمَّا عند الابتداء: فلا بد من جلب همزة الوصل المحذوفة من الرسم للتوصل إلى النطق باللام الساكنة بعدها. ولا يجوز بحال الابتداء بلام مفتوحة؛ لأن الخلاف هنا خلاف رواية، وحفص ومن معه يقرءون بإسكان اللام وصلاً وابتداءً.

(٢) حذف الياء من كلمة ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾، بسورة النمل،ليحتمل الرسم القراءة بإثبات الياء والقراءة بحذفها،وفي المصاحف المضبوطة على رواية حفص عن عاصم، يضع علماء الضبط ياء صغيرة، مكان المحذوفة، لأنه يثبتها مفتوحة عند الوصل.

أمَّا عند الوقف: فمن طريق الشاطبية، له وجهان: الحذف والإثبات، ومن طريق الطيبة له وجه الحذف على قصر المنفصل، وقراءة الحذف يحتملها الرسم تحقيقًا، وقراءة الإثبات يحتملها الرسم تقديرًا.

(٣) في قوله تعالى بسورة الصافات ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾، اتفقت جميع المصاحف على قطع ﴿إِلۡ﴾ عن ﴿يَاسِينَ﴾، وذلك لمناسبة الرسم لقراءتين:

قراءة بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام (ءَالِ)، وهى قراءة: نافع، وابن عامر، ويعقوب، ويحتملها الرسم تقديرًا.

وقراءة بكسر الهمزة مقصورة وسكون اللام (إِلْ)، وهى قراءة الباقين، ومن بينهم حفص. ويحتملها الرسم تحقيقًا.

(٤) حذف الألف من كل كلمة نزلت بقراءتين إحداهما بإثبات الألف، والأخرى بحذفها. والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى، مثل:

حذف ألف (مَالِك)، ليحتمل الرسم قراءة ﴿مَلِكٌ﴾.

حذف ألف (وَاعَدْنا)، ليحتمل الرسم قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾.

ويضع علماء الضبط ألفًا صغيرة مكان المحذوفة، في المصاحف المضبوطة على قراءة الإثبات. وقراءة إثبات الألف يحتملها الرسم تقديرًا، وقراءة حذف الألف يحتملها الرسم تحقيقًا.

السبب الثالث من أسباب الحذف

(الحذف بسبب كتابة الكلمة على نية الوصل بما بعدها)

مثال الألف:

ألف ﴿أَيُّهَا﴾، حذفوها في ثلاثة مواضع فحسب، وهي: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ النور: ٣١. ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ الزخرف: ٤٩. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الرحمن: ٣١.

أمَّا في الإملاء العادي فتكتب (أَيُّهَا)، بالألف دائمًا.

مثال الواو:

حذفوا الواو، من أربعة أفعال مرفوعة، هي: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ الإسراء: ١١، وأصلها: يدعو. ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الشورى: ٢٤، وأصلها: يمحو، ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ القمر: ٦، وأصلها: يدعو. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ العلق: ١٨، وأصلها: سندعو.

وكذلك حذفوها من "صالحو" فى قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التحريم: ٤.

مثال الياء:

حذفوا الياء من ﴿يُؤْتِ ٱللَّهُ﴾ النساء: ١٤٦، وأصلها: يؤتى.

﴿وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ﴾ المائدة: ٣، وأصلها: واخشونى .

﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ١٠٣، وأصلها: ننجى.

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ طه: ١٢، وأصلها: بالوادى.

ومن قواعد علماء الضبط أنهم لا يضعون حرفًا مكان المحذوف، إذا كان المحذوف على نية الوصل.

السبب الرابع من اسباب الحذف

(الحذف لسبب غير ما ذكر)

(١) حذف ألف واو الجماعة، في أصلين مطردين: ﴿ جَآءُو ﴾ و﴿ بَآءُو ﴾، حيث وقعا، وفي أربعة مواضع، هي: ﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ البقرة: ٢٢٦، ﴿ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٢١ ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ سبأ: ٥، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ الحشر: ٩.

وكذلك حذفت الألف بعد الواو الأصلية في الفعل، في موضع واحد، هو: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ النساء: ٩٩

(٢) ألفات جمع المذكر السالم، نحو: ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ خَٰسِئِينَ ﴾.

(٣) ألفات جمع المؤنث السالم، نحو: ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾.

(٤) ألف أسماء العدد، نحو: ﴿ ثَلَٰثَةَ ﴾، ﴿ ثَلَٰثِينَ ﴾، ﴿ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾، ﴿ ءَالَٰفٍ ﴾.

(٥) ألف "ها" التنبيه، نحو: ﴿ هَٰذَا ﴾، ﴿ أَهَٰكَذَا ﴾، ﴿ هَٰأَنتُمْ ﴾، ﴿ هَٰذَانِ ﴾ .

(٦) ألف اسم الإشارة فى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾،﴿ كَذَٰلِكَ ﴾،﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾. وكذلك حذفوا ألف ﴿ لَٰكِن ﴾ و﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ حيث وردتا.

(٧) ألف الأسماء المصولة: ﴿ ٱلَّٰتِى ﴾، ﴿ ٱلَّٰٓـِٔى ﴾.

(٨) ألف "ياء" النداء، نحو: ﴿ يَٰنُوحُ ﴾، ﴿ يَٰسَمَاءُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾.

(٩) حذف الألف المتوسطة فى الاسم الأعجمى العلم الزائد على ثلاثة أحرف، نحو:

﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾، وحذفت ألفه فى جميع القرآن، وحذفت ياؤه فى سورة البقرة فقط.

﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾، ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾، ﴿ هَٰرُونَ ﴾، ﴿ عِمْرَٰنَ ﴾.

(١٠) حذف ألف تاء ﴿ الكِتَابَ ﴾ كيف تصرفت، إلا أربعة مواضع:

الرعد آية ٣٨ – الحجر آية ٤ – الكهف آية ٢٧ – النمل آية ١.

(١١) حذف ألف عين ﴿ المِيعَادَ ﴾، بالأنفال، وأثبتوها في غيرها.

(١٢) حذف ألف راء ﴿تُرَٰبًا﴾، بالرعد، والنمل، والنبأ، وأثبتوها في غيرها.
(١٣) وفي قوله تعالى ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ قريش: ٢

رسمت ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ ﴾ بحذف الياء التي بعد الهمزة والألف التي بعد اللام فوضع علماء الضبط ألفًا وياءً بدلاً من المحذوفين.

تنبيهات:

كل حرف: حُذف من الرسم، بسبب توالى المثلين، لابد من إثباته في اللفظ، ولابد من بيان المثلين عند النطق به، حتى لا يسقط حرف من التلاوة.

الأحرف الصغيرة التي وضعها علماء الضبط لتدل على أعيان الحروف المتروكة، في المصاحف العثمانية، يجب النطق بها، وكأنها في الخط حرف كبير، وكان علماء الضبط القدامى يكتبون هذه الأحرف حمراء- في حجم حروف الكتابة الأصلية- وحديثًا: عدلوا عن كتابتها باللون الأحمر إلى اللون الأسود، مع الاكتفاء بتصغيرها للدلالة على المقصود.

جـ- صلة هاء الكناية نحو ﴿بِهِۦ﴾، ﴿لَهُۥ﴾، لا خلاف بين الرسم الإملائي، ورسم المصحف، والواو الصغيرة أو الياء الصغيرة غير محذوفتين من الرسم، وإنما المقصود من وضعهما، هو: تنبيه القارئ إلى إشباع كسرة الهاء في ﴿بِهِۦ﴾وضمة الهاء في ﴿لَهُۥ﴾، وهذا وصلاً فقط، أما عند الوقف: ترجع الهاء إلى أصلها، من غير صلة.

د- هناك كلمات يتفق فيها الإملاء العادي ورسم المصحف في حذف حرف منها مع نطقه، مثل:

حذف ألف ﴿لَكِن﴾، ﴿أُوْلَئِكَ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾. حذف ألف لفظ الجلالة ﴿الله﴾، ﴿إِلَه﴾.

حذف ألف (ها) التنبيه من ﴿هَذَا﴾، ﴿هَذِه﴾، ﴿هَوُلَاء﴾، ﴿هَذَان﴾.

حذف ألف (بسْم) من عبارة:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقط، أما فى غيرها فتثبت الألف كما فى:

باسم الشعب، باسم الأمة.

حذف اللام الأولى من: ﴿ٱلَّذِى﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ﴿ٱلَّتِى﴾.

قاعــدة الزيادة:

ويقصد بها إثبات حرف في الرسم مع عدم النطق بـه، والأحرف التـي تزاد فـي الرسـم العثماني هي: الألف، والواو، والياء.

مثال زيادة الالف:

(١) زيادة ألف بعد الواو المتطرفة، التي هي صورة للهمزة، نحو:

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ النسـاء: ١٧٦ وكـذلك فـي نحـو: ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾، ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾، ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ﴾، ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾ ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾، ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾.

وكذلك بعد الواو المبدلة من ألف في لفظ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ حيث ورد.

(٢) زيادة ألف بعد ميم (مِئة) كيف جاءت: مفردة، أو مثنـاة، أو واقعة موقـع الجمـع، كما في: ﴿مِاْئَةَ﴾، ﴿مِاْئَتَيۡنِ﴾، ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾، حيث وقعت، وذلك للفرق بينـها وبين ﴿مِنۡهُ﴾، لأنـهم كانوا لا ينقطون.

ونحن فى الإملاء العادى نكتب بهذه الزيادة. وقال علماء اللغة:

الأصح هو تركها، لأنها خاصة بالرسم العثمانى.

(٣) زيادة ألف بعد شين " لِشَاْيۡءٍ " فـى قولـه:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ الكهف: ٢٣، وذلك على عادة العرب فى كتابتهم القديمـة فـى جعل الألـف علامـة على فتح الحرف الذى قبلها.

(٤) زيـادة ألـف بعـد يـاء﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾ الرعـد: ٣١، وبعـد تـاء ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾يوسف: ٨٧ .

(٥) زيادة ألف فى: ﴿لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ النمل: ٢١،﴿وَجِاْيٓءَ﴾ الزمر: ٦٩، الفجر:٢٣.

وكل ما ذكر من الألفات وما ماثلها محذوفة من اللفظ وصلاً ووقفًا، ويضع علماء الضبط فوقها دائرة صغيرة مفرَّغة من الوسط تسمى بالصفر المستدير، وهى علامة إرشادية، أينما وجدت على حرف تدل على زيادته فى الوصل والوقف.

إثبات ألف ﴿ٱبۡنَ﴾، ﴿ٱبۡنَتَ﴾، حيث وقعا فى القرآن، خلافًا للإملاء العادى، الذى

تحذف منه الألف (بن – بنت).

مثال زيادة الواو:

﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ اتفقوا على زيادة الواو فيها حيث وردت، ويضع علماء الضبط علامة الصفر المستدير فوق الواو، وقالوا: زيادتها للدلالة على ضم الهمزة التى لم يكن لها صورة.

تنبيــه:

يتفق الإملاء العادى، ورسم المصحف، على زيادة واو، فى كلمة ﴿أُوْلِى﴾، حيث وردت على اللفظ الموضوع لجمع (ذى)، بمعنى صاحب، كيف تصرف إعرابه، نحو:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾، ﴿يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ ﴿أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ ، ﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾.

ومثلها:﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾.

وذلك بإجماع من أئمة الرسم والكتابة للتفرقة بين:﴿أُوْلِى﴾و﴿إِلَىٰ﴾، وبين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ و﴿إِلَيْكَ﴾ واطَّردت زيادتها، فى ﴿أُوْلُواْ﴾ ﴿أُوْلَـٰتِ﴾ ﴿أُوْلَآءِ﴾، حملاً على أخواتها.

وفى رسم المصحف: يضع علماء الضبط فوق الواو علامة الصفر المستدير للدلالة على حذفها من اللفظ فى الوصل والوقف.

مثال زيادة الياء:

فى نحو : ﴿نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام: ٣٤.

﴿ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ طه: ١٣٠.

﴿تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ يونس: ١٥.

﴿وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ الشورى: ٥١.

﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ النحل: ٩٠.

﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ الروم: ٨ .

﴿وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الروم: ١٦.

وكذلك بعد لام "مَلأ"، نحو :﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ هود: ٩٧.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ يونس: ٨٣

وقالوا: سبب الزيادة: لتكون علامة على كسر الهمزة التى لم تكن لها صوره فى الخط.

﴿أَفَإِيْن﴾ آل عمران:١٤٤، الأنبياء:٣٤، ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ الذاريات: ٤٧.

ويضع علماء الضبط علامة الصفر المستدير فوق الياء الزائدة فى الأمثلة المذكورة وما ماثلها للدلالة على حذفها فى الوصل والوقف.

أما فى ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ القلم: ٦. فلم يضع علماء الضبط علامة الصفر المستدير فوق الياء الأولى- رغم زيادتها- على اعتبار أن علامة التشديد فوق الثانية (وهى من علامات الضبط أيضًا)، دليلاً على إدغام الأولى فى الثانية،فيكون النطق بياء واحدة مشددة.

قاعدة الإبدال:

ويقصد به: إبدال حرف بحرف آخر، فإن كان الإبدال فى الرسم واللفظ يتركه علماء الضبط كما هو، وإن كان الإبدال فى اللفظ فقط، يرسم علماء الضبط الحرف الملفوظ.

الأمثلة:

(١) اتفق فى رسم المصاحف على إبدال نون التوكيد الخفيفة ألفًا فى الرسم فى ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ يوسف: ٣٢ ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ العلق: ١٥ على عادة بعض العرب فى كتابتهم القديمة فكانوا يعاملون نون التوكيد الخفيفة معاملة التنوين المنصوب.

(٢) وكذلك إبدال نون (إذَن) ألفًا فى الرسم، نحو:﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾ الإسراء: ٧٦

(٣) وكذلك إبدال التنوين نونًا مرسومة، وذلك فى ﴿وَكَأَيِّن﴾، حيث وردت، إذ أصلها (وكأىٍّ).

(٤) وإبدال تاء التأنيث تاءً فى الرسم نحو: ﴿نِعْمَتَ﴾،﴿جَنَّتُ﴾، ﴿لَعْنَتَ﴾، وذلك على لهجة بعض القبائل التى كانت تنطق تاء التأنيث تاءً فى الوصل والوقف. وإلى الآن يوجد من العرب من يقول (الحياتْ) بدلاً من (الحياه) وما شابهها. وللتَّاءات درس خاص نتناول فيه المواضع التى رسمت فيها بالهاء والأخرى التى رسمت فيها بالتاء، وكيفية الوقف عليهما.

(٥) إبدال ألف (لإن) ياءً فى الرسم ﴿لَئِنْ﴾ للدلالة على أن همزتها مكسورة. تنبية:

جميع ما ذكر من (ا) حتى (هـ) يتركه علماء الضبط كما هو.

(٦) ترسم الألف واوًا فى أربعة أصول مطردة حيث وقعن غير موصوفات أو مضافات، وهى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾، ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾، كما ترسم واوًا فى أربعة مواضع، هى:

﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾ الأنعام: ٥٢، الكهف: ١٢٨، ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ النور: ٣٥

﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ غافر: ٤١، ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ النجم: ٢٠

وذلك على العادة القديمة لبعض القبائل العربية فى نطق الألف كالواو ورسمها فى كتابتهم واوًا. ويضع علماء الضبط الألف الصغيرة فوق الواو للدلالة على إبدال الواو ألفًا فى النطق.

تنبيـــــه:

كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قرئت بالإفراد: فتكون الألف بدل الواو فتوضع فوق الواو مباشرة. وقرئت بالجمع: ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، فتوضع الألف بعد الواو وفوق الواو فتحة.

(٧) ٱلتَّوۡرَىٰةَ – مَجۡرٜىٰهَا – أَرۡسَىٰهَا – دَحَىٰهَآ – وَمَرۡعَىٰهَا .. وما شابهها.

رسمت فى المصحف بإبدال الأَلِف ياءً، وذلك على عادة بعض العرب فى كتابة الألفات الممالة ياءً، فوضع علماء الضبط الألف الصغيرة فوق الياء الكبيرة.

يبصط، من قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ البقرة: ٢٤٥.

بصطة، من قوله تعالى ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ الأعراف: ٦٩.

بمصيطر، من قوله تعالى ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ الغاشية: ٢٢.

المصيطرون، من قوله تعالى ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ﴾ الطور: ٣٧.

فهذه الكلمات نجدها قد كتبت فى رسم المصحف بالصاد وأصلها بالسين، ولكن بعض القبائل العربية كانوا يفخمون السين لمجاورتها للطاء فتنقلب السين صادًا، فكتبت بالصاد للدلالة على البدل؛ لأن السين هى الأصل. وقراءة هذه الكلمات بالسين أو بالصاد يكون تبعًا للرواية.

فإذا اقتضت الرواية قراءتها بالسين: وضع علماء الضبط فوق الصاد الكبيرة سينًا صغيرة للدلالة على أن النطق بالسين.

وإذا اقتضت الرواية قراءتها بالوجهين (بالسين أو الصاد)، مع كون الصاد أشهر: يضع علماء الضبط سينًا صغيرة تحت الصاد الكبيرة، للدلالة على أن الوجه المقدم هو قراءتها بالصاد.

وإذا اقتضت الرواية قراءتها بالصاد فقط: تركها علماء الضبط كما هى لموافقة الرسم اللفظ.

قاعدة الوصل والفصل:

ويقصد به: رسم حروف أو كلمات متصلة بعضها ببعض، أو منفصلة بعضها عن بعض، خلافًا للإملاء الذى اعتاد عليه الناس.

ومن أمثلته:

رسم حروف الهجاء متصلة ببعضها فى فواتح بعض السور نحو:

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ،﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓر﴾... إلخ.

رسم (يا) النداء متصلة بما بعدها﴿يَـٰبَنَؤُمَّ﴾.

رسم (ها) التنبيه متصلة بما بعهدها ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾.

رسم (وىْ) متصلة بـ (كأن) فى ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾.

رسم (إل) مفصولة عن (ياسين) فى ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾.

رسم ﴿حَيْثُ﴾ مفصولة عن (ما) فى ﴿وَحَيْثُ مَا﴾.

ورسم الكلمة موصولة أم مقطوعة، أمر يخص الرسم العثمانى ولا علاقة له باللغة بمعنى:أنه لا يؤثر على معنى الكلمة، فهو واحد من الناحية اللغوية فى حالة رسمها بالقطع أو بالوصل؛ فمثلاً:

﴿ أَنْلَّا ﴾،عند أهل اللغة، معروف أنهما حرفان (أَنْ) الناصبة و(لا) النافية فإذا رسمت الكلمتان بالقطع ﴿ أَنْلَّا ﴾، أو بالوصل ﴿ أَلَّا ﴾، فإن القاعدة اللغوية لا تتغير[1].

وللمقطوع والموصول درس مستقل، نتناول فيه بالتفصيل: الكلمات التى رسمت موصولة فى المصحف، والكلمات التى رسمت مفصولة، وبيان مواضعها.

قاعدة الهمـــز:

معنى الهمز لغةً: الدفع بسرعة، تقول: همزت الفرس همزًا، إذا دفعته بسرعة، وقيل: هو مصدر همزت أى ضغطت، وهو اسم جنس واحده همزة، وجمعه همزات.

وسمى الحرف المعروف- الذى هو أول حروف الهجاء- همزة، لأن الصوت يندفع عند النطق به لكلفته ويُعْد مخرجه، وقيل: لما يحتاج فى إخراجه من أقصى الحلق إلى ضغط مخرجه، ومن ثَمَّ سميت نبرة، لاندفاعها منه إذ النبر مرادف للهمز، عند الجمهور، تقول: نبرت الحرف نبرًا إذا همزته[2].

ولمعرفة قواعد كتابة الكلمة المهموزة فى رسم المصحف لابد من الانتباه إلى أمرين:
الأول: أن يؤخذ فى الاعتبار الهمزة ذاتها، والحرف السابق لها.
والثانى: ترتيب الحركات على حسب قوتها كالتالى: الكسر،ثم الضم، ثم الفتح، ثم السكون.

وتقع الهمزة فى أول الكلمة، أو وسطها، أو طرفها.

أولاً: الهمزة فى أول الكلمة:

ترسم الهمزة فى أول الكلمة ألفًا، سواء تحركت بكسر،أو فتح أو ضم، نحو:
﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾، ﴿ أَمَرَ ﴾، ﴿ أُنزِلَ ﴾. وكذلك إذا اتصل بها حرف دخيل زائد، نحو:
﴿ فَبِأَيِّ ﴾، ﴿ لَبِإِمَامٍ ﴾، ﴿ سَأُنزِلُ ﴾، ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾، ﴿ أَفَأَنتَ ﴾ وشبهه.

فإذا أتت همزتان مفتوحتان، رسمت الأولى على السطر، والثانية على ألف نحو:
﴿ ءَأَنتُمْ ﴾، لئلا يجتمع ألفان.

---

[1] يرى البعض في(الإملاء العادي)،وجوب اظهار نون(أن) اذا دخلت (لا)التى بعدها على الاسم، كما فى: اشهد ان لا اله الا الله ، اما اذا دخلت على الفعل فتدغم فى (لا)،كما فى: ارجو ألاَّ تغيب.

[2] انظر الإضاءة للشيخ الضَّبَّاع.

وإذا كانت الثانية مضمومة، رسمت الأولى على ألف، والثانية على واو (أَؤُنزِلَ).

وإذا كانت الثانية مكسورة، رسمت الأولى على ألف، والثانية على ياء (أَئِنَّكَ).

ولا ترسم الهمزة على ألف إذا أتى بعدها ألف نحو: ﴿ءَامَنَ﴾ لئلا يجتمع ألفان.

ثانياً: الهمزة فى وسط الكلمة:

إذا سبق الهمزة المتحركة حرف متحرك، غير الهمز، فإذا كان أحدهما مكسورًا: تكون الأولوية للحركة الأقوى فترسم الهمزة على صورة الياء، نحو:

﴿بَئِيسٍ﴾، ﴿فِئَةٌ﴾، ﴿سُئِلَ﴾.

وإذا كان أحدهما مضمومًا والآخر مفتوحًا: تكون الأولوية للحركة الأقوى، فترسم الهمزة على واو نحو: ﴿فُؤَادُ﴾، ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾.

أمَّا إذا كانا مفتوحين، فترسم الهمزة على ألف، نحو: ﴿سَأَلَ﴾، ﴿رَأَوْكَ﴾. أمَّا إذا أتى بعدها ألف، فترسم،على السطر لئلا يجتمع ألفان، نحو: ﴿شَنَـَٔانُ﴾، المائدة:٢ ﴿مَـَٔابِ﴾ ، الرعد:٣٦ ﴿رَءَا﴾، يوسف:٢٤.

ثالثاً: الهمزة المتطرفة:

إذا وقعت الهمزة متطرفة فى آخر الكلمة، لوحظت حركة ما قبلها فحسب، وترسم الهمزة تبعًا لحركة الحرف الذى يسبقها:

١- فإذا كان ما قبلها مكسورًا، رسمت على ياء، نحو: ﴿قُرِئَ﴾، ﴿شَـٰطِئِ﴾.

٢- وإذا كان ما قبلها مضمومًا، رسمت على واو، نحو: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ﴾.

٣- وإذا كان ما قبلها مفتوحًا، رسمت على ألف، نحو: ﴿بَدَأَ﴾، ﴿نَّشَأْ﴾، ﴿ٱقْرَأْ﴾.

٤- وإذا كان ما قبلها ساكنًا، ترسم على السطر، نحو: ﴿ٱلْخَبْءَ﴾، ﴿دِفْءٌ﴾، ﴿مِّلْءُ﴾.

والاختلاف بين رسم الهمزة فى المصحف العثمانى وبين كتابتها فى الإملاء العادى. راجع إلى أمرين:

الأول: أن العرب وقت نزول القرآن وكتابته لم يكونوا يعرفون صورة الهمزة، فكانوا يستعيرون لها صورة الألف، أو الواو، أو الياء، أو يحذفونها، ويتعرفون عليها من السياق واللحاق.

الثانى: نزول القرآن موافقًا للهجات بعض القبائل العربية الذين كانوا يخفِّفون الهمز أى لا ينطقونه محققًا، فكتبت صورته بالحرف الذى يؤُول إليه فى التخفيف أو يقرب منه.

والأصل فى الهمز: التحقيق.

ومعناه لغةً: مصدر حققت الشىء تحقيقًا إذا بلغت يقينه ومعناه والمبالغة فى الإتيان بالشىء على حقيقته وأصله المشتمل عليه.

ومعناه فى الاصطلاح: النطق بالهمزة خارجة من مخرجها الذى هو أقصى الحلق كاملة فى صفاتها. وهو لغة هذيل وعامة تميم.

والهمزة من أثقل الحروف نطقًا وأبعدها مخرجًا ولذلك جرى أكثر العرب على تخفيفها وكانت قريش والحجازيون أكثرهم لها تخفيفًا.

وقال بعضهم: بل هى لغة أكثر العرب الفصحاء.

ومعنى التخفيف فى اللغة: ضد التثقيل.

أمَّا فى الاصطلاح فله معنيان:

معنى خاص بحذف الصلات من الهاءات وفك الحرف المشدد القائم على مثلين ليكون النطق بواحد منهما فيصير الحرف خفيف الوزن عند النطق.

ومعنى خاص بالهمزات (وهو المقصود هنا) ويعنى التسهيل بمعناه المطلق، الذى يعنى مجمل التغيير الذى يدخل على الهمزات بقصد تخفيف النطق بها.

نبذة مختصرة عن وسائل تخفيف الهمزات
فى القرآن الكريم

وهى ست وسائل: الإبدال- التسهيل- النقل- الحذف أو الإسقاط- الإدخال- السكت.

أولاً: الإبـــدال:

ومعنـاه لغةً: جعل شىء مكان آخر، تقول: أبدلت كذا بكذا إذا نحيت ما بعد الباء وجعلت ما قبله مكانه؛ وذلك لأن الباء تدخل على المتروك، كما فى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ النساء: ٢، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ البقرة: ١٠٨، ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٦١.

ومعنـاه فى الاصطلاح: إقامة الألف، أو الواو، أو الياء، مقام الهمزة عوضًا عنها تعويضًا صحيحًا لا يبقى للهمزة أثر.

وعرَّفه الإمام الشاطبى بقوله:

والإِبْدَالُ مَحْضٌ ....

والمحض هو الخالص.

فالعمل فيه يكون فى مخرج الألف أو الواو أو الياء، لا مخرج الهمزة.

والأصل فيه: أن تكون الهمزة ساكنة، فتبدل بعد الفتح ألفًا، وبعد الضم واوًا، وبعد الكسر ياء. ولذلك:

عرَّفه الإمام الشاطبى فى موضع آخر بقوله:

فَأَبْدِلْهُ... حَرْفَ مَدٍّ مُسَكَّنَا وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ تَنَزَّلاَ

والمعنى: إذا أتت الهمزة ساكنة، تبدل بحرف مد مجانس لحركة ما قبلها، فتبدل ألفًا فى نحو: ﴿مَأْمَنَهُۥ﴾، ﴿أَسَأْتُمْ﴾.

وتبدل واوًا، فى نحو: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾.

وتبدل ياءً فى نحو: ﴿ٱلذِّئْبُ﴾، ﴿وَبِئْرٍ﴾.

وأيضًا أبدلت الهمزة واوًا فى نحو: ﴿ شُرَكَـٰٓؤُاْ ﴾، ﴿ عُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾.

وأبدلت الهمزة ياءً فى نحو: ﴿ نَبَإِي ﴾، ﴿ تِلْقَآيِ ﴾.

وأيضًا أبدلت الهمزة المفتوحة بعد ضم واوًا مفتوحة فى نحو: ﴿ يُؤَيِّدُ ﴾، ﴿ فُؤَادُ ﴾.

ونلاحظ فى الأمثلة المذكورة، وما ماثلها، أن الهمز أبدل فى اللفظ إلى حرف المد الذى هو صورته فى الخط، ويظهر التناسق بين ما آلت إليه صورة الهمزة فى الخط، وبين وسيلة تخفيفها، وهذا فى الأغلب الأعم، مع وجود بعض الهمزات خرجت عن هذا القياس فى عموم القرآن.

الإبدال فى قراءة حفص:

أَبدل حفص ومعه باقى القراء: همزة الوصل ألفًا فى ثلاث كلمات، وهى:

﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ الأنعام: ١٤٣ ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ يونس: ٥٩ والنمل ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ يونس: ٥١.

فأبدلت الهمزة الثانية ألفًا محضة، وترتب على الإبدال التقاء الألف بالحرف الساكن بعدها، وهو: (الذال) فى ءَآلذَّكَرَيْنِ و(اللام) فى ءَآللَّهُ، ءَآلْـَٰٔنَ، فاستلزم ذلك مد الألف مدًّا مشبعًا مقداره ست حركات.

وأيضًا أجمع القراء- ومن بينهم حفص- على إبدال كل همزة قطع ساكنة أتى قبلها همزة وصل مبتدأ بها، مثل:

﴿ ٱؤْتُمِنَ ﴾ فتبدل الهمزة واوًا (اوتمن).

﴿ ٱئْتُونِي ﴾ فتبدل الهمزة ياءً (آيتُونِي).

ونلاحظ التوافق بين ما آلت إليه صورة الهمزة فى الرسم وبين وسيلة التخفيف.

ثانياً: التسهيل أو (بين بين)

وله معنيان:

معنى مطلق أو عام مرادف لمعنى التخفيف الذى ذكرناه.

ومعنى خاص: يعنى حقيقة التسهيل وهو:

تلْيين لفظ الهمزة فلا هى محققة من مخرجها ولاهى مبدلة إلى حرف مد وإنما بين بين أى: بين مخرجها ومخرج حرف المد المجانس لحركتها.

وعملياً: ضعف التصادم فى مخرج الحرف المتحرك قبل التباعد للحركة.

وعرَّفه الإمام الشاطبى بقوله :

.... والْمُسهَّلُ بَيْنَ مَا هَوَ الْهَمْزُ وَالْحَرْفِ الَّذِى مِنْهُ أُشْكِلاَ

والمعنى: أن التسهيل يأتى فى الهمزات المتحركة، فالهمزة المتحركة بالفتح تسهل بين الهمزة والألف. كتسهيل الهمزة الثانية فى نحو: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾.

والهمزة المتحركة بالضم تسهل بين الهمزة والواو. كتسهيل الهمزة الثانية فى نحو: ﴿ أَءُنزِلَ ﴾.

والهمزة المتحركة بالكسر تسهل بين الهمزة والياء. كتسهيل الهمزة الثانية فى نحو: ﴿أَئِنَّكُمْ ﴾.

ونلاحظ فى الأمثلة الثلاثة: أن الهمزة المسهَّلة بين الهمزة والألف كانت صورتها فى الرسم الألف– والمُسهَّلة بين الهمزة والواو كانت صورتها فى الرسم الواو– والمسهَّلة بين الهمزة والياء كانت صورتها فى الرسم الياء– وهذا فى الأغلب الأعم مع وجود بعض الهمزات خرجت عن هذا القياس فى عموم القرآن.

ولذلك قالوا: إن سبب زيادة الألف فى رسم ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾هو الدَّلالة على تسهيل الهمزة فيها بين الهمزة والألف، فى قراءة حمزة.

والتسهيل لابد معه من التلقى من أفواه المشايخ المتقنين، وأهم ما ينبغى التنبيه عليه:

١- الهمزة المسهلة همزة محركة تبقى فى حيزها، ولا مد فيها مطلقًا ولا يزاد زمن حركتها فى حال التسهيل عن حال التحقيق.

٢- لا تبدل الهمزة المسهلة هاءً. وهذا من الأخطاء الجليَّة التى يقع فيها بعض المبتدئين وفيه تحريف، والفرق بين الإبدال والتسهيل واضح تمامًا فى السمع والنطق، ففى الإبدال العمل فى مخرج الحرف المبدل إليه، أما التسهيل فالعمل فى مخرجين معًا– مخرج الهمزة ومخرج حرف المد المجانس لحركتها– فلا علاقة بين الهاء والهمزة المسهلة.

٣- لا يكون العمل فى مخرج الهمزة فقط، ولذا فهى لا تخرج محققة.

الهمزات المسهلة فى قراءة حفص:

سهل حفص همزة قطع واحدة وثلاث همزات وصل. أمَّا القطع (وهى موضع خلاف بين القراء) ففى قوله تعالى بسورة فصلت ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ ﴾، وأصلها (أعْجمى)، بهمزة قطع واحدة دخلت عليها همزة الاستفهام وهى همزة قطع أيضًا فاجتمعت همزتان مفتوحتان.

فقرأ حفص بتسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف.

أما همزات الوصل الثلاث- وهى موضع اتفاق بين القراء- ففى كلمات ثلاث: ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾.

فكما سبق وذكرنا أن له فيها الإبدال مع المد المشبع للساكنين، فله وجه آخر وهو تسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف.

والوجه المقدم، هو: وجه الإبدال، لموافقته للرسم، حيث رسمت الهمزة الثانية ألفًا محضة، ويضع علماء الضبط علامة الهمزة المسهلة فوق ألف ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ ﴾ فقط، لأن حفصًا ليس له إلا وجه واحد فقط، هو: التسهيل، وعلامة الضبط الدالة على تسهيل الهمزة عبارة عن دائرة مصمتة، أى مسدودة الوسط توضع فوق الألف.

ويجب الاحتراز عند التسهيل، لحفص، أو لغيره من القراء، من الوقوع فى الأخطاء الثلاثة التى ذكرناها آنفًا، فلا تمط حركة الهمزة، ولا تبدل الهمزة هاءً، ولا تحقق الهمزتان.

ثالثاً: النـقل

ومعناه لغةً: التحويل: يقال: نقلت الشىء، أى حولته من موضعه إلى موضع آخر.

ومعناه اصطلاحًا: إسقاط الهمز وتحويل حركته إلى الساكن قبله.

والنقل فيه اختصار، فبدلاً من النطق بالحرف الساكن وبعده الهمز، ننطق بالساكن فقط متحركًا بحركة الهمز.

وعرَّفه الإمام الشاطبي بقوله:

وَحَرِّكْ بِهِ ما قَبْلَهُ مُتَسَكِّنَا   وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللَّفْظُ أَسْهَلاَ

والمعنى: إذا كان الهمز متحركًا، وقبله حرف ساكن، فألق حركة الهمز على الحرف الساكن قبله، وأسقط الهمز، حتى يسهل اللفظ على القارئ.

الأمثلة:

﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾تنطق (منَ آمَنْ)، ﴿ مِّلۡءُ ﴾ تنطق (ملُ)، ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ تنطق (قَدَ فْلح)، ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ تنطق (الخبَ)، ﴿ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ تنطق (الَرض)، ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ تنطق(القُرَان)، ﴿ مَسۡـُٔولًا ﴾ تنطق (مسُولا).....إلخ.

والهمزات المنقول حركتها إلى الساكن قبلها (فى معظمها)، لم يكن لها صورة فى الخط، فمع القراءة بالنقل يتفق اللفظ مع الرسم، ولهذا السبب: رسموا نحو:

﴿ ٱلۡأَرۡضِ ﴾، ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءُ ﴾، ﴿ ٱلۡآخِرَةُ ﴾. لتكون الألف بعد اللام علامة على فتحة اللام، وبعد اختراع صورة الهمزة، وضعوها فوق الألف مباشرة فى﴿ ٱلۡأَرۡضِ ﴾،﴿ ٱلۡأَسۡمَآءُ ﴾، وبين الألف واللام فى﴿ ٱلۡآخِرَةُ ﴾، لأن ألفها ممدودة، وقس على ذلك كل نظير.

تنبيهــان:

التنبيه الأول:

اتفق القراء على عدم نقل حركة الهمزة إلى ميم الجمع، مطلقًا، نحو﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ وما شابهها.

لأنه لو جاز النقل لها لجاز أن تتحرك بالحركات الثلاث، والأصل أنها مبنية على السكون، فإن تحركت لسبب فلا تتحرك إلا بالضم، ولذلك: امتنع ورش عن النقل إلى الميم الساكنة فى المثال المذكور، ووصلها بواو مدية لفظية (عَلَيكُمُو أَنفُسَكُم) تمد مدًّا مشبعًا، على مذهبه فى حرف المد الذى يأتى آخر كلمة والهمز فى أول الكلمة التالية، ويسمى بـ(المد المنفصل).

ولا يعترض على ذلك بتحريك ميم الجمع بالكسر فى نحو:
(عليهِمِ القِتَال)، (بهِمِ الأَسَباب) فى قراءة أبى عمرو، لأن التحريك هنا من أجل التخلص من التقاء الساكنين والأصل فيه أن يتحرك الساكن الأول بالكسر، أما فى مثل ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾، فتنقل فتحة الهمزة إلى الميم قبلها، لأنها ليست ميم جمع.

التنبيه الثانى:

تلحق آخر بعض الكلمات (هاء)، تسمى عند القراء واللغويين بهاء السكت، نحو: ﴿ يَتَسَنَّهْ ﴾، ﴿ مَالِيَهْ ﴾، ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾، والأصل فى هاء السكت: أنها مبنية على السكون تجلب للمحافظة على فتحة الحرف قبلها؛ لبيان معنى مقصود فى ذاته.

واختلف فى نقل حركة الهمزة إلى هاء السكت قبلها فى ﴿كِتَٰبِيَهْ إِنِّى ﴾، فروى جماعة جواز النقل إليها إجراءً لها مجرى الحروف الأخرى، وروى جماعة عدم جواز النقل للمحافظة على الأصل، وأشهر القراء فى النقل هما الإمامان: حمزة ونافع برواية ورش، أمَّا حفص فلم يرد عنه.

رابعاً: الحذف أو الإسقاط:

معناه لغةً: الطرح أو الإزالة.

اصطلاحًا: إعدام إحدى الهمزتين المتلاصقتين.

وعرَّفه الشاطبى بقوله:

وَأَسْقَطَ الأُولَى فِى اتِّفَاقِهِما معًا ... إِذَا كَانَتَا مِنْ كِلْمَتَينِ ...

كَجَاءَ أَمْرُنَا ....

والمراد: همزتا القطع المتلاصقتان الواقعتان فى كلمتين، بأن تكون الأولى آخر كلمة والأخرى أول الكلمة التى تليها، فيسقط أى يحذف فى القراءة الهمزة الأولى، ومثال ذلك، قولة :﴿ جَآءَ أَمْرُنَا ﴾.

*** وهناك خلاف على أى الهمزتين قد حذفت: أهى الأولى، أم الثانية، ولهذا الخلاف ثمرة تظهر فى حكم المد.

فعلى القول بأن المحذوفة الأولى: يكون المد من قبيل المنفصل، أى انفصل حرف المد فى كلمة والهمز فى أول الكلمة الثانية، فتكون (جا أمرنا)،كما فى نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾.

وعلى القول بأن المحذوفة الثانية: يكون المد من قبيل المتصل، أى اتصل حرف المد والهمز فى كلمة واحدة، فتكون (جاء مرنا)، كما فى نحو﴿ جَآءَ ﴾. والجمهور على أن المحذوفة الأولى.

ونلاحظ التوافق بين رسم الكلمتين وطريقة التخفيف، فعلى القولين يأتى حرف المد وبعده همز محقق، فيصلح أن يمد مدًّا منفصلاً أو متصلاً. ولذلك لم يغير أحد القراء الهمزتين معًا، إن غَيَّر واحدة، فلابد أن يحقق الأخرى.

وورد عن بعض القراء حذف الهمزة المفردة التى ليس لها صورة، أى لم يُسْتَعَرْ لها صورة الألف إذا كانت مفتوحة، أو صورة الواو إذا كانت مضمومة، أو صورة الياء إذا كانت مكسورة، فيقرأ: ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ ﴾، ﴿ خَٰطِـِٔينَ ﴾، ﴿مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (يضاهُون)، (خاطِين)، (مستهْزُون).

وقد تبدل الهمزة ألفًا، ثم تحذف، مثل: الوقف على نحو: ﴿ٱلسَّمَآءَ ﴾، حيث يبدل حمزة وهشام الهمزة ألفًا، ثم تحذف فيصير النطق (السَّمَا)، وحذف الهمزة عند الوقف لهجة عربية توجد إلى الآن.

وتخفيف الهمزة بالإسقاط أو الحذف، وارد عن أكثر من قارئ.

ولم يرد عن الإمام حفص شىء من الإسقاط أو الحذف.

خامساً: الإدخال:

ومعناه لغةً: الزيادة، أو الإضافة.

واصطلاحًا: إدخال ألف مدية، تكون حاجزة بين الهمزتين المتلاصقتين فى كلمة واحدة، وتسمى بألف الحجز، أو ألف الفصل.

ولا يزاد مدها عن حركتين، لأن الحجز أو الفصل، يحدث بقدر الحركتين، ولا حاجة إلى الزيادة.

وأطلق عليه الإمام الشاطبى (المد) فقال:

وَمَدُّكَ قَبْلَ الفَتْحِ والكَسْرِ ... .

وَمَدُّكَ قَبْلَ الضَّمِّ ....

والمعنى: إدخال ألف مدية تكون حاجزة بين الهمزتين الأولى، منهما مفتوحة، والثانية:

قد تكون مفتوحة، نحو: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾.

أو قد تكون مكسورة، نحو: ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾.

أو قد تكون مضمومة، نحو: ﴿ أَءُنزِلَ ﴾.

ولأن الهمزة الأولى دائمًا مفتوحة، جاء إدخال الألف ليناسب فتح الهمزة قبلها.

ولا يكون الإدخال إلا بين همزتي قطع، ويمتنع فى حالتين باتفاق:

الأولى: عندما يجتمع همزتان فى كلمة، وتكون الهمزة الثانية همزة وصل، كما فى:

﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾، ﴿ ءَآللَّهُ ﴾، ﴿ ءَآلْآنَ ﴾.

الثانية : عندما يجتمع ثلاث ألفات يمتنع الإدخال كراهة توالى أربع ألفات.

ووقع ذلك فى القرآن فى كلمتين﴿ ءَالِهَةٌ ﴾،﴿ ءَامَنتُم ﴾ لأن الأصل (أَءْلهة)، بهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكلمة، وقعت ساكنة بعد مفتوحة فقلبت الساكنة ألفًا (أَالهه)، مثل: (ءادم)، ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة، فاجتمعت ثلاث ألفات فى اللفظ، الأولى للاستفهام (ءَأَالِهَة)، فلو فصلوا بين الأولى والثانية بألف لصارت رابعة. ومثلها (ءَأَامنتم).

وقد بيَّن الإمام الشاطبى حكم ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾، وأخواتها، وهو: الإبدال، أو التسهيل، وأنه يمتنع فيهنَّ الإدخال، كما يمتنع عند تلاقى ثلاث ألفات بقوله:

وَإِنْ هَمْزُ وَصْلٍ بَيْنَ لاَمٍ مُسَكَّنٍ   وَهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَام فَامْدُدْهُ مُبْدِ

فَلِلْكُلِّ ذَا أَوْلَى وَيَقْصُرُهُ الَّذِى   يُسَهِّلُ عَنْ كُلٍّ كالآن مُثِّلا

وَلاَ مَدَّ بَيْنَ الْهَمَزتَيْنِ هُنَا وَلاَ   بِحَيْثُ ثَلاَثٌ يتَّفِقْنَ تَنَزُّلا

وورد الإدخال عن بعض القراء، أما الإمام حفص فلم يرد عنه.

سادساً: السكت:

والسكت فى التجويد، على قسمين: سكت من أجل الهمز، وسكت لغيره.

والمقصود هنا: (السكت من أجل الهمز).

معنى السكت فى اللغة: قطع الصوت، يقال سَكَتَ أى قطع صوته .

واصطلاحًا: قطع الصوت على الحرف القرآنى، مع عدم التنفس. وزمنه أقل من زمن الوقف.

والسكت من أجل الهمز، هو:

الفصل بين الساكن والهمزة بعمل فراغ صوتى يكون بمثابة الحركة، فبدلاً من أن ينقل القارئ حركة الهمز إلى الساكن قبله، ينطق بالساكن، ثم يسكت، ثم ينطق بالهمزة.

الأمثلة: ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾، ﴿ مَسْـُٔولًا ﴾،﴿ قُرْءَانٍ ﴾، وما شابه ذلك.

فيسكت بعد النطق باللام فى﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾، والسين فى ﴿ مَسْـُٔولًا ﴾،والراء فى ﴿ قُرْءَانٍ ﴾، ليضع فاصلاً بين الحرف الساكن وبين الهمز، فيسهل النطق به.

والسكت بقصد تخفيف الهمزات يشمل أربعة أصول مطَّردة فى القرآن:

الأصل الأول: السكت على (أل)، من كل اسم أوله همزة قطع، نحو:

﴿ ٱلْأَرْضُ ﴾، ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾.

الأصل الثانى: السكت على الياء من ﴿ شَىْءٍ ﴾ مطلقًا، سواء أكانت منصوبة﴿ شَيْـًٔا ﴾، أم مجرورة ﴿ شَىْءٍ ﴾، أم مرفوعة ﴿ شَىْءٌ ﴾.

الأصل الثالث: السكت على الساكن المفصول: أى يكون الساكن في آخر كلمة، والهمز في أول الكلمة التالية، نحو: ﴿ إِنْ أَنتَ ﴾، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، ﴿ خَلَوْاْ إِلَىٰ ﴾.

الأصل الرابع : السكت على الساكن الموصول: أى أن الحرف الساكن والهمز متتاليان في كلمة واحدة، نحو ﴿ مَسْـُٔولًا ﴾، ﴿ قُرْءَانٍ ﴾.

وعن طريق الطيبة: ورد أيضًا السكت بعد حرف المد قبل النطق بالهمزة فى المدين المتصل والمنفصل، كما فى نحو: ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ ...﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾.

والسكت– كوسيلة من وسائل تخفيف الهمزات– لم يرد إلا عن الإمام حمزة، وذلك عن طريق الشاطبية؛ وأما عن طريق الطيبة: فقد ورد عن عدد من القراء والرواة ومن بينهم حفص.

قال الإمام الشاطبى:

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِى الْوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ ... رَوَى خَلَفٌ فِى الْوَصْلِ سَكْتًا مُقَلَّلاَ

وَيَسْكُتُ فِى شَىءٍ وَشَيْئًا وَبَعْضُهُم ... لَدَى اللاَّمِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةٍ تَلاَ

ونشير إلى أن:

الطرق الست: وسائل لتيسير النطق بالهمزة، استغنوا بها عن إدغامه، فلم ترد رواية بإدغام الهمزة فى غيرها، ولم يرسموا لها صورة، بل استعاروا شكل ما يؤول إليه لفظها، إذا خففت، أو ما يقربُ منه، وذلك تنبيهًا على هذه الحادثة (أى حادثة التخفيف)،والأمر كله مرهون بالرواية، وآصل أنواع التغيير:أن يكون بالتسهيل بين بين،لأن فيه بقاء أثر الهمزة ثم: بالإبدال، لأنه وإن لم يبق له أثر فقد عوِّض عنه بحرف آخر. ثم: بالنقل، لأن فيه بقاء حركته، ثم: الحذف لأنه فى حكم المعدوم.[١]

تنبيـهان:

الأول: الفروق بين الرسم الإملائى المعتاد ورسم المصحف، لا نعرف مواضعها وكيفية النطق بها بمجرد الاطلاع فى الكتب، وإنما لابد من التلقى والمشافهة، وليعلم أن:

١- ما رسم بدلاً عن حرف آخر، فهو ثابت.

٢- ما زيد فى رسم الكلمة ولم يلفظ به، فهو فى حكم العدم.

٣- ما حذف من رسم الكلمة ولفظ به، فهو فى حكم الثابت.

٤- ما رسم موصولاً ولفظ به مفصولاً، فهو فى حكم المفصول.

٥- ما رسم مفصولاً ولفظ به موصولاً، فهو فى حكم الموصول.

---

(١) انظر الإضاءة للشيخ الضَّبَّاع.

الثانى: الحروف المرسومة فى المصحف على خلاف ما جرى به رسم الكتابة المعتاد له علة، والعلة فى هذا: الانتقال من وجه معروف مستفيض، إلى وجه آخر مثله فى الجواز والاستعمال، وإن كان المنتقل عنه أكثر استعمالاً، وكله لمعنى مقصود- وإن لم يرد ظاهره كله- ومن معانيه الظاهرة:

١- إنه دلالة على القراءات المتنوعة، فى الكلمة الواحدة.

٢- إنه دلالة على أصل الحركة، لأنهم كانوا لا يشكلون الحروف، ولا يعرفون صورة للهمزة.

٣- الدلالة على بعض اللغات الفصيحة، مثل:

كتابة الألف الممالة على صورة الياء، كما فى نحو: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾.

وكتابة تاء التأنيث تاءً مفتوحة، كما فى نحو: ﴿نِعۡمَتَ﴾.

وكتابة السين صادًا، نحو: ﴿بَصۜۡطَةٗ﴾.

٤- الدلالة على بعض اللهجات القديمة:

مثل كتابة الألف واوًا فى نحو: ﴿ٱلصَّلَوٰةُ﴾ -﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ - ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾.

سؤال:

عند إرادة كتابة آيات من النص القرآنى، هل لابد من اتباع رسم المصحف، أم يجوز كتابتها بالإملاء الذى اعتاد عليه الناس؟

جاء فى نهاية القول المفيد ما نصه: (اجتمع على كتابة المصحف، حين كتبوه، اثنا عشر ألفًا من الصحابة ﷺ، ونحن مأجورون على اتباعهم، ومأثومون على مخالفتهم، فيجب على كل مسلم أن يقتدى بهم وبفعلهم، فما كتبوه بواو فواجب أن يكتب بواو، وما كتبوه بغير واو فواجب أن يكتب بغير واو، وما كتبوه بألف فواجب أن يكتب بألف، وما كتبوه بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف، وما كتبوه بياء فواجب أن يكتب بياء، وما كتبوه بغير ياء فواجب أن يكتب بغير ياء، وما كتبوه متصلاً فواجب أن يكتب متصلاً، وما كتبوه منفصلاً فواجب أن يكتب منفصلاً، وماكتبوه من هاءات التأنيث بالتاء المجرورة، فواجب أن يكتب بالتاء المجرورة، وما كتبوه منها بالهاء فواجب أن يكتب بالهاء.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: تحرم مخالفة خط المصحف العثمانى فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك، وقد نقل الجعبرى وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع مرسوم المصحف العثمانى، وأجمع أهل الأداء وأئمة القراء على لزوم تعلم مرسوم المصاحف فيما تدعو إليه الحاجة. وقال الإمام الخرّاز فى كتابه (عمدة البيان فى الزجر عن مخالفة رسم المصاحف)، ما نصه:

فَوَاجِبٌ على ذَوِى الأذهانِ	أَنْ يَتْبَعُوا المرسُومَ فى القرآنِ
وَيَقْتَدُوا بما رآه نَظَرَا	إذ جَعَلُوهُ لِلأنامِ وِزْرَا
وكيف لا يجبُ الاقتداءُ	لِمَا أَتَى نصابُه الشِّفاءُ
إِلَى عِياضٍ أَنَّهُ مَنْ غَيَّرا	حَرْفًا مِنَ القُرآنِ عَمْدًا كَفَرَا
زِيادةً أو نقصًا أو أن يُبَدِّلا	شيئًا من الرسمِ الذى تَأَصَّلا

ثم اعلم أن كل ما كتب فى المصحف على غير أصل لا يقاس عليه غيره من الكلام؛ لأن القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال مالا يلزم غيره واتباع المصحف فى هجائه واجب، والطاعن فى هجائه كالطاعن فى تلاوته، كيف؟ وقد تواطأ عليه إجماع الأمة حتى قالوا فى جميع هجائه: إنه كتب بحضرة جبريل عليه السلام وأن النبى ﷺ كان يملى زيد بن ثابت من تلقين جبريل عليه السلام، ويشهد لذلك إجماع القراء على قوله ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ فى البقرة، بإثبات الياء، وفى المائدة بحذفها فى الموضعين ونظائر ذلك كثيرة. ويشهد لذلك أيضا ما ذكره العلامة الشيخ أحمد بن المبارك فى كتاب الذهب الإبريز عن شيخه الشيخ عبد العزيز الدباغ أنه قال: (رسْم القرآن العزيز سرّ من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة، قال فقلت: هل رسم الواو بدل الألف فى نحو ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾، ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾، وزيادة الواو فى ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ﴿أُوْلَآءِ﴾، ﴿أُوْلَٰتِ﴾، والياء فى ﴿هُدَىٰهُمْ﴾، ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾، ﴿بِأَيِيكُمُ﴾، ﴿بِأَيْيْدٍ﴾. هذا كله صادر من النبى ﷺ أم من الصحابة؟ فقال: هو صادر من النبى ﷺ وهو الذى أمر الكُتَّاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوا من النبى ﷺ

فقلت لـه: إن جماعـة مـن العلمـاء ترخصـوا فـى أمـر الرسـم وقـالوا إنمـا هـو اصـطلاح مـن الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه فى الجاهلية، فقال: ما للصحابة ولا لغيرهم فى رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبى ﷺ وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها،لأسرار لا تهتدى إليها العقول وهو سرّ من الأسرار خص الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شىء من هذا الرسم، لا فى التوراة، ولا فى الإنجيل، ولا فى الزبور، ولا فى غيرها من الكتب السماوية، فكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه معجز أيضًا، وكيف تهتدى العقول إلى سر زيادة الألف فى﴿ مِاْئَةِ ﴾ دون ﴿ فِئَةٌ ﴾، وإلى سر زيادة الياء فى ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ و﴿ بِأَيِيِّكُمُ ﴾؟ أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف فى ﴿ سَعَوْاْ ﴾بالحج ونقصانها من ﴿ سَعَوْ ﴾بسبأ، وإلى سر زيادتها فى ﴿ عَتَوْاْ ﴾ حيث كان، ونقصانها من ﴿ وَعَتَوْ ﴾ بالفرقان، وإلى سر زيادتها فى ﴿ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى ﴾ ونقصانها من ﴿ يَعْفُوَعَنْهُمْ ﴾ بالنساء، وإلى سر زيادتها فى ﴿ ءَامَنُواْ ﴾وإسقاطها من ﴿ وَبَآءُو ﴾و﴿ جَآءُو ﴾و﴿ تَبَوَّءُو ﴾ و ﴿ فَآءُو ﴾؟ أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من ﴿ قُرْءَٰنًا ﴾ بيوسف والزخرف، وإثباتها فى سائر المواضع، وإثبات الألف بعد واو ﴿ سَمَٰوَاتٍ ﴾ فى فصلت آية ١٢ وحذفها من غيرها، وإثبات الألف فى ﴿ ٱلْمِيعَٰادَ ﴾ مطلقًا وحذفها من موضع الأنفال، وإثبات الألف فى ﴿ سِرَٰجًا ﴾ حيث وقع، وحذفها من موضع الفرقان؟ وكيف يتوصل إلى فتح بعض التاءات، وربطها فى بعض؟ فكل ذلك لأسرار إلاهية وأغراض نبوية خفيت على الناس؛ لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الربانى، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التى فى أوائل السور، فإن لها أسرارًا عظيمة ومعانى كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئًا من المعانى الإلاهية التى أشير إليها فكذلك أمر الرسم الذى فى القرآن حرفا بحرف، باختصار من الجوهر الفريد.

وقال السيوطى فى الإتقان: "وأعظم فوائد رسم القرآن أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرءوه على وجه واحد دون موقف". انتهى ما جاء فى نهاية القول المفيد.

وورد فى إتحاف فضلاء البشر:

(وقد سُئِلَ مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، رحمه الله تعالى: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى.

وقال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام: لا يجوز كتابة المصحف إلاَّ على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال.

وقال بعض المحدثين: هذا كان فى الصدر الأول، والعلم غض حىّ، أما الآن فقد يُخشى الالتباس.

ورد عليهم العلماء بقولهم: لا ينبغى أن يترك شئ قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين، لاسيما وهو أحد الأركان التى عليها مدار القراءات.

وهل يجوز كتابة القرآن بقلم غير العربى؟

قال الزركشى: لم أر فيه كلامًا للعلماء ويحتمل الجواز؛ لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية، والأقرب المنع. كما تحرم قراءته بغير لسان العرب، وقد سئل عن ذلك المحقق ابن حجر المكى فأجاب بأن قضية ما فى المجموع عن الأصحاب التحريم) انتهى.

* * *

(الفصل الثالث)

اصطلاحات لضبط أحكام التلاوة برواية الإمام حفص عن عاصم من طريق الشاطبية

رسم كتاب الوحى جسم الحروف ثم قام العلماء فى عهد الصحابة والتابعين وتابعى التابعين بوضع (علامات الضبط)، وهى علامات إرشادية، تسهل وتعين القارئ على تعلم تلاوة القرآن وقراءته دون تحريف، أو تبديل، **وتشتمل علامات الضبط على:**

النقط والحركات الثلاث، وعلامات تدل على مواضع الوقف، وعلامات تدل على أحكام التلاوة المترتبة على تجاور حرفين، وعلامات لأماكن المدود، وعلامة للألفات المسهلة والألفات الممالة، وعلامة لمواضع السجود، ومواضع السكت، وهمزات الوصل، وصلة هاء الكناية، وغيرها من أحكام التلاوة.

وينبغى للقارئ برواية الإمام حفص أن يراعى ما يلى:

(١) وضع الصفر المستدير، وهو عبارة عن دائرة صغيرة مفرَّغة الوسط فوق حرف يدل على عدم النطق به وصلاً ووقفًا. ووضع الصفر المستطيل يدل على ثبوته فى الوقف دون الوصل.

والصفر المستطيل بيضاوى الشكل مفرغ الوسط أكبر بقليل من الصفر المستدير، ولذلك سمى بالمستطيل أى استطال وكبر عن المستدير.

وفى قراءة حفص ألفات تعرف بالألفات السبع تثبت فى الخط ولكنها منطوقة فى الوقف دون الوصل يوجد فوقها العلامة الدالة على ذلك وهى علامة الصفر المستطيل، وهذه الألفات هى:

- ألف ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾
- ألف ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾
- ألف ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾

} الأحزاب آية (١٠)، (٦٦)، (٦٧).

ألف ﴿ أَنَاْ ﴾ حيث وردت.

ألف ﴿ لَّٰكِنَّاْ ﴾ الكهف: ٣٨.

ألف ﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ الإنسان، خاتمة الآية: ١٥.

أمَّا ﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ بداية الآية:١٦، في نفس السورة فهي من الألفات المحذوفة في الوصل والوقف، ويضع علماء الضبط علامة الصفر المستدير فوقها.

ألف ﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾ في سورة الإنسان، ولا ثاني لها في القرآن. يجوز لحفص فيها وجهان عند الوقف: الإثبات، والحذف. ولأنه يتعذر وضع العلامتين معًا فوق هذه الألف:

علامة الصفر المستدير (دليل الحذف وصلاً ووقفًا)، وعلامة الصفر المستطيل (دليل الحذف وصلاً والإثبات وقفًا)، اختار علماء الضبط وضع العلامة الدالة على قراءتها في حال الوصل، لأنها في وسط الآية، فليست بموضع وقف، فوضعوا فوقها علامة الصفر المستدير.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا:

في بعض المصاحف يرسم الصفر المستدير على صورة الصفر المستطيل سهوًا، وحتى لا يختلط الأمر على القارئ المبتدئ فليعلم أن علامة الصفر المستطيل أي الكبير لم توضع في المصحف كله كعلامة ضبط إلا على الألفات الست:

﴿ ٱلظُّنُونَاْ ﴾ ﴿ ٱلرَّسُولَاْ ﴾ ﴿ ٱلسَّبِيلَاْ ﴾ ﴿ أَنَاْ ﴾ ﴿ لَّٰكِنَّاْ ﴾ ﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ الأولى.

أمَّا باقي الألفات أو الواوات أو الياءات المرسوم فوقها علامة الصفر، فهو من النوع المستدير الدال على حذف الحرف في الوصل والوقف.

وضعت علامة الصفر المستطيل فوق الألف التي بعدها متحرك، نحو﴿ أَنَاْ خَيْرٌ ﴾.

وأهمل وضعها فوق الألف التي بعدها ساكن، نحو﴿ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ﴾ الحجر: ٨٩، وحكم الاثنين واحد عند الوصل والوقف، وسبب عدم وضع علماء الضبط لها أنهم يرسمون علاماتهم على نية الوصل والألف محذوفة لفظًا في الوصل بسبب التقاء

الساكنين.

(٢)رسم حرف صغير يدل على أنه محذوف من رسم المصحف، مع وجوب النطق به.

وفى لفظ ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ النمل: ٣٦، رسمت ياء صغيرة بعد النون المكسورة، ولحفص وجهان عند الوقف:

أ- إثبات الياء ساكنة ممدودة بمقدار حركتين (مد طبيعى).

ب- حذف الياء وسكون النون.

أمَّا فى حال الوصل فالياء ثابتة مفتوحة.

(٣) وضع (س) صغيرة فوق الصاد الكبيرة فى:

١- "ويَبصطُ" فى قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ البقرة: ٢٤٥.

٢- "بَصطَة فى قوله تعالى: ﴿ وَزَادَكُمۡ فِى ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ ﴾ الأعراف: ٦٩ .

تدل على وجوب النطق بالصاد سينًا فى الكلمتين.

ووضع (س) صغيرة تحت الصاد الكبيرة فى:

"المُصَيطِرُونَ" فى قوله تعالى فى سورة الطور آية:٣٧:

﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ ﴾.

تدل على جواز النطق بالصاد صادًا أو سينًا والصاد أشهر.

(٤) فى سورة الروم ورد لفظ (ضَعْف) مجرورًا فى موضعين ومنصوبًا فى موضع واحد، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ ﴾

ويجوز لحفص فى هذه المواضع الثلاثة وجهان:

أحدهما: فتح الضاد. وثانيهما: ضمها.

والوجهان مقروء بهما والفتح مقدم فى الأداء، وعليه الضبط.

(٥) وضع حرف السين فوق الحرف الأخير فى بعض الكلمات يدل على السكت على ذلك الحرف فى حال وصله بما بعده، سكتة يسيرة من غير تنفس.

والسكتات الواردة لغير همز هى التى يوضع لها علامة الضبط هذه.

ولحفص من طريق الشاطبية أربع سكتات واجبة، وسكتتان جائزتان.

السكتات الواجبة التى انفرد بها حفص عن جميع القراء أَربع، هى:

أ- السكت على ألف ﴿عِوَجَاۜ﴾ الكهف: ١ وحكمته: أن الوصل من غير سكت يوهم أن ﴿قَيِّمًا﴾ التى تأتى بعدها فى أول الآية التالية صفة لـ ﴿عِوَجَاۜ﴾، ولا يستقيم أن يكون القيم صفة للمعوج.

ب- السكت على ألف ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾ يس: ٥٢، وحكمته: أن الوصل من غير سكت يوهم أن قوله تعالى﴿هَٰذَا﴾، التى تأتى بعدها من مقول المشركين المنكرين للبعث.

ج- السكت على نون ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ القيامة: ٢٧.

د- السكت على لام ﴿بَلْۜ رَانَ﴾ المطففين: ١٤.

وحكمة السكت فى هذين الموضعين: أن الوصل فيهما من غير سكت يوهم أن الكلمتين معًا كلمة واحدة (مرَّاق)، (برَّان).

أمَّا السكتات الجائزة ففى موضعين:

الاول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ الآيتان ٢٨،٢٩ بسورة الحاقة، عند وصل الآيتين، وفيها وجهان: أحدهما إظهار هاء ﴿مَالِيَهْ﴾ مع السكت.

وثانيهما: إدغام هاء ﴿مَالِيَهْ﴾ فى هاء ﴿هَلَكَ﴾.

ووجه الإظهار مع السكت هو المقدم فى الأداء وعليه الضبط، فقد قام علماء الضبط بوضع علامة السكون على الهاء الأولى، مع تجريد الهاء الثانية من التشديد؛ للدلالة على الإظهار، ووضع علامة السكت على هاء ﴿مَالِيَهْ﴾؛ للدلالة على السكت عليها سكتة يسيرة بدون تنفس؛ لأن الإظهار لا يتحقق وصلاً إلا بالسكت.

الثانى: بين سورتى الأنفال والتوبة. وليس له علامة ضبط؛ لأن السكت أَحد الأوجه الجائزة بسبب ترك البسملة، وقد سبق الكلام عنه فى حكم ما بين السورتين فارجع إليه.

(٦) وضع النقطة الخالية الوسط المعَيَّنة الشكل هكذا (◇) تحت الراء فى قوله تعالى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ بسورة هود آية: ٤١، يدل على تقريب فتحة الراء إلى الكسرة والألف بعدها إلى الياء، وجردت الراء من الحركة علامة على إمالة فتحتها. وكان النُّقَّاط يضعونها دائرة حمراء، فلما تعسر ذلك فى المطابع عُدِل إلى الشكل المعين.

(٧) وضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبيل النون المشددة من قوله تعالى ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا ﴾ يوسف: ١١ يدل على (الإشمام)، وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة، إشارة إلى الحركة المحذوفة،أى ضمة النون الأولى من غير أن يظهر لذلك أثر فى السمع.

ولحفص وجه آخر هو(الاختلاس)، ويعنى النطق بضمة النون الأولى فى سرعة ودون خفض الصوت، وقد يسميه البعض بالروم.

ولا يكون الإشمام إلا مع الإدغام والتشديد، أمَّا الاختلاس فلا يكون إلا مع الإظهار، والوجه المقدم هو الإشمام لموافقته للرسم حيث رسمت الكلمة بنون واحدة مشددة ولذلك وضع علماء الضبط علامة الإشمام، مع العلم بجواز الاختلاس الذى ليس له علامة تضبطه.

(٨) وضع نقطة مدوَّرة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى ﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ فصلت: ٤٤ يدل على تسهيلها بين الهمزة والألف وجهًا واحدًا لا يجوز لحفص غيره. ويجوز الإبدال ألفًا، أو التسهيل فى الهمزة الثانية من ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ الأنعام: ١٤٣- ١٤٤، ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ يونس: ٥٩ والنمل: ٥٩، ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ يونس: ٥١ - ٩١.

ووجه الإبدال مع المد الطويل هو المقدم. وعليه الرسم والضبط، حيث جردت ألف همزة الوصل، للدلالة على إبدالها ألفًا محضة ووضعت علامة المد فوقها.

(٩) ﴿ٱلۡإِسۡمُ﴾ من قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ﴾ الحجرات: ١١.

عند الابتداء بها لنا فيها وجهان، أحدهما: إثبات همزة الوصل والبدء بها مفتوحة، فَلاَم مكسورة، فسين ساكنة (اَلِسْم). وثانيهما: حذف همزة الوصل والبدء بلام مكسورة فسين ساكنة (لِسْم).

والوجه الأول هو المقدم لموافقته للرسم من حيث ثبوت همزة الوصل فى أول الكلمة.

(١٠) راءات يجوز فيها التفخيم والترقيق حالة الوقف فقط، وهى:

﴿مِّصۡرَ﴾، ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾، ﴿وَنُذُرِ﴾، ﴿يَسۡرِ﴾، ﴿أَسۡرِ﴾، ﴿فَأَسۡرِ﴾.

وراء واحدة يجوز فيها التفخيم أو الترقيق فى حالتى الوصل والوقف، وهى راء كلمة ﴿فِرۡقٖ﴾ فى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الشعراء: ٦٣، فلها حال الوصل وجهان هما:

– الترقيق. – التفخيم.

أما حال الوقف ففيها الآتى:

من فخم الراء وصلاً فخم وقفًا.

ومن رقق وصلاً جاز له التفخيم أو الترقيق وقفًا.

وليس للتفخيم أو الترقيق علامة تضبطه.

(١١) علامة السكون فى الإملاء المعتاد مثل الصفر المستدير، أما فى رسم المصحف فهي عبارة عن رأس حاء صغيرة توضع فوق الحرف ﴿قَدۡ﴾، ﴿عَنۡهُ﴾، ووضعها فوق حرف يدل على سكون يستوجب الإظهار، ويعنى: تبيين الحرف بإخراجه من مخرجه، موفًّى بكل صفاته مفصولا عما جاوره.

(١٢) تعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالى له، يدل على سكون يستوجب الإدغام التام، أو الكامل، ويعنى: أن يصير الحرف الساكن، ويسمى (بالمدغم)، على صورة الحرف الذى عليه علامة التشديد، ويسمى (بالمدغم فيه)، فيحصل حينئذٍ مثلان، الأول منهما ساكن والثانى متحرك.

ففى نحو: ﴿ يَلْهَث ذَّٰلِكَ ﴾.

إذا نطقنا بالثاء الساكنة ثم بالذال المفتوحة، سمى هذا العمل (إظهارًا)، أَمَّا إذا تركنا مخرج الثاء ونطقنا بذالين الأولى ساكنة والثانية مفتوحة (يلْهَذَّ لك)، سمى هذا العمل (الإدغام الكامل أو التام)، حيث ذهب الحرف (المدغم) تمامًا ولم يبق منه أثر فى النطق.

(١٣) تعرية الحرف من علامة السكون مع عدم تشديد الحرف التالى، علامة تدل على سكون يستوجب الإدغام الناقص.

فيترك القارئ مخرج الحرف الساكن (المدغم)، ويحتفظ بصفة ظاهرة له يؤديها فى مخرج الحرف المتحرك الذى بعده (المدغم فيه)، بحيث ينطق بحرفين متماثلين الأول منهما ساكن، والثانى متحرك، مع بقاء صفة ظاهرة هى للمدغم، وليس للمدغم فيه.

وفى رواية حفص الإدغام الناقص باتفاق وقع فى:

- إدغام النون الساكنة والتنوين فى الواو والياء، كما فى نحو: ﴿ مِن وَالٍ ﴾، ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾. لبقاء صفة الغنة التى هى للنون وليست للواو ولا للياء.

إدغام الطاء فى التاء فى كلمة ﴿ بَسَطتَ ﴾ المائدة آية ٢٨، ﴿ أَحَطتُ ﴾ بالنمل آية ٢٢، ﴿ فَرَّطتُمْ ﴾ حيث وقعت، لبقاء صفتى الاستعلاء والإطباق وهما للطاء، أى للحرف المدغم.

واختلف فى إدغام القاف فى الكاف فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم ﴾ المرسلات آية ٢٠.

فروى جماعة بالإدغام التام وروى آخرون بالإدغام الناقص. وأشار إلى هذا الخلاف الإمام ابن الجزرى بقوله: (والْخُلْفُ بِنَخْلُقْكُّمْ وَقَعْ).

والإدغام التام، أو الكامل أَوْلَى، وعليه الضبط، حيث رسمت القاف معرَّاة من علامة السكون مع تشديد الكاف بعدها.

(١٤) تعرية النون من علامة السكون مع عدم تشديد الحرف التالى لها: إن كان هذا الحرف واوًا نحو ﴿مِن وَالٍ﴾ أو ياء نحو ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فالحكم هو الإدغام الناقص المشار إليه سابقًا، أمَّا إن كان غيرهما فالحكم (الإخفاء) وكيفيته: يترك القارئ مخرج النون إلى مخرج الحرف التالى لها ليؤدى الغنة عنده، ثم بعد الانتهاء من الغنة يقرع مخرج الحرف الذى هو عنده لا مخرج النون. ففى نحو: ﴿مِن ثَمَرِهِ﴾، يترك القارئ مخرج النون إلى مخرج حرف الثاء ليؤدى الغنة، ثم بعد الانتهاء من زمن الغنة يقرع مخرج حرف الثاء لينطق بالثاء المتحركة.

(١٥) إذا أتت النون الساكنة، وبعدها حرف الباء: وضع علماء الضبط ميمًا صغيرة فوق النون الساكنة لتدل على قلب النون الساكنة ميمًا ساكنة، مع بيان الغنة عند مخرج الباء، ولا تشدد الباء، فبعد انتهاء الغنة يصطدم القارئ فى مخرج الباء ثانية لينطق بالباء المتحركة، ففى نحو: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾، تقلب النون الساكنة ميمًا ساكنة، مع بيان غنتها عند مخرج الباء (ويتطلب هذا إطباق الشفتين)، ثم بعد الانتهاء من الغنة يصطدم القارئ فى مخرج الباء بقوة لإخراج الباء المكسورة. ويسمى هذا العمل (القلب) ويعنى: إبدال النون الساكنة عند لقائها الباء ميمًا خالصة تعويضًا صحيحًا، فلا يبقى للنون أثر فى النطق.

(١٦) التنوين هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظًا لا خطًّا ووصلاً لا وقفًا.

فمثلاً: عزيزٌ تنطق عزيزُن.

عزيزًا تنطق عزيزَن.

عزيزٍ تنطق عزيزِن.

وهذا فى حال الوصل، أمَّا فى الوقف:

فالتنوين بالضم والكسر مثل (عزيزٌ) (عزيزٍ)، يوقف عليه بحذف التنوين (عزيزْ)، ويسمى (الوقف بالحذف)، أما التنوين بالفتح مثل (عزيزًا) فيوقف عليه بإبدال التنوين ألفًا (عزيزَا)، ويسمى (الوقف بالإبدال).

ويرسم علماء الضبط شكل التنوين بحسب الحرف الآتى بعده، وما يترتب على ذلك من أحكام.

فالتنوين فى الإملاء المعتاد عبارة عن ضمتين، أو فتحتين، أو كسرتين، لهما وضع واحد، هو وضع التتابع.

أمَّا فى ضبط المصحف فله ثلاثة أوضاع:

الوضع الأول: تركيب الحركتين أى رسم واحدة تركب الأخرى.

ورسم التنوين على هذا الوضع فى المصحف يدل على حكم الإظهار، فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف، فلاحظ شكل التنوين فى نحو:

﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، تنطق (سميعُن عليم).

﴿ شَرَابًا إِلَّا ﴾، تنطق (شرابَن إلا).

﴿ قَوْمٍ هَادٍ ﴾، تنطق (قومِن هاد).

الوضع الثانى: تتابع الحركتين، أى الوضع المعتاد، وهذا الوضع للتنوين بمنزلة تعرية الحرف من السكون، فإن كان الحرف التالى مشددًا، نحو:

﴿ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾، ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، ﴿ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾

كان الحكم الإدغام التام أو الكامل الذى أشرنا إليه سابقًا.

أمَّا إن كان الحرف التالى غير مشدد، فهناك ثلاثة احتمالات:

١- أن يكون الحرف التالى واوًا نحو: ﴿ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾.

٢- أن يكون الحرف التالى ياءً نحو: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾.

والحكم فى الحالتين هو الإدغام الناقص الذى أشرنا إليه سابقًا.

٣- أن يكون الحرف التالى حرفًا غير الواو والياء.

والحكم هو الإخفاء الذى تكلمنا عنه سابقًا.

نحو: ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾، ﴿ سِرَاعًا ذَلِكَ ﴾، ﴿ سَفَرَةٍ كِرَامٍ ﴾.

الوضع الثالث: وضع ميم صغيرة بدل الحركة الثانية من التنوين، نحو: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا﴾، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾، والحكم هو القلب، ولابد أن يكون الحرف التالى للتنوين هو الباء، وقد تكلمنا عنه سابقا.

فائـــدة:

أنواع التنوين ستة، هى:

أ- تنوين التمكين.

ب- تنوين التنكير.

ج- تنوين المقابلة.

د- تنوين العِوَض.

(أى نوع من هذه الأنواع الأربعة هو علامة من علامات الاسم)

ه- تنوين التَّرَنُّم.

و- التنوين الغالى.

أولاً: تنوين التمكين:

وهو اللاحق للأسماء المعربة المنصرفة، مثل: علي- رجل- سيف- منزل- محمد. والتنوين يدل على أنها متمكنة فى الاسمية باقية على أصلها، وأنها لم تشبه الحرف فتبنى؛ ولا الفعل فتمنع من الصرف، مثل: أحمد رجل صالح- أحمد الله على فضله، يزيد بن معاوية- يزيد الإيمان وينقص.

من ذلك يتضح أن الاسم غير المتمكنة فيه الاسمية ويشابه الفعل لا ينون.

ثانيًا: تنوين التنكير:

وهو اللاحق لبعض الأسماء المبنية المنتهية بـ(وَيْه)، ليدل على أنها صارت نكرة، فمثلا: سِيبَوَيه، هو اسم عالم النحو المشهور.

أَمَّا: سِيبَوِيهٍ، بالتنوين، هو أى شخص آخر يطلق عليه هذا الاسم؛ بقصد بيان براعته فى النحو.

وتنوين التنكير هو أيضًا لاحق لأسماء الأفعال التالية: صَهْ- مَهْ- إِيه.

صَهْ (بمعنى اسكت): أى اسكت عن الحديث فى أَمْر معين، وَلَكَ أن تتحدث فى أمر غيره.

صــهٍ: فالمعنى اسكت عن الكلام مطلقًا، لا تتكلم فى الموضوع الذى تتكلم فيه، ولا فى موضوع غيره.

مَهْ (بمعنى أُكفُف): أى اكفف عما تعمل، ولك أن تعمل عملاً آخر.

مَهٍ: أى أُكفُف عن عمل أى شىء سواء ما تعمله الآن، أو أى عمل آخر.

إِيه (بمعنى زد من حديثك): أى زدنى من هذا الحديث الذى نتحدث فيه.

إِيـهٍ : أى زدنـى من حديثك فى أى موضوع سواء ما تتحدث فيه، أو أى موضوع آخر.

ثالثًا: تنوين المقابلة:

وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم، ليكون فى مقابلة النون فى جمع المذكر السالم، مثل: "مسلمون" فى جمع المذكر السالم، يقابلها "مسلماتٌ" فى جمع المؤنث السالم. "مسافرون" فى جمع المذكر السالم، يقابلها "مسافراتٌ" فى جمع المؤنث السالم.

لأن كلاً من: التنوين فى جمع المؤنث، والنون فى جمع المذكر، قائم مقام التنوين الذى كان فى مفرديهما، وعلامة على تمام الاسم.

رابعًا: تنوين العوض:

وهو لا يعدو عن أن يكون واحدًا من ثلاثة أنواع، هى:

عوضٌ عن جملة. ب- عوضٌ عن كلمة. جـ- عوضٌ عن حرف.

ونوضح كلاً منها فيما يلى:

(أ) عوضٌ عن جملة:

وهو الذى يلحق (إذ)، عوضاً عن جملة تكون بعدها، مثل:

"حدث الزلزال وكنت حينئذٍ صغيرًا"، أى وكنت حين إذ حدث الزلزال صغيرًا.

"جرت الامتحانات وكنت يومئذٍ مريضًا"، أى وكنت يوم إذ جرت الامتحانات مريضًا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ الواقعة: ٨٣، ٨٤، أى وأنتم حين إذ بلغت الحلقوم تنظرون.

(ب) عوض عن كلمة:

وهو الذى يلحق (كلاًّ)، و(بعضًا)، (أيًّا)، عوضًا عما تضاف إليه إذا قطعت عن الإضافة، مثل:

- "قرأتُ كتبَ النحو غيرَ بعضٍ"، أى غيرَ بعضِ الكتبِ.
- "كلٌ فرحٌ بما يملكُ"، أى كلُّ إنسانٍ فرِحٌ بما يملكُ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، النساء :٩٥.

وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، البقرة:٢٥٣.

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، الإسراء:١١٠.

(جـ) عوض عن حرف:

وهو الذى يلحق الاسم المنقوص بعد حذف يائه، (والاسم المنقوص: اسم معرب آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها)، وقد تحذف الياء ويعوض عنها بالتنوين فى الاسم المنصرف، مثل: ﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾، القيامة:٢٧، ﴿ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾، المطففين:١٢، وقد تحذف ويعوض عنها بالتنوين فى الاسم الممنوع من الصرف، مثل: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ ﴾، الحاقة: ٧، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ ﴾، الأعراف:٤١.

خامسًا: تنوين التَّرَنُّم:

وهو الذى يلحق القوافى المطلقة بحرف علة، والقوافى: جمع قافية، والقافية: هى من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما، والقوافى المطلقة: هى التى لم تقيد بسكون فتحركت وامتد بها الصوت حتى تولد حرف علة. مثل قول أحدهم:

أَقلِّى اللَّومَ –عَاذِلَ– والعِتَابَنْ وقولى –إنْ أصَبْتُ– لَقَدْ أَصَابَنْ

والشاهد: مجىء التنوين بدلاً من الألف لأجل الترنُّم فى كلمتى: العتابَنْ– أصابَنْ. فالأصل: العتابَا– أصابَا.

سادسًا: التنوين الغالى:

سمى بذلك لأنه زائد عن الوزن، من الغلو والزيادة.

وقد أثبته الأخفش دون غيره وهو الذى يلحق القوافى المقيدة.

كقول الشاعر:

وقاتم الأعماقِ خاوى المُخْتَرَقْن مُشْتَبِهِ الأعلامِ لَمَّاعِ الخَفَقْن

والشاهد: دخول التنوين الغالى فى كلمتى: المخترق والخفق، وكل منهما معرف بأل. وهذا يدل على أنه غير مختص بالاسم.

ولم يأتِ فى التنزيل من هذه الأنواع الستة إلا الأربعة المختصة بالأسماء أى تنوين التمكين والتنكير والمقابلة والعوض.

وأضاف العلماء نوعًا آخر، هو تنوين التناسب، نحو: ﴿ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا ﴾، وقالوا: إنَّما نوِّنت ﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾، عند بعض القراء، وهى ممنوعة من الصرف؛ لمناسبة ﴿ أَغْلَٰلًا ﴾.[1]

(١٧) وضع السكون على الميم علامة على سكون يستلزم الإظهار، نحو: ﴿أَنْعَمْتَ ﴾،﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾، فتنطق الميم من مخرجها، ثم ننطق بالحرف التالى لها.

وتعرية الميم من علامة السكون علامة على أن الحرف التالى لها واحد من اثنين لا ثالث لهما:

إمَّا أن يكون ما بعدها ميمًا، ولابد أن تكون مشددة، نحو: ﴿أَم مَّن ﴾، فالحكم هو الإدغام التام، مع تطويل زمن الغنة.

وإمَّا أن يكون ما بعدها باءً، نحو: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، فالحكم هو الإخفاء، وهو يستلزم اطالة زمن الغنة. وتأتى الباء بعدها متحركة من غير تشديد.

ولا فرق فى الأداء بين حكم القلب فى النون الساكنة والتنوين وحكم إخفاء الميم الساكنة.

---

(١) انظر الجامع للأستاذ كامل المسيرى والمنح الفكرية للشيخ زكريا الأنصارى.

(١٨) النون والميم المشدَّدتان لابد من إطالة زمن الغنة فى الساكن الأول منهما، سواء توسطتا الكلمة، نحو: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، ﴿هَمَّت﴾، أم تطرفتا نحو: ﴿هُنَّ﴾ ﴿عَمَّ﴾، وذلك وصلاً ووقفًا.

(١٩) إذا وضعت علامة المد هكذا (~) فوق الألف، أو الواو، أو الياء،وكان ما بعدهن همزًا منفصلاً فى أول الكلمة التالية، نحو: ﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

أو كان متصلاً به فى نفس الكلمة، نحو: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ﴿سُوٓءَ﴾، ﴿وَجِاْىٓءَ﴾. فلابد من مد حرف المد فى المتصل والمنفصل بمقدار أربع،أو خمس حركات. ولابد من المساواة بين مقدار مد المنفصل والمتصل. فإذا مددت المنفصل أربعًا، فلابد أن تمد المتصل مثله، وإذا مددت المنفصل خمسًا،فلابد أن تمد المتصل مثله.

وإن أتى حرف مد بعده حرف مشدد، فلابد من المد بمقدار ست حركات، نحو: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾.

(٢٠) الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور، نحو:﴿الٓمٓ﴾،﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، فى التلاوة: ننطق بأسماء الحروف: أَلِف لاَم مِيم- كَاف هَا يَا عَين صَاد- طا سِين مِيم. وما يترتب من أحكام نتيجة لهذا التجاور لم يخرج فيه حفص عن القاعدة الأم: فأظهر ما يجب إظهاره، وأدغم ما يجب إدغامه، وأخفى ما يجب إخفاؤه، إلا فى سورتى: (يس) و(القلم) فى قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾.

فقرأهما وصلاً بالإظهار (يَاسِين والْقُرآن) (نُون وَالْقَلم). وحقهما الإدغام على القاعدة.

والحروف المقطعة يلزم المد فيها بمقدار ست حركات، ماعدا:

أ- حرف (عَين) فى فاتحتى مريم والشورى، فيجوز مد يائه ست أو أربع حركات، ومده ست حركاتٍ أَوْلى.

ب- الأحرف الخمسة المجموعة فى قولهم: (حَى طَهُرْ)، تضاف ألف آخر كل حرف منها، فتصير (حَا) (يَا) (طَا) (هَا) (رَا)، وتنطق كلها بدون همز آخرها، وتمد الألف بمقدار حركتين فقط.

جـ- حرف الألف لا مدَّ فيه مطلقًا.

(٢١) من القواعد العامة في القرآن واللغة: عدم الابتداء بحرف ساكن.

فإذا كانت الكلمة أولها ساكن، فلابد أن يجلب لها همزة وصل، تتحرك بحركة من الحركات الثلاث، حتى يمكن النطق بهذا الساكن.

وهمزة الوصل في القرآن ترسم ألفًا عليها رأس صاد هكذا ﴿ٱ﴾.

ولأنها تثبت عند الابتداء، وتسقط في الوصل (مع ثبوتها في الرسم في الحالتين)، فلا يضع عليها علماء الضبط حركة فتح، أو ضم، أو كسر.

فكيف يتعرف القارئ على حركتها عند الابتداء؟

تتحرك همزة الوصل بالفتح: في (ال) التعريف فقط، نحو:

﴿ٱلْأَرْضُ﴾، ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾... إلخ.

وتتحرك بالضم: إذا كان ثالث حرف في الكلمة مضمومًا ضمًّا أصليًّا، (مع حساب همزة الوصل في العدَّ)، نحو:﴿ٱدْعُ﴾، ﴿ٱذْكُرُواْ﴾، ﴿ٱشْدُدْ﴾.

وتكسر في غير ذلك.

ولمعرفة الضم الأصلي من الضم العارض: نرد الفعل إلى المضارع المفرد، فإذا ظل الثالث مضمومًا كان الضم أصليًّا، فمثلاً:

﴿ٱدْعُ﴾ مضارعه (يَدعُو)، احتفظت العين بالضم، فيكون ضمها أصليًّا.

﴿ٱذْكُرُواْ﴾ مضارعه (يذكُر)، احتفظت الكاف بالضم، فيكون ضمها أصليًّا.

﴿ ٱشۡدُدۡ ﴾ مضارعه (يشْدُد)، احتفظت الدال بالضم، فيكون ضمها أصليًّا.

أمَّا في نحو ﴿ وَٱمۡضُواْ ﴾ فالابتداء بها بالكسر، لأن الضمة التي على الضاد غير أصلية؛ لأننا لو رددنا الفعل إلى المضارع المفرد لكسرت الضاد (يَمضِى).

(٢٢) من القواعد العامة في القرآن واللغة: أن الحرف المتحرك في الوصل، لا يوقف عليه بكامل حركته؛ لأن ذلك يؤدى إلى قلب الحركة حرف مد، لاختلاف آلية وصل الحرف المتحرك بما بعده ، عن آلية الوقف عليه ، ففي حالة الوصل : يحافظ القارئ على زمن الحركة بسبب انتقاله من حرف لآخر، أمَّا في حال الوقف: فلأن الوقف استراحة، ولعدم وجود حرف تالٍ له فقد تخرج الحركة الكاملة حركتين، وخشية الوقوع فى هذا الخطأ امتنع الوقف بكل الحركة.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ذلك، بقوله:

وَحَاذِرِ الوَقْفَ بِكُلِّ الْحَرَكَةْ ....

وإذا جعل القارئ الحركة المتطرفة حرف مد، اختل المعنى، وإليك مثالاً على ذلك:

فى كلمات الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة:١٥٨.

لو وقف القارئ على كلماتها بالحركة الكاملة لقال:

﴿إن الصَّفَا* والمَرْوَتَا* مِنْ شَعَائِرِ اللاَّهِي* فَمَنْ حَجَّا*الْبَيْتَا* أو اعْتَمَرَا* فَلاَ جُنَاحَا* عَلَيْهِى* أَنْ يَطَّوَّفَا* بِهِمَا* وَمَنْ تَطوَّعَا* خَيْرَنْ* فَإِنَّ اللاَّهَا* شَاكِرُنْ عَلِيمُنْ ﴾.

ولا يخفى على القارئ ما فى هذه الوقوف من اللحن الشنيع، وخاصة فى الوقف على كلمة ﴿ ٱللَّهِ ﴾ فتصبح (اللاَّهى)، من اللهو، بدلاً من (اللهْ).

أنواع الوقف على الكلمة المتحركة عند حفص وغيره: ثلاثة:

أ- الوقف بالإسكان.

ب- الوقف بالإشمام، وكيفيته: أن تسكن الحرف الموقوف عليه، ثم تضم الشفتين فورًا بدون تراخٍ، إشارةً إلى حركة الضم المحذوفة بسبب الوقف.

ولهذا: فالوقف بالإشمام لا يكون إلا على المضموم أو المرفوع نحو: ﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿يَكَادُ﴾.

جـ- الوقف بالروم وكيفيته: أن تنطق بالحركة فى سرعة وخفض صوت، فتقع فى أذن السامع أو القارئ أقصر من زمنها فى حال الوصل، ويكون فى المضموم أو المرفوع، وفى المكسور ،أو المجرور، نحو: ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾، ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

ولا توجد علامة ضبط لأنواع الوقف المختلفة، لأن علماء الضبط يضعون علاماتهم على نية الوصل، لا الوقف.

(٢٣) شرع الله لنا تلاوة القرآن لنتدبَّر آياته لنستخرج منها المعانى والعبر، ولا يمكن أن نصل إلى هذه الغاية إلا بتحرى مواضع الوقف والابتداء.

فلا نقف إلا بعد تمام المعنى، ولا نبتدئ إلا من أوله، وهذا الأمر يتطلب من القارئ أن يكون على علم بقواعد النحو والتفسير، وهو ما لا يتوافر فى كثير من المسلمين.

من أجل ذلك: وضع علماء الضبط علامات إرشادية، تعين القارئ على معرفة المواضع التى يجب الوقف عليها أو الابتداء بها، وجميعها علامات استقر عليها القراء المشارقة مؤخرًا ،وعمَّمتها إدارة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمصر فى طباعة المصاحف، أمَّا المغاربة فلهم علامات أخرى.

(علامات الوقف المتداول فى المصاحف التى بين أيدينا)

مـ علامة الوقف اللازم، وهى قليلة فى القرآن، نحو:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾، سورة الأنعام آية:٣٦.

فيلزم للقارئ أن يقف على الكلمة التى فوقها العلامة، ويلزمه أيضًا الابتداء بما بعدها.

لا علامة الوقف الممنوع ويسمى (بالوقف القبيح)، وهى قليلة فى القرآن، نحو:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾، سورة النحل آية ٣٢.

فيلزم القارئ وصل الكلمة التى فوقها العلامة بما بعدها، وإن وقف عليها لضرورة يلزمه الابتداء بما قبلها؛ وقد حذفت هذه العلامة فى الطبعات الجديدة للمصحف.

ج علامة الوقف الجائز، جوازًا مستوى الطرفين.

صلى علامة الوقف الجائز، مع كون الوصل أولى.

قلى علامة الوقف الجائز، مع كون الوقف أولى.

وأمثلتها كثيرة لا تحصى فى القرآن.

والعلامات الثلاث يشتركن فى أمر واحد، وهو: أن القارئ يقف على الكلمة التى فوقها العلامة ويجوز لـه الابتداء بما بعدها، وإن ابتدأ بما قبلها جاز، إلا فى (قلى)، فالوقف على العلامة والابتداء بما بعدها أولى وأفضل.

وإن وصل ولم يقف عند موضع العلامة جاز أيضًا.

∴ ∴ علامة التعانق وهى قليلة فى القرآن، وتعنى: أن القارئ أمامه ثلاثة خيارات؛

ففى مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، سورة البقرة آية ٢.

الخيار الأول: يمكن أن يصل القارئ، أى لا يقف حتى نهاية الآية، فيبدأ من:

﴿ ذَٰلِكَ ﴾. ولا يقف حتى يصل إلى ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

الخيار الثانى: يبدأ من: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ ﴾، ويقف، ويلزمه الابتداء بـ ﴿فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، ويصلها حتى نهاية الآية.

الخيار الثالث: يبدأ من: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾، ويقف، ويلزمه الابتداء بـ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

والمقصود: أنه يجوز لـه أن يصل الآية من أولها حتى آخرها. ولا يقف على الموضعين معاً، إن وقف على أحدهما فلا يقف على الآخر.

(٢٤) تحديد نهايات الآيات أمر توقيفى، وتسهيلاً على القراء: وضع علماء الضبط علامة فى نهاية كل آية، عبارة عن دائرة محلاة يكتب فى جوفها رقم يدل على عدد تلك الآية فى السورة، فرقم الآية يوجد دائمًا فى آخرها.

أمَّا تقسيم القرآن إلى أجزاء، وأحزاب، وأرباع، فهذا أمر اجتهادى، حدث فى جيل التابعين، وتابعى التابعين، حيث قسموا القرآن ثلاثين جزءًا، وقسم كل جزء إلى حزبين، وقسم الحزب إلى أربعة أرباع (وقسم الجزء فى بعض المصاحف إلى أربعة أحزاب)، ومن كتاب المصاحف– فى الصدر الأول– من كان يضع ثلاث نقاط عند آخر كل فاصلة، ويكتب (خَمس)، عند انقضاء خمس آيات من السورة، و(عَشر)، عند انقضاء عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أخرى أعاد كتابة (خَمس) فإذا انقضت خمس أخرى كتب (عَشر) وهكذا حتى نهاية السورة، ومنهم من يكتب رأس خاء (خـ)، بدل كتابة (خَمس)، ورأس عين (عـ) بدل كتابة (عشر)، كما كتبوا كلمة (جزء)، عند كل ٣٠/١ من المصحف. وكلمة (حزب)، عند كل ٦٠/١ من المصحف، (أو عند كل ١٢٠/١ من المصحف) وكلمة (منزل)، ويساوي كل منزل ٧/١ من المصحف، كما كتب بعضهم حرف (ع)، إشارة للأماكن التى ندبوا للركوع عندها، لمن أراد ختم القرآن فى صلاة التراويح من رمضان.

وفى المصاحف التى بين أيدينا الآن: وضع علماء الضبط علامة، تدل على بداية الأجزاء، والأحزاب، ويكتب فى جوفها رقم يدل على عدِّ الجزء، أو الحزب، وعلامة تدل على بداية الأرباع، ويكتب فى جوفها (ربع الحزب)،ثم (نصف الحزب)، ثم (ثلاثة أرباع الحزب)، ثم فى الربع الرابع توضع العلامة الدالة على بداية الحزب الجديد، وجميع هذه التقسيمات اجتهادية غير ملزمة، ويمكنك التعرف على شكل العلامة بالرجوع إلى مواضعها فى المصحف.

(٢٥) وضع خط أفقى فوق كلمة يدل على موجب السجدة، أمَّا السجود ففى نهاية الآية، ولذلك توضع هذه العلامة (۩) لتدل على موضع السجود.

كما فى نحو قوله تعالى فى سورة النحل:

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

ونلاحظ أن موجب السجدة كان فى بداية آية غير التى كان السجود آخرها.

(صلة هاء الكناية وعلامات الضبط الدالة عليها)

تعريفها:

هى الهاء الزائدة عن بنية الكلمة الدالة على المفرد المذكر الغائب.

التعليق على التعريف:

بقولنا هى الهاء الزائدة عن بنية الكلمة: خرج به الهاء الأصلية التى من بنية الكلمة، فى نحو: ﴿ نَفْقَهُ ﴾، ﴿ يَنتَهِ ﴾، ﴿ تَوَجَّهَ ﴾.

وقولنا الدالة على المفرد المذكر الغائب: خرج به الدالة على الواحدة المؤنثة فى نحو: ﴿ تَغَشَّـٰهَا ﴾، ﴿ أَهْلُهَا ﴾، ﴿ فِيهَا ﴾، وخرج الدالة على التثنية، نحو: ﴿ عَلَيْهِمَآ ﴾، ﴿ فِيهِمَآ ﴾، وخرج الدالة على الجمع، نحو: ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾.

(فكل هذه وإن كانت هاءات ضمير إلا أنها لا تسمى هاءات كناية اصطلاحًا).

وتتصل هاء الضمير للمفرد المذكر بالأسماء نحو: ﴿ أَجَلِهِۦ ﴾، وبالأفعال نحو: ﴿ قُلْتُهُۥ ﴾ وبالحروف نحو: ﴿ إِلَيْـهِ ﴾.

تسميتها:

تسمى (هاء الضمير) عند البصريين،وتسمى (هاء الكناية)، عند القراء؛ لأنها يكنى بها عن المفرد المذكر الغائب.

المراد منها: الإيجاز، والاختصار.

وهاء الكناية لا تكون إلا مبنية (لأنها ضمير، والضمائر مبنية دائمًا)، وتبنى على الكسر، والضم، ولا تبنى على الفتح.

فتبنى على الكسر فى حالتين:

١- أن يأتى قبلها كسر نحو: ﴿ بِهِۦ ﴾ ، ﴿ حُكْمِهِۦ ﴾ .

٢- أن يأتى قبلها ياء ساكنة نحو: ﴿ فِيهِ ﴾، ﴿ عَلَيْهِ ﴾.

وتبنى على الضم فى باقى أحوالها وهى:

١- أن يأتى قبلها ضم نحو: ﴿صَاحِبُهُۥ﴾.

٢- أن يأتى قبلها واو ساكنة نحو: ﴿عَقَلُوهُ﴾، ﴿رَأَوْهُ﴾ .

٣- أن يأتى قبلها فتح نحو: ﴿لَهُۥ﴾ .

٤- أن يأتى قبلها ألف نحو: ﴿ اجْتَبَاهُ﴾.

٥- أن يأتى قبلها ساكن غير (الألف و الواو و الياء)، ويسمى بالساكن الصحيح، نحو: ﴿يَعْلَمْهُ﴾ ، ﴿مِنْهُ﴾، فهي فى أغلب أحوالها مضمومة، والأصل فيها الضم، ولكنها تكسر عقب الكسر والياء للمناسبة. وقد ورد عن بعض القراء ضمها عقب الكسر والياء عملاً بالأصل، ووفاقًا للرواية.

فقرأ حفص: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾، بسورة الكهف آية ٦٣.﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ بسورة الفتح آية١٠، بضم الهاء لا بكسرها.

وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

وهاكَسْرِ أَنْسانِيهُ ضُمَّ لِحَفْصِهِم ومَعْهُ عَلَيْهُ اللهَ فى الفَتْحِ وُصِّلاَ

وقرأ حمزة: ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ بسورتى طه آية (١٠)، والقصص آية (٢٩).

وقرأ الأصبهانى[١] عن ورش: ﴿بِهُ ٱنظُرْ﴾ بالأنعام آية (٤٦). بضم الهاء لا بكسرها.

---

(١) وذلك من طريق الطيبة. فالمعلوم أن لورش طريقين عن الطيبة وطريقًا واحدًا عن الشاطبية والطريقان هما: الأول: طريق الأزرق وهو يوسف بن عمر بن يسار مصرى معروف بالأزرق ثقة محقق ضابط أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن ورش وهو الذى خلفه فى القراءة والإقراء بمصر. توفى فى حوالى ٢٤٠هجرية- الثانى: طريق الأصبهانى وهو محمد بن عبد الرحيم بن قرة وهو صاحب رواية ورش عند العراقيين إمام ضابط ثقة نزل ببغداد وأخذ قراءة ورش بواسطة أبى الربيع سليمان والفضل بن يعقوب الحمراوى بمصر ومحمد بن عبد الله بن زيد المغربى بمكة وغيرهم. ومات ببغداد سنة ٢٩٦ هجرية وأمَّا قراءه ورش عن طريق الشاطبية فعن طريق الأزرق فقط.

حالاتها فى التلاوة (ونعنى بها حالة الوصل):

تأتى هاء الكناية ساكنة، نحو: ﴿أَرْجِهْ﴾.

وتأتى هاء الكناية متحركة بالضم، نحو: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وتأتى هاء الكناية متحركة بالكسر، نحو: ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

وتأتى هاء الكناية متحركة بالضم موصولة بواو لفظية، نحو: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾.

ولأن الصلة لفظية محذوفة من الرسم، وللتفرقة بين الهاء المضمومة، دون صلة، والهاء الموصولة، يرسم علماء الضبط واوًا صغيرة بجوار الهاء، بحيث يقرأ القارئ: (لَهُو) (صاحبُهُو) (يحاورُهُو)، بمد واو الصلة بمقدار حركتين، مثل الواو فى نحو: ﴿قَالُواْ﴾.

وتأتى هاء الكناية متحركة بالكسر موصولة بياء لفظية، نحو ﴿وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

ويضع علماء الضبط ياءً صغيرة مردودة إلى الخلف بجوار الهاء بحيث يقرأ القارئ (وكُتُبِهِى وَرُسُلِهِى)، بمد ياء الصلة بمقدار حركتين، مثل الياء فى نحو: ﴿فِى﴾.

والصلة بنوعيها تثبت فى الوصل وتحذف فى الوقف تخفيفًا.

والمصطلح عليه بين أهل الأداء:

- إطلاق مسمى (القصر)،على هاء الكناية المتحركة من غير صلة، وقد يعبر عنه بعضهم بـ (الاختلاس). والقصر والاختلاس عندهم بمعنى واحد.
- إطلاق مسمى (الإشباع)،على هاء الكناية الموصولة بواو أو ياء، وقد يعبر عنه بعضهم (بالمد). والصلة والإشباع والمد عندهم بمعنى واحد.

مع التنبيه على أن مصطلحات: القصر- الاختلاس- المد- الإشباع، لها معانٍ مختلفة فى غير هاء الكناية.

وجاء فى طلائع البشر فى توجيه القراءات العشر للأستاذ: محمد الصادق قمحاوى فى باب (هاء الكناية)، ما نصه:

"وَجْه الصلة: أن الهاء حرف خفى، فأريد تقويته بالصلة بحرف من جنس حركته، فإن قيل: لِمَ لَمْ نفعل هذه الصلة فى الهاء التى من نفس الكلمة فى نحو﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا ﴾، مثلا؟ قالوا: لأن الصلة فى مثل ذلك قد توهم تثنية أو جمعًا،بخلاف هاء الضمير. وقول آخر فى صلتها: هو أن هاء الضمير اسم على حرف واحد، فناسب أن يقوى بالصلة. ووجه القصر (أى حذف الصلة) لإرادة التخفيف، ولأن حرف الصلة هذا غير ثابت فى الخط فحذف من اللفظ تبعًا للخط، ووجه إسكانها فى بعض الكلمات: قال تشبيهًا لها بألف الضمير وواوه ويائه فأسكنت، أو استثقلت صلتها فأسكنت كما فُعِلَ فى ميم الجمع. وأصلها البناء على الضم كما فى قوله﴿ لَهُۥ ﴾ و ﴿مِّنْهُ ﴾، ولا تكسر إلا لمجاورتها كسرًا أو ياء ساكنة." انتهى.

القواعد الضابطة لصلة هاء الكناية:

شرح الإمام الشاطبي تلك القواعد في أول بيتين في باب (هاء الكناية) في قصيدته المعروفة بالشاطبية بقوله:

وَلَمْ يَصِلُوا ها مُضْمَرٍ قَبْل سَاكِنٍ ....

والمعنى: أجمع القراء على قصر هاء الكناية وعدم صلتها بواو أو ياء إن وقعت قبل ساكن. وذلك حتى لا يلتقي الساكنان.

سواء كان ما قبلها متحركًا، مثل: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ ﴾، ﴿رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

أو كان ما قبلها ساكنًا، مثل: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾.

ونخلص إلى أنّه:

لكي توصل هاء الكناية لابد أن يأتي بعد الهاء حرف متحرك، وقد يكون ما قبلها متحركًا أيضًا فتقع بين متحركين، نحو: ﴿بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا ﴾،﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾، أو يكون ما قبلها ساكنًا نحو:﴿ فِيهِ هُدًى ﴾، ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾.

حكم هاء الكناية الواقعة بين متحركين:

قال الإمام الشاطبي في الشطر الثاني من البيت الأول:

.... وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ لِلْكُلِّ وُصِّلا

والمعنى:لا خلاف بين عامة القراء، في هذه الحالة، في صلة الهاء المضمومة بواو لفظية وصلة الهاء المكسورة بياء لفظية.

وهذه قاعدة مطَّرِدة في جميع القرآن إلا ما استثنى، فقد خالف بعض القراء هذا القياس في بعض الكلمات القليلة، ومجموع الكلمات التي خرجت عن هذه القاعدة اثنتا عشرة كلمة، والخلاف فيها دائر بين الإسكان والقصر والصلة، فمن القراء من سكَّن الهاء، ومنهم من قصرها، ومنهم من وصلها، والكلمات هي: قول ﴿ بِيَدِهِۦ ﴾، موضع بالبقرة وموضع بـ المؤمنون، وموضع بـ يسٓ، و﴿ يُؤَدِّهِۦٓ ﴾ معًا، و﴿ نُؤْتِهِۦ ﴾ معًا بآل عمران، و﴿ نُؤْتِهِۦ ﴾ موضع بالشورى، و﴿ نُوَلِّهِۦ ﴾، و ﴿ وَنُصْلِهِۦ ﴾ كلاهما بالنساء، و﴿ أَرْجِهْ ﴾ بالأعراف والشعراء، و﴿ يَأْتِهِۦ ﴾ بـ طه، و﴿ يَتَّقْهِ ﴾ بالنور، و﴿ فَأَلْقِهْ ﴾ بالنمل، و﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ بالزمر، و﴿ يَرَهُۥ ﴾ معًا بالزلزلة، ومعرفة من سكن، أو قصر، أو وصل هذه الهاءات مبسوط في كتب القراءات.

وقراءة بعض القراء لبعض الكلمات بغير صلة لا تعد مخالفة في الحقيقة؛ لأن القراءة لا تقوم على القياس، وإنما على النقل والرواية، فمن صح نقلاً اتبع. وبالنسبة للإمام حفص فقد قرأ الهاء الواقعة بين متحركين باللغات الثلاث التى وردت فيها، فقرأ بالصِلة، وبالقصر، وبالإسكان.

قرأ حفص بالصلة فى جميع الهاءات الواقعة بين متحركين إلا ثلاث كلمات:

الكلمة الأولى:﴿ أَرْجِهْ ﴾، فى قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ سورة الأعراف:١١١ .وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ ... ﴾ سورة الشعراء:٣٦.

الكلمــة الثانيــة: ﴿فَأَلْقِهْ﴾، فـى قولـه تعـالى:﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ سـورة النمل:٢٨. وهذه المواضع الثلاثة تقرأ فيها الهاء بالسكون.

وإسكان هاء الضمير وصلاً نادر، وهو لغة لبعض القبائل الذين كانوا إذا وقعت هاء الضمير فى فعل مجزوم جعلوا السكون على الهاء، وكأنها من أصل الفعل.

فــائدة:

كلمة ﴿أَرْجِهْ﴾، نزلت بست قراءات: ثلاث بالهمز، وثلاث بغير الهمز.

وهى لغتان: يقال: أرجأْته، وأرجيته، أى أخَّرته، كتوضأْت، وتوضيت:

والقراءات الثلاث التى وردت بالهمز، هى:

أَرْجِئْهُ, : بضم الهاء مع الصلة، لابن كثير وهشام.

أرجئهُ: بالضم من غير صلة، لأبى عمرو.

أَرجِئْهِ: بالكسر من غير صلة، لابن ذكوان.

والقراءات الثلاث التى وردت بغير الهمز، هى:

أَرجِهْ: بالسكون، لعاصم وحمزة.

أَرْجِهِ ۦ: بالكسر مع الصلة، لورش والكسائى.

أرجِهِ : بالكسر من غير صلة، لقالون.

الكلمة الثالثة: ﴿يَرْضَهُ﴾ ... فى قوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾ سورة الزمر:٧.

وهذه الكلمة تقرأ فيها الهاء بالضم من دون صلة، أى بالقصر.

حكم هاء الكناية الواقعة بين ساكن قبلها ومتحرك بعدها:

بيَّنه الإمام الشاطبى فى البيت التالى بقوله:

وَمَا قَبْلَهُ التَّسْكِينُ لابْنِ كِثِيرِهِمْ   وَفِيهِ مُهَانًا مَعْهُ حَفْصٌ ......

والمعنى: أن ابن كثير يصلها بواو إن كانت مضمومة، وبياء إن كانت مكسورة، كقاعدة وَأَصْل مطَّرِدٍ له فى عموم القرآن، ووافقه حفص فى لفظ واحد، وهو﴿فِيهِۦ﴾، من قوله

تعالى بسورة الفرقان آية:٦٩ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ فيقرأ حفص هذا الموضع بالصلة وفاقًا للرواية، وجمعًا بين اللغتين، لأنه يترك الصلة فى غيرها من المواضع.

أما باقى القراء فيتركون الصلة فى جميع المواضع اجتزاءً بالحركة.

ولأن المصاحف التى بين أيدينا مضبوطة على قراءة حفص، فيضع علماء الضبط ياء صغيرة بجوار الهاء مباشرة– فى موضع الفرقان فقط– موافقة لرواية حفص.

وقيل: إن سبب إشباع حفص لهذا الموضع دون غيره هو: مد الصوت تشنيعًا بحال العاصى، وبيان استغراقه فى العذاب، كما كان مستغرقًا فى المعاصى فى حال الدنيا.

تنبيهات: وعددها ستة.

التنبيه الأول: كلمة ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ سورة النور:٥٢، انفرد حفص عن باقى القراء بإسكان القاف، والباقون بكسرها، فالخلاف فيها ليس فى قصر الهاء، وإنما فى سكون القاف قبلها.

وأشار إلى ذلك الإمام الشاطبى بقوله:

وَقُلْ بِسُكُونِ القَافِ والْقَصْرِ حَفْصُهُمْ ....

وعلى رواية حفص تكون عدم الصلة موافقة للقاعدة، لعدم وقوع الهاء بين محركين.

التنبيه الثانى: صلة هاء الضمير- إن كان ما بعدها همزًا- فالصلة من قبيل المد المنفصل، فيأخذ حكمه، وهو المد بمقدار أربع أو خمس حركات فى رواية حفص.

مثال: ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ ﴿حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

ويضع علماء الضبط فوق صلة هاء الكناية علامة المد.

وفى باب المدود: يطلق على واو وياء الصلة (مد الصلة الصغرى)، وإن أتى بعد الصلة همز يطلق عليه (مد الصلة الكبرى)، وسماه البعض (المد المعنوى)، لأن الأصل أن الصلة مقدَّرة فى الذهن، ليس لها صورة فى الخط.

التنبيه الثالث: يلحق بهاء الضمير فى الحكم، الهاء فى اسم الإشارة للمفردة المؤنثة فى لفظ (هذه)، فى عموم القرآن، وذلك بإجماع، فتوصل بياء لفظية فى الوصل، إذا وقعت

بين متحركين، كقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾، ويضع علماء الضبط ياء صغيرة بجوار الهاء. ولم توصل هذه الهاء بواو كهاء الضمير، لأنها لم تقع مضمومة بحال، ولم تأت ساكنة فى الوصل، فخالفت هاء الضمير فى هاتين المسألتين، وأشار الإمام ابن برى لهذه الهاء بقوله:

وَهَاءُ هذِهِ كَهَاءِ الْمُضْمَر   فَوَصْلُهَا قبل مُحَرَّك جَرَى

وتحذف صلتها وصلاً لالتقاء الساكنين، إذا وقعت قبل الساكن، كقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾.

وإذا أتى بعد صلتها همز كان المد من قبيل المنفصل، فيأخذ حكمه، نحو ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾، ويضع علماء الضبط فوق الياء علامة المد. وحكم ﴿هَٰذِهِ﴾ فى جميع القرآن ولجميع القراء واحد، لأنه قاعدة لغوية.

التنبيه الرابع: قرأ البزِّى عن ابن كثير بصلة هاء الضمير بواو لفظية فى الوصل مع تشديد التاء فى قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾، بسورة عبس، ويستوجب ذلك مد واو الصلة بمقدار ست حركات بسبب ملاقاتها للتاء الساكنة أول المشدد. وهذا فى الوصل أما عند الابتداء فيبدأ بتاء مفتوحة غير مشددة.

التنبيه الخامس: صلة هاء الكناية فى نحو ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾، لم تعتبر حاجزًا يمنع إدغام الهاءين فى قراءة الإمام السوسى، لأن الصلة لفظية تحذف من الرسم وعند الوقف.

التنبيه السادس: هاء ضمير المذكر الغائب المنفصل المرفوع، وكذا المؤنث:

إذا وقع بعد واو، نحو: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَهِىَ تَجْرِى﴾.

أو وقع بعد فاء، نحو: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾.

أو وقع بعد لام ابتداء، نحو: ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾.

أو وقع بعد (ثُمَّ) نحو: ﴿ثُمَّ هُوَ﴾. وأيضًا ﴿يُمِلَّ هُوَ﴾ التى فى آية الدين بالبقرة.

اختلف فيها: فمن القراء من يقرأ بإسكان الهاء، فى كل ما ذكر.

ومن القراء– ومن بينهم حفص– من يقرأ بالتحريك بالضم فى ﴿هُوَ﴾، وبالكسر فى ﴿هِىَ﴾. والتسكين والتحريك لغتان: فالتسكين لغة نجد، والتحريك لغة الحجازيين.

الخلاصـــــة:

هاء الضمير: إن وقع بعدها ساكن؛ لا توصل بإجماع.

وإن وقع بعدها متحرك؛ بها حالتان:

الأولى: حالة أن يكون ما قبلها متحركًا: فتوصل بإجماع، إلا بعض كلمات خرج فيها بعض القراء عن القاعدة. وبالنسبة لحفص فقد سكن ﴿أَرْجِهْ﴾، ﴿فَأَلْقِهْ﴾، وقصر ﴿يَرْضَهُ﴾، خلافًا للقاعدة ووفاقًا للرواية.

الثانية: حالة أن يكون ما قبلها ساكنًا: فوصلها ابن كثير فقط فى عموم القرآن، ووافقه حفص فى لفظ واحد، هو ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

وقصرها باقى القراء.

ويلحق بهاء الكناية لفظ ﴿هَٰذِهِ﴾، فى عموم القرآن، فتوصل بياء لفظية إذا وقعت بين محركين، وتقصر فى غير ذلك، ولا خلاف فيها عند القراء.

ولَخَّص صاحب السلسبيل الشافى أحكام هاء الكناية، بقوله:

وَهَـــاءَ مُضْـــمَرٍ وشِـــبْهٌ وُجِـــدا ... بَـــيْنَ مُحَـــرَّكَيْنِ وَصْـــلا اَمْـــدُدَا

لكـــنْ مَعًـــا اَرْجِـــهْ فأَلقـــهْ سَـــكَنِ ... واقصُرْ لدَىَ يرضَهُ فوقَ المؤمِنِ

وتَقصَـــرُ الهـــا عقِـــبَ الإسْـــكَانِ ... فـى غيْرِ يخلَدْ فِيـهِ فـىِ الفرقـانِ

واجتهد بعض الباحثين فى توجيه حالات هاء الكناية، فقال:

هاء الكناية: توصل بحرف مد إذا كان ما قبلها مَقْطَعهُ قصير، وتقصر ويحذف منها المد إذا كان ما قبلها مقطعه طويل، ففى مثل: ﴿فِيهِ﴾، ما قبل الهاء مقطعه طويل، فلا مَدَّ بعد الهاء. أما فى: ﴿بِهِۦ﴾، ﴿لَهُۥ﴾، ما قبل الهاء مقطعه قصير، ففيه المدّ بعد الهاء.

* * *

وفى ختام هذا الفصل الذى تناولنا فيه الكثير من مصطلحات الضبط ننبه إلى أنَّ:

هناك فروقًا يسيرة بين مصطلحات ضبط علماء المشارقة ومصطلحات ضبط علماء المغاربة، منها على سبيل المثال: فى ضبط المشارقة (المتبع فى المصاحف التى بين أيدينا) يرسمون الضمة واوًا صغيرة، أمَّا المغاربة فيرسمونها على شكل حرف الدال.

كذلك علامة السكون فى ضبط المشارقة رأس الحاء، أمَّا عند المغاربة فالسكون المدُوَّر... إلى غير ذلك، وهذا الاختلاف يلاحظه من يقرأ برواية ورش عن الإمام نافع.

فلكونها الرواية المنتشرة فى بلاد المغرب العربى فالمصاحف عندهم مضبوطة بعلامات ضبط المغاربة.

وهناك كثير من المختصين ينادون بتوحيد مصطلحات الضبط حتى تجتمع جميع المصاحف فى جميع أقطار المسلمين على رموز ضبط واحدة.

*****



الباب الرابع

ويحتوى على تسعة فصول:

الفصل الأول: جهاز النطق الإنساني.

الفصل الثانى: المدخل لدراسة المخارج والصفات.

الفصل الثالث: المخرج العام والخاص، والمخرج المحقق والمقدَّر.

الفصل الرابع: الجوف.

الفصل الخامس: الحلق.

الفصل السادس: اللسان.

الفصل السابع: الشفتان.

الفصل الثامن: الخيشوم.

الفصل التاسع: الصفات.

باب المخارج والصفات

نزل القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة بلسان عربي مبين، كل كلمة فيه تحتوي على حروفٍ، والتغيير في نطق واحد من هذه الحروف لحن جلي ينبغي اجتنابه، ولهذا كانت دراسة مخارج الحروف وصفاتها هي لب علم التجويد، وركنه الركين، وأولى أبوابه بالرعاية.

قال الإمام ابن الجزري:

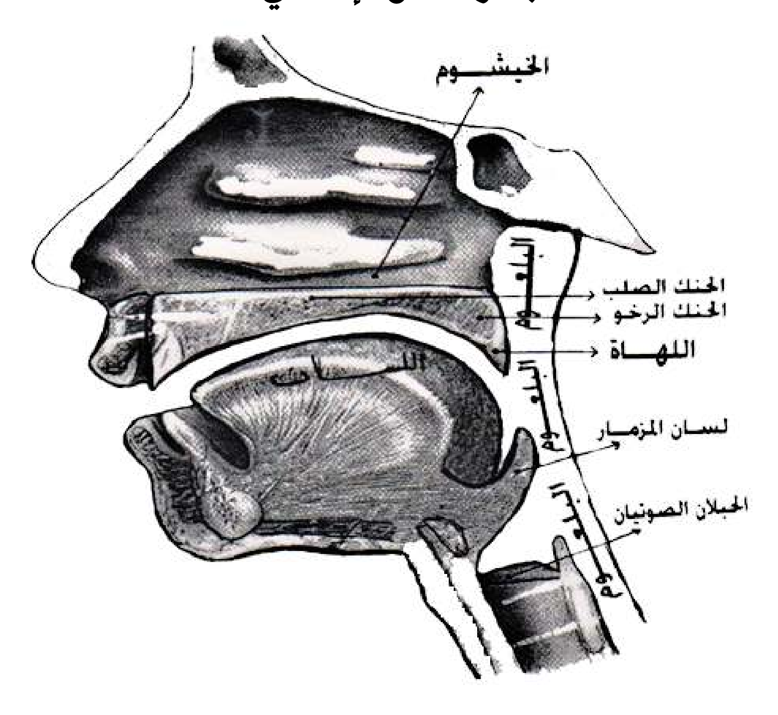
إذْ وَاجِـبٌ عليهمُ مُحَتَّمُ　　　قَبْلَ الشروعِ أولاً أنْ يَعْلَمُوا

مخارجَ الحروفِ والصفاتِ　　　لِيَلْفِظُـوا بأَفْصـحِ اللُّغَاتِ

وأفصح اللغات هي لغة القرآن، ولغة العرب، ولغة سيد ولد عدنان، ولغة أهل الجنة في الجنة:

الفصل الأول

جهاز النطق الإنساني



زوَّد الله الإنسان بجهاز للنطق يتألف من أعضاء، تقوم بوظائف عِدَّة، من أهمها: وظيفة إخراج الصوت،وهذه الأعضاء هي: الرئتان – الحنجرة – البلعوم – الحلق– تجويف الفم – الشفتان – الجوف – الخيشوم – الأنف – وأخيرًا الأذن، والعين، والمخ، والجهاز العصبي.

أولاً: الرئتان:

وهما المصدر الأساسي للتنفس، الذي يعرف بعمليتي الشهيق والزفير.

فعملية الشهيق تعمل على: إمداد الجسم بما يلزمه من الأكسجين.

وعملية الزفير تعمل على: دفع الهواء للخارج، إما بدفع الطبع، أو بدفع الإرادة.

ثانياً: الحنجرة:

وتقع في قمة القصبة الهوائية، وهي عبارة عن حجرة متسعة نوعًا ما، ومكونة من ثلاثة غضاريف، الأول أو العلوي فيها ناقص الاستدارة من الخلف، عريض بارز من الأمام، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم، أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف.

وفي داخل الحنجرة يوجد الحبلان الصوتيان، وهما عبارة عن: رباطين صغيرين مستقيمين كل منهما نصف دائرة حين يمتد، يتصلان بجدار الحنجرة، وفوقهما طيَّتان ذَوَاتا غشاءٍ رقيق، وبينهما ممر مُجَوَّف يُسمَّى (المزمار)[1] يمر من خلاله هواء الزفير، وهذا الممر يغلق ويفتح بحركة الحبلين الصوتيين، مما يؤثر على إمكانية مرور الهواء وكميته، واندفاع الهواء يؤثر على ذبذبة طيات غشاء الحبلين الصوتيين فيصدران أصواتًا تتوافق مع :

* درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت، وهو ما يسمى (الشِّدَّة، والرخاوة).

---

[1] والسبب فى تلك التسمية: فى القرن الرابع الهجرى، أَلَّف بن جنِّى، كتابًا فى علم الأصوات، سماه (سر صناعة الإعراب)، وفى بداية كتابه يلتمس لحدوث الأصوات وسيلة للإيضاح، فَشَبَّه "مجرى النَّفَس" فى أثناء النطق بالمزمار، وشَبَّه مخارج الحروف أى المعتمد، بفتحات هذا المزمار التى توضع عليها الأصابع.

انظر المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب ص١٦.

* ودرجة اهتزاز الحبلين الصوتيين، نتيجة لقوة اندفاع هواء الزفير، أو ضعفه، وهو ما يسمى:(الجهر، والهمس)، وهذه الاهتزازات ضرورية لإنتاج الصوت.

وتسمى الحنجرة (صندوق الأصوات)، لأن بها العضو الذي يقوم بالدور الأساسي في عملية النطق، وهما الحبلان الصوتيان.

مقطع عرضى فى الحنجرة يبين وضع الحبلين الصوتيين فى حالتى الفتح والغلق.



والحنجرة: مثلها مثل باقي أعضاء النطق، ليست مخلوقة لإنتاج الأصوات فقط، وإنما لها وظائف أخرى، حيث يوجد فوق الحنجرة ما يسمى بلسان المزمار، وهو عبارة عن غضروف لا يتحرك ذاتيًا، ولكن يتحرك بحركة اللسان، ووظيفته: أنَّه صِمَام أمان يحمي مدخل الجهاز التنفسي كله، ويحول دون اختناق الإنسان عند بلع الطعام، ويساعد على حبس الهواء في القفص الصدري فيجعله أكثر صلابة عند بذل الجهد العضلي، والأعمال الشاقة، وحمل الأثقال.

ثالثاً: البلعوم :

البلعوم عبارة عن تجويف طولى يمتد خلف الألف والفم والحنجرة، وينتهى إلى المرئ، ويعتبر البلعوم طريقاً مشتركاً لكل من الهواء والغذاء؛ حيث إنه يصل بالغذاء من الفم إلى المرئ ثم إلى المعدة، ويصل بالهواء من الأنف والفم إلى الحنجرة ثم القصبة الهوائية والرئتين، وهو يطول ويقصر ليمكن الصوت الخارج من الحنجرة من الوصول إلى أعضاء النطق المختلفة، فلولاه ما كان يمكن للإنسان أن يُخْرِجَ حروفاً مفهومة.

رابعاً: الحلق:

هو فتحة مؤخرة الفم فى البلعوم، ويمتد حتى الحنجرة، ووسطه موازٍ للبلعوم، وينقسم إلى:

أ- أقصى الحلق : عند الحنجرة وخلف تفاحة آدم.

ب- وسط الحلق : فوق الحنجرة وتحت لسان المزمار.

ج- أدنى الحلق : فوق لسان المزمار وقبل اللهاه.

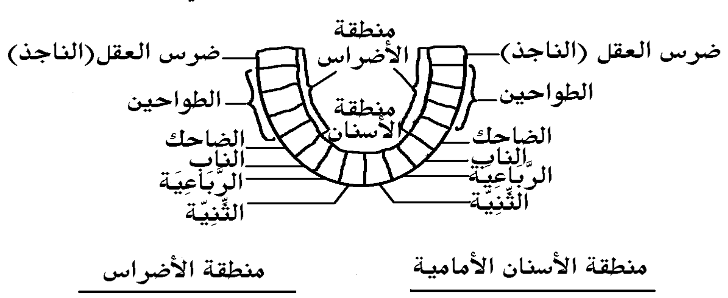
خامساً: **تجويف الفم أو التجويف الفموي ويضم**: اللسان – الأسنان – الفك العلوي – الفك السفلي.

أ- اللسان:

وهو عبارة عن: عضلة مرنة شبه بيضاوية، قابلة للانقباض والانبساط، ثابتة في آخرها متحركة في أولها، وهو أهم عضو في عملية النطق، ويحتوى على عدد كبير من العضلات تمكنه من التحرك والامتداد، والانكماش، والتَّلَوِّي إلى أعلى، أو إلى الخلف، وبذلك يستطيع الإتصال بأية نقطة في الفم؛ فيخرج منه عدد كبير من الأصوات والحروف.

ب – الأسنان:

وهي من أعضاء النطق الثابتة في الجهاز النطقي، ولا تستغل في النطق إلا بمساعدة أحد أعضاء النطق المتحركة كاللسان، والشفة السفلي.



منطقة الأسنان الأمامية	
الثنايا	٤
الرَّبَاعِيات	٤
الأنياب	٤
	١٢

منطقة الأضراس	
الضواحك	٤
الطواحين	١٢
النواجذ	٤
	٢٠

عدد الأسنان عند معظم الناس المكتملي النمو [اثنتان وثلاثون]، وهذا العدد هو إجمالي عدد الأسنان والأضراس العليا والسفلى التي تنقسم إلى منطقتين:

- منطقة الأسنان الأمامية [العليا والسفلى].
- منطقة الأضراس [العليا والسفلى].

منطقة الأسنان الأمامية:

عددها اثنتا عشرة: ست بالفك العلوي، وست بالفك السفلي، مقسمة على الترتيب التالي:

* الثنايا الأمامية: وهي الأسنان الأربع الأمامية:

- اثنتان فوق، وتسمى بالثنايا العليا.
- واثنتان تحت، وتسمى بالثنايا السفلى.

* ثم الرَّباعِيات: [واحدها رَبَاعية، بفتح (الراء) وتخفيف (الباء)]، وهي أربع أسنان تلي الثنايا: بواقع سن واحدة من كل جانب، فالمحصلة أربع:

- اثنتان فوق. - اثنتان تحت.

* ثم الأنياب: [جمع ناب]، وهي أربع أسنان تلي الرباعيات، وهي:

- نابان فوق. - نابان تحت.

منطقة الأضراس:

وعددها عشرون ضرسًا: عشرة بالفك العلوي، وعشرة بالفك السفلي، مقسمة على الترتيب التالي:

* الضواحك: [وهي بداية منطقة الأضراس] فهي تلي الأنياب، وعددها أربعة:
واحد أعلى وواحد أسفل من كل جانب، وبهذا يكون لدينا:

- اثنان فوق. - اثنان تحت.

* ثم الطواحين أو الطواحن: وهي تلى الضواحك، وعددها اثنا عشر:

- ستة في الفك العلوي: ثلاثة من الجانب الأيمن، وثلاثة من الجانب الأيسر.
وستة في الفك السفلي: ثلاثة من الجانب الأيمن، وثلاثة من الجانب الأيسر.

* ثم النواجذ: [وهي أقصى الأضراس، ويقال لها ضرس العقل أو الحلم]، وهي أربعة:

- اثنان بالفك العلوي. - اثنان بالفك السفلي.

وقد لا تنبت لبعض الناس، وقد تنبت لبعضهم بعضُها، وللبعض كلها.

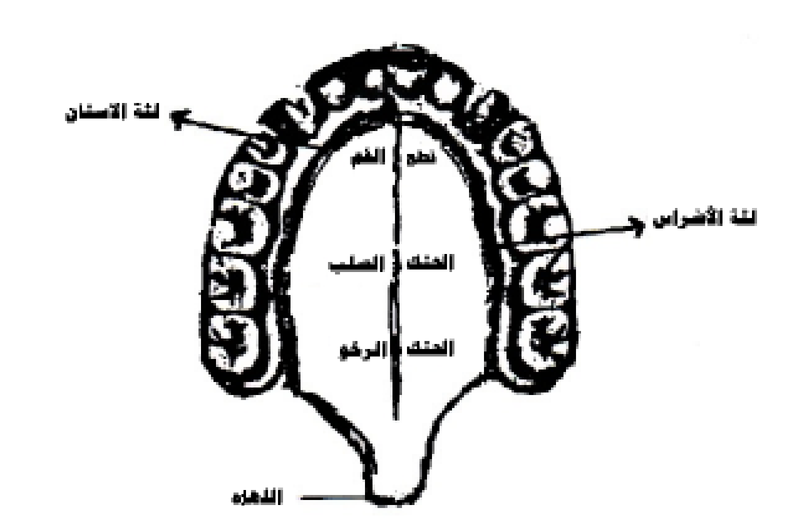
جاء في نهاية القول المفيد: "اعلم أن الأسنان على ثلاثة أنواع؛ منها ما هو للطحن، والتنعيم، وهي الأضراس، ومنها ما هو للكسر، وهي الأنياب، ولذلك خلقت رءوسها

مستديرة، ومنها ما هو للقطع؛ وهو الرباعيات، والثنايا، ولذلك خلقت حادة الرءوس، فاجتهد يا أخي في حفظ هذا لأنه ينفعك في معرفة المخارج، لاسيما مخرج (الضاد) و(اللام) وأخواتهما".

جـ - الفك العلوي:

وهو عضو ثابت مربوط بالدماغ، وفيه بالإضافة إلى الأسنان العليا (الحنك)، وهو باطن الفك من داخل الفم وهو بمثابة السقف للفم، ويسمى بسقف الحنك، وقبة الحنك، وغار الحنك، وكلها مترادفات، أشهرها غار الحنك؛ لأنه يشبه المغارة داخل الفم.

ويتميز غار الحنك بأنه يبدأ منخفضًا مع مقدم الفم ثم في الداخل يزداد عمقًا على شكل قبة. ويتكون غار الحنك من أربعة أجزاء رئيسة، موضحة في الشكل التالي:



١- اللِّثَة : **بكسر اللام وتخفيف الثاء**:

اللحم الذي انغرست فيه الأسنان والأضراس، ويسمى بأصول الأسنان والأضراس.

٢- نِطع الفم:

وهو الجزء المتقدم والمتجعد من أول غار الحنك بعد أصول الأسنان العليا الأمامية مباشرة.

٣- الحنك العظمى أو الصّلب:

وهو المنطقة التي تلي نطع الفم مباشرة إلى الداخل.

٤- الحنك اللحمي أو الرخو:

وهو عضو متحرك يتميز بالليونة والطراوة، يقع في الجزء الخلفي من غار الحنك الأعلى، في المنطقة التي تلي الحنك العظمى موازيًا لأقصى اللسان، وينتهي عند أَدْنى الحلق باللهاة وهي اللحمة المدلاة في أقصى غار الحنك الأعلى.

والحنك اللحمي عضوٌ نطقيٌّ أطلق عليه أئمة التجويد القدامى اسم (الحَفَّاف)، ولكنهم لم يذكروا له دورًا في النطق.

وحديثًا اكتشف علماء الصوتيات دورًا هامًا لهذا العضو، وسموه (الطَّبق)، فقالوا:

هو عبارة عن مجموعة أنسجة عضلية، يمكن أن تُضْغَط في اتجاه الجدار الخلفي للحلق، فينغلق الممر الخيشومي، فلا يسمح للهواء بالمرور إلا من خلال التجويف الفموي فقط، فيخلو الصوت من الغنة تمامًا،وهذا معناه: أنَّه يمكننا غلق المجرى الخيشومي، مما يلي الحلق، يرفع الطبق ولصقه بالحائط الخلفي للحلق، ويمكننا فتحه كذلك بإنزال الطبق في اتجاه مؤخرة اللسان.

د – الفك السفلي:

وفيه الأسنان السفلى، وهو عضو متحرك ليس له غار أو سقف، ويقع عليه الدور الأكبر في توسيع جوف الفم.

سادساً: **الشفتان**:

وهما عبارة عن طرفين متحركين، جزء منهما داخل الفم والآخر خارجه، وبينهما وسط.

سابعاً: **الجوف**:

وهو الخلاء الواقع داخل الفم والحلق، يبدأ من أقصى الحلق وينتهي بنهاية الشفتين، وهو ممر للصوت والنفس.

ثامناً: الخيشوم أو التجويف الأنفي أو الخيشومي:

وهو ممر للنفس ولصوت له رنين ترتاح إليه الأذن يعرف عند العرب بـ(الغنة)، ويقع الخيشوم أقصى الأنف من الداخل فوق غار الحنك الأعلى، تتصل مؤخرته بالحلق وتنتهي مقدمته بفتحتي الأنف.

تاسعاً: الأنف:

ويه فتحتان هما النافذة التي يدخل منها هواء الشهيق ويخرج هواء الزفير، ولوقوع الخيشوم في التجويف الخلفي للأنف: كان لفتحتي الأنف الدور الأساسي في إيصال صوت الغنة إلى الخارج، وللأنف وظائف أخرى، مثل: تدفئة الهواء الداخل إلى الرئتين، وتنقيته من الغبار والأتربة.

عاشراً: الأذن / العين / المخ والجهاز العصبي:

وكلها أعضاء لا تقل أهمية عن غيرها في إتمام عملية النطق، فهي تساهم بشكل مباشر، أو غير مباشر، في إتمام عملية التواصل بين الأستاذ والطالب، أو بين المقرئ والقارئ، وهذا مالا ينتبه إليه الكثيرون.

ولقد جرت العادة عند دراسة المخارج الاقتصار على ذكر خمسة فقط من أعضاء النطق المذكورة، وهي:

الجوف – الحلق – اللسان – الشفتان – الخيشوم .

على اعتبار أن باقي الأعضاء إمَّا أنها تدخل ضمن واحد من الأعضاء الخمسة الرئيسة، أو أنها مساعدة له.

تتمة:

يعتبر شكل الفم في الإنسان وما يحتويه من أعضاء، مظهرًا من مظاهر تفضيل الله سبحانه وتعالى للإنسان على غيره من المخلوقات، ودليلاً على أن الله قد ميَّزه بجهاز صوتي ذي بنية خاصة، فالفم الإنساني صغير نسبيًّا يمكن أن ينفتح وينغلق بسرعة، ويحتوي على لسان مرن يمكن استخدامه في تشكيل أصوات متنوعة، بخلاف الحيوان

الذي يستخدم نقطةً مَا من هذا الجهاز الصوتي، فيخرج صوتًا واحدًا متشابهًا؛ أو صوتين متواليين دائمًا.

كذلك فإن عضلات الشفتين الآدميتين أكثر تعقيدًا مما هي في المخلوقات غير الآدمية، وينتج عن ذلك مرونة الشفتين، مما يساعد على إصدار الأصوات التي تساهم الشفتان في النطق بها.

كذلك أسنان الإنسان، فإنها عمودية وليست مائلة إلى الخارج، كما هو الحال في القردة مثلا، كما أنها متقاربة في أعلاها، ومثل هذه الخصائص في الأسنان لا حاجة لها في الطعام، ولكنها مفيدة لأقصى حد في إصدار الأصوات.

*　　　*　　　*

الفصل الثاني

المدخل لدراسة المخارج والصفات

كيف تحدث الأصوات التي تحيط بنا؟

تحدث الأصوات نتيجة لاهتزاز الأجسام وانتقال هذه الاهتزازات إلى الهواء أو إلى أي وسط مادي آخر في جميع الاتجاهات المحيطة بالجسم المهتز، وعندما تصل إلى عضو السمع وهو الأذن تقوم الأذن بنقل هذه الاهتزازات بعد تكبيرها إلى المخ عن طريق العصب السمعي، فيعمل المخ على ترجمة هذه الاهتزازات إلى أصوات أو نغمات.

الثمرة المستفادة:

يحتاج حدوث الصوت إلى أربعة أمور:

١- جسم مهتز. ٢- وسط مادى ينقل هذه الاهتزازات.

٣- أذن تسمع تأثر جزيئات الهواء المحيطة بالجسم المهتز.

٤- مخ يترجم.

وكلما كان اهتزاز الجسم قويًا كان تأثر جزيْئَات الهواء المحيطة به قويًا، وكان الصوت الصادر عنه قويًّا أيضًا.

وكلما كان اهتزاز الجسم ضعيفًا كان تأثر جزيْئَات الهواء المحيطة به ضعيفًا، وكان الصوت الصادر عنه ضعيفًا أيضًا.

ويستمر الصوت مسموعًا طالما استمر تأثر جزيْئَات الهواء المحيطة بالجسم المهتز، وينقطع الصوت مع انقطاع اهتزاز الجسم، أو مع عدم تأثر جزيْئَات الهواء المحيطة بالجسم المهتز، لسبب من الأسباب.

كيف يحدث الصوت في جهاز النطق الإنساني؟

يحدث بتوافر الأمور الأربعة اللازمة لإحداث الصوت، فالجسم المهتز: حركة الحبلين الصوتيين، والوسط المادى: هواء الزفير؛ فتصدر الأصوات الإنسانية بتوظيف تيار الهواء، المعروف بهواء الزفير، الذى تدفعه الرئتان إلى أعلى القصبة الهوائية، ليمر أولاً بالحنجرة

من خلال فتحة (المزمار)، وهى فتحة ضيقة يحددها ويتحكم فى شكلها حركة الحبلين الصوتيين، ثم يواصل الهواء الحامل للصوت طريقه إلى أعلى بطول الجهاز النطقى الذي يمتد من الحنجرة حتى نهاية الشفتين وفتحتى الأنف، فتسمع الأذن، ويترجم المخ.

وينبغي الانتباه إلى ما يلي:

أولاً: إن خرج هواء الزفير دون أن يعتمد فى خروجه على طرفى عضو النطق، أى على موضع فى الحلق أَو اللسان أَو الشفتين، كان خروجه طبيعيًّا، أو بدفع الطبع، لإتمام عملية التنفس فقط، فينتُج نفَسٌ دون صوت؛ لأنه يمر من خلال المسافة بين الحبلين الصوتيين دون أن يؤثر على وضعهما، ويكون الوتران في وضع الارتخاء التام.

ثانيًا: إن خرج هواء الزفير باعتماد على طرفى عضو النطق، أى على موضع فى الحلق، أو اللسان، أو الشفتين، كان خروجه بدفع الإرادة، فينتج عنه صوت، لأن اصطدام النفس الإرادي بالحبلين الصوتيين يؤثر فيهما فيتوتران، ويهتزان، وقد ينغلقان انغلاقًا كليًّا، أو جزئيًّا، فيصدر عنهما موجات صوتية تطول وتقصر متوافقة مع:

أ- درجة التوتر والاهتزاز.

ب- درجة الانغلاق وما يترتب عليه من إعاقة كلية، أو جزئية، لجزيْئَات الهواء الحاملة للصوت المارة بينهما.

قاعدة عامة:

كل صوت تتكون هيئته بحسب:

١- درجة اهتزاز الجسم الصادر عنه الصوت.

٢- درجة الإعاقة لجزيْئَات الهواء الحاملة للصوت.

* * يوجد إيضاح بكتاب الأسئلة صـ٢٦ سؤال (٤).

ثالثًا: إذا كانت درجة اهتزاز الحبلين قوية قلت كمية الهواء المارة وتكيَّفت جميع جزيْئَاته بالصوت، وسمَّاه العلماء بالصوت المجهور.

أمَّا إذا كانت درجة اهتزاز الحبلين ضعيفة زادت كمية الهواء المارة، ولا تتكيف جميع جزيْئَاته بالصوت، وسمَّاه العلماء بالصوت المهموس.

والجهر والهمس صفتان للصوت، تُعبِّران عن درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين، وهما صفتان متقابلتان أي متضادتان، لا يجتمعان في آنٍ واحدٍ، بمعنى:

إن لم يكن الصوت مجهورًا فهو حتمًا مهموس، وإن لم يكن مهموسًا فهو حتمًا مجهور.

رابعًا: إذا كان اصطدام طرفي عضو النطق قويًّا لدرجة كافية لغلق المسافة بينهما غلقًا تامًّا؛ احتبس الصوت، نتيجة لتعرض جزيْئَات الهواء الحاملة للصوت للإعاقة التامة، وسمى العلماء الصوت المحتبس (الصوت الشديد) .

أمَّا إذا لم تنغلق المسافة بينهما انغلاقا تامًّا؛ وتعرضت جزيئات الهواء للإعاقة الجزئية، جرى الصوت، وسمى العلماء الصوت الجاري (الصوت الرخو).

وإذا جرى الصوت لعدم تعرض جزيْئَات الهواء لإعاقة ألبتة، سمى العلماء الصوت الجاري (الصوت الرخو الممدود).

وإذا حدثت إعاقة تامة لجزيْئَات الهواء، احتبس الصوت، ثم زالت تلك الإعاقة، فجرى الصوت؛ وهنا يجمع الصوت الواحد بين الحالتين: حالة الاحتباس أولاً ثم الجريان، سماه العلماء (الصوت المتوسط بين الشِّدَّة والرخاوة) أو الصوت البيني.

ونخلص إلى ما يلي :

الشِّدَّة والرخاوة صفتان تعبران عن مدى الإعاقة التي يتعرض لها الهواء الحامل للصوت عند مروره من بين طرفى عضو النطق فهناك:

- وضع الإعاقة التامة (الصوت الشديد شِدَّة كاملة).
- وضع الإعاقة الجزئية (الصوت الرخو رخاوة كاملة).
- وضع عدم الإعاقة ألبتة (الصوت الرخو الممدود).
- وضع الإعاقة التامة أولاً ثم الإعاقة الجزئية (الصوت المتوسط بين الشِّدَّة الكاملة والرخاوة الكاملة).

والاحتباس والجريان صفتان متضادتان فلا يمكن أن يحدثا معًا في زمن واحد وإنما في زمنين متعاقبين، الاحتباس أولاً (الشِّدَّة) ثم الجريان (الرخاوة)، وهذا معنى التوسط بين الاثنتين.

إذًا: الشِّدَّة والرخاوة صفتان متقابلتان وبينهما التوسط أو البينية، بمعنى: أن الصوت إن لم يكن رخوًا فهو حتمًا شديد، أو متوسط، وإن لم يكن شديدًا فهو حتمًا رخو، أو متوسط، وإن لم يكن متوسطًا فهو حتمًا رخو، أو شديد.

الثمرات المستفادة: (وعددها ثمان)، سنتناولها واحدة واحدة بالتفصيل:

الثمرة الأولى:

تعريف النَّفَسْ:

لغةً: هو الشهيق والزفير، أي ملء الرئتين بالهواء (شهيق)، ثم إخراجه (زفير).

اصطلاحًا: هواء الزفير إن خرج بدفع الطبع.

تعريف الصوت:

لغةً: هو الأثر الذي تدركه الأذن البشرية الناتج عن تخلخل، أو تموج، أو اهتزاز جزيْئَات الهواء المحيطة.

اصطلاحًا: هو النَّفَسُ المسموع.

فحقيقة الصوت الإنساني، هو: (النَّفَسُ المسموع)، والمقصود به: هواء الزفير؛ لأنه الوقود المغذي لجهاز النطق، وهو الحامل للصوت، فنحن نتكلم بهواء الزفير، فإن انتهى انقطع معه الصوت في نَفْسِ اللحظة[1].

ولكي يتحول هواء الزفير من مجرد نَفَسٍ أو هواء إلى نَفَسٍ مسموع أَيْ هواء حامل للصوت، لابد من وجود عضو من أعضاء النطق، له طرفان، يعتمد عليهما القارئ في دفع هواء الزفير ناحية الحبلين الصوتيين بالإرادة، في عملية عضلية عصبية مصاحبة للنطق، تعرف بقوة الاعتماد أو ضعف الاعتماد، وقوة أو ضعف اعتماد القارئ على طرفي

(١) وعملية الزفير التى يتم خلالها النطق، ليست مجرد إخراج الهواء على نحو مناسب، ولكن الهواء يخرج فى دفعات لا تَوَقُّف بين إحداها والأخرى، تتفق كل دفعة منها مع الصوت الناتج، فلكل صوت دفعة هوائية، تنتج من انقباضات متوالية يقوم بها الحجاب الحاجز نتيجة لجذب هواء الزفير بقوة الإرادة، وتقتضى عملية الكلام: إطالة الزمن الذى تتم فيه عملية الزفير بالنسبة لعملية الشهيق، حتى تصبح الفترة التى يستغرقها الزفير من ثلاثة إلى عشرة أمثال فترة الشهيق- وهذا فى الكلام العادى- أمَّا عندما يحاول أحد المقرئين قراءة مقطع طويل فى نَفَسْ واحد، فقد يصبح طول فترة الزفير ثلاثين مِثلاً، لطول فترة الشهيق. انظر المدخل إلى علم اللغة. د. رمضان عبد التواب.

عضو النطق تؤثران في درجة توتر الحبلين واهتزازهما (الجهر والهمس)، وتؤثران أيضًا في وضع الحبلين وفى درجة الإعاقة لجزيْئَات الهواء الحاملة للصوت (الشِّدَّة والرخاوة).

والضابط لقوة الاعتماد أو ضعف الاعتماد، هو: طبيعة العضو الذي يعتمد عليه المتكلم، وموضعه في جهاز النطق، ولابد أن يكون له طرفان حتى يصلح أن يكون معتمدًا، ويعرف هذا العضو عند أهل التجويد واللغة بـ(مخرج الحرف).

* * توجد زيادة، بكتاب الأسئلة صـ٢٨ سؤال(١٣) .

تعريف الحرف:

لغــة: الطَّرَف.

اصطلاحًا: صوت اعتمد على مخرج.

أي أن الصوت الناتج عن حركة الحبلين الصوتيين ووضعهما نتيجة لاعتماد القارئ على مخرج معين، هو ما نسميه بالحرف، فنقول، مثلاً، على صوت الهمزة: حرف الهمزة، ولا يمكن أن يحدث هذا الصوت إلا بالاعتماد على مخرج الهمزة، عند جذب الهواء من الرئتين.

وكذلك الأمر بالنسبة لباقي حروف الهجاء.فينسب كل صوت إلى معتمده أى مخرجه.

* * يوجد إيضاح بكتاب الأسئلة صـ٢٩ سؤال(١٥).

تنبيـــه:

علماء الصوتيات، يفرِّقون بين: الحرف والصوت، فعندهم الحرف: هو الرمز الكتابي الذي نتخذه وسيلة منظورة، للدلالة عن صوت معين، أمَّا الصوت: فهو الذي نسمعه ونحسه، فهو عملية نطقية يؤديها الجهاز النطقي، وتسمعه الأذن، ولذلك قالوا: كل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من الرموز، أَمَّا علماء التجويد والقدماء من علماء اللغة: فلا يفرِّقون بين الحرف والصوت، ويستخدمون الكلمتين بمعنى واحد، ويقولون: للحرف رمز واحد وهو أيضا له صوت واحد، فإذا اختل الصوت لم يكن دالاً على هذا الحرف، ولا يجوز قراءة القرآن بغير اللفظ العربى الفصيح، حتى يوافق الصوت الملفوظ الرمز الدال عليه؛ ولذلك كان القرآن حارسًا على اللغة.

تعريف المخرج:

لغةً: اسم لموضع خروج الشيء، أيًّا كان ذلك الشيء، كمدخل اسم لموضع الدخول، ومرقد اسم لموضع الرقود.

اصطلاحًا: هو المعتمد، أو الموضع، أو الحيِّز المولِد للحرف.

الثمرة الثانية:

المخرج أو الحيز الذي يعتمد عليه القارئ،عند نطق الحرف،هو المؤثر في الحبلين الصوتيين وليس العكس.

والمتحكم فى درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت ودرجة اهتزاز الحبلين هو المخرج، وذلك بحسب: طبيعة المخرج، وموضعه داخل جهاز النطق، وصفات القوة والضعف التى يحملها الحرف الذى يولد فيه؛ ولذلك:

كل صفة يحملها الحرف سببها طبيعة مخرجه؛ فالمخرج والصفة للحرف العربي لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ونخلص مما سبق إلى قاعدة هامة وعامة:

لأن المخرج هو معتمد القارئ لإخراج صوت الحرف: فكل خلل يصيب فصاحة الحرف العربي، سببه عدم ضبط مخرجه، وحيث وجد المخرج وُجد الحرف، وحيث لا مخرج فلا حرف.

وهذا من مظاهر قدرة الله سبحانه فقد خلق لنا مخارج هى بمثابة قوالب تتناسب مع أصوات الحروف المراد النطق بها فإن اختل المخرج اختل صوت الحرف فسبحان من دقت في كل شيء حكمته.

*** * يوجد زيادة إِيضاح بكتاب الأسئلة ص٢٩، ٣٠ سؤال (١٨).**

الثمرة الثالثة:

من خصائص الصوت أنَّه:

١- قابل للانتشار في الوسط المادي (أي الهواء، أو الماء، أو الجماد)، في خطوط مستقيمة.

٢- قابل للانكسار عند انتقاله من وسط إلى وسط آخر.

٣- قابل للانعكاس وللارتداد عند اصطدامه بسطح عالٍ محدثًا ما يسمى بظاهرة الصدى، وهو: موجات الصوت تنتشر في الهواء على شكل كرات متحدة المركز من التضاغطات والتخلخلات المتعاقبة إذا صادفت حاجزًا.

عندما تنتشر هذه الموجات في خطوط مستقيمة فيقع تضاغط الموجة الأولى مع تضاغط الموجة الثانية. وتخلخل الأولى مع تخلخل الثانية يحدث تقوية في الصوت. أمَّا عندما يغير الصوت من اتجاه انتشاره أي ينكسر فلا يحدث تقوية في الصوت.

والصوت الإنساني يحمل الخصائص الثلاث المذكورة، ولبيان ذلك نقول:

عند نطقنا لحروف القرآن بالتلقي والنقل والسماع من أئمَّتنا القراء نلاحظ أن هناك حروفًا جمعها العلماء في قولهم: (خص ضغط قظ)، الخاء – الصاد – الضاد – الغين – الطاء – القاف – الظاء، هذه الأحرف عند النطق بها لابد أن يقوم القارئ بعملين : يرتفع، أي يستعلي بأقصى اللسان بقوة الإرادة ناحية أقصى الحنك الأعلى، في حين يكون طرف المخرج مصطدمًا مع طرفه الثاني في إخراج الصوت.

والمقصود بالعملين: أنه لا يكفي اعتماد القارئ على طرفي مخرج الحرف بل يشترك معه في نفس الوقت، الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة، وهذا الأمر ممكن حدوثه مع جميع حروف الهجاء بلا استثناء، ولكن المنقول إلينا بالتواتر. ليس إلا الأحرف السبعة المذكورة فقط، وتسمى أحرف الاستعلاء.

فماذا يحدث نتيجة الاستعلاء بأقصى اللسان بقوة الإرادة؟

يستعلي الصوت، وينضغط ناحية الحنك الأعلى فيصطدم بسقفه ثم يرتد محدثًا صدى يمتلئ الفم به، فنسمع صوت الحرف سمينًا مفخمًا.

يسمى الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة (صفة الاستعلاء). والأثر الناتج عنه (التفخيم). فالتفخيم هنا ليس بصفة ولكنه ثمرة لصفة الاستعلاء،أو مستحق صفة الاستعلاء. ولابد من الانتباه إلى ما يلي:

إذا كان مخرج الحرف المستعلي يقع في منطقة طرف اللسان، أو قريبًا منها، فمع استعلاء أقصى اللسان يستعلي معه طرفه بدرجات متفاوتة؛ بحسب ما يتطلبه مخرج الحرف من ارتفاع طرف السان ناحية غار الحنك الأعلى.

مع ملاحظة أن استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة بغرض التفخيم، أما استعلاء طرف اللسان فنتيجة لتصادم طرفي المخرج بالإرادة أيضًا ولكن بغرض إخراج الحرف. فماذا تكون النتيجة؟

تزداد درجة استعلاء أقصى اللسان، وتضيق المسافة بين صفحة اللسان كله وغار الحنك الأعلى من أوله إلى آخره حتى يكادا ينطبقان على بعضهما فينضغط الصوت في داخل الفم وينتشر في موجات مستقيمة يضغط بعضها بعضًا فيخرج صوت الحرف مفخمًا تفخيمًا قويًا.

تسمى زيادة درجة استعلاء أقصى اللسان وانضغاط الصوت داخل الفم بـ (صفة الإطباق) وثمرتها زيادة التفخيم.

وحروف هذه الصفة هي الأحرف الأربعة (من ضمن حروف الاستعلاء السبعة)، التي تقع مخارجها في منطقة طرف اللسان وهي: الطاء والظاء والصاد أو قريبًا منها وهو حرف الضاد[1].

يبقى من حروف الاستعلاء السبعة ثلاثة وهي:

القاف والغين والخاء، يقع مخرج الغين والخاء في أدنى الحلق ويقع مخرج القاف في أقصى اللسان قريبًا من مخرج الغين والخاء، عند النطق بحرف منها يستعلى أقصى اللسان بالإرادة مع تصادم طرفي المخرج، ولبعد مخارجها عن منطقة طرف اللسان يصاحب استعلاء أقصى اللسان استفال طرفه.

فماذا تكون النتيجة؟

تقل درجة استعلاء أقصى اللسان، وتتسع المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى وتنكسر قوة انضغاط الصوت داخل الفم فيخرج صوت الحرف أقل تفخيمًا مقارنة بتفخيم حروف الإطباق الأربعة، ويسمي عدم انضغاط الصوت بين صفحة اللسان وغار الحنك (صفة الانفتاح)، وثمرتها (مع الحروف المستعلية)، ضعف في التفخيم.

* * يوجد زيادة إيضاح بكتاب الأسئلة ص٣٠ سؤال (٢١).

---

[1] وهذا معنى ما قاله د. رمضان عبد التواب فى كتابه: المدخل إلى علم اللغة صـ٣٨، حيث قال: "الإطباق: وصف لصوت مفخم لا يخرج من الطبق وإنما يخرج الصوت من مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه، وتصحبه ظاهرة عضلية فى مؤخرة اللسان،مقصودة لذاتها".

نخلص مما سبق إلى قاعدة عامة، وهي:

كل حرف لا يصاحب النطق به استعلاء أقصى اللسان بالإرادة فهو حرف مستفل، بصرف النظر عن موضع مخرجه داخل الفم والحلق، والاستفال يؤدى إلى عدم امتلاء الفم بصدى الصوت لانكساره ناحية قاع الفم، فيخرج صوت الحرف نحيفًا رقيقًا، سمي عدم استعلاء أقصى اللسان بالإرادة (صفة الاستفال)، وثمرتها، أو مستحقها الترقيق، أو التنحيف. وجميع الحروف المستفلة (منفتحة)؛ لأن الاستفال من لوازمه الانفتاح.

** يوجد زيادة إيضاح بكتاب الأسئلة ص ٣٠ سؤال (٢٢).

والاستعلاء والاستفال صفتان متقابلتان، أو متضادتان، بمعنى: إن لم يكن الحرف مستعليًا فهو حتمًا مستفل، وإن لم يكن مستفلا فهو حتمًا مُسْتَعْلٍ.

والانفتاح والإطباق صفتان متقابلتان أيضًا بمعنى: إن لم يكن الحرف منفتحًا فهو حتمًا مطبق، وإن لم يكن مطبقًا فهو حتمًا منفتح.

والصفات الأربع: الاستعلاء والاستفال والانفتاح والإطباق كلها تعبِّر عن وضع اللسان في داخل الفم وأثر ذلك على تفخيم وترقيق الصوت.

وتقسم الحروف العربية من هذه الزاوية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حروف مستعلية مطبقة تفخم تفخيمًا زائدًا ويصاحبها زيادة فى استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة ، وهي: الطاء، والضاد، والظاء، والصاد.

الثاني: حروف مستعلية منفتحة تفخم تفخيمًا ضعيفًا ويصاحبها عدم زيادة فى استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة، وهي: القاف، والغين والخاء.

الثالث: حروف مستفلة منفتحة لا يصاحبها استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة وحكمها الترقيق على كل حال، باستثناء ثلاثة أحرف، وهي:

حرف الألف: فلكونه ليس له مخرج متصادم الطرفين يستعلى معه اللسان أو يستفل، فلا يوصف باستعلاء ولا استفال، ولكون الإطباق والانفتاح مبنيين على الاستعلاء والاستفال، فلا يوصف بإطباق ولا انفتاح، وبالتالى لا يوصف بثمرة الصفات الأربع، أى لا يوصف بتفخيم ولا ترقيق بل يتبع ما قبله في كل ذلك، وسوف يأتي بيان هذا الأمر بالتفصيل في موضعه.

** يوجد زيادة إيضاح بكتاب الأسئلة ص٣١ سؤال (٢٥)، (٢٦)، (٢٧).

حرفا اللام والراء: وهما حرفان من الحروف المستفلة المنفتحة ولكنْ لهما أحوال تفخيم وأحوال ترقيق، وسوف يأتي بيان ذلك في موضعه أيضًا إن شاء الله.

هل للصفات الأربع أثر على الحبلين الصوتيين؟

نعم لها أثر من ناحية: زيادة قوة الاعتماد مع الحروف المستعلية المطبقة، وزيادتها (ولكن بدرجة أقل) مع الحروف المستعلية المنفتحة، وضعف درجة الاعتماد مع الحروف المستفلة المنفتحة.

وزيادة قوة الاعتماد أو ضعفها له أثر على وضع الحبلين ودرجة اهتزازهما.

الثمرة الرابعة:

حروف الهجاء عددها تسعة وعشرون حرفًا، كل حرف منها له دلالة صوتية تميزه عن غيره، وهذه هي **فائدة المخارج للحروف** فهي بمثابة الموازين تعرف بها مقادير الحروف فتتميز عن بعضها. فلو تغير مخرج الحرف لتغير صوته وبالتالي يتغير مدلوله، فلو أردنا كلمة (قال) واعتمد الصوت على مخرج الخاء بدلا من القاف، لخرجت (خال) وهكذا، أمَّا لو خرجت القاف مهموسة بدلاً من كونها مجهورة، فهذا دليل على عدم ضبط مخرجها، وهذه هي **فائدة معرفة الصفات للحروف** فهي بمثابة الناقد الذي يميز المخرج الجيد من المخرج الرديء.

ولمعرفة الصفات فوائد أخرى ولكن هذه هي أهمها؛ لأن صفات كل حرف منضبطة تمامًا مع طبيعة مخرجه وموضعة فى جهاز النطق، فإن اختلت صفة واحدة فهذا دليل للقارئ على أنه لم يتقن موضع خروج الحرف.

فنستطيع أن نقول:

من معرفة موضع خروج الحرف أي (مخرجه) نستطيع التعرف على صفاته، ومن معرفة صفاته نستطيع ضبط مخرجه، ولا يمكن فصل الحرف عن مخرجه، وليست دراسة المخرج بأهم من دراسة الصفة ولا دراسة الصفة بأهم من دراسة المخرج؛ لأن دراسة الصفات للحروف ليست دراسة نظرية لمجرد العلم ولا دراسة المخارج لمجرد التأكيد على مواضعها وأسمائها، ولكن يشترك الاثنان معًا فى شرح الجانب العملي لكيفية النطق بالحرف العربي الفصيح.

** يوجد زيادة إِيضاح بكتاب الأسئلة ص٣٢، ٣٣ سؤال (٣٠)، (٣١)، (٣٢).

الثمرة الخامسة:

لا حرف إن لم يعتمد القارئ على مخرج، ولذلك:

١- عند تجاور حرفين: إذا قرع القارئ مخرج الأول، ثم قرع مخرج الثانى؛ سمى هذا العمل (إظهارًا)، أَمَّا إذا ترك مخرج الأَول، وقرع مخرج الثانى ثم تباعد للحركة فنطق بحرف واحد مشدد من جنس الثانى؛ سمى هذا العمل (إدغامًا)، فالمعول عليه فى تحديد حكم العلاقة بين الحرفين المتجاورين هو مخرج كل منهما لا صفاته.

إن دُمِج حرفان في مخرج واحد: فلابد أن يختلفا في الصفات حتى يتميز كل حرف عن الآخر. أمَّا إن اختلفا في المخرج، فاختلاف المخرج كفيل بتميز كل حرف عن الآخر، ولذلك: قد يتفقان في الصفات وقد يختلفان.

وهذا المعنى أشار إليه الإمام ابن الجزري بقوله: [لا تجد حرفين اشتركا في المخرج والصفة إلا وكانا مثلين، فإن اتحدا في الصفة فرّق بينهما بالمخرج، وإن اتحدا فى المخرج فرّق بينهما بالصفة].

فهما حرفان متماثلان: إن اتفقا في المخرج والصفات، مثل أن تأتي النون تجاورها نون نحو ﴿مِّن نِّعۡمَةٍ﴾، أو الكاف تجاورها كاف نحو: ﴿سَلَكَكُمۡ﴾، وتسمى نوع العلاقة بين النونين، والكافين علاقة تماثل.

وهما حرفان متجانسان: إن دُمجا في مخرج واحد ولابد أن يختلفا في الصفات، مثل أن تأتي الدال والتاء متجاورتين في نحو﴿ أَيَّدتُّكَ ﴾، وتسمى نوع العلاقة بينهما علاقة تجانس لخروجهما معًا من مخرج واحد، هو طرف اللسان مع اختلافهما في الصفات.

وهما حرفان متقاربان: إن تقاربا في المخرج سواء اتحدا في الصفات، مثل أن تأتي النون والميم متجاورتين نحو ﴿مِن مَّالٍ﴾، أو اختلفا في الصفات، مثل أن تأتي الكاف والقاف متجاورتين نحو ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾، وتسمى نوع العلاقة بين النون والميم وبين الكاف والقاف علاقة تقارب لقرب مخرج الحرف من مخرج مجاوره؛ فالنون تخرج من طرف اللسان والميم من الشفتين، والكاف تخرج من أقصى اللسان أسفل مخرج القاف مباشرة.

وهما حرفان متباعدان: إن تباعدا في المخرج سواء اتحدا في الصفات، مثل أن تأتي الحاء والثاء متجاورتين نحو : ﴿يَبۡحَثُ﴾، أم اختلفا في الصفات، مثل أن تأتي النون والهمزة متجاورتين نحو : ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾،وتسمى العلاقة بين الحاء والثاء وبين النون والهمزة علاقة تباعد، لبعد مخرج الحرف عن مخرج مجاوره؛ فالحاء تخرج من وسط الحلق والثاء من رأس اللسان، والنون تخرج من طرف اللسان والهمزة من أقصى الحلق.

واختلاف صفات الحرفين المتحدين في المخرج دليل قاطع على أن لكل منهما معتمدًا أو حيزًا أو مخرجًا يختلف عن مشاركه الآخر، وإن دُمجا في مخرج واحد للتقارب الشديد الذي يصعب معه تحديد بقعة دقيقة لكل منهما.

وأشار العلماء إلى ذلك بقول أحدهم:

والْحَصــرُ تقريبٌ وبالحقيقةْ   لِكُلِّ حــرفٍ بقعـةٌ دقيقةْ

إذ قالَ جمهورُ الورى مَا نَصُّهْ   لِكُلِّ حرفٍ مخرجٌ يَخُصّهْ

والمعنى: أن لكل حرف من حروف الهجاء مخرجًا يخصه، أمَّا حصر أكثر من حرف في مخرج واحد فهو على سبيل التقريب لتقارب مخارجها جدًّا؛ أمَّا في الحقيقة: فلكل حرف منها مخرج خاص به.

** يوجد زيادة إيضاح وتفصيل بكتاب الأسئلة ص٣٣، ٣٤ سؤال (٣٤).

وهنا سؤال: ما هو السبب في اتحاد صفات بعض الحروف مع اختلاف مخارجها؟

السبب: أن الله سبحانه وتعالى قد خلق لنا مخارج متعددة في داخل الحلق والفم ولم يخلق لنا إلا حبلين صوتيين وحنجرة واحدة، والحروف المتحدة في الصفات مخارجها ذات طبيعة واحدة من ناحية الأثر الذي يتركه الاعتماد عليها على حركة الحبلين الصوتيين من ناحية الجهر والهمس، وعلى وضعهما من ناحية الشِّدَّة والرخاوة فيأخذ الحبلان الصوتيان شكلاً متقاربا عند النطق بالحروف المتحدة في الصفات، ومع اختلاف مواضعها داخل الفم، أو بمعنى آخر مع اختلاف مكان الحيز الذي يعتمد عليه الصوت يصير لكل منهم دلالة صوتية تميزه عن غيره.

الثمرة السادسة:

التجويد، علم يتناول كيفية نطق اللفظ القرآني مجودا، وهذا اللفظ مركب من حروف، فيبدأ الطالب بدراسة باب المخارج والصفات، حتى يتعلم كيفية ولادة الحرف منفردا، ثم يثنى بدراسة الأحكام المترتبة على تركيب الحرف مع غيره، وهو ما يشمل جميع أبواب علم التجويد، ما عدا باب المخارج والصفات.

ولأن الحرف هو صوت اعتمد على مخرج، وعند دراستنا لحروف الهجاء منفردة؛ فكل صفة مكوِّنة لهذا الصوت فهي صفة لازمة للحرف؛ ولهذا تسمى في المصطلح التجويدي (حق الحرف). ولها شقان؛ الشق الأول: يصف مخرجه أي موضعه في الفم والحلق، ويسمى بالصفة المحلية مثل: الجوفية – اللهوية – الشجرية .. وغيرها من الصفات التي نطلق عليها (ألقاب الحروف)، وهذه الألقاب ذكرها الخليل بن أحمد في أول كتاب العين واشتقها من اسم الموضع الذي يخرج منه الحرف.

والشق الثاني: يصف صوت الحرف من ناحية: الجهر والهمس والشدة والرخاوة ... إلخ، من الصفات الصوتية التي تطلق عليها لقب (الصفات الذاتية).

أمَّا عند تركيب الحروف، فكل ما يعرض للحرف من أحوالٍ نتيجةً لملاقاته حرفًا آخر، نُسَمَّى تلك الأحوال في المصطلح التجويدي (الصفات العارضة)، وقد حصرها العلماء في إحدى عشرة صفة هي : الإظهار – الإدغام – القلب – الإخفاء – التفخيم – الترقيق – المد – القصر – التحريك – السكون – السكت.

وقد نظمها العلامة السمنودي بقوله:

إظهــارٌ إدغــامٌ وقلــبٌ وكــذا

إخفــاءٌ وتفخــيمٌ وَرِقٌ أُخِــذا

والمــدُّ والقصــرُ مــع التَّحــرُّكِ

وأيضًا السكونُ والسكتُ حُكِى

ولا يصح التعميم، بتعريف الصفة اللازمة بأنها التى تلازم الحرف فى جميع أحوالـه، لأن حال الحرف عند انفراده يختلف عن حاله عند التركيب مع غيره.

الثمرة السابعة:

يمكننا الآن أن نلخص كيفية إخراج صوت الحرف:

١- عندما نريد نطق حرف من الحروف نتخذ مخرجه معتمدًا أو متكأً لجذب هواء الزفير بقوة الإرادة فـي اتجـاه الحبلـين الصـوتيين، وتتوقـف درجـة الجذب علـى درجة الاعتماد على طرفي المخرج، بحسب موضعه داخل الحلق والفم، وبحسب صفات القوة والضعف التى يحملها.

٢- يتـأثر الحـبلان الصـوتيان باصـطدام هـواء الزفيـر المتجـه إليهمـا بقـوة الإرادة فيصدران موجات صوتية تتوافق مـع: درجـة التوتر والاهتزاز (الهمس والجهر)، ودرجة الإعاقة (الشِّدَّة والرخاوة).

٣- إذا اتصف الحرف بصفة الجهر فهذا معنـاه: قوة اعتمـاد تجعل الهواء الموظف لنطقه قليلاً: يتكيف كلـه بالصوت، فعند النطق بـالحرف المجهور لا يجرى معه النفس.

أمَّا إذا اتصف بصفة الهمس فهذا معنـاه: ضعف اعتمـاد يجعل الهواء الموظف لنطقه كثيرًا، فلا يتكيف كله بالصوت، فعند النطق بالحرف المهموس يجري معه النفس.

٤- إذا اتصف الحرف بصفة الشِّدَّة فهذا معنـاه: أن مخرجـه يحتبس فيـه الصوت لكونـه (مخرجاً محكم الإغلاق)؛ فالحرف الشديد هو الذي لا يجري معه الصوت، أمَّا إذا اتصف الحرف بصفة الرخاوة فهذا معناه: أن مخرجه يجرى فيـه الصوت، لكونـه مخرجاً (مفـتوحاً) أو(غير محكم الغلق)؛ فالحرف الرخـو هو الـذي يجري معه الصوت.

٥- إذا صاحب النطق بـالحرف استعلاء أقصـى اللسان بـالإرادة ازدادت قوة الاعتمـاد عنـد جـذب هـواء الزفيـر فـي اتجـاه الحبلـين الصـوتيين، وبالتـالي: ازدادت درجـة

جهره إن كان مجهورًا، وقلت درجة همسه إن كان مهموسًا؛ لأن زيادة قوة الاعتماد تؤدي إلى زيادة درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين.

وكذلك ازدادت درجة شِدَّته إن كان شديدًا، وقلت درجة رخاوته إن كان رخوًا؛ لأن زيادة قوة الاعتماد تؤدي إلى زيادة درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت.

ونخلص مما سبق إلى :

جميع الصفات الصوتية التي يتصف بها الحرف لابد أن تؤثر عمليًّا على:

درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين وعلى درجة الإعاقة، وبمعنى آخر:

على (الجهر والهمس) وعلى (الشِّدَّة والرخاوة).

** يوجد زيادة إيضاح بكتاب الأسئلة ص٣٤ سؤال (٤١).

الثمرة الثامنة:

حصر العلماء الكيفيات التي يكون عليها الحبلان الصوتيان عند إخراج حروف الهجاء التسعة والعشرين في ست كيفيات، كل كيفية تضم مجموعة من الحروف ذات طبيعة مخرجية واحدة في مجملها، فعند اعتماد القارئ على مخرج حرف منها يأخذ الحبلان وضعًا متقارباً فى الجملة؛ ولأن ذات الصوت في الأساس تقوم على عاملين، هما: درجة اهتزاز الحبلين ودرجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت، فقد وزَّع العلماء الحروف على الكيفيات الست على النحو التالى.

الكيفية الأولى:

وتضم مجموعة الحروف (الشديدة المجهورة) وجمعها العلماء في قولهم (أجد قطب) الهمزة والجيم والدال والقاف والطاء والباء.

والحروف الستة المذكورة، عند الاعتماد على مخرج كل حرفٍ منها يحتبس الصوت، ويعاق إعاقة تامة (صفة الشِّدَّة)، ولا يخرج صوت الحرف إلا بانفكاك تصادم المخرج، فيخرج متكيفًا كله بالصوت نتيجة لاهتزاز الحبلين الصوتيين اهتزازًا شديدًا عند خروجه فجأة عقب الاحتباس التام، (صفة الجهر) مع (صفة القلقلة).

ولبيـــان هـذه الكيفيـــة نأخـــذ مثـــالاً لحـــرف مـن حـــروفها وهـو حـــــــرف البـــاء الســــاكن في لفـــظ﴿ يَبۡلُوَكُمۡ ﴾، ومخرج الباء كما ذكره العلماء هو : باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا.

عند نطق حرف الباء: يعتمد القارئ على تصادم طرفي المخرج بقوة اعتماد كافية لجذب هواء الزفير إلى أعلى ناحية الحبلين الصوتيين، فيلتصق طرفا المخرج، ويكون التصاقهما محكمًا قويًا، فيعاق الهواء تمامًا، ويحتبس الصوت احتباسًا كاملاً.

واحتباس صوت الباء معناه: عدم كفاية تصادم طرفي مخرجها لولادة الحرف بل يحتاج إلى عمل آخر عقب التصادم لاكتمال ولادته، وهذا العمل هو: جذب الهواء المحتبس بدفعة قوية تجعل طرفي المخرج، والحبلين يضطربان معًا في آنٍ واحد، فتتكيف جميع جزيْئَات الهواء بالصوت، فيخرج صوت الباء مجهورًا ذا نبرة قوية وهذا العمل: (اضــطراب المخـــرج فــور التصـــادم)، يســـمى بالقلقلـــة، والحـــروف التـــي تخـــرج بهـــذا العمل تسمى حروف القلقة، ويسمى صوت القلقلة في علم الأصوات الحديث بالصوت الانفجاري. لاحتباس الصوت في المخرج ثم انطلاقه منه بقوة وفجأة. وكما تم النطق بحرف الباء يتم النطق بباقي حروف هذه الكيفية، ما عدا حرف الهمزة، فقد اتفق الجميع على عدم قلقلته، وسيرد سبب ذلك عند دراسة مخرجه ضمن حروف مخرج الحلق.

ملاحظات:

١- القلقلة صفة منفردة لا ضد لها، انفردت بها الحروف الخمسة المجموعة في قـولهم: (قطـب جـد)، لأنـــه مـــا مـــن وســـيلة لاكتمـــال ولادة الحـــرف، عقـــب الاحتباس إلا بالقلقلة.

٢- قوة الانفكاك تساوي قوة الانحصار والاحتباس، والطاء والقاف من حروف الاســتعلاء؛ فقوة الاعتماد فيهما أكبر وبالتالي قوة الاحتباس وقوة الانفكاك، أكبر، وَتَفُوق الطاءُ القافَ في كل ذلك لأن الطاء مع الإطباق والقاف مع الانفتاح؛ فنبرة قلقلة الطاء أقوى من نبرة قلقلة القاف.

** يوجد زيادة وتفصيل بكتاب الأسئلة ص٣٥ سؤال (٤٤).

الكيفية الثانية:

وتضم مجموعة الحروف الشديدة المهموسة وهي حرفان: الكاف والتاء.

هذان الحرفان عند ابتداء الاعتماد على مخرجيهما يحتبس الصوت، لإعاقة الهواء إعاقة تامة، فتظهر صفة (الشِّدَّة)، ثم يجري النفس عقب الاحتباس في خفة وضعف، فتظهر صفة (الهمس)، ولبيان هذه الكيفية نأخذ مثالاً على حرف التاء الساكن في لفظ ﴿تَتْلُوا﴾.

مخرج حرف التاء كما ذكره العلماء هو طرف اللسان العريض مع ما يحاذيه من أول غار الحنك (الجزء المتجعد بُعَيْدَ أصول الثنيَّتين مباشرة).

عند نطق حرف التاء: يعتمد القارئ على تصادم طرفي مخرجها، فيحدث ما حدث مع حروف الكيفية الأولى، من احتباس للصوت بسبب التصاق طرفى المخرج، وإعاقة الهواء إعاقة تامة.

ومع احتباس الصوت لا يكفى تصادم طرفى المخرج لولادة الحرف، وإنما يحتاج إلى عمل آخر لاكتمال ولادته، وهذا العمل هو: فك انغلاق المخرج بانفراج طرفيه في خفة وضعف، فيتدفق الهمس عقب الاحتباس غير متكيف بصوت الحرف، لكون اهتزاز الحبلين ضعيفًا جدًا لا يؤثر على جزيئات الهواء المارة من بينهما.

وبالتالي: يخرج صوت التاء خفيًا ضعيفًا في السمع مقارنة بالأحرف الشديدة المجهورة، وكما تم النطق بحرف التاء يتم النطق بحرف الكاف.

ولا إشكال في حمل الكاف والتاء للصفتين معًا(الشِّدة والهمس)،لاستحالة ظهورهما معًا في زمن واحد،لأن احتباس الصوت لا يمكن أن يصاحبه جريان النفس، وإنما يحتبس الصوت في أول نطقهما ويجري النَّفس في آخرهما.

وفي همس الكاف والتاء إفراط وتفريط: فالبعض لا يأتي بالهمس عقب الاحتباس، فيبترون الحرفين بترًا، وهذا تفريط. والبعض الآخر ينقصون زمن الاحتباس فيزداد ضعف الاعتماد فيكثر الهمس جدًّا، وهذا إفراط.

** خروج الهمس الكثير فى التاء الساكنة ناتج عن:

عدم استخدام القارئ لكل المخرج، أو كون طرف اللسان فى قاع الفم.

* * وخروج الهمس الكثير فى الكاف الساكنة ناتج عن :

النزول بمخرج الكاف ناحية وسط اللسان، والصواب أن يتجه القارئ به ناحية أقصى اللسان ويجعله أسفل مخرج القاف مباشرة.

ملاحظات على الكيفيّتين الأولى والثانية: وعَدَدُها خمس ملاحظات.

بجمع كيفية الصوت الشديد المجهور مع كيفية الصوت الشديد المهموس، نلاحظ ما يلي:[1] أولاً: درجة اندفاع هواء الزفير من الرئتين إلى الحبلين الصوتيين تساوي تمامًا درجة اعتماد القارئ على طرفي المخرج.

ودرجة احتباس الصوت تساوى تماماً درجة التصاق طرفى المخرج.

فى الحرف الشديد المجهور: العمل المكمل لولادة الحرف (القلقة)، يخرج متكيفاً بصوت الحرف.

في الحرف الشديد المهموس: العمل المكمل لولادة الحرف (الهمس)، لا يخرج متكيفاً بصوت الحرف، فتسمع صوت الهمس لا صوت الحرف.

---

[1] تسمى الحروف الشديدة بالأصوات الآنِيَّة، لأنها لا يمكن التغنى بها وترديدها، حيث تنتهى بمجرد زوال العائق وخروج الهواء المحتبس وراء الحبلين.

ثانيًا: طول زمن احتباس الصوت، ثم تدفق النَّفَس عقب الاحتباس، علامة على ضعف الاحتباس بسبب ضعف الاعتماد، والعكس؛ فقصر زمن احتباس الصوت، واندفاع الصوت بنبرة قوية عقب الاحتباس، علامة على قوة الاحتباس بسبب قوة الاعتماد.

ويمكن للقارئ أن يفرِّق بين الاحتباس القوي والاحتباس الضعيف: بأن يُسَكِّن حرفًا شديدًا مجهورًا، مثل حرف الباء، ويسكن حرفًا شديدًا مهموسًا، مثل حرف التاء، فيجد أن احتباس الصوت في الحرفين يحرم الرئتين من الهواء، ولكن ضيق الصدر مع الباء أقوى من التاء. وزمن الاحتباس مع الباء أقصر من التاء.

ولذلك:

١- زمن الشِّدَّة في الحرف الشديد المجهور، أقصر من زمن الشِّدَّة في الحرف الشديد المهموس.

٢- أزمنة الحروف الشديدة المهموسة متساوية، لاتحاد الكاف والتاء فى جميع الصفات.

٣- أزمنة الحروف الشديدة المجهورة متساوية، على الإجمال، إلا حرف الهمزة، فزمنه أقصر، لعدم قلقلته.

* * * وقلنا(على الإجمال) لعدم تساوى الحروف فى درجة القوة.

ثالثًا: في الحرف الشديد المجهور: قوة الاحتباس هي السبب في الجهر، وبيان صفة الجهر يكون في زمن القلقلة ولا يكتمل خروج الحرف إلا بالقلقلة.

* * يوجد زيادة إيضاح وتفصيل بكتاب الأسئلة ص٣٦، ٣٧ سؤال (٥٣)، (٥٤).

وفي الحرف الشديد المهموس: ضعف الاحتباس هو السبب في الهمس، وبيان صفة الهمس يأتي عقب الاحتباس ولا يكتمل خروج الحرف إلا بالهمس.

والصفة التي لا يكتمل خروج الحرف إلا بها صفة لازمة للحرف.

وكما أن (الهمس) صفة لازمة للكاف والتاء لا يكتملان إلا بها، فكذلك (القلقلة)، صفة لازمة، لا يكتمل الحرف الشديد المجهور إلا بها، وذلك في حال السكون فقط أَمَّا إن تحرَّك استغنى تمامًا عن القلقلة بالحركة، والسبب: طبيعة صفة القلقلة؛ فالقلقلة انفكاك للمخرج بصوت مجهور، والحركة تباعد عن المخرج بصوت مجهور أيضًا، فنحتاج للقلقلة

حال السكون؛ لأن بيان الحرف لا يكون إلا بها، والحرف الساكن لا يجوز تحريكه،ولذا: نستغني عن القلقلة حال الحركة؛ لأن بيان الحرف المتحرك في زمن حركته، سواء كانت حركة فتح، أو ضم، أو كسر.

رابعًا: جميع الحروف الشديدة سواء أكانت مجهورة أم مهموسة لابد أن تبدأ باحتباس الصوت احتباسًا تامًا سواء أكانت ساكنة أم متحركة ولهذا: لا يظهر الهمس مع التاء والكاف المتحركتين. فلو قلنا: (كَ)، (تَ)، لوجدنا أن الصوت يبدأ محتبسًا، ثم يتباعد إلى حركة الفتح مباشرة، دون أن يظهر الهمس عقب الاحتباس.

وهذا ما أشار إليه الإمام ابن الجزري بقوله:

وَرَاعِ شدَّةً بكافٍ وَبِتَا كَشِرْكِكُم وَتَتَوفَّى فِتْنَتَا

ونلاحظ أنه مثَّل بالكاف والتاء المتحركتين، ولم يذكر فى السكون إلا التاء ولمرة واحدة. بقصد التنبيه على صفة الشِّدَّة التي ينبغي الابتداء بها في حالتي السكون والحركة، ثم في حالة السكون: يتضح الحرف بالهمس، وفي حالة الحركة: يتضح بالحركة، مثل ما يحدث مع حروف القلقلة ففي حالتي السكون والحركة تبدأ بالشِّدَّة ثم يتضح الحرف مع السكون بالقلقلة، ومع الحركة بالحركة، والفرق بين القلقلة والهمس: أن (القلقلة)، تعدم مع المتحرك؛ لأنها شبيهة بالتحريك فنكتفي بالتحريك ونستغني عن القلقلة، أمَّا (الهمس)، فعلى الرغم من عدم ظهوره مع التحريك لا يمكن القول بإعدامه؛ لأنه صفة لها ضد، فلو قلنا بإعدام الهمس في الكاف والتاء المتحركتين لصارتا مجهورتين ولترجم هذا عمليًا بقوة اعتماد تجعل التاء دالاً، لاتحادهما في المخرج وفي جميع الصفات حينئذٍ، إذ لولا الهمس في التاء لكانت دالاً، وكذلك الكاف لَوْ أعْدِم الهمس فيها لَقَوِيَ الاعتماد عليها، ولاشتبه صوتها بالقاف، لتقاربهما في المخرج واتحادهما في جميع الصفات حينئذٍ، إلا صفة الاستعلاء، إذ لولا الهمس والاستفال في الكاف، والجهر والاستعلاء في القاف، لاتحد صوتهما لما بين مخرجيهما من تقارب شديد.

ولذلك نقول:

لا يمكن أن تظهر الشِّدَّة والهمس في زمن واحد وإنما تأتي الشدة أولاً ثم الهمس ثانيًا، هذا في الحرف الساكن، أمَّا عند إخراج الحرف المتحرك (الشديد المهموس)، فلابد

من التصادم في مخرجه أولاً قبل التباعد للحركة، ثم ينتقل القارئ من وضع التصادم الى التباعد للحركة مباشرة، وسواء أطال زمن التصادم، أم قصر، فلا يخرج الهمس عند التباعد للحركة؛ لأن الحركة صوت مجهور، فلا يخالطها النفس عقب الاحتباس.

ومعنى عدم ظهور الهمس في المتحركتين هو: عدم خروج النفس عند التباعد للحركة، مع وجود الصفة حتماً؛ متمثلة في ضعف الاعتماد الذي نلحظه جيدًا إذا نطقنا بحرفين مجهورين متحركين كالدال والقاف، وحرفين مهموسين متحركين وهما الكاف والتاء، فسوف نجد أن احتباس الصوت والنفس موجود في الحروف الأربعة عند بداية النطق، ولكن قوة الاعتماد المصاحبة للدال والقاف أقوى من تلك المصاحبة للتاء والكاف.

خامسًا: مخارج الحروف الشديدة المجهورة صالحة لاحتباس الصوت احتباسًا تامًا وقويًّا عند تصادم طرفيها ليخرج الصوت مجهورًا مقلقلاً عند انفكاك طرفيها، فإن خرج الصوت مهموسًا فهذا معناه: عدم ضبط المخرج؛ لأن قوة الاعتماد اللازمة للجهر والقلقلة منضبطة مع طبيعة المخرج وموضعه.

وكذلك مخارج الحروف الشديدة المهموسة صالحة لاحتباس الصوت احتباسًا تامًّا وضعيفًا عند تصادم طرفيها ليخرج الهمس متدفقًا عند انفكاك طرفيها، فإن خرج صوتها مقلقلاً، أو نَفَسًا مخلوطًا بصوت، فهذا معناه: عدم ضبط المخرج لأن ضعف الاعتماد اللازم للهمس منضبط مع طبيعة المخرج وموضعه. وظهور الهمس في الكاف والتاء المتحركتين علاجه ضبط مخرجيهما جيدا قبل التباعد للحركة.

* * يوجد إضافة هامة بكتاب الأسئلة ص٣٧، ٣٨ سؤال (٥٧)، (٥٨).

الكيفية الثالثة:

وتضم مجموعة الحروف الرخوة المجهورة وهي:

الذال والزاي والظاء والضاد والغين والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما.

هذه الأحرف السبعة عند ابتداء الاعتماد على مخارجها يجري الصوت جريانًا تامًّا لعدم إعاقة طرفي المخرج للهواء المار من بينهما إعاقة تامة، فتظهر صفة (الرخاوة)، ويصاحب جريان الصوت عدم جريان النفس بسبب اهتزاز الحبلين اهتزازًا شديدًا تتأثر به جميع جزيئَات الهواء المحيطة بهما فيتكيف كل الهواء بالصوت، فتظهر صفة (الجهر).

ولبيان هذه الكيفية نأخذ مثالاً على حرف من حروفها، وهو حرف الذال من لفظ (إذْ): مخرج حرف الذال كما ذكره العلماء : رأس اللسان (منتهى طرفه) مع أطراف الثنيَّتين العلويَّتين.

عند النطق بحرف الذال يعتمد القارئ على تصادم طرفي مخرجها في جذب هواء الزفير ناحية الحبلين الصوتيين، فيجد أن طرفي المخرج غير ملتصقين التصاقًا محكمًا، ويستطيع القارئ أن يتصور كيف يكون التصاق طرفي المخرج غير محكم، عندما يبدأ بباء ساكنة (بْ)، ثم يبدأ بذال ساكنة (ذْ) سيلاحظ أنه: رغم تحقيق التصادم بين طرفي المخرج، في الحرفين، إلا أن مخرج الباء محكم الإغلاق ومخرج الذال غير محكم الإغلاق، بدليل احتباس صوت الأولى بمجرد التصادم، وجريان صوت الثانية بمجرد التصادم.

ويسبب الالتصاق غير المحكم لطرفى المخرج لا يعاق تيار الهواء الآتي من الرئتين إعاقة تامة، فيستطيع ضغط تيار الهواء أن يباعد بين الحبلين الصوتيين بالقوة من أسفل إلى أعلى ، لتتملص من بينهما كمية صغيرة من الهواء المضغوط، ثم يقل الضغط على الحبلين فيتلاقيان، ثم يزاد الضغط من تيار الهواء الآتي من أسفل ليباعد بين الحبلين بالقوة لتتملص من بينهما كمية صغيرة أخرى من الهواء المضغوط، وهكذا تتكرر الدورة حيث يتلاقى الحبلان ويتباعدان، على مسافات متساوية، وعلى نحو سريع متعاقب، يسمح لكمية قليلة من الهواء بالمرور من خلال سلسلة من الدفعات الصغيرة جدًّا والسريعة جدًّا تؤدي إلى رفرفة الوترين واهتزازهما بشدة فيتكيف كل الهواء بالصوت، ويكون جاريًا مصحوبًا بذبذبة وأزيز يحسه القارئ فى طرفى المخرج، ويحسه إذا وضع إصبع الإبهام والذي يليه على الحنجرة، وسبب اهتزاز الصوت وذبذبته هو: الإعاقة الجزئية لهواء الزفير لتعاقب حركة الحبلين .

وكما تم النطق بحرف الذال يتم النطق بباقي أحرف هذه الكيفية التي تسمى حروفها– عند المجودين قديمًا وحديثًا– بحروف الصوت الرخو المجهور،مع ملاحظة حتمية وجود اختلاف فى درجة الإعاقة بحسب موضع مخرج الحرف وصفات القوة والضعف التى يحملها.

تنبيــــه :

الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما يحملان صفة (اللين)، والمقصود بها: انفراد مخرجيهما بمزية لم يتحصل عليها مخرج حرف آخر، وهي:

مقدرة المخرج على أن يتصادم طرفاه فتخرج واو وياء، يجرى صوتهما فى مخرج محقق يقدر زمن الجريان فيهما بالمشافهة. مثلهما مثل باقى الحروف المحققة الرخوة. ومقدرة المخرج على أن يتباعد طرفاه فتخرج واو وياء، يجرى صوتهما فى مخرج مقدر (الجوف). يقدر زمن الجريان فيهما بالحركات- مثلهما مثل حروف المد واللين الثلاثة، ويسمى حينئذٍ بمد اللين.

وإذا نطق القارئ ﴿قَوْلُهُمْ﴾، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، فسوف يلاحظ قصر زمن جريان الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما عن باقى حروف الكيفية الثالثة، والسبب فى ذلك أن طول زمن الجريان فيهما لا يكون إلا عند تباعدهما إلى المخرج المقدَّر؛ ولهذا: لا يظهر معهما ذبذبة الصوت واهتزازه كظهوره مع بقية أحرف الكيفية الثالثة.

ولابد من التفرقة بين الواو والياء الليِّنتين والواو والياء الممدودتين: بتحقق اعتماد الصوت على المخرج المحقق اعتمادا تامًّا عند النطق بالواو والياء اللَّيِّنتين، حتى لا يتباعد الصوت إلى مخرج الجوف فيجرى فيهما كجريانه فى الممدودتين، بلا مسوغ أو سبب، وهذا الخطأ واسع الانتشار جدًّا، وقليل من ينتبه إليه، الأمر الذى دفع بعض العلماء إلى القول بعمل ما يسمى بالضغط أو (النبر)، عند النطق بهما، بقصد تقوية الاعتماد على طرفي المخرج فيحدث التصادم المانع لجريان الصوت فيهما كالممدودتين. ولكننا نرى أن هذا العمل (بالتجربة والسماع)، يصبغ الحرف بصبغة من التكلف غير مرغوب فيها، ويكفي القارئ معاملة الحرفين معاملة باقي الحروف المحققة المجهورة الرخوة فيحكم التصادم بين طرفي المخرج دون ضغط، أو نبر.

ملاحظات على الكيفيّتين (الأولى والثالثة):

بجمع كيفية الصوت الشديد المجهور مع الرخو المجهور، نلاحظ أن:

١- درجة الاعتماد في الحروف الشديدة المجهورة أكبر من الرخوة المجهورة، وعند النطق بكل من الحرفين (الشديد والرخو)، لابد من التصادم بين طرفي المخرج، ولكن درجة التصادم في مخرج الحرف الشديد أقوى لدرجة كافية لانغلاق المخرج فيحتبس الصوت تمامًا، فيحتاج الحرف إلى مكمل، ولهذا: حملت جميع الحروف الشديدة المجهورة – ماعدا الهمزة – صفة القلقلة.

أما درجة التصادم في مخرج الحرف الرخو المجهور فتكون أضعف من الحرف الشديد المجهور، فلا ينغلق المخرج تمامًا وبالتالي: لا يحتبس الصوت تمامًا، بل يستطيع الصوت المرور تحت الإعاقة الجزئية.

٢- السبب في احتباس الصوت مع الحرف الشديد وجريانه مع الحرف الرخو هو طبيعة وخِلْقة المخرج، فمخارج الحروف الرخوة جميعها غير صالحة لإغلاقها إغلاقًا تامًّا، كما أن مخارج الحروف الشديدة جميعها غير صالحة لإغلاقها إغلاقًا جزئيًا.

* * يوجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة ص٣٩ سؤال (٦٤).

الكيفية الرابعة:

وتضم مجموعة الحروف الرخوة المهموسة المجموعة في قولهم (هس فحث شخص) وهي: الهاء، السين، الفاء، الحاء، الثاء، الشين، الخاء، الصاد.

هذه الأحرف الثمانية عند ابتداء الاعتماد على مخارجها يجري الصوت جريانًا تامًّا لعدم إعاقة المخرج للهواء إعاقة تامة، فتظهر صفة (الرخاوة)، ويصاحب جريان الصوت اهتزاز ضعيف جدًا للحبلين الصوتيين فلا تتكيف كل جزيْئَات الهواء المحيطة بهما بالصوت، فتظهر صفة (الهمس).

ولبيان هذه الكيفية نأخذ مثالا لحرف من حروفها وهو حرف الثاء في لفظ ﴿لَبِثْتُمْ﴾: مخرج حرف الثاء– كما ذكره العلماء– هو رأس اللسان (منتهى طرفه) مع أطراف الثنيَّتين العلويّتين.

عند النطق بحرف الثاء: يعتمد القارئ على تصادم طرفي المخرج في جذب هواء الزفير ناحية الحبلين بضعف، فيجد أن تصادم طرفي المخرج أقل إحكامًا من كيفية الحروف الرخوة المجهورة، وبالتالي تكون درجة الإعاقة أقل، وتستطيع كمية كبيرة من الهواء أن تتدفق في خفة من بين الحبلين، فيهتزان اهتزازات ضعيفة جدًا ،لا تتأثر بها جميع جزيْئَات الهواء المارة، فلا يتكيف كل الهواء بالصوت، وإنما يجري الصوت مخلوطًا بالنفس ويكون جريانهما معًا في آنٍ واحد. ويكون صوت الحرف خفيًّا ضعيفًا، ولا يكون معه الذبذبة التي نجدها في الحرف الرخو المجهور.

وتستطيع أن تشعر بهمس الثاء إذا وضعت أصبع الإبهام على أذنيك فسوف تسمع الهواء الكثير يتدفق في خفة وسلاسة ولا تسمع ذبذبة في الصوت. ولو وضعت باطن يدك أمام فمك لشعرت بأثر تيار الهواء المتدفق إلى الخارج.

وكما تم النطق بحرف الثاء يتم النطق بباقي أحرف هذه الكيفية، مع ملاحظة حتمية وجود اختلاف فى درجة الإعاقة بحسب موضع مخرج الحرف، وصفات القوة والضعف التى يحملها.

وأزمنة الحروف الثمانية متساوية على الإجمال.

والسبب في كونها رخوة مهموسة:

طبيعة وخِلْقة مخارجها التي لا تصلح لقوة اعتماد مساوية لقوة اعتماد الحروف الرخوة المجهورة.

* * يوجد زيادة إِيضاح بكتاب الأسئلة ص٣٩، ٤٠ سؤال (٦٧).

وبجمع كيفية الصوت الرخو المجهور، والرخو المهموس، نلاحظ:

١- الإعاقة الجزئية للهواء الحامل للصوت الرخو موجودة في الكيفيَّتين، وهذا يعني عمليًّا ضرورة تحقيق تصادم طرفي المخرج في الحرف الرخو المهموس مثل ما يحدث مع الرخو المجهور، غير أن درجة التصادم في المهموس أضعف.

٢- لما كانت درجة الاعتماد في الحرف الرخو المجهور أقوى من الرخو المهموس، ودرجة الإعاقة في الرخو المجهور أكبر من الرخو المهموس،

كانت كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف المجهور الرخو أقل من كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف المهموس الرخو.

وبجمع كيفية الصوت الشديد المهموس والرخو المهموس نلاحظ:

١- درجة الاعتماد في الحرف الشديد المهموس أقوى من الحرف الرخو المهموس، وبالتالي: فكمية النفس المتدفق مع الرخو المهموس أكثر من الشديد المهموس.

٢- الشدة والهمس في الحرف الشديد المهموس يتعاقبان، فتأتي الشدة أولاً ثم الهمس. والرخاوة والهمس في الحرف الرخو المهموس يتلازمان فتكون الرخاوة والهمس معًا في آنٍ واحد.

وبجمع الكيفيات الأربع السابقة نخلص إلى:

- درجة الاعتماد على مخرج الحرف الشديد أقوى من درجة الاعتماد على مخرج الحرف الرخو.
- ودرجة الاعتماد على مخرج الحرف الشديد المجهور أقوى من درجة الاعتماد على مخرج الحرف الشديد المهموس.

ودرجة الاعتماد على مخرج الحرف الرخو المجهور أقوى من درجة الاعتماد على مخرج الحرف الرخو المهموس.

- أزمنة الحروف الشديدة المجهورة متساوية، إجمالاً، ما عدا الهمزة .
- أزمنة الحروف الشديدة المهموسة متساوية.
- أزمنة الحروف الرخوة المجهورة متساوية، إجمالاً.
- أزمنة الحروف الرخوة المهموسة متساوية إجمالاً.

مع ملاحظة أن كل كلام عن الأزمنة يتعلق بالحروف الساكنة فقط.

الكيفية الخامسة:

وتضم مجموعة الحروف المجهورة بين الرخوة والشديدة والتي يطلق عليها اختصارًا (الحروف البينيَّة أو الحروف المتوسطة)، وجمعها العلماء في قولهم (لن عمر) اللام، النون، العين، الميم، الراء.

هذه الأحرف الخمسة تخرج بكيفية تتجلى فيها خاصية من خصائص الصوت، هي: أن الصوت يحيد عن مساره عند مروره بعائق مع وجود فتحة ينفذ منها.

وطبيعة وخلقة مخارج الأحرف الخمسة تجعل الصوت يعاق أولاً ثم يجري ثانيًا، وعندما يعاق لا يعاق إعاقة الحرف الشديد المجهور، بسبب أن هناك فتحة في المخرج يستطيع أن ينفذ منها، وعندما يجري لا يجري جريان الحرف الرخو المجهور بسبب وجود عائق في المخرج لابد أن يحتبس فيه أولاً. والأحرف الخمسة أحرف مجهورة؛ لأن الهواء القليل المحتبس ينطلق فور الاحتباس في قوة تهز الحبلين هزًّا شديدًا فيتكيف جميع جزيْئَات الهواء بالصوت.

ولبيان هذه الكيفية نأخذ مثالاً لحرف من حروفها وهو حرف النون في لفظ ﴿أَنْعَمْتَ﴾:

مخرج النون- كما ذكره العلماء- طرف اللسان الدقيق مع أصول الثنيَّتين العلويَّتين.

عند النطق بحرف النون يعتمد القارئ على تصادم طرفي المخرج في جذب هواء الزفير ناحية الحبلين الصوتيين بقوة اعتماد أقل قليلا من قوة اعتماد الحرف الشديد المجهور وأقوى قليلا من قوة اعتماد الحرف الرخو المجهور، فيحتبس الصوت لانغلاق المخرج والحبلين معًا في آنٍ واحد، وبدرجة واحدة من القوة، وفي وقت تصادم طرفي مخرج النون ينفتح الحبلان فور احتباس الصوت، لينطلق كامل الصوت بقوة، تاركًا المخرج الذي احتبس فيه إلى فتحة في الفم موصلة للخيشوم، فيجري فيه جريانًا ضئيلا ثم ينقطع.

ولذلك نلاحظ: أن طرفي مخرج النون في حالة تصادم، والصوت يجري في الخيشوم، وليس في مخرج النون.

والخيشوم: ممر فوق غار الحنك الأعلى ينتهي بفتحتي الأنف، يكتسب الصوت فيه رنينًا يعرف بالغنة.

فنقول: بدأ صوت النون من طرف اللسان شديدًا محتبسًا، وانتهى في الخيشوم رخوًا جاريًا، ومن مجموع العملين وُلِد حرف النون، وكان زمن احتباس الصوت فيه أقصر من زمن احتباسه في الحروف الشديدة المجهورة، بسبب وجود فتحة في المخرج تجعل القارئ

لا يستطيع أن يتحكم فى زمن الاحتباس، وزمن جريان الصوت فيه أقصر من زمن جريانه في الحروف الرخوة المجهورة، بسبب وجود عائق فى المخرج لابد أن يحتبس فيه أولا؛ فلا يستطيع القارئ أن يتحكم فى زمن الجريان.

ولأن الصوت من المستحيل أن يكون محتبسًا وجاريًا في آنٍ واحد، فالبقعة التي يبدأ منها صوت الحرف محتبسًا غير البقعة التي ينتهي فيها جاريًا، ولا زمن بين العملين، حيث يتواليان في سرعة تشعر القارئ وكأنهما عمل واحد.

تنبيهات: وعَدَدُها ستة تنبيهات:

أولاً: سبب توسط الحروف الخمسة وجمعها بين الشدة والرخاوة معًا هو: وجود فتحة في مخرجها ينفذ منها الصوت فور الاحتباس، ولذلك:

١- حملت اللام، والراء، والنون، والميم صفات صوتية منفردة، لا ضد لها، توضح مكان الفتحة، وكيف يجري فيها الصوت. فحملت اللام صفة الانحراف، وحملت الراء صفة الانحراف، وصفة التكرير، وحملت النون والميم صفة الغنة، وبقيت العين بدون صفة منفردة؛ لأن مخرجها (وسط الحلق) مخرج ضيق ليس فيه بُعد أو اتساع، كما أن طرفى مخرجها من ذات العضو (وسط الحلق مع ما يحاذيه من وسط الحلق)، خلافًا لمخارج الحروف الأربعة، حيث يخرج ثلاثة منها من طرف اللسان، وهي: النون، واللام، والراء، وتخرج الميم من الشفتين.

٢- الرخاوة صفة من صفات الضعف، ومع ذلك صنَّف العلماء (الغنة) ضمن صفات القوة، رغم كونها صوتًا رخوًا رخاوة تامة، والسبب: الإعاقة التامة للصوت عند اعتماده على مخرجي النون والميم أولاً قبل أن يكمل صوتهما بجريان الغنة في الخيشوم، وكذلك صفة الانحراف، وصفة التكرير فكلتاهما صفة قوة، على الرغم من أنهما يمثلان الجزء الرخو من الحرف المتوسط، وذلك لأن كلاً من (الغنة، والانحراف، والتكرير)، صوت مجهور يأتى عقب احتباس؛ فقوة الاعتماد فيها أقوى من الصوت الرخو المجهور.

ثانيًا: لأنَّ مخرج الحرف المتوسط مهيأ لأن يحتبس فيه الصوت احتباسًا ناقصًا، ويجري فيه الصوت جريانًا ناقصًا، فيستطيع القارئ أن يضبط قوة الاعتماد المتوسطة بين كمال الشدة، وكمال الرخاوة، بأن يجعل تصادم طرفي مخرج الحرف المتوسط بقوة التصادم في مخرج الحرف المجهور، وسوف يجد أن الصوت (تلقائيًّا)، لا يجري في المخرج جريانه في مخرج الحرف الرخو المجهور، ولا يحتبس في المخرج احتباسه في مخرج الحرف الشديد المجهور، وإنَما يتوسط بين الأمرين، وبالتالى تتوسط درجة الاعتماد بين كمال الشدة، وكمال الرخاوة، واليك مثالاً :

حرف العين فى كلمة (يَعمَلُون)، إن قلبت العين همزة وقلت (يأْمَلُون)، ثم قلت (يعملون)، تجد أن صوت العين لم يحتبس احتباس الهمزة، وإنما جرى جريانًا ضئيلاً ثم انقطع لا إراديًا.

ثالثًا: في الحروف الشديدة شدة تامة: يتم فتح تصادم طرفى المخرج بالقلقلة، أوالهمس، فيمكن أن يتحد أكثر من حرف في مخرج واحد، ولا يختلط حرف بآخر كما فى نحو: التاء، والدال، والطاء، لأن المخرج محكم الإغلاق، ويستطيع القارئ أن يتحكم فى زمن الاحتباس، والبقعة التى يبأ منها الصوت هى ذاتها التى ينتهى فيها.

أمَّا في الحروف المتوسطة: فالمخرج به فتحة، فلا يستطيع القارئ أن يتحكم فى زمن الاحتباس، فالصوت يترك الجزء المغلق ليجري فى الجزء المفتوح، فالبقعة التى يبدأ منها الصوت غير التى ينتهى فيها. وبالتالى: لا يمكن اجتماع الحروف الثلاثة (اللام والنون والراء)، في مخرج واحد، لأن ذلك يعني: أن الجزء الذي يجري فيه الصوت عقب الاحتباس واحد، ولو جرى الثلاثة في فتحة مخرجيه واحدة لاتَّحدتْ أصواتها؛ ولما تميز حرف عن الآخر، وهذا مشاهد ممن يخرج اللام من مخرج النون، فتخرج اللام نونًا أو مخلوطة بالنون، لأن الصوت في الحرفين؛ انطلق بعد الاحتباس يجري في الخيشوم، ولذا: فالقول بأن الحروف الثلاثة حروف متقاربة وليست حروفًا متجانسة هو القول الراجح.

* * يوجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة ص٤١ سؤال (٧٤)، (٧٦).

رابعًا: في الحرف الشديد شدة تامة: يكون المخرج مغلقًا تمام الإغلاق، وبالتالي: يستطيع القارئ أن يتحكم في زمن احتباس الصوت، ولا يمكن اكتمال خروج الحرف إلاَّ بالقلقلة أو الهمس، أما في الحرف المتوسط: فالمخرج به فتحة، وبالتالى:

لا يستطيع القارئ أن يتحكم في زمن الاحتباس، فبمجرد تصادم طرفي المخرج واحتباس الصوت فيه يغير الصوت مساره منطلقًا ناحية تلك الفتحة فيجري فيها.

وهذا هو الفرق بين الصوت الشديد والصوت المتوسط؛ فالأول يستطاع التحكم في زمن احتباسه في المخرج، أما الثاني فلا.

وفي الحرف الرخو رخاوة تامة: يكون المخرج مفتوحًا فبمجرد تصادم طرفي المخرج يجري الصوت فيه، وبالتالي: يستطيع القارئ أن يتحكم في زمن الجريان.

أمَّا في الحرف المتوسط: فالمخرج به فتحة، فجريان الصوت يأتى عقب احتباس، وبالتالي: تكون كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف قليلة، تكفي لجريان ضئيل، ثم ينقطع الصوت لا إراديًّا.

وهذا هو الفرق بين الصوت الرخو والصوت المتوسط، فالأول: يستطاع التحكم في زمن رخاوته وجريانه في المخرج، أما الثاني فلا.

تنبيه:

فصاحة الحرف المتوسط لها علامة؛ هى:

أن ينقطع الصوت لا إراديًّا، فيطول زمنه عن زمن الحرف الشديد ويقل زمنه عن زمن الحرف الرخو.

وعندما يشعر القارئ بأنه يستطيع إطالة زمن جريان الصوت يعلم أنه قد وقع في خطأ، أمَّا إذا انقطع منه الصوت لاإراديًّا ولا يستطيع إطالته، مهما حاول، فهذا هو الصواب.

والخطأ لا يأتي أبدًا من طول زمن الاحتباس؛ لأن المخرج غير مهيأ له، ولكن يأتي الخطأ من طول زمن الجريان عقب الاحتباس.

* * توجد زيادة إِيضاح بكتاب الأسئلة ص٤٢، ٤٣ سؤال (٧٧).

فنقول: جريان الصوت في الحرف المتوسط كجريانه في الحرف الرخو خطأ يخل بفصاحة الحرف، وسببه: عدم تحقيق قوة الاعتماد المطلوبة عند تصادم طرفي المخرج،

فتضعف درجة الاعتماد، وبالتالي تقل الإعاقة فيكون جريان الصوت عقب الاحتباس طويلا. وخير مثال على ذلك: حرفا النون والميم فكلما قوي الاعتماد على مخرجيهما قصر (لاإراديًا) زمن جريان الغنة في الخيشوم، وكلما ضعف الاعتماد طال زمن جريان الغنة في الخيشوم، ولهذا السبب: عندما نريد إطالة زمن الغنة نضعف الاعتماد على مخرج النون أو الميم كما في نحو ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ ﴿هَمَّت﴾.

وأيضًا في اللام، والراء، والعين، كلما قوي الاعتماد قصر زمنها (لاإراديًا)، وكلما ضعف الاعتماد طال زمنها، فحروف التوسط الخمسة زمنها هو زمن وضوحها وبيانها، وهو زمن تصادم طرفي مخرجها دون زيادة، أو نقصان، أي دون أن ينقطع كالحروف الشديدة، ودون أن يجري كالحروف الرخوة، ولهذا تحتاج إلى انتباه وعناية وبخاصة عند الوقف، كنحو الوقف على:

﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿سَمِيعٌ﴾، ﴿قَلِيلٌ﴾.

بحيث لا يبتر الحرف بترًا، أو يقلقل، أو يطول زمنه، مع ملاحظة أن النون والميم الساكنتين لا يخضعان لميزان التوسط إلا في حالة إظهارهما فقط.

* * يوجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة ص٤٣ سؤال (٧٩)، (٨٠).

خامسًا: الصوت المتوسط عبارة عن (جهر مع بعض الشِّدَّة وبعض الرخاوة).

والشدة والجهر، صفات قوة، ورخاوة الحروف المتوسطة أقل من رخاوة الحروف الرخوة، كما أن الصفات المنفردة الممثلة للجزء الرخو فى الحرف المتوسط، وهي: الغنة، والانحراف، والتكرير، جميعها صفات قوة؛ فلو نظرنا إلى صفات الحرف المتوسط كحزمة واحدة نجد أن صفة التوسط صفات قوة، أو هي أقرب إلى القوة منها إلى الضعف، فعند حصر الصفات القوية والضعيفة: لابد من إدراج التوسط ضمن الصفات القوية لا ضمن (صفات لا توصف بقوة، ولا بضعف)، كما يوجد في بعض كتب التجويد.

سادسًا: كل حرف لابد أن يحمل، من جملة صفاته، صفة تصف حالته من ناحية: (درجة الاهتزاز)، أى الجهر والهمس، وصفة تصف حالته من ناحية: (درجة الإعاقة)، أى الشدة، والرخاوة، أو التوسط بينهما. فعند عمل ميزان للحروف، من ناحية القوة والضعف،

لابد من أن توضع صفة التوسط في ميزان حروفها، وإلا اختل الميزان، لعدم وجود الصفة الخاصة بدرجة الإعاقة.

الكيفية السادسة:

وتضم مجموعة الحروف المجهورة الرخوة الممدودة، والتي تعرف بحروف المد واللين، وهي:

- الألف بشرط أن يأتي قبلها حرف محقق متحرك بالفتح، نحو ﴿قَالَ﴾.
- والواو بشرط أن يأتي قبلها حرف محقق متحرك بالضم، نحو﴿يَقُولُ﴾.
- والياء بشرط أن يأتي قبلها حرف محقق متحرك بالكسر، نحو﴿قِيلَ﴾.

وجمعتْ الحروفَ الثلاثة بشروطها كلمةُ﴿نُوحِيهَآ﴾.

انفردت حروف هذه الكيفية بخاصية لا توجد في غيرها، وهي: أنها حروف تخرج بالتباعد إلى الجوف، وهو مخرج مُقدَّر متباعد الطرفين، واسع، يشمل الممر الصوتي كله، بداية من الحنجرة وأقصى الحلق حتى نهاية الشفتين، وحيث إنه لا يمكن اعتماد الصوت على مخرج متباعد الطرفين مباشرة، فلا يمكننا الابتداء بحرف من هذه الحروف الثلاثة إلا أن يأتي قبله حرف محقق متحرك بحركة مجانسة، فهو مفتقر دائمًا إلى أن يعتمد القارئ أولاً على مخرج محقق كمرتكز لجذب هواء الزفير ثم يوظف هذا الهواء لنطق الحرف الممدود. فيدفع القارئ هواء الزفير بقوة الحرف الرخو المجهور، فيتوازى ويتقارب الحبلان جدًّا ولكن لا يلتصقان ألبتة، فيتدفق الهواء في سهولة دون عائق ألبتة، ولكن بقوة تهزُّ الحبلين هزًّا شديدًا، فيتكيف كل الهواء المار من بينهما بالصوت المجهور، الجاري، الممدود.

* * * معنى دون عائق ألبتة :

أى يمر الصوت فى الجوف ولا يوجد مخرج له طرفان متصادمان أثناء مرور الصوت.

تنبيهات:

التنبيه الأول:

في كيفية الصوت الشديد (المجهور والمهموس) كانت الإعاقة تامة، وفي كيفية الصوت الرخو(المجهور والمهموس)، كانت الإعاقة جزئية أى يمر الصوت فى مخرج متصادم

الطرفين، أما في كيفية الصوت الرخو الممدود فلا إعاقة ألبتـة، ولهذا: كانت الحروف الثلاثـة بشروطها المذكورة أيسر الحروف الرخوة، وأقلهن مشقة عند الجريان،
والألف أكثرهن رخاوة لعدم اعتمادها على عضو يشارك الجوف، يمكن أن ينحصر صوتها فيه.
* * * عبارة (يمكن أن ينحصر صوتها فيه)، تعنى:
أن الواو والياء الجوفيتين يمر صوتهما فى الجوف دون أن ينحصر فى مخرج محقق متصادم الطرفين، ولكنْ للواو مخرج محقق وهو (الشفتان)، وللياء مخرج محقق، وهو (وسط اللسان)، فحال كونهما غير مديتين يمكن أن يتصادم طرفا المخرج المحقق للحرفين فينحصر صوتهما فيه.
أما عبارة (على عضو يشارك الجوف)، سوف تتعرف على معناها بالتفصيل عند دراستك لحروف الجوف الثلاثة حرفًا حرفًا.

الفرق بين حروف المد واللين (وهى حروف رخوة مجهورة)، والحروف المحققة.

حروف المد واللين:

مقدَّرة المخرج – تخرج بالتباعد – لا تتحرك أبداً – ساكنة مفتقرة إلى حرف محقق يأتى قبلها متحرك بحركة مجانسة – يقدر زمنها بالحركات – لا تدغم فى غيرها ولا يدغم غيرها فيها – لا يبتدأ بها.

أمَّا الحروف المحققة فهى:

محققة المخرج – تخرج بالتصادم – تأتى ساكنة غير مفتقرة إلى حركة مجانسة قبلها – تأتى مخفَّفة متحركة بالحركات الثلاث، وتأتى مشدَّدة – يقدر زمنها بالمشافهة– تدغم فى غيرها، ويدغم غيرها فيها (بحسب الرواية) – يبتدأ بها.

التنبيه الثانى:

زاد البعض حروف المد الثلاثة على حروف التوسط الخمسة (لن عمر)، واعتبر الحروف الثمانية حروف صفة التوسط، وجمعها في قوله (ولينا عمر)، بزيادة الواو والياء والألف، والبعض الآخر أضاف الواو والياء فقط وترك الألف، وجمعها في قوله (نُوَلِّي عمر)، والسبب فى هذين الرأيين:

فى حروف التوسط: يحتبس الصوت فى المخرج، ويجرى فى بقعة أخرى غير التى احتبس فيها؛ فكأن المخرج قابل للاتساع، ولأن مخرج حروف المد واللين الثلاثة متباعد الطرفين، فهو قابل للاتساع والزيادة.

وبعد دراستنا للكيفية التي تخرج بها حروف التوسط، والكيفية التي تخرج بها حروف المد واللين الثلاثة، يتضح لنا عدم صحة الرأيين.

التنبيه الثالث :

فى الكيفية التى يخرج بها حروف المد واللين الثلاثة؛ وفى افتقارهن دائمًا إلى حرف محقق يأتى قبلهن يتحرك بحركة مجانسة، دليل قاطع على أن الواو والياء اللينتين، أَى الساكنتين المفتوح ما قبلهما، حرفان محققان يخرجان بتصادم طرفى المخرج، وليس بتباعد الحبلين الصوتين واهتزازهما، كحروف المد واللين الثلاثة، كما قال البعض.

والقول بأنهما حرفان مقدَّرا المخرج، يعنى عمليًا: أنهما لا يأتيان متحركين، أَو مشددين، أو ساكنين وقبلهما حركة غير مجانسة لهما، فكل هذا غير صحيح.

* * سبب هذا الخلط، هو:

أ- عدم التفرقة بين كيفية إخراج الحرف المحقق، والحرف المقدَّر.

ب- جعل الحالة العارضة التى نعامل فيها حرف اللين معاملة حروف المد واللين وكأنها حالة عآمة، أى حالة التقاء الساكنين وأول الساكنين حرف لين، كما فى نحو الوقف على ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ ﴿بَيْتٍ﴾، وحالة اللين المهموز (عند ورش)، فى نحو ﴿شَىْءٍ﴾، ﴿شَيْـًٔا﴾.

* * *

الفصل الثالث

المخرج العام والمخرج الخاص والمخرج المحقق والمخرج المقدّر

من حفظ الله لكتابه من أن تنحرف الألسنة عند نطق حروفه عن اللغة العربية الفصيحة التي نزل بها إلى اللهجات العامية أو غيرها، أن قيض الله أئمة علماء من الرعيل الأول قاموا بتتبع حروف اللغة العربية الفصحى ودرسوها حرفًا حرفًا ودونوا لنا كتبًا ذكروا فيها كل حرف وعينوا موضع خروجه؛ ومنه استطاعوا التعرف على صفاته، فدونوها أيضًا. وكل ذلك حرصًا منهم على ضبط حروف القرآن، وضبط معانيه، على مر العصور. وحديثًا: قام بعض الباحثين باستخدام الأجهزة الحديثة، مثل:راسم الحنك الكهربي، وغيره من الأجهزة التي يمكنها قياس وضبط صوت الحرف ومكان خروجه وتحليل صفاته، فأثبتوا أن المخارج التي ذكرها علماء التجويد القدامى مطابقة تمامًا لما أثبتته الأجهزة الحديثة، وأن ما يتلوه اليوم القراء المتقنون المتصل سندهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مطابق لما وضعه أئمة العربية، وعلماء التجويد القدامى، ودحضوا بذلك ما يدعيه بعض المشتغلين بعلم الصوتيات الحديث(١) من أن بعض حروف القرآن قد تغير نطقها وتطورت عما كان ينطق بها في عهد نزول القرآن، وأثبتوا أن قولهم هذا راجع إلى عجزهم عن أن يأتوا بالمخارج الصحيحة، كما يأتي بها القراء المتقنون. وفي هذا دليل على تفوق علمائنا القدامى في الدراسات الصوتية، واتسامهم بالروح العلمية العالية ودقة ملاحظاتهم،وقدرتهم على الاستقراء والممارسة، ولم يكن لديهم آلات ولا أدوات ولا أجهزة.(٢)

---

(١) علم الصوتيات– علم يدرس الأصوات اللغوية من ناحية وصف مخارجها وكيفية حدوثها وصفاتها التى تميز كل صوت عن آخر، ويعتمدون على التجربة باللسان والسماع بالأذن للتعرف على مخرج الحرف ووصف صوته، دون التقيد بالمنقول.

(٢) من المعروف أن الدراسات الصوتية بدأت عند قدامى العرب مع بداية عصر التدوين؛ أمّا عند الغرب، فلم تظهر بوادرها إلا مع بداية القرن التاسع الميلادى.

تعريف المخرج العام والمخرج الخاص:

قلنا قبل ذلك، فى تعريف الحرف، إنه: صوت اعتمد على مخرج، وعَرَّفنا المخرج بأنه: الحيز المولد للحرف.

هذا الحيز: هو موضع داخل عضو من أعضاء النطق، وأعضاء النطق التي بها مواضع يعتمد عليها القارئ فتخرج حروفًا، خمسة أعضاء، رتبها علماء التجويد كما يلي: الجوف – الحلق – اللسان – الشفتان – الخيشوم .

وسبب هذا الترتيب: أنهم نظروا إلى أن مادة الصوت (هواء الزفير) الخارج من الرئتين متصعدًا إلى أعلى خلال مجرى النَّفَس المنتهي بالشفتين وفتحتي الأنف، فقدموا في الذكر: الجوف، ثم ما هو أقرب إلى الحنجرة وهو الحلق، ثم الذي يليه وهو اللسان، ثم الذي يليه وهو الشفتان، ثم الخيشوم، لكونه يقع فوق غار الحنك.

سمى علماء التجويد كل عضو من أعضاء النطق الخمسة (**المخرج العام**)، والحيز المولد للحرف داخل عضو النطق (**المخرج الخاص**).

مذاهب العلماء في عدد المخارج العامة والخاصة:

درس العلماء القدامى الحروف العربية حرفًا حرفًا وضبطوا مخارجها الخاصة وقسَّموها على المخارج العامة، وجرت عادة المصنِّفين على ذكر مذاهب ثلاثة، توضح اختلاف علماء القراءة واللغة في عدد المخارج العامة، والخاصة.

المذهب الأول:

ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] وتابعه الإمام ابن الجزري وأكثر القراء، والنحويين، إلى أن عدد المخارج العامة خمسة تضم سبعة عشر مخرجًا خاصًا، بيانها كما يلي:

أولاً: **الجوف** (**مخرج عام**)، ومخرج خاص في آنٍ واحد لحروف المد واللين الثلاثة، وهي:

- الألف المفتوح ما قبلها في نحو ﴿قَالَ ﴾.
- الواو الساكنة المضموم ما قبلها في نحو ﴿يَقُولُ ﴾.
- الياء الساكنة المكسور ما قبلها في نحو ﴿ قِيلَ ﴾.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي من أئمة اللغة والأدب وهو أستاذ سيبويه وواضع علم العروض وأبدع في اللغة بدائع لم يسبق إليها ويقال إن والده هو أول من تسمى "بأحمد" بعد رسول الله ﷺ. ولد بالبصرة عام مائة هجرية وتوفى بها عام سبعين ومائة رحمه الله تعالى.

ثانياً : **الحلق (مخرج عام)**:

يضم ثلاثة مخارج خاصة، يخرج منها ستة أحرف:

- أقصى الحلق، ويخرج منه الهمزة والهاء.
- وسط الحلق، ويخرج منه العين والحاء.
- أدنى الحلق، ويخرج منه الغين والخاء.

ثالثاً: **اللسان (مخرج عام)**:

يضم عشرة مخارج خاصة، يخرج منها ثمانية عشر حرفًا، موزعة على :

أقصى اللسان – وسط اللسان – طرف اللسان – حافتي اللسان.

أقصى اللسان : وبه مخرجان خاصان : مخرج (القاف)، ثم مخرج (الكاف).

وسط اللسان : وبه مخرج خاص واحد يضم ثلاثة أحرف:

(الجيم، والشين، والياء اللينة والمتحركة).

طرف اللسان: وبه خمسة مخارج خاصة، هي: مخرج (الدال، والتاء، والطاء)، ومخرج (النون)، ومخرج (الراء)، ومخرج (السين، والصاد، والزاي)، ومخرج (الثاء والظاء والذال).

حافتا اللسان: وبه مخرجان خاصان: مخرج (الضاد)، ومخرج (اللام).

رابعاً : **الشفتان (مخرج عام)**:

يضم مخرجين خاصين يخرج منهما أربعة أحرف، وهذان المخرجان هما:

مخرج (الفاء)، ومخرج (الميم، والباء، والواو اللينة والمتحركة).

خامساً : **الخيشوم (مخرج عام)**، ومخرج خاص في آن واحد لصوت الغنة.

المذهب الثاني:

ذهب سيبويه ومن تابعه، ومنهم الشاطبي وابن بري رضي الله عنهم، إلى أن عدد المخارج الخاصة: ستة عشر مخرجًا، تنحصر في أربعة مخارج عامة، وذلك بإسقاط مخرج الجوف، وتوزيع حروفه على مخارج الحلق واللسان والشفتين، على النحو الآتي:

- مخرج (الألف)، من أقصى الحلق، مع الهمزة.
- ومخرج (الياء)، من وسط اللسان، مع الياء اللينة والمتحركة.
- ومخرج (الواو)، من الشفتين، مع الواو اللينة والمتحركة.

المذهب الثالث:

ذهب الفَرَّاء [(١)]، والجرمي وقطرب [(٢)]، وابن كيسان، إلى أن عدد المخارج الخاصة: أربعة عشر مخرجًا، تنحصر في أربعة مخارج عامة، وذلك بإسقاط مخرج الجوف، وتوزيع الحروف التي تخرج منه على نحو ما جاء في المذهب الثاني، وزادوا أن (اللام) و(النون) و(الراء)، تخرج من مخرج واحد هو طرف اللسان، وبذلك جعلوا مخارج اللسان ثمانية، بدلاً من عشرة. ولقد ذكر صاحب "السلسبيل الشافي"[(٣)] المذاهب الثلاثة فقال:

اخْتَلَفَ القُرَّاءُ في المخارجِ ... على مَذاهِبٍ ثَلاثَةٍ تَجِي

فَهِيَ عِنْدَ قُطْرُبٍ أَرْبَعْ عَشَرْ ... وعِنْدَ سِيبَوَيْهِ سِتَّةَ عَشَرْ

وَمَذْهَبُ الخَليل وابنِ الجَزَرِي ... قَدَّرَهَا بِسَبْعَةٍ وَعَشَرِ

وَهْوَ الَّذِي جَرَى عَلَيْه الآنَ ... مُعْظَمُ مَنْ يُجَوِّدُ القُرْآنَ

فالْجَوفُ مَخْرَجُ حُرُوفِ المَدِّ ... عِنْدَ الخَليلِ ثابِتٌ في العَدِّ

والآخَرَانِ الجَوْفَ أَسْقَطَاهُ ... وأَخْرَجا الحرُوفَ مِنْ سِواه

والمذهب الأول هو مذهب الجمهور، والذي عليه العمل، واختاره الإمام ابن الجزري بقوله:

مَخَارِجُ الحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشَرْ ... عَلى الذِي يَخْتَارُهُ من اختبرْ

والمعنى: من اختبر الحروف جميعها ودرسها حرفًا حرفًا يجد أن عدد مخارجها الخاصة سبعة عشر يخرج منها واحد وثلاثون حرفًا، وهذا على سبيل التقريب، أما على سبيل التحقيق فلكل حرف مخرج يخصه فتكون عدد المخارج الخاصة واحدًا وثلاثين، بالإضافة إلى مخرج الغنة (الخيشوم)، حيث لا تكمل نون أو ميم بدونها.

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور أبو زكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بالفراء شيخ النحاة. روى الحروف عن أبي بكر بن عياش وعلي بن حمزة الكسائي ومحمد بن حفص الحنفي، توفي سنة سبع ومائتين في رجوعه من طريق مكة.

(٢) هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد الشهير بقطرب من علماء النحو وشيوخه وكان ذا أدب ولغة وهو أول من وضع المثلث في اللغة وله تصانيف عديدة. توفي سنة ست ومائتين من الهجرة رحمه الله تعالى.

(٣) هو عثمان بن سليمان مراد من أفاضل علماء مصر في التجويد والقراءات وله في ذلك نظم وتأليف ومن نظمه: "السلسبيل الشافي: في أحكام التجويد الوافي" وله عليه شرح بديع وكلاهما مطبوع. وكان شيخًا لمقرأة مسجد الإمام الحسين بن علي بالقاهرة وقد توفي فيما بين سنة خمسين وتسعمائة وألف وستين وتسعمائة وألف ميلادية.

وَننبه إلى ما يوجد في بعض الكتب: من تقسيم المخرج الخاص إلى مخارج جزئية وجعل الحروف المتجانسة التي تخرج منه حروفًا متقاربة، وتقديم أحدها على الآخر، بترتيب يتفق مع ما ذكره الإمام ابن الجزري في المخارج، على أنه ترتيب مقصود لحروف المخرج الواحد.

فمثلا: لقول الإمام ابن الجزري (ثم لأقصى الحلق همز هاء)، يرتبون حروف أقصى الحلق على أن الهمزة أولاً ثم الهاء. ولقوله (والوسط فجيم الشين يا)، يرتبون حروف وسط اللسان على أن الجيم أولاً، ثم الشين ثم الياء.

ويسيرون على هذا المنوال مع جميع المخارج التي تضم أكثر من حرف.

ونقول: ما ذكره الأئمة العلماء ومن بينهم الإمام ابن الجزري عن مواضع مخارج الحروف في داخل الفم، والحلق، لم يختلف عليه أحد من أهل الأداء، فالجميع متفقون على أن الهمزة والهاء، من أقصى الحلق، وعلى أن الجيم والشين والياء، من وسط اللسان، وهكذا... أمَّا ترتيب الحروف المتحدة في المخرج الواحد فليس عليه دليل ويصعب – أو ربما يستحيل – ضبطه، ولذلك كان الخلاف فيه كبيرًا يعتمد على التقدير، والتصور، فكل إمام و عالم يرى ترتيبًا يختلف عن الآخر، ولذلك نقل عن الإمام المرعشى، قوله: "ترتيب المخارج بحسب حكم الطبع المستقيم خاليًا عن التكلف".

ونقل عن الإمام الداني قوله: " اختلاف علماء الأداء في ترتيب المخارج اختلاف في حكم الطبع المستقيم ".

وقال صاحب نهاية القول المفيد: " فسيبويه لم يقصد ترتيبًا فيما هو من مخرج واحد".
والصحيح: أن كل حرف شارك غيره في مخرج له بقعه تخصه، ضابطها:
تكيف الحرف بجميع الصفات الصوتية التي تجعله يمتاز عن مجانسه. ولو كان الإمام ابن الجزري يقصد ترتيبًا ما قال: (كل حرف شارك غيره في مخرجه فُرِّق بينهما بالصفة).

تنـويه:

لايفهم من ذلك أننا ننفى وجود ترتيب بين الحروف المتجانسة، أى حروف المخرج المحقق الواحد، فما دام لكل حرف منها بقعة تخصه، فلابد أن يوجد بينهن انقسام، وما دام الانقسام موجوداً فلابد من وجود الترتيب، ولكننا نرى أنه يصعب أو يستحيل ضبطه

وتعميمه، لاختلاف إحساس كل قارئ عن غيره، نتيجة لوجود اختلاف فى شكل خلقة التجويف الفموى، واللسان، والفكين فى كل إنسان عن غيره.

المخرج المحقق والمخرج المقدّر:

كل مخرج من المخارج الخاصة لابد له من طرفين ليعتمد عليهما الصوت، فإن خرج منه الحرف بتصادم الطرفين، سمي بالمخرج المحقق، وسمي الحرف بالحرف المحقق؛ لأننا: نستطيع معرفة موضع ولادة الحرف بدقة لوجود موضع محدد له في عضو النطق، يبدأ صوته منه وينتهي فيه، وينتهى الصوت بانتهاء المخرج لا بانتهاء الهواء لأنه بمجرد ترك تصادم طرفى المخرج ينتهى صوت الحرف، حتى لو كان مع القارئ نَفَس.

أمَّا إن خرج الحرف بتباعد الطرفين، سمي بالمخرج المقدَّر، وسمي الحرف بالحرف المقدَّر؛ لأننا: لا نستطيع معرفة موضع ولادة الحرف إلإجمالاً، فليس للحرف موضع محدد يبدأ صوته منه وينتهي فيه، بل ينتهي صوته بانتهاء الهواء، لا بانتهاء المخرج، لان المخرج متباعد الطرفين.

والمخارج الخاصة للحروف جميعها مخارج محققة تخرج حروفًا محققة، ما عدا مخرج الجوف، وتسمى حروفه الثلاثة بالحروف المقدَّرة.

* ** أما مخرج الخيشوم، فهو مخرج خاص مقدَّر، يخرج منه الغنة، والغنة ليست بحرف.

كيفية التعرف على مخرج كل حرف:

موضع خروج كل حرف حدَّده لنا علماؤنا الأوائل من أواخر القرن الأول الهجري(*)، ونحن- العربَ- نستطيع أن نتعرف على مخرج كل حرف من حروف لغتنا ونختبره.

* * توجد إضافة هآمة بكتاب الأسئلة صـ٤٥، ٤٦ سؤال(٩).

أولاً: كيفية التعرف على مخرج الحرف المحقق:

إذا أردنا اختبار مخرج حرف محقق فلابد من إسكانه، حتى نحتفظ بتصادم الطرفين في حالة من الثبات زمنًا يمكننا من تحديد موضع ولادته في عضو النطق، وحيث بدأ صوته (محتبسًا أو جاريًا) فهو مخرجه.

(*) الخليل بن أحمد الفراهيدى هو أول من ذاق الحروف ليتعرف على مخارجها.

مثال:

إذا أردنا اختبار مخرج حرف الباء، نأتي بباء ساكنة قبلها همزة وصل متحركة بحركة من الحركات الثلاث، ولتكن الفتح فنقول (اَب)، نجد أن الصوت قد احتبس في مخرج الباء مع تصادم باطن الشفة السفلى بباطن الشفة العليا، ولا يكتمل ولادة الحرف إلا بالقلقلة، فنقول:

تخرج الباء من عضو النطق (الشفتين)، وهو مخرجها العام. والحيز الذي يعتمد عليه الصوت (باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا)، وهو مخرجها الخاص. والكيفية التي يتكيف بها الصوت: كيفية الصوت الشديد (لاحتباس الصوت بين طرفي المخرج)، المجهور (لعدم خروج النفس مع الصوت)؛ وهي من حروف القلقلة، وكل هذه المعلومات تعرَّفنا عليها بمجرد تصادم طرفي مخرجها، فمن معرفتنا لموضع ولادة الحرف تعرَّفنا على صفاته أي كيفية خروجه.

ولو أردنا اختبار مخرج حرف الذال ننطق بذال ساكنة قبلها همزة وصل مفتوحة فنقول (اَذ)، نجد أن الصوت بدأ جاريًا بمجرد تصادم رأس اللسان مع رأسي الثَّنيَّتين العلويَّتين، فنقول:

تخرج الذال من عضو النطق (اللسان)، وهو مخرجها العام، والحيز الذي يعتمد عليه الصوت (رأس اللسان مع رأسى الثنيَّتين العلويَّتين)، وهو مخرجها الخاص. والكيفية التي يتكيف بها الصوت: كيفية الصوت الرخو (لجريان الصوت بين طرفى المخرج)، المجهور (لعدم خروج النفس مع الصوت)، وكل هذه المعلومات تعرَّفنا عليها من معرفتنا لموضع تصادم طرفي مخرجها. فمن موضع ولادة الحرف تعرَّفنا على صفاته، وهكذا في باقي الحروف المحققة.

تنـــــويه :

معرفة مخرج الحرف ليس الهدف منه معرفة موضع خروج الحرف فقط، وإنما التعرف أيضًا على صفاته من خلال معرفة مخرجه. وطريقة جلب همزة متحركة قبل الحرف الساكن- على الرغم من اجتماع اللغويين والمجودين عليها- فإنها لا تحقق الهدفين معًا، فهي تصلح للتعرف على مخرج كل حرف، ولا تصلح للتعرف على صفات كل الحروف

المحققة، فهي تصلح مع الحروف الرخوة التي يجري معها الصوت بمجرد التصادم، وتصلح أيضًا مع الحروف المتوسطة التى يجرى فيها الصوت لا إراديًّا عقب احتباس ضئيل (لا يستطيع القارئ أن يتحكم فى زمنه)، ولكنها لا تصلح مع الحروف الشديدة التي يحتبس معها الصوت بمجرد التصادم (ويستطيع القارئ أن يتحكم فى زمنه)، وهذا ملاحظ بالتجربة، فلو أننا نطقنا بهمزة مفتوحة وبعدها باء ساكنة (اَبْ)، لسمعنا صوت الباء أولاً ثم يحتبس صوتها ثانيًا، في حين أن الباء الساكنة المفروض أن يحتبس صوتها رأسًا من بداية تصادم طرفي مخرجها،
ولذلك:

أَرى أنَّه من الأفضل للمعلم- في معرض الشرح والبيان للطالب- أن يقوم بالابتداء بالساكن رأْسًا، حتى تظهر الكيفية التى يخرج بها الحرف، من بداية التصادم فى المخرج، ويتأكد هذا الأَمر عند بيان مخارج الحروف الشديدة شدة كاملة(*).

أمَّا لماذا نسمع صوت الباء قبل احتباسه إذا قلنا (اَبْ)؟

الجواب:

لنطق حركة الفتح- التى قبل الباء الساكنة- يتصادم القارئ فى مخرج الهمزة(أقصى الحلق)، ثم يتباعد منه إلى الجوف لينطق بحركة فتح واحدة، ولا ينتهى كل هواء الجوف، ولذلك عندما يتصادم طرفا مخرج الباء يتشكل هواء الجوف بصوت الباء، فنسمع صوت الباء لحظة تصادم الطرفين، ثم يحتبس الصوت فتظهر صفة الشَّدَّة. **ونخرج من هذا بفائدتين**:

الفائدة الاولى:

أن الحركة قبل الحرف الشديد شدة تامَّة تمكننا من النطق به من دون قلقلة، فلو سكنت حرفاً من حروف القلقلة الخمسة (قطب جد)، وأتيت بهمزة متحركة قبل كل حرف، وقلت: أَق- أط – أب – أج – أد ، من دون قلقلة، لتبيَّن لك ماهية الحرف المنطوق، والفضل فى ذلك يرجع إلى حركة الفتح قبله، ولذلك:

فى همزة القطع – وهى حرف شديد مجهور – ولا يُقَلْقَلَ، إذا لم يأتِ قبلها حرف متحرك

(*) ما أشرنا إليه، ذكره الدكتور رمضان عبد التواب، في كتابه: المدخل إلى علم اللغة صـ٣٧، فقال:"الحرف الشديد، يجب الاحتراز من الإتيان قبله بهمزة وصل، لأن الصوت حينئذٍ لا يتحقق فيه الاستقلال، الذي هو أساس التجربة الصحيحة" انتهى بنصه.

يستحيل أن نسمع صوتها، فمثلاً :

(تَأْلمون) نسمع صوت الهمزة، أما فى نحو الوقف بالسكون على (دِفءْ) (السماءْ)، وما شابههما لا يُسمع صوت للهمزة، ونتعرف على وجودهما من السياق.

أما فائدة القلقلة : أنها لا تحدث سكتًا بين حرف القلقلة والحرف التالى له.

الفائدة الثانية:

الحركة قبل الساكن (واصلة)، فهى تمكننا من النطق بالساكن والحرف التالى له، ففى نحو: (أَنعَمتَ)، النون والميم ساكنتان، والحركة قبل النون مكنتنا من النطق بالنون ساكنة والانتقال منها إلى العين بعدها. والحركة قبل الميم مكنتنا من النطق بها ساكنة والانتقال منها إلى التاء بعدها، أَمَّا إن وقفنا على التاء انتفت فائدة الحركة، حيث لا حرف بعدها، ولذلك كان من القواعد العامة فى القرآن واللغة أننا:

فى حروف المبانى : لا نبدأ بحرف ساكن فلابد من جلب همزة وصل قبله متحركة بحركة من الحركات الثلاث، ولا نقف بحركة كاملة، والأصل فى الوقف السكون، وإذا توالى ساكنان– غير متماثلين فى كلمة واحدة– يمكننا النطق بهما بشرط أن نأتى حركة قبل الأول.

* * *وأحيانًا تكون الحركة قبل الساكن(فاصلة)، وسنعرف كيف ذلك عند كلامنا عن مخرج الجوف

* * يوجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة صـ٤٧ سؤال (١٤)، (١٥).

ثانياً:كيفية التعرف على مخرج الحرف المقدَّر: (مخرج حروف الجوف)

لكون حروف الجوف الثلاثة تخرج من مخرج متباعد الطرفين، فلا يصلح مخرجها لأن يعتمد القارئ عليه رأسًا في جذب الهواء من الرئتين، كما في الحروف المحققة التي تخرج بتصادم الطرفين، ولذلك: يتحتم أن يأتي قبلها حرف محقق متحرك بحركة مجانسة، يصطدم به القارئ أَوَّلاً ثم يتباعد عنه إلى الجوف.

فإذا أردنا التعرف على الواو: نأتى بحرف محقق ولابد أن يكون متحركًا بالفتح، نصطدم في مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف، زمن حركتي فتح، نحو ﴿قَالَ﴾ .

وإذا أردنا التعرف على الواو: نـأتى بحرف محقق، ولابد أن يكون متحركاً بالضم، نصطدم فى مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف، زمن حركتى ضم، نحو﴿يَقُولُ﴾ .

وإذا أردنا التعرف على الياء: نأتى بحرف محقق، ولابد أن يكون متحركاً بالكسر، نصطدم فى مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف، زمن حركتى كسر، نحو ﴿قِيلَ﴾.

*** * توجد إضافة هامة بكتاب الأسئلة ص٤٧، ٤٨ سؤال (١٧)، (١٨).**

وسنفرد لمخرج الجوف فصلاً مستقلاً نتناول فيه حروفه الثلاثة بالتفصيل من حيث كيفية خروج كل حرف، وعلاقة الحروف الثلاثة بالحركات الثلاث، مع جوانب أخرى.

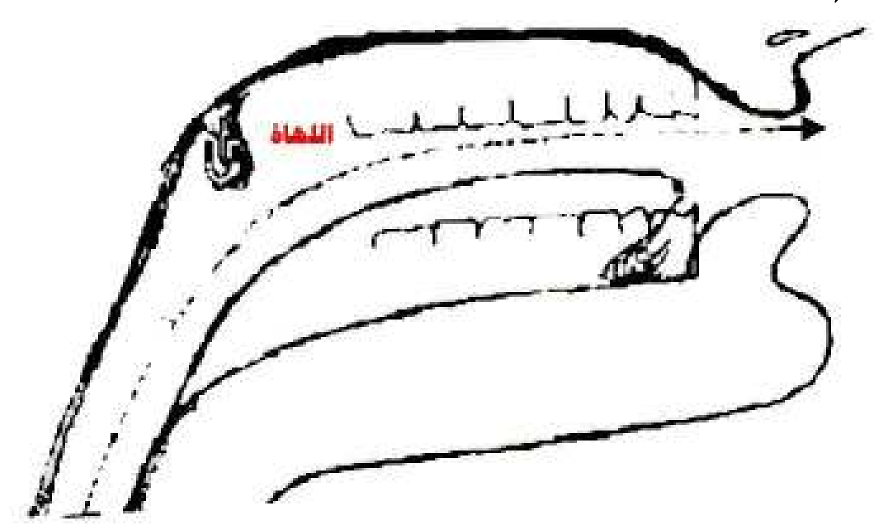
*　　　*　　　*

الفصل الرابع: الجوف

الجوف لغةً: الخلاء، أو الفراغ.

اصطلاحًا: الخلاء، أو الفراغ الواقع داخل الحلق والفم، وسماه البعض جو الفم والحلق.

جاء في "نهاية القول المفيد : " الجو في أصل اللغة: الفضاء ما بين السماء والأرض، فأطلق على الخلاء المذكور مجازًا، والجو والجوف كلاهما لغتان في الخلاء والفضاء".



مخرج الجوف داخل خلاء الفم والحلق

والسهم يشير إلى خروج الهواء من مجموع الفراغ الذي يملأ الحلق والفم، أو مجموع التجويفين الحلقي والفموي. فهذان الفراغان أو التجويفان يشكلان معًا مخرج الجوف، وليس الجوف هو ما أَسفل الحلق، أو هو الصدر، أو البطن، فلا توجد حروف تخرج من الصدر، أو من البطن.

*** * يوجد زيادة إِيضاح بكتاب الأسئلة ص٤٩ سؤال(٢).**

حروفه: ثلاثة، وهي التي يطلق عليها حروف المد واللين.

والجوف مخرج مقدر، تخرج حروفه بالتباعد، بكيفية الصوت الرخو الممدود، وصوتها مجهور، يخرج بقوة اعتماد عند دفع هواء الزفير ناحية الحبلين الصوتيين،

وتستمد جهرها من قوة اهتزاز الحبلين، وبسبب تباعد طرفي مخرجها لابد أن يأتي قبلها حرف محقق متحرك بحركة مجانسة، فيأتي قبل الألف فتح، وقبل الواو ضم، وقبل الياء كسر، ولكنْ لماذا؟

الجواب:

لأن الحركة غير المجانسة قبل حرف الجوف تفصله عن الحرف الذي قبله، وهذا يعني فقدانه للمعتمد الذي سيعتمد عليه القارئ أولاً، قبل التباعد إلى الجوف. فمثلاً: عندما يأتى قبل الواو الساكنة ضم نحو :﴿ يَقُولُ ﴾، يتخذ القارئ مخرج القاف معتمدًا، ومنه ينتقل مباشرة إلى الجوف، حيث مخرج الواو، فيمتد الصوت فيها مقدار حركتى ضم، فتخرج الواو المدية. أمَّا إن أتى قبل الواو فتح نحو: ﴿قَوْلٌ ﴾، فيعتمد القارئ على مخرج القاف، ثم يتباعد إلى الجوف، حيث مخرج الألف، لإخراج حركة الفتح، ثم لابد أن يعود ليصطدم فى مخرج الواو المحققة لإخراجها، فوجود حركة الفتح قبل الواو أفقدت القارئ مخرج الجوف، لأنها فصلت بين الواو والحرف الذى قبلها.

وكذلك في الياء الساكنة: فلو أتى قبلها حركة كسر نحو: ﴿قِيلَ ﴾، لانتقل القارئ من مخرج القاف إلى الجوف مباشرة حيث مخرج الياء، ويمتد الصوت فيها زمن حركتي كسر، فتخرج الياء المدية، أمَّا إن أتى قبل الياء فتح، نحو ﴿قُرَيْشٍ ﴾، فيعتمد القارئ على مخرج الراء، ثم يتباعد عنه إلى الجوف، حيث مخرج الألف، لإخراج حركة الفتح، ثم لابد أن يعود ليصطدم في مخرج الياء المحققة لإخراجها، فوجود حركة الفتح قبل الياء أفقدت القارئ مخرج الجوف؛ لأنها فصلت بين الياء والحرف الذى قبلها.

وهذا هو التنبيه الذي أشرنا إليه سابقًا من أن الحركة قبل الساكن قد تكون فاصلة.

ملاحظـــات:

١- حروف الجوف الثلاثة حروف مجهورة، فيجب على القارئ أن يحتفظ بقوة صوتهن، ولابد أن يكون جهره من بداية الحرف حتى نهايته مهما طال زمنه، ولا يبدأ الصوت مجهورًا قويًّا، وينتهي خفيًّا ضعيفًا.

٢- إذا وقف على كلمة تنتهي بحرف من الحروف الثلاثة فليحترز من أن يختم صوتها بهمزة، أو هاء، وكثيرًا ما يقع هذان الخطآن ممن يظن أن الجوف هو أسفل مخرج الحلق.

***حروف الجوف الثلاثة اشتركت في مخرج عام واحد، ولا ترتيب بينها، ولا انقسام؛ لأن ذلك إنما يكون في المخرج المحقق، دون المقدر لعدم وجود موضع محدد يبدأ منه صوت الحرف، وينتهي فيه.

ولذا: لا توجد بينهن علاقة تجانس، ولا توجد بينهن وبين غيرهن، من المخارج المحققة، علاقة تقارب، أو تباعد، ولا توجد علاقة تماثل بين الواو والياء الجوفيَّتين والواو والياء المحققتين، وإن اشتركا في الاسم والرسم؛ لأن الجوفيَّتين لا يمكن إخراجهما إلا بتباعد طرفي المخرج وامتداد الصوت فيهما، ولأن المحققتين لا يمكن إخراجهما إلا بتصادم طرفي المخرج، فلا يمكن أن يكونا مثلين لاختلافهما في المخرج، وشرط المثلين: أن يكون كل حرف عين الآخر، ولا يمكن ذلك إلا بأن يعتمد القارئ على ذات المخرج في الحرفين فيتكيَّفا بكيفية صوتية واحدة، وبمعنى آخر: أن يشترك الحرفان في المخرج وفي جميع الصفات.

تنبيه:

هناك من يقول : عند إخراج حرف من الجوف يمرُّ صوته على جميع مخارج الحلق واللسان والشفتين، مما يُنشئُ علاقة تقارب بين حروف الجوف وجميع مخارج الحلق واللسان والشفتين.

ونقول :

لا يمكن الحكم بوجود علاقة تقارب بين حرفين إلا بتحديد موضع كل منهما ومكانه بالضبط فى عضو النطق، لأن التقارب صفة لها ضد، هو (التباعد)، فإذا قلتُ إن هناك تقاربًا بين مخرجين أو حرفين، فكأنى أقول – فى اللحظة نفسها – ليست هناك تباعدٌ بينهما. وإثبات علاقة التقارب أو التباعد بين حرفين يستلزم تحديد موضع كل منهما بالضبط فى عضو النطق، فهل نستطيع نفى (التباعد) بين حروف الجوف وجميع مخارج الحلق واللسان والشفتين؟

الجواب : لا، لأن الجوف مخرج مقدر لا ينحصر الصوت فيه فى موضع معين، وكذلك لا يمكننا إثبات (التقارب) لذات السبب.

* * توجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة ص٤٩، ٥٠ سؤال (٦)، (٧).

ألقابهن:

قال الإمام ابن الجزري:

فَأَلِفُ الجَوْفِ وأُخْتَاها وَهِي حُروفُ مدٍّ للهواءِ تَنْتَهي

ولقد حملت الحروف الثلاثة ألقابًا عدة كل واحد منها فيه إيضاح وبيان لماهيتها وكيفية النطق بها.

فتسمى الحروف الجوفية:

لأن صوتها يمتد ويمر على كل جوف الفم والحلق، فليس لحروفها حيز محقق تنتهى إليه ويعاق صوتها فيه، كما كان لسائر الحروف.

وتسمى حروف المد واللين:

لأن الحرف المحقق مساوٍ لمخرجه لا يتجاوزه ولا يقل عنه، أما حروف الجوف فلا تأتى إلا من زيادة عن زمن حركة واحدة (والمد هو الزيادة)، ومعنى اللين، هنا: قابليتها للزيادة عن حركتين، فبسبب اتساع مخرجها وتباعد طرفيه يستطيع الذى يمد مدًّا طويلا أن يزيد عليه، وكذلك الذى يمد مدًّا قصيراً يستطيع أن يزيد عليه، فهى دائماً أقل من مخرجها.

وتسمى الحروف الهوائية:

لأن هواءها يملأ جوف الحلق والفم.

وتسمى الحروف الزّفيرية:

لأن صوتها ينتهي بانتهاء هواء الزفير، لا بانتهاء المخرج .

وتسمى حروف العلة:

لافتقارها إلى حرف محقق يأتي قبلها متحرك بحركة مجانسة لها، وأيضًا لما يعتريها من القلب، والإبدال، والإعلال، كما هو مقرر في علم الصرف.

وتسمى حروف المد الطبيعي:

لأن امتداد الصوت فيها يكون طبيعيًا بالسليقة، فكل من أراد أن ينطق كلمة مثل ﴿هُودٍ﴾، أو ﴿عِيسَى﴾، أو ﴿صَـٰلِحٌ﴾، يجد نفسه بالسليقة يمد الصوت في الواو من ﴿هُودٍ﴾، والياء والألف من ﴿عِيسَى﴾، والألف من ﴿صَـٰلِحٌ﴾.

وتسمى حروف مد الصيغة:

الكلمات: ما هى إلا صياغة قوالب لمعانٍ مقصودة، فإذا وجد فى الكلمة حرف، أو أكثر من حروف الجوف الثلاثة، فلا يكتمل بنيان الكلمة وصيغتها، أى المعنى المراد منها؛ إلا بامتداد الصوت فى حرف الجوف بمقدار حركتين.

وتسمى حروف المد الذاتي:

لأن ذات الحرف لا توجد إلا بامتداد الصوت فيه، وتعدم مع عدم امتداد الصوت فيه، وزمن الامتداد لا يقل عن حركتين أي حركتي فتح في الألف، وحركتي ضم في الواو، وحركتي كسر في الياء.

* * توجد إضافة هامة بكتاب الأسئلة ص٥١ سؤال (٩).

وسنتناول كيفية إخراج الحروف الثلاثة بالشرح والتفصيل:

(حرف الألف)

عند قولنا (بَا)، نجد أن الصوت اعتمد على مخرج الباء وهو مخرج محقق حيث التقى طرفاه (باطن الشفة العليا بباطن الشفة السفلى)، ثم تباعد الطرفان، فاعتمد الصوت على الخلاء أو الجوف، فولدت الألف، دون أن يعاق صوتها في موضع داخل الفم والحلق، وليس للألف عضو نطق يشارك الجوف، وكما تم النطق بـ (بَا)، يتم النطق بجميع الألفات التي تأتي بعد حروف الهجاء جميعًا. فلابد من تصادم بين طرفي مخرج حرف محقق سابق للألف، ثم تباعد عنه إلى الجوف.

فكيف يتباعد الصوت إلى الجوف لإخراج الألف؟

إجادة النطق بالألف تتم بضبط مخرج الحرف المحقق الذي يسبق الألف، وضبط التباعد عنه بالمحافظة على تصعُّد الصوت إلى أعلى، في اتجاه الجوف الموازي له، وتصعد الصوت إلى الجوف الموازى عملية ذهنية، الهدف منها تثبيت أقصى اللسان على الوضع المتباعد عنه، فتتبع الألف ما قبلها تفخيماً وترقيقاً.
فمثلا:

إذا كان المخرج المتباعد عنه هو مخرج القاف، كما فى نحو ﴿قَالَ ﴾، فيكون تصعد الصوت فى اتجاه يوازى مخرج القاف من غار الحنك الأعلى، فيساعد ذلك القارئ على تثبيت وضع أقصى اللسان، فتتبع الألف القاف فى تفخيمها.

وإذا كان المخرج المتباعد عنه هو مخرج العين، كما فى نحو ﴿عَادٌ﴾، فيكون تصعد الصوت فى اتجاه يوازى مخرج العين من فراغ الحلق، فيساعد ذلك القارئ على تثبيت وضع أقصى اللسان، فتتبع الألف العين فى ترقيقها.

وهكذا فى كل نظير، يكون تصعد الصوت فى الألف فى اتجاه الجوف أو الفراغ الموازى لمخرج الحرف المتباعد عنه، على أن يحافظ القارئ على وضع أقصى اللسان فتتبع الألف ما قبلها فى تفخيمه وترقيقه؛ على أن يستمر هذا التصعّد زمنًا يساوي زمن فتحتين.

وهذا معنى ما قاله الإمام ابن الجزري في التمهيد، حيث قال موضحًا معنى الفتح: (هو النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة، وحدُّه أن يؤتى بها على مقدار تصعُّد الصوت، ومثاله ﴿ قَالَ ﴾، تركب صوت الألف على فتحة القاف، وهي فتحة خالصة لاحظَّ للكسر فيها، معترضة على مخرج القاف اعتراضًا)، انتهى.

الثمرات المستفادة: وعَدَدُها ثماني ثمرات.

الثمرة الأولى:

الألف حرف هجاء يولد باعتماد الصوت على مخرج الجوف زمن حركتي فتح، وحركة الفتح الواحدة زمنها يساوي نصف زمن الألف، ويمكنك معرفة زمن الفتحة الواحدة بنطقك لحرف مفتوح بعده هاء ساكنة تسمى (هاء سكت)، نحو بَه – مَه .. إلخ. والألف أصل حركة الفتح، والفتحة بنت الألف، أي تُستمدُّ الفتحة من الألف، لأنها جزء منها، ولهذا يطلق النحويون القدامى على حركة الفتح : الألف القصيرة، ونستطيع بهذا المقياس التعرف على صوت الفتحة الفصيحة، وهي أنك إذا مددت صوتها خرجت ألفًا فصيحة.

الثمرة الثانية:

الألف حرف مد ولين دائمًا، فليس لها مخرج آخر غير الجوف، ولأنها تخرج بتصعد الصوت من دون أن يشارك الجوف عضو يمكن أن ينحصر صوتها فيه، كانت أكثر حروف الجوف الثلاثة سهولة، وسهولتها تجعل ضبطها يحتاج إلى شديد العناية؛ بحيث يتمكن القارئ من الجوف الموازي لمخرج الحرف السابق للألف، أو بمعنى آخر: من ضبط تبعية الألف للحرف السابق لها فى درجة تفخيمه وترقيقه، وما يتم به إجادة النطق بالألف يتم به إجادة النطق بالحرف المفتوح، ولا فرق بينهما إلا في أن زمن تصعد الصوت في الألف يساوي ضعف زمن تصعد الصوت في الحرف المفتوح، فعند النطق بكلمة نحو: ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾، يتم النطق بالتاء الأولى المفتوحة بالتصادم في مخرج التاء والتباعد عنه متصعدًا بالصوت إلى الجوف الموازي زمن حركة فتح واحدة، وعند النطق بالتاء الثانية لابد من العودة إلى التصادم في مخرج التاء ثم التباعد عنه متصعدًا بالصوت إلى الجوف الموازي زمن حركة فتح واحدة. وعند النطق بالجيم يتم التصادم في مخرج الجيم ثم التباعد عنه متصعدًا بالصوت إلى الجوف الموازي زمن حركتي فتح للنطق

بالألف التي تليها (جَا)، وعند النطق بحرف الفاء لابد من التصادم في مخرج الفاء والتباعد عنه متصعدًا بالصوت إلى الجوف الموازي زمن حركتي فتح للنطق بالألف التي تليها (فَا).

وهكذا في كل ألف، أو حرف متحرك بالفتح.

وننبه إلى:

أن تصعد الصوت غير استعلاء الصوت. فتصعد الصوت: آلية تصاحب إخراج الألف، سواء أكان ما قبلها حرفًا مستعليًا، نحو ﴿طَآئِرُهُۥ﴾، أم مستفلا نحو ﴿تَبَّتْ﴾، وتصاحب إخراج الحرف المفتوح سواء أكان حرفًا مستعليًا أو مستفلا كما في نحو: ﴿ظَلَمَ﴾، فالظاء مستعلية، واللام والميم مستفلتان.

أما استعلاء الصوت: فنتيجة لاعتماد الصوت على مخرج يصاحبه استعلاء أقصى اللسان بالإرادة، وثمرته التفخيم، فالتصعّد يكون في التباعد للحركة، أمَّا الاستعلاء فيكون في المخرج.

الثمرة الثالثة:

الحرف المتحرك مخرجه محقق لأنه لابد من أن يتصادم طرفاه أولاً، ثم يتباعدان، فيعتمد الصوت على الجوف من أجل الحركة، ولكون الألف ليس لها عضو يمكن أن يتصادم طرفاه، لم تأت متحركة أبدًا، ولأنها ليس لها مخرج آخر غير الجوف، فلم تأت إلا بشرط الاعتماد على الجوف، وهو أن تكون ساكنة وما قبلها مفتوح، فلا يوجد في اللغة ألف قبلها كسر أو ضم؛ لأن فقدانها مجانسة الحركة معناه عمليًّا: احتياجها إلى أن يكون لها مخرج محقق يتصادم طرفاه؛وحيث إنها ليس لها عضو يمكن أن يتصادم طرفاه، كما للواو والياء، فلم تأت إلا وقبلها مفتوح، لاستحالة النطق بها إن أتى قبلها كسر أو ضم.

وينبني على ذلك:

في عدِّ مخارج الحروف وعدِّ الحروف الهجائية الألف حرف مستقل عن الهمزة، له مخرج مقدر وهو الجوف، واستعارة اسم الألف وصورتها للهمزة سواء أكانت همزة قطع، في نحو: ﴿أَلْسِنَتِكُمْ﴾، أم همزة وصل مبتدأ بها نحو ﴿ٱرْتَضَىٰ﴾، إنَّما ذلك على سبيل المجاز لا الحقيقة، فهناك فروق بين ألف الجوف، وهمزة الوصل، وهمزة القطع:

فألف الجوف: دائمًا ساكنة، لابد أن يأتي قبلها حرف مفتوح، ولا يبتدأ بها.

وهمزة الوصل: همزة عارضة وحركتها عارضة، يؤتى بها للابتداء بكلمة سكن أولها، تسقط في درج الكلام، أي وصله وتثبت عند الابتداء، ومخرجها حينئذ أقصى الحلق حيث مخرج الهمزة، وتتحرك بالحركات الثلاث.

همزة القطع: همزة أصلية، وحركتها أصلية، تأتي في أول الكلمة، نحو: ﴿أَلْسِنَتِكُمْ﴾، وتأتي في وسطها، نحو: ﴿تَأْلَمُونَ﴾، وتأتي في آخرها، نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، وتأتي ساكنة، وتأتي متحركة بالحركات الثلاث، ولم تأت مشدَّدة فى القرآن.

الثمرة الرابعة:

عند نطق الألفات اللاحقة لحرف من حروف الهجاء، سواء كان من حروف الاستعلاء المطبقة، نحو: ﴿طَآئِرٍ﴾، ﴿صَٰلِحٌ﴾، ﴿ضَآلًّا﴾، ﴿ظَٰلِمٌ﴾، أو من حروف الاستعلاء المنفتحة، نحو: ﴿قَالَ﴾، ﴿خَابَ﴾، ﴿غَآئِبِينَ﴾، أو من حروف الاستفال المرققة دائمًا، نحو: ﴿مَالَ﴾، ﴿سَآئِلٌ﴾، أو من حروف الاستفال المفخمة أحيانًا، نحو: ﴿مِرَآءً﴾، ﴿ٱللَّهِ﴾.

نجد أن الألف تتبع ما قبلها في تفخيمه وترقيقه، فإن أتى قبلها حرف مفخم فخمت، وإن أتى قبلها حرف مرقق رققت، وتتبع المفخم في درجة تفخيمه فتخرج بتفخيم زائد مع الحروف المستعلية المطبقة ويقل تفخيمها مع الحروف المستعلية المنفتحة، والسبب: عند تصعد الصوت إلى أعلى فأن هواء الجوف يتأثر تأثرًا مباشرًا بوضع اللسان داخل الفم.

فهل توصف الألف بتفخيم أو بترقيق؟

تبعية الألف لما قبلها معناه عمليًا: أن القارئ عند النطق بالألف يحتفظ باستعلاء أقصى اللسان الخاص بالحرف السابق لها، وتتأثر درجة الاستعلاء تبعًا لصفتى الإطباق والانفتاح الخاصتين بالحرف السابق لها، وكذلك يحتفظ باستفال أقصى اللسان وانفتاح الصوت الخاصين بالحرف السابق لها. فكل من: الاستعلاء أو الاستفال، والإطباق أو الانفتاح المصاحب للألف ليس سببه الألف بل مخرج الحرف السابق لها؛ فليس للألف عضو يختص بها يشارك الجوف يمكن أن تخرج منه حروف توصف باستعلاء، أو استفال، أو إطباق، أو انفتاح، وبالتالي: فكل ما يترتب على تلك الصفات من تفخيم أو ترقيق لا توصف به الألف، بل يوصف به الحرف السابق لها.

والخلاصة:

لا توصف الألف باستعلاء ولا استفال ولا إطباق ولا انفتاح وبالتالي: لا توصف بتفخيم ولا بترقيق.



الشكل الأول (١)

حرف من حروف الاستعلاء، نحو:

﴿طَآئِرٍ﴾، ﴿قَالَ﴾،



الشكل الثاني (٢)

شكل اللسان عند النطق بالألف التى قبلها حرف من حروف الاستفال المرققة. نحو:

﴿شَآءَ﴾، ﴿عَادٌ﴾.

ونلاحظ:

١- أن وضع اللسان لا يحول دون خروج الهواء الحامل للصوت من الحنجرة حتى الشفتين، ولا يجد الصوت أمامه جزءًا من أجزاء الفم والحلق يمكن أن يعتمد عليه، أو يعاق فيه.

٢- أن الفكَّين مبتعدان عن بعضهما ونهاية طرف اللسان مرتكزة على اللثة والأسنان السفلى.

٣- أن أقصى اللسان مرتفع كثيرًا إلى أعلى في الشكل الأول (الحروف المستعلية)، مع العلم بأن هذا الارتفاع يزيد مع الحروف المطبقة ويقل مع المنفتحة. ونلاحظ انخفاض أقصى اللسان فى الشكل الثاني (الحروف المستفلة)، مع العلم بأن هذا الانخفاض غير متساوٍ في كل الحروف بحسب مخرج الحرف المتباعد عنه إلى الجوف لإخراج الألف.

الثمرة الخامسة:

تبعية الألف لما قبلها دليل على أن الألف وحركة الفتح لا يخرجان بفتح الفك وإنما بتصعُّد الصوت من موضع سكون الحرف السابق لها إلى الجوف الموازي، فكل إعمال القارئ عند النطق بالألف يكون على ضبط المخرج المتباعد عنه وليس على التباعد بين فكيه، ولأن الجوف هو فراغ الفم، فلابد أن يكون اللسان كله فى تباعد تام عن غار الحنك، ولابد أن يكون الفك السفلى متباعداً عن الفك العلوى، فالتباعد بين الفكين ضرورى فى الأحرف الثلاثة، ولا تختص به الألف.

وبالنسبة للألف: فغالبية الحروف يتم التباعد عنها والفم محتفظ بشكل السكون، بمعنى أن المسافة بين الفكين تكون واحدة عند النطق بالحرف ساكنًا أو متحركًا بالفتح، وضابط هذا الأمر هو مخرج الحرف المتباعد عنه، فهناك حروف عند النطق بها ساكنة يتباعد الفكان نحو قولنا: (أَكْ)، (أَقْ)، (أَءْ)، (أَعْ)، (أَخْ). وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

فعلى القارئ أن يحافظ على عدم اتساع المسافة بين الفكين عند النطق بالفتح، والألف، فعلى وضع النطق بهذه الحروف وأمثالها ساكنة، يكون النطق بها مفتوحة فقط، أو مفتوحة وبعدها ألف، نحو: أَكْ (كاَ)، أَقْ (قَا)، أعْ (عَا) وهكذا.

وهناك حروف عند النطق بها ساكنة يقترب الفكَّان، نحو قولنا: (أَشْ)، (أَسْ)، (أَجْ). (أَفْ)، (أَبْ)، (أَمْ)... وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

فينبغى على القارئ عند النطق بحرفٍ منها أن يترك تصعّد الصوت – عند التباعد إلى الجوف – يحدد شكل ومقدار التباعد بين الفكين، وبالطبع سيجد أن الفكين يتباعدان بصورة تلقائية غير مبالغ فيها بمجرد اعتماد الصوت على الجوف لإخراج الفتحة أو الألف، نحو: أَشْ (شَا)، أَمْ (مَا)، وهكذا.

* * * إذا ضبطت مقدار التباعد بين الفكين فى (الألف والواو والياء)، على المقدار الذى تتباعد فيه عند قولك (أَ ءْ)، كان هذا التباعد طبيعياً وغير مبالغ فيه.

الثمرة السادسة:

الألف المفخمة تذكر ضمن الحروف الفرعية المختلف فيها، فمن العلماء من يرى أنها حرف فرعي ومنهم من يرى أنها حرف أصلي، ويقول من يرى فرعيتها:

الألف التابعة لحرف مفخم هي ألف يخالط لفظها تفخيم يقرِّبها من لفظ الواو، تشبيهًا لها بالألف الممالة التي يخالط لفظها ترقيق يقرِّبها من لفظ الياء، فهي متردِّدة بين الألف الأصلية والواو.

ويقول من يرى أنها حرف أصلي:

التفخيم ثمرة استعلاء أقصى اللسان، والقول بأن الألف المفخمة حرف فرعي لترددها بين الألف الأصلية والواو، يستلزم مصاحبة ضم الشفتين. وهذا العمل لحن يجب اجتنابه لأنه يعني عمليًا: إغفال صفة الاستعلاء، وإغفال قاعدةِ تبعيةِ الألف لما قبلها تفخيمًا وترقيقًا، مع ضم الشفتين حيث يجب فتحهما.

ولا شبه بين الألف الممالة والألف المفخمة لاختلاف حقيقة الاثنتين؛ فالتفخيم ثمرة صفة الاستعلاء، وهذه الثمرة تحدث مع كل حرف يستعلي القارئ بأقصى اللسان عند النطق به بقصد إرادة التفخيم سواء أكان هذا الحرف ألفًا أم غيرها، أما الإمالة فهي أن تنحو بالألف ناحية الياء، وتأتى الإمالة فى الألف المفخمة، كما في نحو : ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾، وتأتى الإمالة فى الألف المرققة، كما في نحو: ﴿عِيسَىٰ﴾.

وما قيل عن الألف المفخمة يقال عن اللام المفخمة أو المغلظة، والتفخيم والتغليظ بمعنى

واحد. وذلك في لام لفظ الجلالة بشرطها، وهي أن تكون بعد فتح، نحو: ﴿ أَرَادَ ٱللَّهُ ﴾، أو بعد ضم نحو ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ ﴾، ولامات ورش، أي فيما صحت به الرواية عن ورش من طـريق الأزرق عن الإمـام نافـع المدنـي، نحو :﴿ٱلصَّلَوٰةُ ﴾، ﴿ مُصَلًّى ﴾،﴿ٱلطَّلَٰقَ ﴾، ﴿بِظَلَّٰمٍ ﴾، وما أشبه ذلك من كل لام مفتوحة وقعت بعد صاد أوطاء أو ظاء، سكنت، أو فتحت، وهذه لغة فاشية عند أهل الحجاز.

فرأى البعض أن اللام المغلظة حرف فرعي يتردد بين اللام والواو، ورد عليهم المعارضون بأن التفخيم يتأتى باستعلاء أقصى اللسان، وليس بمشاركة ضم الشفتين لمخرج اللام.

والخلاصـــة:

غاية الأمر: أن اللام المغلظة والألف المفخمة حرفان أصليان ولا علاقة لهما بالفرعية، وكونهما ذَوَي حالتين مختلفتين أي حالة تفخيم وحالة ترقيق غير كونهما خارجتين من بين مخرجين في حالة واحدة، فليس فيهما شائبة حرف آخر ولم يتردَّدا بين مخرجين .

* * * ارجع إلى (الحروف الأصلية والحروف الفرعية) نهاية الفصل الأول من الباب الثالث – فى هذا المجلد.

الثمرة السابعة:

للألف ثلاثة أصوات كلها فصيحة نزل القرآن بها وجاءت في القراءات المتواترة، وهي من فصيح كلام العرب وهي:

الألف المحضة:

وهي التي تخرج بتصعد الصوت إلى أعلى. ولها مسميات أخرى عند علماء التجويد القدامى فيطلقون عليها:

١- الفتح: لما يصاحبها من تصعد الصوت إلى أعلى، فلا يخالطها صوت الياء.

٢- الفَغْر: بفتح الفاء وسكون الغين، من قولهم فغر فاه أي فتحه، لما يصاحبها من فتح المخرج، والفم .

٣- التفخيم: ولا يقصدون أن الألف مفخمة، ولكن أنها فتحة محضة غير ممالة، أى ليس فيها شائبة الكسر أو الياء، فيسمون الألف المحضة بالألف المفخمة؛ لأن الإمالة تؤدى إلى نحول صوت الألف، وترقيقها.

الإمالة المحضة:

معنى الإمالة في اللغة: الإحناء، من أمال فلان ظهره، إذا أحناه، وهي ضد الاستقامة والفتح، ولها مسميات أخرى، فيقال لها: الإمالة الكبرى – الإضجاع – البطح.

والعبارة المشهورة (الإمالة الكبرى).

معنى الإمالة الكبرى في الاصطلاح: أن تنحو بالفتحة أو بالألف ناحية الكسر أو الياء كثيرًا، ولذلك لابد أن يسمع فى الألف (صوت الياء).

وعبَّر بعضهم عنها بقوله: أن تنطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر، ويمكنك التدريب على الإمالة، بأن تأتى بحرف مكسور تتجه بكسرته نحو الفتح، كنحو الراء فى كلمة (المغْرِب)، فإذا مددت كسرة الراء المتجه بها إلى الفتح، تسمع صوت الألف الممالة.

الإمالة بين اللفظين:

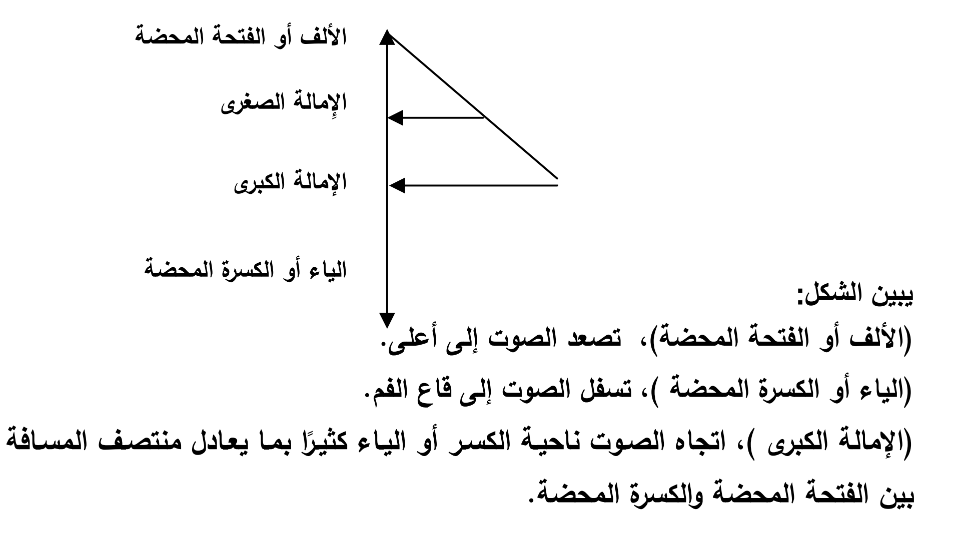
أي بين الفتح والإمالة المحضة، ولها مسميات أخرى، فيقال:

الإمالة الصغرى – التقليل – التلطيف – بين بين.

والعبارة المشهورة (التقليل).

ومعناها: أن تنحو بالفتحة أو الألف ناحية الكسر أو الياء قليلاً.

وعبَّر عنها بعضهم بقوله: أن تنطق بالألف بحالة بين الفتح المحض والإمالة المحضة.



يبين الشكل:

(الألف أو الفتحة المحضة)، تصعد الصوت إلى أعلى.

(الياء أو الكسرة المحضة)، تسفل الصوت إلى قاع الفم.

(الإمالة الكبرى)، اتجاه الصوت ناحية الكسر أو الياء كثيرًا بما يعادل منتصف المسافة بين الفتحة المحضة والكسرة المحضة.

(الإمالة الصغرى)، اتجاه الصوت ناحية الكسر أو الياء قليلاً بما يعادل منتصف المسافة بين الفتحة المحضة والإمالة الكبرى.

فنسبة الألف مع الإمالة الصغرى أكبر من نسبتها مع الإمالة الكبرى.

ولا يمكن ضبط الأصوات الأربعة إلا بالتلقي والمشافهة.

وعلى قدر اتجاه صوت الأَلف إلى الكسر أو الياء، يترك اللسان وضع النطق بالأَلف إلى وضع النطق بالياء.

ملاحظات:

١- فى الإمالة الكبرى لابد أن يسمع فى الألف صوت الياء، أمَّا فى التقليل فلا يسمع فى الألف (صوت الياء)، وإنما يزداد ترقيق الألف جدًّا، فإذا كان قبل الألف المقللة حرف مطبق، كما فى نحو: ﴿وَقَضَىٰ﴾، فقد إطباقه وصار منفتحًا، وإن كان قبلها حرف مستعلٍ منفتح، كما فى نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾، زاد انفتاحه ولكن لا تقلب القاف كافًا، وإذا كان قبل الألف حرف مستفل، نحو: ﴿مُوسَىٰ﴾، ترققت الألف جدًّا.

٢- إذا انفرد لفظ (الإمالة)، فالمراد به الكبرى أو المحضة؛ والفتح والإمالة بنوعيها لغتان مشهورتان على ألسنة العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة الحجازيين، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، ومازالت موجودة إلى العصر الحالي في لهجات أهل دمشق والشام.

٣- فائدة الإمالة : سهولة اللفظ، وذلك لأن الصوت يتصعّد مع الفتح، وينحدر مع الإمالة، والانحدار أخف من (التصعد).

٤- أسباب الإمالة: ثمانية، مبسوطة في كتب القراءات، وكلها ترجع إلى أمرين: الكسر أو الياء.

٥- الفتح، والإمالة الكبرى والصغرى، خلاف رواية مبني على النقل الصحيح المتواتر، والقراء فيها على أقسام:

منهم من لم يمل شيئًا، وهو ابن كثير، ومنهم من يميل، وهم قسمان:

مُقِل، وَهُمْ: قالون – ابن عامر – عاصم – أبو جعفر – يعقوب.

ومُكْثِر، وهم الباقون.

وأصل قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر (الإمالة الكبرى).

وأصل قراءة نافع برواية ورش (الإمالة الصغرى)، أما الإمام أبو عمرو فهو متردد بين (الإمالة الكبرى والإمالة الصغرى) .

وأمال حمزة والكسائي وخلف العاشر وأبو عمرو (إمالة كبرى)، كلَّ ألف بعد راء في فعل، نحو: ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾، ﴿أَرَىٰ﴾، ﴿يَرَىٰ﴾، ﴿نَتَمَارَىٰ﴾، ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ .

أو اسم للتأنيث، نحو: ﴿بُشۡرَىٰ﴾، ﴿ذِكۡرَىٰ﴾، ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾، ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، ﴿أُسَٰرَىٰ﴾، ووافقهم حفص في إمالة ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ في سورة هود آية: ٤١ ولم يمل في القرآن العظيم غيرها. وأشار الإمام الشاطبي إلى ذلك بقوله:

وَمَا بَعْدَ رَاءٍ شَاعَ حُكْمًا وَحَفْصُهُمْ يُوَالِي بِمَجْراها وَفِي هُودَ أُنْزِلا

ورمز حمزة والكسائي وخلف الشين من (شاع)، وَرَمْز أبى عمرو، الحاء من (حكما). وتوضع نقطة خالية الوسط معينة الشكل (معين هندسى)، مفرغ الوسط (رأسه إلى أعلى)، تحت الراء في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾ آية: ٤١ سورة هود، وهي علامة ضبط تدل على الإمالة الكبرى، ومن مقتضيات الإمالة ترقيق الراء.

وقال صاحب هداية القارئ:

(أما بالنسبة لطالب التجويد فالذي يعنيه من الإمالة أن يعرف أن المراد من إمالة الفتحة هو فتحة الراء في كلمة ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾، والمراد بإمالة الألف الألف التي بعد الراء في نفس الكلمة، وعليه: فتكون فتحة الراء ليست فتحة خالصة، ولا كسرة خالصة أيضًا، وكذلك الألف التي بعد الراء ليست ألفًا خالصة، ولا ياء خالصة كذلك؛ ولهذا عُرِّيت الراء من الحركة في المصحف، واكتفى بوضع (معين خالي الوسط) تحت الراء علامة على الإمالة، أمَّا كيفية الإمالة في كلمة ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ ونحوها في الأداء فيتوقف على المشافهة والسماع من أفواه الشيوخ المحققين الآخذين من أمثالهم) انتهى بتصرف.

وفي المصاحف المضبوطة على رواية ورش: توضع نقطة سوداء مسدودة الوسط تحت الحرف علامة الإمالة الصغرى.

٦- من القواعد المتفق عليها بين القراء أنه:

كل ما أميل كبرى أو صغرى وصلاً فالوقف عليه كذلك بلا خلاف، إلا ما أميل من أجل كسرة متطرفة بعد الألف، نحو: ﴿ٱلدَّارِ﴾ ﴿ٱلْحِمَارِ﴾ ﴿هَارٍ﴾ ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

فاختلف فيه: فذهب قوم إلى الفتح اعتدادًا بالعارض لزوال الكسرة بالسكون، وذهب الجمهور إلى الوقف بالإمالة كالوصل، وهو الذي عليه العمل، وبه قرأنا.

٧- الألف الممالة- بنوعيها- حرف فرعي:

وهي ألف بين الألف والياء، لا هي ألف خالصة ولا ياء خالصة، وإنما هي ألف قربت من لفظ الياء لعلل أوجبت ذلك، فهي متولدة من الألف المحضة والياء المحضة. وكذلك الفتحة الممالة حركة فرعية، وهي فتحة بين الفتح والكسر، لا هي فتحة خالصة ولا كسرة خالصة، وإنما هي فتحة قربت من لفظ الكسرة.

الثمرة الثامنة:

لا إمالة صغرى ولا كبرى إلا في الألف أو الفتحة، فإطلاق لفظ الإمالة على الراء في نحو ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾، أو النون في نحو ﴿ٱلنَّارَ﴾، أو السين في نحو ﴿مُوسَىٰ﴾، وغيرها؛ هو على سبيل التقريب لا التحقيق؛ لأن الحرف المحقق المخرج لا يمال بحال ولا يمال من الحروف المقدّرة المخرج إلا الألف، وبالتالي الفتحة أيضًا؛ لأن الألف هي الحرف المقدَّر الوحيد الذي ليس له عضو، فأمكننا ذلك من التلاعب في اتجاه الهواء الحامل للصوت.

فكل حرف مفتوح وبعده ألف أو مفتوح فقط لا تختلف طريقة التصادم في مخرجه سواء كانت ألفه أو فتحته خالصة أو مقللة أو ممالة وإنما الخلاف في طريقة التباعد عنه (أي في اتجاه الهواء الحامل للصوت عند التباعد).

فإن كان متصعدًا إلى أعلى تمامًا خرجت ألفه أو فتحته محضة، وإن اتجه ناحية الكسر قليلاً خرجت ألفه أو فتحته مقللة (إمالة صغرى)، وإن اتجه ناحية الكسر كثيرًا خرجت ألفه أو فتحته ممالة (إمالة كبرى)، ويتأثر وضع اللسان داخل الفم بالأوضاع الثلاثة.

(حرف الواو)

ذكر علماء التجويد أن المخرج أو الحيز الذي يعتمد عليه الصوت لإخراج الواو هو استدارة الشفتين أي انضمامهما مع جعل فرجة بينهما (أي فتحة فى الوسط يمر منها الصوت).

وحرف الواو له مخرجان: أحدهما محقق (يدرس مع مخرج الشفتين)، والآخر مقدَّر (يدرس مع مخرج الجوف).

فإذا انضمت الشفتان وضاقت الفرجة بينهما خرجت الواو المحققة، أمَّا إن انضمت الشفتان واتسعت الفرجة بينهما خرجت الواو الجوفية المقدَّرة.

وهذا معنى ما قاله صاحب نهاية القول المفيد، حيث قال:

(انضمامهما في الواو المدية أي الجوفية أقل من انضمامهما في الواو غير المدية أي المحققة. فأصل الواو المدية مخرج الجوف، وأصل الواو غير المدية مخرج الشفتين).

واعتماد الواو على عضو من أعضاء النطق وهو الشفتان، جعل لها أحوالاً عدة: فتأتي ساكنة وتأتي متحركة:

فإن أتت ساكنة: فإما أن يأتي ما قبلها متحركًا بالضم، نحو ﴿يَقُولُ﴾.

وإما أَن يأتي ما قبلها متحركًا بالفتح، نحو ﴿قَوْلٌ﴾.

أما الواو الساكنة المكسور ما قبلها فلم تأتِ في اللغة، ولهذا انحصرت أحوال الواو الساكنة في حالتين:

أن تكون ساكنة وقبلها مضموم.

أو ساكنة وقبلها مفتوح.

أولاً: الواو الساكنة المضموم ما قبلها:

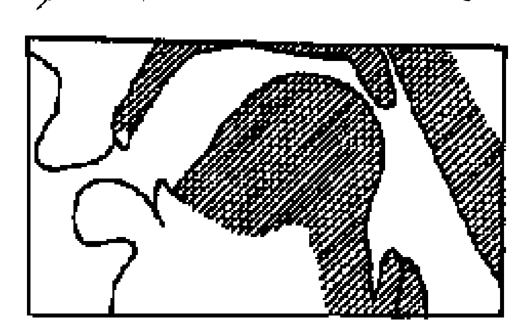
توافر لها شرط اعتماد الصوت على الجوف وهو مجانسة الحركة، ولذلك كانت جوفية مقدَّرة المخرج.

كيف يتم اعتماد الصوت على الجوف لإخراج الواو المقدَّرة؟

عند قولنا ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾:

ننطق الواو الساكنة بعد الباء المضمومة بتصادم طرفي مخرج الباء (باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا)، ثم يتباعد الطرفان وبمصاحبة ضم الشفتين يمتد الصوت في الجوف زمنًا يساوي زمن ضمتين بُ بُ.

فالصوت يعتمد على الجوف مع مشاركة الشفتين، حتى يتشكل هواء الجوف بصوت الواو؛ لذلك نقول اختصاراً: تخرج الواو الجوفية من(جوف الشفتين) وهكذا يتم النطق بجميع الواوات الساكنة وقبلها مضموم، نحو: ﴿يَعْلَمُونَ ﴾..... ﴿يَقُولُونَ ﴾.........





وضع اللسان والشفتين أثناء النطق بالواو الجوفية

والملاحظ:

١- الشفتان مستديرتان، مع وجود فتحة في الوسط.

٢- الفكان مبتعدان، لعمل تجويف وراء الشفتين ، يمتد من الحنجرة حتى فتحة الشفتين (جوف الشفتين).

٣- طرف اللسان متأخر إلى الوراء، ممسوك عند أصول الثنايا والأسنان السفلى، في حين أن مؤخرة اللسان مرتفعة إلى أعلى في اتجاه سقف الحنك الرخو واللهاة من دون أن تلتصق بهما، مع ملاحظة أن هذا الارتفاع لا إرادى، فلا أثر له على تفخيم الواو.

ولإجادة النطق بالواو الجوفية: لابد من ضبط مخرج الحرف المحقق الذي يسبق الواو، مع ضبط التباعد عنه، بالمحافظة على تطبيق الملاحظات الثلاث التي أشرنا إليها آنفًا، بالمحافظة على انضمام الشفتين واتجاه الصوت ناحية الجوف أو الخلاء المتصل بهما (أي بين مخرج الحرف المحقق السابق للواو وبين جوف الشفتين)، مع مراعاة أن يكون وضع الفرجة بين الشفتين المضمومتين يسمح بامتداد الصوت في سلاسة وخفة، ويساعد على ذلك أن يكون مقدم اللسان ممسوكًا عند أصول الأسنان السفلى حتى لا يرتفع ويكون عائقًا أمام اعتماد الصوت على جوف الشفتين .

وما ينبغي التنبيه عليه أنه:

إذا تكررت الواو: وكانت الأولى مضمومة والثانية ساكنة، كان معتمد القارئ قبل التباعد إلى جوف الشفتين مخرج الواو المحققة، فوجب بيان الاثنتين لثقل الواوين مع ثقل الضمة، وذلك نحو: ﴿ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم ﴾ ﴿ يَسْتَوُونَ ﴾، وإذا تكررت الواو وكانت الأولى ساكنة قبلها ضمة، وجب بيانهما لئلا تدغم الأولى في الثانية، وذلك نحو: ﴿ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ ﴿ اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾.

* * * وخطأ الإدغام يأتى من اعتماد القارئ على مخرج الواو المحققة والنطق بواوين الأولى ساكنة والثانية متحركة، وهو ما يعرف بالتشديد، وحينئذ يذهب حرف المد أى يذهب مخرج الجوف، وهذا العمل يخل بمبنى الكلمة وصيغتها فيختل المعنى.

ثانياً : الواو الساكنة المفتوح ما قبلها:

بفقدها مجانسة الحركة لم يتوافر لها شرط اعتماد الصوت على الجوف، ولذا: كانت محققة المخرج تخرج بتصادم الطرفين، فعند قولنا: ﴿مَوْت ﴾﴿قَوْلٌ ﴾ نجد أن الصوت اعتمد على مخرج الواو مباشرة، واستمر هذا الاعتماد زمنًا لا علاقة له بالحركات، وإنما يضبط بالمشافهة مثل غيرهما من الحروف الرخوة الساكنة الصحيحة، مع ملاحظة أن يكون تصادم طرفى المخرج متمكنًا لدرجة كافية لحصر الصوت في الشفتين حائلاً دون اتصاله بالجوف.

ثالثاً : الواو المتحركة:

تأتي الواو متحركة بالضم، نحو: ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾.

تأتي الواو متحركة بالفتح، نحو: ﴿ بِٱلْعُرْوَةِ ﴾.

تأتي الواو متحركة بالكسر، نحو: ﴿مِنْ عَدُوٍّ ﴾.

والواو المتحركة بحركة من الحركات الثلاث تخرج من مخرج الواو المحقق بتصادم طرفي المخرج ثم يتباعد الصوت إلى الجوف زمن حركة فتح أو ضم أو كسر واحدة، بحسب نوع حركتها، مثلها في ذلك مثل باقي حروف الهجاء المتحركة.

الثمرات المستفادة:

الثمرة الأولى:

حرف الواو في عدِّ مخارج الحروف له مخرجان: مخرج مقدر وهو (الجوف). ومخرج محقق وهو الشفتان أما في عدِّ حروف الهجاء فهو واو واحدة والسبب:

أَنَّ إخراج الواو المحققة أو المقدرة لا يستغني بحال عن انضمام الشفتين.

ومشاركة الشفتين للواو الجوفية المقدَّرة المخرج ليس معناه خروجها من الشفتين وإلا لكانت حرفًا محققًا، ولكن معناه: أن الصوت يعتمد على الجوف مع مشاركة انضمام الشفتين، ولذلك نقول: الواو الجوفية (المدية اللينة) تخرج من جوف الشفتين، أما الواو المحققة(الليّنة) فتخرج من الشفتين. وتنضم الشفتان في الواوين ولكن انضمامهما مع المحققة أمكن من انضمامهما مع المقدرة، ويجب المحافظة على علاقة التجانس التى تربط بين مخرج الواو ومخرج الميم والباء بأن يحرص القارئ على الاعتماد على باطن الشفتين من الجانبين– فى أثناء انضمام الشفتين– مع الحفاظ على فُرْجةٍ فى الوسط، ولا يفهم من وجوب ضم الشفتين الدفع بهما للأمام ومطهما للخارج– كما يفعل البعض– بل يكون ضمهما فى موضعهما ضمًّا متوسطًا يفي بالغرض منه دون إفراط ومبالغة يجعلان شكل القارئ قبيحًا، ودون تفريط بترك ضمهما نهائيًّا فتترك الواو مخرجها وينحل صوتها نحولاً زائدًا يخرجها عن فصاحتها، فالقراءة الصحيحة السوية وَسَطٌ بين طرفين لا إفراط فيها ولا تفريط.

والواو المدية اللينة زمنها يساوي زمن حركتي ضم، ويمكنك معرفة زمن الضمة الواحدة بنطقك لحرف مضموم بعده هاء سكت (بُه) (مُه) . وحركة الضم الواحدة زمنها يساوي نصف زمن الواو وهذه الواو هي أصل حركة الضم . والضمة بنت الواو أي تُسْتَمَدُّ منها، ولهذا يطلق النحويون القدامى على حركة الضم واوًا قصيرة، ونستطيع بهذا المقياس التعرف على صوت الضمة الفصيحة، وهي أنك إذا مددت صوتها خرَجَتْ واوًا تامة فصيحة.

الثمرة الثانية:

اعتماد الواو على عضو جعلها لا تتبع ما قبلها تفخيمًا ولا ترقيقًا، وهذا العضو (الشفتان) تخرج منه حروف نقل عن لغة العرب أنها حروف مستفلة منفتحة مرققة على كل حال- أى لا يصاحبها استعلاء إرادي- فالواو العربية حرف استفال مستحقة الترقيق دائماً، فيجب على القارئ الانتباه إلى ترقيق الواو؛ لأنه عند النطق بالواو المحققة أو المقدَّرة يصاحبها استعلاء لاإرادي في أقصى اللسان مع تراجع طرفه إلى الخلف قليلاً، فإن ترك القارئ طرف لسانه مستعليًا أيضًا استعلى أقصى اللسان مع طرفه مع انضمام الشفتين، فيصبح التجويف الفموي مغلقًا والمسافة بين اللسان وغار الحنك ضيقة، فيمتلئ الفم بصوت الواو وتفخم، وهذا ملاحظ عند الأداء.

[ومن هنا نشأت فكرة تفخيم الحـروف عن طريق ضم الشفتين والذي ذكرنا أنها لحن يجب اجتنابه].

والواو العربية حرف مرقق، فإن خرجت مفخمة وقبلها حرف مستفل، نحو ﴿ قَالُواْ ﴾، فاعلم أن السبب هو استعلاء طرف اللسان أثناء النطق بها.

وإن كان قبلها حرف مستعلٍ، نحو ﴿أَلْقُواْ ﴾، فاعلم أن السبب هو استعلاء أقصى اللسان وطرفة أثناء النطق بها، أو استعلاء أقصى اللسان فقط.

ومما يساعد على التخلص من تفخيم الواو:

جعل طرف اللسان ممسوكًا بأصول الثنايا السفلى مع عدم الإستعلاء الإرادى بأقصى اللسان، وبالتَّالى تتسع المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك فترقق الواو.

وتكـون العنايـة بترقيـق الـواو آكـد إذا أتـت سـاكنة وقبلهـا حـرف مُسـتعلٍ مطبـق، نحـو: ﴿ٱلطُّورَ ﴾، ﴿ٱلطَّوْلِ ﴾، فعلـى القـارئ ألاَّ يحـتفظ بالاسـتعلاء الإرادي الخـاص بالطـاء أثنـاء النطق بالواو حتى لا تخرج مفخمة بتفخيم الطاء.

تنـــويه:

ورد في كتاب **"نهاية القول المفيد"** ما نصه:

"قال "المرعشي" في نهاية رسالته:(ولما كان في الياء والواو المديتين عمل عضو في الجملة، كما سبق، لم يكونا تابعين لما قبلهما، بل هما مرققان على كل حال، كذا يفهم من إطلاقاتهم). "انتهى.

وقال أيضًا في حاشيته على رسالته:

"ولعل الحق أن (الواو) المدية تفخم بعد الحرف المفخم؛ وذلك لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو : "الطور"، و"الصُّور"، لا يمكن إلاَّ بإشرابها صوت (الياء) المدية بأن يحرك وسط اللسان إلى جهة الحنك، كما يشهد به الوجدان الصادق، مع أن (الواو) ليس فيها عمل للسان أصلاً، وقد رجوت أن يوجد التصريح بذلك أو الإشارة إليه في كتب هذا الفن، لكن أعياني الطلب فمن وجده فليكتبه هنا. وأما (الياء) المدية فلاشك في أنها مرققة في كل حال". انتهى بنصه.

ونقول: المحافظة على ترقيق الواو الساكنة بعد الحرف المفخم في الأمثلة المذكورة وغيرها لا يكون باعتماد الصوت على مخرج الياء وإنما باعتماده على مخرج الواو الجوفية، بتباعد الصوت عن مخرج الحرف المستعلي- وهو الطاء في﴿ ٱلطُّورَ ﴾، والصاد في ﴿ٱلصُّورِ ﴾ إلى جوف الشفتين دون أن يحتفظ القارئ باستعلاء أقصى اللسان الخاص بالحرفين، ويحرص على ألا يكون طرف اللسان عائقاً أمام فتحة الشفتين، وذلك بإمساكه بأصول الأسنان السفلى، فتتسع المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك فينحل صوت الواو ويرقق، مع الانتباه إلى وجود إضافة تتعلق بهذا الموضوع تذكر فى محلها فى باب التفخيم والترقيق.

(حرف الياء)

ذكر علماء التجويد أنَّ المخرج أو الحيز الذي يعتمد عليه الصوت عند إخراج الياء هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى.

وحرف الياء له مخرجان : أحدهما محقق والآخر مقدَّر.

فإن تصادم الطرفان (وسط اللسان وغار الحنك) خرجت الياء المحققة، وإن تباعد الطرفان خرجت الياء المقدَّرة.

واعتماد الياء على عضو من أعضاء النطق وهو (وسط اللسان) جعل لها أحوالاً عدَّة: فتأتي ساكنة وتأتي متحركة.

فإن أتت ساكنة: فإمَّا أن يأتي ما قبلها متحركًا بالكسر، نحو:﴿قِيلَ ﴾.

وإمَّا أن يأتي ما قبلها متحركًا بالفتح، نحو:﴿ بَيِّتٍ ﴾.

وأمَّا الياء الساكنة المضموم ما قبلها فلم تأت في اللغة، ولهذا انحصرت أحوال الياء الساكنة في حالتين:

أن تكون ساكنة وقبلها مكسور، أو أن تكون ساكنة وقبلها مفتوح.

أولاً: الياء الساكنة المكسور ما قبلها:

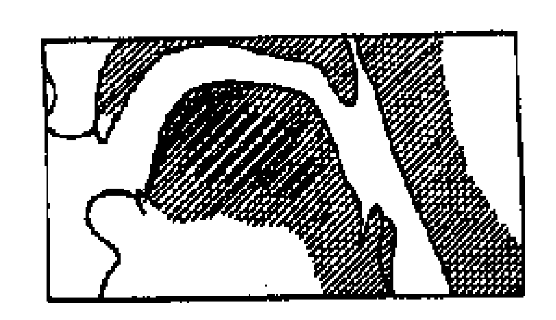
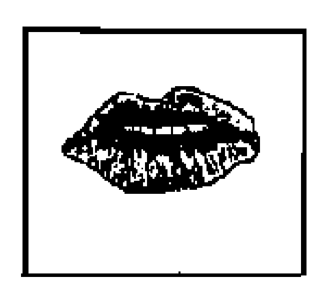
توافر لها شرط اعتماد الصوت على الجوف وهو مجانسة الحركة، فهي جوفية مقدَّرة المخرج.

كيف يتم اعتماد الصوت على الجوف لإخراج الياء المقدَّرة ؟

عند قولنا ﴿ مُّبِينٌ ﴾.

ننطق الياء الساكنة بعد الباء المكسورة بتصادم طرفي مخرج الباء (باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا)، ثم يتباعدان، وبمصاحبة خفض وسط اللسان عن غار الحنك الأعلى يمتد الصوت في الجوف زمنًا يساوي زمن كسرتين بِ بِ.

فالصوت يعتمد على الجوف مع مشاركة وسط اللسان حتى يتشكل هواء الجوف بصوت الياء، لذلك نقول اختصارًا: تخرج الياء الجوفية من (جوف وسط اللسان)، وهكذا يتم النطق بجميع الياءات الساكنة المكسور ما قبلها نحو:﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴾..﴿مُّتَّكِئِينَ ﴾...

وضع اللسان وشكل الشفتين عند النطق بالياء الجوفية (المدية اللينة)

ونلاحظ:

١- الانحدار أو الانخفاض الحاد في منطقة أقصى اللسان.

٢- اتساع المسافة بين صفحة اللسان كله وغار الحنك الأعلى من أوله إلى آخره، مع توازي منطقة وسط اللسان مع ما يقابلها من غار الحنك الأعلى.

٣- الفكين مبتعدين لعمل فراغ يمتد من الحنجرة حتى نهاية الشفتين.

٤- الشفتين فى وضعهما الطبيعى، مع وجود تباعد بينهما، دون انكسار أو انخفاض فى الفك السفلى.

ولإجادة النطق بالياء الجوفية (المدية اللينة) لا بد من : ضبط مخرج الحرف المحقق الذي يسبق الياء مع ضبط التباعد عنه بالمحافظة على تطبيق الملاحظات الأربع التي أشرنا إليها آنفًا، بالمحافظة على خفض وسط اللسان، واتجاه الصوت ناحية الجوف أو الخلاء المتصل بهما (أي بين مخرج الحرف المحقق السابق للياء وبين جوف وسط اللسان)، ولابد أن تكون المسافة بين وسط اللسان وما يحاذيه من غار الحنك واسعة بدرجة كافية لامتداد صوت الياء في الجوف في سلاسة وخفة.

وما ينبغي التنبيه إليه أنه:

إذا تكررت الياء وسكن ما قبل الأولى وكانت الثانية ساكنة وجب بيانهما وإظهارهما، وذلك نحو قوله: ﴿يَسْتَحْيِۦٓ﴾ ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿يُحْيِۦ﴾.

* * الكلمات المذكورة بها ياءان متتاليتان أصليتان فالياء الأولى عين الكلمة والياء

الثانيـة لام الكلمـة، فإذا تطرفت الثانيـة (عنـد الوقف)، فيجب إثباتها والنطق بها ممدودة بمقدار حركتين.

وإذا كانـت اليـاء مكسـورة وبعـدها يـاء سـاكنة يجـب مـد الصـوت لبيـان السـاكنة نحـو ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ ﴾.

وإذا اجتمـع يـاءان والأولـى سـاكنة وقبلهـا كسـرة، وجـب بيـان الأولـى لـئلا تـدغم فـي الثانية، في نحو: ﴿ فِي يُوسُفَ ﴾، وشبهه.

(وما سبق ذكره فى الواو – بخصوص هذا الأمر – ينطبق علـى اليـاء فـارجع إليـه، مـع ملاحظة اختلاف المخرج).

ثانياً: الياء الساكنة المفتوح ما قبلها:

لـم يتـوافر لهـا شـرط اعتمـاد الصـوت علـى الجـوف، بسـبب فقـدانها مجانسـة الحركـة، ولذلك كانت محققة المخرج تخرج بتصادم الطرفين.

فعند قولنا: ﴿ بَيۡتِ ﴾ ﴿ عَلَيۡهِ ﴾، نجد أن الصوت اعتمد على مخرج الياء مباشرة، واستمر هذا الاعتماد زمنًا لا علاقة له بالحركات، وإنـما هو زمـن يضبط بالمشـافهة، مثـل بـاقي الحـروف الرخـوة الصحيحة. ويجب أن يكـون تصـادم وسط اللسـان علـى غـار الحنـك متمكنًـا لدرجـة كافيـة لحصـر اعتمـاد الصـوت علـى المخـرج المحقـق، حـائلاً دون اتصـالـه بالجوف.

ثالثاً: الياء المتحركة:

تأتي الياء متحركة بالفتح نحو : ﴿ يَأۡتِيَ ﴾ وما شابهها.

وتأتي الياء متحركة بالضم نحو: ﴿ يُوقَدُ ﴾ وما شابهها.

وتأتي الياء متحركة بالكسر نحو: ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾ وما شابهها.

والياء المتحركة محققة المخرج تخرج بتصادم طرفـي مخـرج اليـاء، ثـم بتباعـد الصـوت إلى الجـوف زمـن حركـة فتـح، أو ضـم، أو كسـر، بحسـب نـوع الحركـة، مثلهـا فـي ذلـك مثـل بـاقي حروف الهجاء المتحركة.

الثمرات المستفادة:

الثمرة الأولى:

حرف الياء في عدِّ مخارج الحروف له مخرجان مخرج مقدر وهو (الجوف) ومخرج محقق وهو (وسط اللسان)، أمَّا في عدِّ حروف الهجاء فهو ياء واحدة، والسبب: أن إخراج الياء سواء كانت المحققة أو المقدَّرة، لا تستغني بحال عن وسط اللسان. ومشاركة وسط اللسان للياء الجوفية (المدية اللينة)، ليس معناه: خروجها من وسط اللسان، وإلا لكانت حرفًا محققًا، ولكن معناه: أن الصوت يعتمد على الجوف مع مشاركة وسط اللسان، أى من (جوف وسط اللسان) وهذا يعني عمليًّا:

أنَّ مشاركة وسط اللسان في الياء المحققة والمقدَّرة لازمة، والفرق أنه في الياء المحققة لابد من تصادم وسط اللسان على غار الحنك الأعلى، أما في الجوفية أو المقدَّرة فلابد من التباعد بينهما.

تنبيـــــه :

ليس لخفض الفك السفلى إعمال فى إخراج الياء المحققة والمقدرة:

فعند بيان مخارج الحروف:

يخرج من الشفتين أربعة أحرف: الفاء، الميم، الباء، الواو، ولأن هناك واوين :

واوًا محققة وأخرى مقدرة:

فإذا أردنا الواو المحققة، كان الاعتماد على انضمام الشفتين فقط.

وإذا أردنا الواو المقدرة، كان الاعتماد على الجوف مع مشاركة انضمام الشفتين.

ويخرج من وسط اللسان ثلاثة أحرف : الجيم، الشين، الياء، ولأن هناك ياءين :

ياء محققة وأخرى مقدرة :

فإذا أردنا الياء المحققة، كان الاعتماد فقط على وسط اللسان مع ما يحاذية من وسط غار الحنك.

وإذا أردنا الياء المقدرة، كان الاعتماد على الجوف مع مشاركة خفض وسط اللسان. ولم يقل أحد قَطُّ : إن وسط اللسان مخرجٌ لحرفين الجيم والشين، أما الياء فتخرج بخفض الفك السفلى، فتأمل.

وَجَرِّب بنفسك أَلا تخفض الفك السفلى- عند إخراج الياء - فسوف تجد أن الياء تخرج بسهولة ووضوح، ولو كانت لا تخرج إلا بخفض الفك، ما خرجت.

والياء المدية اللينة لا وجود لذاتها إلا بامتداد الصوت فيها زمن حركتي كسر، ويمكنك معرفة زمن الكسرة الواحدة بنطقك لحرف مكسور بعده هاء سكت (بِه) - (مِه)، وحركة الكسر الواحدة زمنها يساوي نصف زمن الياء الجوفية، وهذه الياء هي أصل حركة الكسر، والكسرة بنت الياء أي تُسْتَمَدُّ منها، ولهذا أطلق النحويون القدامى على حركة الكسر ياء قصيرة، وتستطيع بهذا المقياس التعرف على صوت الكسرة الفصيحة، وهي أنك إذا مددت صوتها خرجت ياء فصيحة.

الثمرة الثانية:

اعتماد الياء على عضو نطق جعلها لا تتبع ما قبلها تفخيمًا ولا ترقيقًا، وهذا العضو (وسط اللسان) تخرج منه حروف نقل عن لغة العرب أنها حروف مستفلة منفتحة، مستحقها الترقيق على كل حال، والياء العربية حرف استفال منفتح يرقق دائمًا بل هو أسفل الحروف المستفلة وأكثرهن ترقيقًا، لما نلاحظه من انحدار وانخفاض حاد لاإرادي في أقصى اللسان، مما يؤدي إلى تسفل الصوت إلى قاع الفم، فينحل الحرف ويرقق.

ومن أجل ذلك يقترن الترقيق دائمًا بالكسر أوْ بالياء .

ويجب المحافظة على ترقيق الياء وبخاصة إن أتت ساكنة وقبلها حرف مستعلٍ مكسور، نحو: ﴿يَطِيرُ﴾، ﴿عَظِيمٌ﴾، أو أتت ساكنة وقبلها حرف مستعلٍ مفتوح نحو:﴿طَيْرٍ﴾، ﴿ضَيْرَ﴾، فيجب على القارئ ألا يحتفظ بالاستعلاء الإرادى أثناء النطق بالياء، حتى لا تتبع الياء ما قبلها فتفخم بتفخيمه.

وخطأ تفخيم الياء الساكنة يأتي من عدم تجويد اعتماد الصوت على مخرج الياء؛ لأن الصوت إن صح اعتماده على مخرج الياء فلابد أن يرقق، مع تنبيه يذكر فى محله فى باب التفخيم والترقيق.

الثمرة الثالثة:

من الحروف المتفق على فرعيتها ما يسمى بالياء المشمة صوت الواو، في نحو :

﴿قِيلَ﴾ ﴿وَغِيضَ﴾... إلخ، في قراءة غير حفص.

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة:

وَقِيلَ غِيضَ جِيءَ أَشِمْ   في كَسْرِهَا الضَّمْ...

ويسمى أيضًا: إشمام حركة بحركة، ويعني: خلط الضمة بالكسرة ويكون جزء الضمة مقدمًا على جزء الكسرة، ولكن زمن الكسرة أطول، فالإشمام هنا هو تركيب الضمة على ياء ساكنة ممدودة بأن تلفظ بأول الفعل مضمومًا بعده ياء ساكنة ممدودة، ومن العملين تخرج الياء لا هي ياء محضة ولا واو محضة، والحركة لا هي بكسرة محضة ولا بضمة محضة.

وعبَّر المتأخرون من القراء كالداني والشاطبي وأكثر النحاة عن هذا المعنى بالإشمام، وعبَّر عنه بعضهم بالرَّوم، وبعضهم بالضم، وبعضهم بالرفع، وبعضهم بالإمالة، وأشهر التعبيرات (الإشمام).

والغرض من الإشمام في هذه الكلمات وأمثالها: الدلالة على حركتي الضم والكسر في الأصل، أما الضمة ففي فاء الكلمة، وأما الكسرة ففي عين الكلمة؛ لأن الأصل(فُعِلَ)، وهذه الكلمات وإن كانت أَوائلها مكسورة فأصلها أن تكون مضمومة؛ لأنها أفعال مبنية للمجهول (ما لم يسم فاعله)، فأشممت الضم دلالة على أنه أصل ما تستحقه.

فمثلاً: لفظ ﴿قِيلَ﴾ أصلها (قُوِل) فعل مبني للمجهول، استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف بعد حذف ضمتها، وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وأشير إلى ضمة القاف تنبيهًا إلى الأصل، وهي لغة عامة أسد وقيس وعقيل، وبها قرأ بعض القراء كالكسائي وهشام وَرُوَيْس، وأكثر القراء على إخلاص الكسرة وهي لغة قريش وكنانة، وهناك لغة ثالثة لبعض العرب تحذف فيها كسرة الواو وتضم القاف ضمًّا خالصًا (قُول)، وهي متروكة لعدم تواترها.

وزيادة في الفائدة إليك ما جاء في كتاب طلائع البشر للأستاذ عبد الفتاح القمحاوي، حيث قال:

وقرأ هشام والكسائي ورويس بإشمام الكسرة الضم مزجًا بين الحركتين ونحا بياء بعدها نحو الواو في كل من ﴿قِيلَ﴾ حيثما وقع وفي﴿ وَغِيضَ ﴾ و﴿سِيٓءَ ﴾ و﴿ وَحِيلَ ﴾

﴿وَسِيقَ﴾ و﴿ سِيٓـَٔتۡ ﴾ [1] فمن أشم أوائلها الضَّم أراد أن أصل الألف الياء، فمن أشم أراد أن يبقى في الفعل ما يدل على أنه مبني للمفعول لا للفاعل، فإن فيها اتباعًا للأثر وجمعًا بين اللغتين، ألا ترى أوائل هذه الأفعال لو كانت مضمومة أو الضم أغلب عليها لانقلبت الياءات واوات، إذ ليس في كلام العرب ياء ساكنة قبلها ضم، فلولا أن الحرف الأول مكسور ما ثبت لفظ الياء فيهن، ويدل على أن بعض العرب يترك أوائل هذه الأفعال على ضمته التي وجبت له وهو فعل ما لم يسم فاعله، فإذا فعل ذلك أتى بالواو في جميعهم فيقول (قُولَ) و(حُولَ) و(سُوِق)، وأما نحو ﴿ وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾ فلا يجوز فيه الإشارة إلى الضم مطلقًا، لأنها مصادر لا أصل لأوائلها في الضم، بخلاف الأفعال فإن لأوائلها أصلاً في الضم كما سبق.انتهى

وقرأ أبو جعفر ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ﴾ حيث وقعت في عموم القرآن بضم تاء التأنيث حالة الوصل اتباعًا لضم الجيم ولم يعتد بالساكن فاصلاً، وروى عن ابن وردان إشمام كسرتها الضم وصحح في النشر الوجهين عن ابن وردان، والباقون بالكسرة الخالصة على الجر بالحروف (انظر الإتحاف).

تنبيه :

والإشمام هنا غير الإشمام المعروف عند الوقف على حرف مضموم، كنحو النون من ﴿نَسۡتَعِينُ﴾، فإشمام الكسرة الضم: يأتي في الحرف الأول – ويكون في الوصل والوقف – ويسمع– وحرفه متحرك.

بخلاف إشمام الوقف : فإنه في الحرف الأخير – وفي الوقف فقط – ولا يسمع – وحرفه ساكن.

---

(١) قرأ هشام والكسائي ورويس بالإشمام في الجميع – وقرأ نافع وأبو جعفر بإشمام (سيء وسيئت) فقط وقرأ ابن ذكوان بإشمام (حيل – سيق – سيء – سيئت).

الثمرات المستفادة
من دراسة حروف الجوف الثلاثة مجتمعة
وعددها (ست ثمرات)

الثمرة الأولى:

تميزت الحروف المحققة المشتركة فى مخرج واحد، لأن لكل حرف منها بقعة تخصه، أما حروف الجوف- فلكون مخرجها متباعد الطرفين- فقد تميزت أصواتها عن طريق تغيير شكل الجوف بتغيير وضع اللسان فى داخل تجويف الفم، فعند النطق بالواو: شاركت الشفتان الجوف، فأخذ اللسان وضع النطق بالواو، فتشكل هواء الجوف بصوت الواو، وعند النطق بالياء : شارك وسط اللسان الجوف، فأخذ اللسان وضع النطق بالياء، فتشكل هواء الجوف بصوت الياء، وبقيت الألف بلا عضو يشارك الجوف فتميزت عن الواو والياء.

والألف آصل من الواو والياء فى الجوفية، وذلك لأنها: لم تأت إلا ساكنة وما قبلها مجانس، فهى دائما مدية لينة، فليس لها مخرج آخر سوى الجوف، ولذلك:

يطلق على الواو والياء (الحروف المتصلة بالألف)، أى أن الجوف هو مخرج الألف فإذا شابهتا الأَلِف فى مجانسة الحركة اتصلتا بها فى مخرجها.

ويطلق عليها أيضاً (حروف ذات مخرج محقق مقدر)، فلهما مخرجان: أحدهما محقق والآخر مقدر، مع ملاحظة أن المخرج لا يمكن أن يكون محققًا ومقدرًا في حالة واحدة أو في آنٍ واحد، وإنَّما يتصادم الطرفان فيخرجان واوًا وياءً محققتين، ويتباعد الطرفان فيخرجان واوًا وياءً مقدَّرتين، ومرونة المخرج وقدرته على تباعد طرفيه وتصادمهما، وقدرته- في كل مرة- على أن يُخْرج حروفًا مختلفة في المخرج ومتحدة في الاسم والرسم، مَزِيَّة لم يتحصَّل عليها مخرج آخر؛ ولذلك:

أ- وصفت الواو والياء المحققتين باللَّيِّنتين، على الرغم من أن مخرج كل منهما محقق وأنهما غير مدِّيَّتين.

ب-جاز امتداد الصوت في الواو والياء المحققتين- إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما- كامتداده في أحرف الجوف الثلاثة المقدَّرة، ولكن بضوابط وأسباب، فليس الأَمر على إطلاقه.

جـ- صفة اللين فى الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما ليس معناها "جريان الصوت فى سهولة وبدون كلفة"، وإلا لكانت أَحرف الجوف الثلاثة أولى بهذه الصفة، ولكانت الألف أولى بها من الواو والياء، وسبب تسمية حروف الجوف الثلاثة (حروف المد واللين):

أنهنَّ لا يأتين إلا من زيادة، وهذا معنى (المد)، مع قابلية تلك الزيادة للزيادة، وهذا معنى (اللين) فيهن. والخلاصة: المعنى الذى تحمله صفة اللين فى الواو والياء المحققين غير المعنى الذى يحمله مسمى اللين فى أَحرف الجوف الثلاثة.

وإشارة إلى كل ما سبق: قال صاحب نهاية القول المفيد:

"وهن بالصوت أشبه، فلولا تصعد (الألف) وتسفل (الياء) واعتراض (الواو)، أي بين الصعود والتسفل لما تميزت عن الصوت المجرد[1]، وحيث لزمت (الألف) هذه الطريقة المعتادة أي من كونها ساكنة وحركة ما قبلها من جنسها وهى الفتحة، لم يختلف حالها من أنها تكون دائمًا هوائية بخلاف أختيها فإنهما إذا فارقتاها في صفة المشابهة صار لهما حيز محقق، ومن ثم كان لهما مخرجان: مخرج حال كونهما مديتين، ومخرج حال كونهما غير مديتين".

ولكون الألف آصل من الواو والياء في المد واللين والجوفية:

أ- اكتفى صاحب التحفة بذكرها (نائبة عن باقي حروف المد واللين وحرفى اللين)، فقال عند كلامه على الحروف التي لا تأتي بعد الميم الساكنة:

وَالْمِيمُ إِنْ تَسْكُنْ تَجِى قَبْلَ الْهِجَا   لاَ أَلفٍ لَيِّنَةٍ لِذِي الْحِجَا

لأن الألف ليس لها إلا حالة واحدة، وهى أن تأتى ساكنة وقبلها حركة مجانسة، أي قبلها مفتوح.

فإن أتى قبل الواو والياء الساكنتين حركة مجانسة لهما، أي قبل الواو ضم وقبل الياء كسر شابهتا الألف وأخذتا حكمها.

---

[1] الصوت المجرد هو صوت يسمع، ولا يكون له رمز كتابى يدل عليه.

وإن أتى قبل الواو والياء الساكنتين فتح شابهتا الألف أيضًا وأخذتا حكمها. ولذلك جمعهم في عبارة واحدة (لا ألفٍ لينة)[1] ومقصوده: لا ألف ولا واو ولا ياء مدية لينة ولا واو ولا ياء لينة فقط.

ب- اعتمد علماء التجويد في ضبط أزمنة المدود المختلفة على معيار الألفات دون الواوات أو الياءات:

فإن أرادوا المد بمقدار حركتين قالوا: يمد بمقدار ألف، ويسمى فى المصطلح التجويدى (القصر).

وإن أرادوا المد بمقدار ثلاث حركات قالوا: يمد بمقدار ألف ونصف، ويسمى فى المصطلح التجويدى (فويق القصر).

وإن أرادوا المد بمقدار أربع حركات قالوا: يمد بمقدار ألفين، ويسمى فى المصطلح التجويدى (التوسط).

وإن أرادوا المد بمقدار خمس حركات قالوا: يمد بمقدار ألفين ونصف، ويسمى فى المصطلح التجويدى (فويق التوسط).

وإن أرادوا المد بمقدار ست حركات قالوا: يمد بمقدار ثلاث ألفات، ويسمى فى المصطلح التجويدى (الطول) أو (الإشباع).

وتسمية المد بمقدار حركتين بالألف أضبط من تسميته بالقصر؛لأن (حقيقة المد) هو ما زاد زمنه عن حركة واحدة، و(حقيقة القصر) هو ما اقتصر زمنه على زمن حركة واحدة.

والمقصود بالحركة: الفترة الزمنية اللازمة للنطق بحركة فتح أو ضم أو كسر وليست الحركة حركة الأصبع قبضًا وبسطًا، فالمقصود حركات الحروف وليس حركات الأصابع.

---

(١) تسمى الألف بالألف اللينة ويقصد بها الألف المدية اللينة على عادة العرب فى تسمية الهمزة ألفًا مجازًا وإن أرادوا الألف حقيقة أي الساكنة المفتوح ما قبلها قالوا الألف اللينة.

جـ- الألف أكثر ليونة وخفة من الواو والياء، والواو أكثر ليونة من الياء، فأيسر الحروف الثلاثة وأكثرهن ليونة الألف، ثم الواو، ثم الياء.

وسبب هذا الترتيب: وقوع الشفتين في مقدم الفم ونهاية جهاز النطق، ووقوع وسط اللسان في وسط الفم، فالإعمال في إخراج الياء أكبر من الإعمال في إخراج الواو، لكون خفض وسط اللسان أثقل على القارئ من ضم الشفتين، وأيسر من الاثنتين الألف فليس لها عضو، يمكن أن ينحصر صوتها فيه.

ولكون الحركات الثلاث بنات الحروف الثلاثة كانت أخف الحركات الفتحة ثم الضمة ثم الكسرة، ولذلك:

اتفق القراء على إمكانية روم حركتي الضم والكسر، وعدم إمكانية روم حركة الفتح، وصار في عرف القراء إطلاق لفظ (التحريك) غير مقيد بالضم أو الكسر يعنى الفتح.

كما قال الإمام ابن الجزرى في الطيبة:

وَمُطْلَقُ التَّحْرِيكِ فَهْوَ فَتْحُ ....

تنبيه : ترتيب الحركات على حسب قوتها مهم لمعرفة قواعد كتابة الكلمة المهموزة.

ارجع إلى قاعدة الهمز الباب الثالث صفحة ١٩٤ بهذا المجلد.

الثمرة الثانية:

الحروف الثلاثة حروف مد ولين لأنها لا تولد إلا من زيادة عن حركة واحدة مع قابلية تلك الزيادة للزيادة، ولذلك كانت أَصل الحركات الثلاث أي الموَلِّدة والمنتجة لها.

فإن أراد القارئ إخراج حركة فتح واحدة، أو اثنتين، أو ثلاث، أو أربع، أو خمس، أو ست اعتمد على الألف.

وإن أراد إخراج حركة ضم واحدة، أو اثنتين ....إلخ اعتمد على الواو.

وإن أراد إخراج حركة كسر واحدة، أو اثنتين ....إلخ اعتمد على الياء.

ونستطيع باعتماد الصوت على الألف أو الواو أو الياء إخراج عدد لا يحصى من الحركات الثلاث حتى ينتهي الهواء من الرئتين.

ولأن الزيادة ليست زيادة عشوائية ولا متروكة للأهواء، وإنما مضبوطة بالمنقول المتواتر من تلاوة القراء المتصل سندهم بالنبي ﷺ كانت هذه الحروف مخرجها أوسع منها حيث ينتهي الحرف ولا ينتهي المخرج. ويستفاد مما سبق أنَّه:

أولاً :

لا يقدر ولا يقاس زمن حرف من حروف الهجاء بالحركات إلا الحروف الثلاثة التي تخرج من مخرج أصل الحركات. أما ماعدا ذلك فزمنه يضبط بالمشافهة، فلا يقاس بالحركات إلا أزمنة المدود، أمَّا: زمن الغنن– الرخاوة– الشِّدة– التوسط– الهمس– السكت– الوقف، فجميعها وما شابهها لا علاقة لـه بمخرج الجوف؛ ولذا يقدر زمنها بالمشافهة والسماع.

ثانيًا:

الحروف السواكن المحققة تختلف أزمنتها بحسب درجة الإعاقة (الشِّدَّة والرخاوة والتوسط)، أمّا أزمنة الحروف السواكن المقدَّرة فأزمنتها متساوية؛ لكون أزمنة الحركات الثلاث متساوية.

ومن أهم ما يراعى فى أزمنة حروف المد واللين الثلاثة:

١- تقصير زمن حرف منها عن حركتين، ينقص حرفًا من التلاوة فيختل مبنى الكلمة ومعناها.

٢- تطويل زمن حرف منها عن حركتين، مضبوط بالرواية وأى خروج عنها يخل بصحة القراءة وجمال الأداء.

٣- يجب مراعاة المساواة بين أزمنة الحروف الثلاثة فى حال:

تكرر حرف المد فى الكلمة الواحدة، نحو:

تكرار الألفات فى:﴿ ءَايَـٰتٍ ﴾، والواوات فى: ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ والياءات فى:﴿ وَٱلْمُقِيمِي ﴾. ونحو: الياء والألف فـي ﴿ جَمِيعًا ﴾ والألف والـواو في ﴿ وَيُسَـٰرِعُونَ ﴾ والياء والواو في ﴿ يُقِيمُونَ ﴾، وما شابهها.

٤- انتباه القارئ إلى جعل زمن حرف المد واللين ضعف زمن الحركة، يسهل عليه لفظ كلمة﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ﴾، ﴿ فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾،...وما شابهها، فهى كلمات تحتوى على: فعل، وفاعل، ومفعولين، فامتداد الصوت في حرف المد ضعف زمن الحركة يفكك حروف الكلمة وَيُيَسِّر لفظها على اللسان.

الثمـرة الثالثة :

طـريقة النطق بالحـروف الثلاثـة تشبه طريقـة من جملـة طرق حدوث الأصوات فـي الطبيعة، وهي: التباعد بين جسمين بينهما قوة ترابط، ولذلك :

من الخطأ القول إن حـروف الجوف الثلاثة خلاء محض لا علاقة بينها وبين مخرج الحرف السابق لها؛ لأنها لا وجود لها إلا بوجوده قبلها، ولهذا:

سماها اللغويون: (حروف العلة)، تشبيهًا لها بالعليل الذى لا يمكن أن يقوم بذاته فهو مفتقر إلى غيره. ولكونها أكثر الحروف التى يصيبها الإعلال والتغيير.

وسماها المجودون: (الحروف الخفيـة)، أى التى تعدم من اللفظ إن لم يمتد الصوت فيها بمقدار حركتين.

وسماها القدماء: (حروف السكون الميت)، أى التى لاتتحرك أبدا بخلاف السواكن المحققة، ولذلك: إن التقت بحرف ساكن محقق حذفت لفظًا لأنها الأضعف[1]،

ففى نحو : ﴿قَالَا ٱلحَمْدُ﴾، ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، في الأمثلة الثلاثة حذفت الألف من ﴿قَالَا﴾ والياء من ﴿وَٱلْمُقِيمِى﴾ والواو من ﴿قَالُواْ﴾، بسبب التقاء هذه الأحرف بساكن محقق. وذلك في اللفظ فقط؛ لأننا إذا فصلنا الكلمتين ثبت حرف المد.

وننتبه إلى:

أولاً: تسمى حروف الجوف الثلاثة (الحروف الخفية)، لأن ذاتها لا توجد إلا من امتداد الصوت فيها، ولا توجد صفة لها تسمى الخفاء، لأن الصفة وصف لموجود، فإذا عُدم عُدمت الصفة.

ثانيًا: لا يعنى افتقار حروف المد الثلاثة إلى حرف محقق قبلها متحرك بحركة مجانسة أَنها تخرج بعملين: (تصادم فى مخرج الحرف المحقق، ثم تباعد عنه)، والصحيح أنها لا تخرج إلا بعمل واحد وهو (التباعد فقط)، لأن ابتداء ولادتها مع زيادة التباعد إلى الجوف أكثر من حركة واحدة.

---

[1] ولأنها إذا ثبتت فى الوصل لتحتم ثبوت همزة الوصل، وهذا لايجوز فى اللغة.

ففى نحو: ﴿يَقُولُ﴾، ﴿قِيلَ﴾، ﴿قَالَ﴾، يصطدم القارئ بمخرج القاف ثم يتباعد عنه إلى الجوف بمقدار حركتين فينطق (واوًا) أو(ياءً) أو(ألفًا)، وإن تباعد عن القاف إلى الجوف بمقدار حركة واحدة فلا وجود لحرف المد؛ وذلك بخلاف الحرف المتحرك الذى تبدأ ولادته من بداية التصادم فى مخرجه قبل التباعد إلى الجوف زمن حركة واحدة، ولذلك نقول: تخرج حروف المد الثلاثة بالتباعد فقط أما الحرف المتحرك فيخرج بتصادم وتباعد.

* * * ولا يصح تسمية التصادم فى الحرف المتحرك بـ(التحقيق)، لأن التصادم هو الأساس فى ضبط مخرج الحرف، ثم قد يكون هذا التصادم بتحقيق أو يكون بتسهيل (بحسب الرواية).

الثمرة الرابعة:

الواو والياء اللَّيِّنتان أو المحققتان (الساكنتان المفتوح ما قبلهما). عند إرادة امتداد الصوت فيهما، كامتداده فى حروف المد واللين، لابد أن يترك الحرفان مخرجهما المحقق إلى مخرج الجوف (مخرج الواو والياء المديَّتين)، فينتقل الصوت من مخرج متصادم الطرفين (محقق)، إلى مخرج متباعد الطرفين (مقدَّر).

فكيف يكون ذلك وقد فقدا شرط اعتماد الصوت على الجوف وهو مجانسة الحركة، فليس قبل الواو الساكنة (ضم) وليس قبل الياء الساكنة (كسر)؟.

الجواب:

باستخدام حركة الفتح قبلهما سُلَّمًا للوصول إلى الجوف، ومن وضع التصعد لإخراج حركة الفتح ننتقل- فى الجوف- إلى وضع ضم الشفتين لإخراج الواو، وإلى وضع خفض وسط اللسان لإخراج الياء، ولإيضاح الأمر نقول:

عند الوقف على ﴿ٱلْمَوْتِ﴾: عند النطق بالميم المفتوحة يتصادم القارئ فى مخرج الميم ثم يتباعد عنه ليعتمد الصوت على الجوف متصعدًا زمن حركة فتح واحدة ومن وضع الفتح يشارك ضم الشفتين، فيعتمد الصوت مباشرة على جوف الشفتين فيمتد الصوت فى الواو بمقدار حركتين أو أربع أو ست حركات.

وعند الوقف على ﴿بَيۡتٍ﴾ عند النطق بالباء المفتوحة يتصادم القارئ فى مخرج الباء ثم يتباعد عنه ليعتمد الصوت على الجوف متصعدًا زمن حركة فتح واحدة، ومن وضع الفتح يشارك خفض وسط اللسان فيعتمد الصوت مباشرة على جوف وسط اللسان، فيمتد الصوت فى الياء بمقدار حركتين أو أربع أو ست.

ويترتب على إخراج الواو والياء المحققتين من الجوف ما يلى:

١- أن زمن الحركتين فيهما لابد أن يقل عن زمن الحركتين فى الواو والياء المديَّتين، لكون توفية مقدار المد مع مجانسة الحركة أكبر نظرًا لتمكن الصوت من مخرج أصل الحركة بمجرد التباعد إلى الجوف، أما مع المحققتين فلا يتمكن الصوت مِنه إلا بعد الانتهاء من إخراج حركة الفتح أولاً:

ففى﴿يَقُولُ﴾، ﴿قِيلَ﴾ يتمكن الصوت من مخرج الواو والياء بمجرد التباعد عن مخرج القاف فى الكلمتين- وذلك بسبب تجانس حركة ما قبلهما- أمَّا فى:

﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾ ﴿بَيۡتٍ﴾،يتمكن الصوت من مخرج الواو والياء بعد الانتهاء من فتحة الحرف السابق لهما.

ولذلك يطلق أهل الأداء على مقدار الحركتين فى نحو: ﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾ ﴿بَيۡتٍ﴾ اسم (مَدٌّ مَا)، ويسميها اللغويون (أشباه الحركات).

٢- عند قياس مراتب المدود من حيث القوة والضعف يقل مد اللين- من حيث المرتبة- عن المد الطبيعى، لأن المد فى الأخير أصلى وثابت لا تقوم ذات الحرف إلا به، أما المد فى حرفى اللين فعارض ولابد أن يكون له سبب.

وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى فى الطيبة:

... ...   واللِّينُ يَقِل ... ...

والمعنى: أن مد اللين يقل عن مد حرف المد واللين من حيث الزمن والرتبة.

الفرق بين حروف المد واللين وحرفى اللين

حروف المد واللين	حرفا اللين
مخرجها مقدَّر.	مخرجهما محقق.
يأتى قبل الألف فتح، وقبل الواو ضم، وقبل الياء كسر.	يأتى قبل الواو والياء فتح.
لا ينفك عنها المد وهى أصل كل المدود.	ليس فيها مد أصلاً.
يقدر زمنها بالحركات.	يقدر زمنها بالمشافهة ولا يقدر بالحركات إلا عند معاملتها معاملة حروف المد واللين، ولا يكون ذلك إلا بسبب كهمز أو سكون.
لا تدغم فى غيرها أبدًا.	تدغم فى مثلها، وتظهر مع باقى الحروف فتدغم الواو اللينة فى مثلها فى نحو: ﴿عَصَواْ وَّكَانُواْ﴾ وتدغم الياء اللينة فى مثلها فى نحو: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.
لا تأتى إلا ساكنة.	تأتى ساكنة وتأتى متحركة.
ليس بينهن علاقة تجانس، وليس بينهن وبين باقى الحروف علاقة تماثل ولا تقارب ولا تباعد.	بينها وبين حروف مخارجها علاقة تماثل أو علاقة تجانس، وبينها وبين باقى الحروف علاقة تقارب أو تباعد.

الثمرة الخامسة:

حروف الجوف الثلاثة حروف رخوة ممدودة، فما الفرق بين الرخاوة والمد؟

المد: يعنى أن وجود ذات الحرف بامتداد الصوت فيه، فإن لم يجر الصوت فى ذات الحرف زمنًا أقله حركتان لما كان للحرف وجود، ولابد أن يكون المخرج متباعد الطرفين.

أما الرخاوة: فتعنى قابلية مخرج الحرف لجريان الصوت فيه سواء أكان المخرج متصادم الطرفين (محققًا)، أم متباعد الطرفين (مقدَّرًا).

ولذلك:

١- كل حرف ممدود رخو، وليس كل رخو ممدودًا.

٢- زمن الحروف الرخوة غير الممدودة يضبط بالمشافهة، أما زمن الحروف الرخوة الممدودة فيضبط بالحركات؛ لأنَّه لا وجود لذاتها إلا بامتداد الصوت فيها بمقدار حركتين.

ولهذا السبب: كانت العلاقة بين حرف المد والحرف الذى يليه علاقة إظهار دائمًا (أى بيان لذات كل منهما ولا يدغم أحدهما فى الآخر)؛ لأن وجود حرف المد هو فى ذاته مانع صوتى، ومسافة تفصل بينه وبين الحرف التالى له.

لأن القارئ يمد الصوت فى فراغ الفم (الجوف) بمقار حركتين، وحينئذ يتحتم عليه التصادم فى مخرج الحرف التالى، فلابد أن تكون العلاقة بين حرف المد واللين والحرف التالى له علاقة إظهار؛ ولذلك عند إدغام الحرفين المتحركين (وهو ما يعرف بالإدغام الكبير) لابد- قبل الإدغام- أن يقوم القارئ بإسكان الأَول لأن الحركة فاصل بين الحرفين يستحيل مع وجودها الإدغام.

ولذلك من القواعد الثابتة فى اللغة والقرآن:

أ- يمتنع إدغام الواو المدية فى الواو المتحركة، فى نحو ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ ﴾، وكذلك يمتنع إدغام الواو المدية فى باقى حروف الهجاء.

ب- ويمتنع إدغام الياء المدية فى الياء المتحركة، فى نحو: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾، وكذلك يمتنع إدغام الياء المدية فى باقى حروف الهجاء.

تنبيه: لا يمكن أن يجتمع الإدغام مع المد، لأن الإدغام يُذهب بالمد، فإن أدغمتا، لفظًا ورسمًا أو لفظًا فقط، فاعلم أن المدغم ليس بحرف مد، وإن أتى قبل الواو الساكنة ضم، وأتى قبل الياء الساكنة كسر.

أمثلة الإدغام رسمًا ولفظًا (وعلامته التشديد على الياء والواو)، نحو: ﴿ شَرْقِيَّةٍ ﴾، ﴿ ٱلْقُوَّةَ ﴾ .

أمثلـة الإدغـام لفظًـا فقـط (وعلامتـه تحريـك الحـرفين، المـدغم والمـدغم فيـه)، نحـو: ﴿ يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾، ﴿ هُوَ وَمَن ﴾، وذلـك فـى روايـة الإمـام السوسـى، ويسمى هذا النـوع مـن الإدغام (الإدغام الكبير)، وهناك أنواع أخرى لبعض القراء محلها كتب القراءات.

الثمـرة السادسة والأخيرة:

مـن دراسـتنا لمخـرج الجـوف وكيفيـة إخـراج حروفـه الثلاثـة، ومعرفـة كيـف تشـكلت أصواتها، يتضـح لنـا: صـحة تصـور الإمـام ابـن الجـزرى لمخـرج الجـوف باختيـاره لمـذهب الخليل بن أحمد الفراهيدى، الذى جعل الجوف مخرجًا عامًّا مستقلاً عن المخارج الأخرى. أمَّـا إلغـاء مخـرج الجـوف، وتوزيـع حروفـه علـى المخـارج المحققـة بجعـل الهمـزة والألـف مخرجًا واحدًا، هو أقصى الحلق، وجعل الواو المدية وغير المدية مخرجًا واحدًا، هو الشفتان، وجعل الياء المدية وغير المدية مخرجًا واحدًا، هو وسط اللسان، فهذا راجع إلى:

أ- عـدم التفـرقة بـين المخـرج المحـقق (المتصـادم الطرفين) والمخـرج المقـدَّر (المتباعد الطرفين).

ب- النظر إلى افتقار حروف الجوف الثلاثة لمعتمد محقق يأتى قبلها.

فتصور أصحاب هذا الرأى: أن منشأ صوت الألف هو مخرج الهمزة، ومنشأ صوت الـواو هو الشفتان، ومنشأ صوت الياء هو وسط اللسان.

والصحيح الذى يوافق الأداء العملى أن منشأ الحروف الثلاثة هو الجوف، حيث يولد الحرف بمجرد التباعد بين الحبلين الصوتيين واهتزازهما بقوة كافيـة لإنتـاج صوت مجهور. وهذا التباعد بين الحبلين سببه اتساع الجوف ليشمل الفراغ الممتد من بين الحبلين حتـى نهاية التجويف الفموى والشفتين، وبسبب هذا التباعد افتقرت إلـى حرف قبلها واستحال الابتداء بها رأسًا؛ لأن التباعد بين الحبلين دون معتمد يسبقه يجعل الهواء المار بينهما لا ينتج صوتًا. وبذلك يكون:

منشأ صوت الحروف الثلاثة هو مخرجها (الجوف)، وهو مخرج مقدَّر.

وهناك من قال إن إلغاء مخرج الجوف وتوزيـع حروفـه علـى المخـارج المحققـة لـيس معناه أن حروفه تخرج من تلك المخـارج المحققـة، وإنمـا معنـاه أن تلـك المخـارج معتمد لهـا، فيكـون أقصـى الحلـق معتمـد الألـف، والشـفتان معتمـد الـواو المديـة، ووسـط اللسـان معتمد الياء المدية.

فهذا القول مردود عليه أيضًا بالأداء العملى الذى يتضح لنا من خلاله أن معتمد كل حرف من الحروف الثلاثة هو مخرج الحرف المحقق السابق له، ففى نحو:

﴿ قَالَ ﴾ : معتمد الألف مخرج القاف.

﴿ مَالَ ﴾: معتمد الألف مخرج الميم...، وهكذا.

ثم يتباعد الطرفان فيعتمد الصوت على الجوف، ويستمر صوت الألف طالما استمر مرور الهواء الحامل للصوت من بين الحبلين مع اهتزازهما بقوة، دون أن يعاق فى عضو داخل التجويف الفموى أو الحلقى.

** أَمَّا لو كان معتمد القارئ أقصى الحلق، لتحتم النطق بهمزة مفتوحة قبل كل أَلف، بصرف النظر عن ماهية الحرف قبل الألف.

وفى نحو: ﴿ يَقُولُ ﴾: معتمد الواو مخرج القاف.

﴿ يَعۡمَلُونَ ﴾ : معتمد الواو مخرج اللام... وهكذا.

ثم يتباعد الطرفان فيعتمد الصوت على الجوف، بمصاحبة ضم الشفتين حتى يتشكل الصوت المندفع من بين الحبلين إلى فراغ التجويف الفموى بصوت الواو، وبذلك يتميز صوت الواو عن صوت الألف.

** أَمَّا لو كان معتمد القارئ مخرج الواو المحققة، أَى مخرج الشفتين فقط، لتحتم النطق بواو مضمومة قبل كل واو جوفية؛ بصرف النظر عن ماهية الحرف قبل الواو.

وفى نحو: ﴿ قِيلَ ﴾ : معتمد الياء مخرج القاف.

﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾ : معتمد الياء مخرج العين... وهكذا.

ثم يتباعد الطرفان فيعتمد الصوت على الجوف، بمصاحبة وسط اللسان حتى يتشكل الصوت المندفع من بين الحبلين الصوتيين إلى فراغ التجويف الفموى بصوت الياء وبذلك يتميز صوت الياء عن صوت الألف، وصوت والواو.

** أَمَّا لو كان معتمد القارئ مخرج الياء المحققة، أى وسط اللسان فقط، لتحتم النطق بياء مكسورة قبل كل ياء جوفية؛ بصرف النظر عن ماهية الحرف قبل الياء.

علاقة مخرج الجوف بالحروف المتحركة

حروف الهجاء تنقسم إلى:

- حروف مقدَّرة، وهى حروف الجوف الثلاثة.
- حروف محققة، وهى باقى الحروف.

فالأغلب الأعم من حروف الهجاء حروف محققة، لكل منها حيز محقق فى داخل عضو من أعضاء النطق. وتنقسم الحروف المحققة إلى: حروف ساكنة وحروف متحركة.

وفى تركيب الكلمات: نجد أن عدد الحروف المتحركة أكثر من عدد الحروف الساكنة، أو بمعنى آخر؛ فى حروف المبانى: أحوال تحريك الحروف أكثر من أحوال إسكانها.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ذلك المعنى بقوله فى التمهيد:

"ائتلاف كلام العرب من حروف، والحرف إما ساكن وإما متحرك، والحرف المتحرك أكثر فى كلام العرب من الساكن؛ وذلك لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف متحرك، وآخر بعده متحرك. ولا يجوز فى كلام العرب أن تبتدئ بساكن، ولا أن تصل ساكنًا بساكن إلا على حدهما[1]؛ لذلك كانت الحركة أكثر من السكون".

كيف يخرج الحرف الساكن المحقق:

فى مثل كلمة ﴿أَنْعَمْتَ﴾ تحتوى على حرفين ساكنين هما النون والميم.

عِند النطق بالنون الساكنة: يتصادم طرفا مخرجها (طرف اللسان الدقيق مع أصول الثنيَّتين العلويَّتين). وعند النطق بالميم الساكنة: يتصادم طرفا مخرجها (باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا). ولابد لهذا التصادم من زمن يسكن فيه الصوت فى المخرج. وهذا الزمن هو زمن ولادة الحرف. فبيان الحرف الساكن فى زمن سكونه.

وسكون الصوت فى المخرج معناه عمليًا:

أن الصوت يظل ماسكًا فى المخرج المحقق حتى نهاية النطق بالحرف دون أن:

يصاحب سكون الحرف تصعد الصوت أو تسفله أو اعتراضه بين التسفل والتصعد، أو بمعنى آخر: دون أن يترك الصوت المخرج المحقق إلى مخرج أصل الحركات أى مخرج الجوف.

---

(1) انظر التنبيه الثانى آخر حكم التقاء الساكنين، بالمجلد الثانى.

ولذلك نقول:

تخرج الحروف الساكنة المحققة بعمل واحد، هو التصادم بين طرفى المخرج دون أن يصاحبها فتح (تصعد الصوت).

أو كسر (تسفل الصوت).

أو ضم (اعتراض الصوت).

كيف يخرج الحرف المتحرك؟

إذا أردنا نطق ميم مفتوحة (مَه)، أو مضمومة (مُه)، أو مكسورة (مِه).

عند ابتداء النطق بالميم فى الأحوال الثلاثة يتصادم طرفا مخرجها، فتلتصق الشفتان، وفورًا يتباعدان، بمصاحبة:

تصعد الصوت فى المفتوحة، بسبب تباعد الصوت إلى الجوف، حيث مخرج الألف.

واعتراض الصوت فى المضمومة، بسبب تباعد الصوت إلى جوف الشفتين، حيث مخرج الواو.

وتسفل الصوت فى المكسورة، بسبب تباعد الصوت إلى جوف وسط اللسان، حيث مخرج الياء.

ولا زمن للتصادم فى كل هذه الحالات. أَمَّا التباعد فله زمن مساوٍ لنصف زمن الألف مع الفتح (حركة فتح واحدة)، ونصف زمن الواو مع الضم (حركة ضم واحدة)، ونصف زمن الياء مع الكسر (حركة كسر واحدة).

ولذلك نقول:

يخرج الحرف المتحرك بعملين: تصادم فى مخرج سكونه يشترك معه تباعد إلى أصل الحركة، ولا فارق زمنى بين العملين؛ لأن تصادم الحرف المتحرك لا زمن له.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الطيبى بقوله:

إِذِ الْحُرُوفُ إِنْ تَكُنْ مُحَـرَّكَهْ ... يَشْرَكُهَا مَخْرَجُ أَصْلِ الْحَرَكَهْ

أَيْ مَخْرَجُ الْوَاوِ وَمَخْرَجُ الأَلِفْ ... وَالْيَاءُ فِى مَخْرَجِهَا الَّذِى عُرِفْ

ولاحظ قوله (يشركها)، أى يشترك كل من: مخرج الحرف المحقق مع مخرج أصل حركته فى إخراج الحرف المتحرك.

وفى كتب التجويد القديمة يسمون إخراج الحرف الساكن (بالقرع)، وهو ما نسميه حديثًا بالتصادم، ويسمون إخراج الحرف المتحرك (بالقلع)، وهو ما نسميه حديثًا بالتباعد فور التصادم؛ لأن من البديهى أن القلع لا يأتى إلا على أثر القرع.

ملاحظات:

- الحروف السواكن المقدَّرة (حروف الجوف الثلاثة أو حروف المد واللين). تخرج بالتباعد، والحروف السواكن المحققة تخرج بالتصادم، والحروف المتحركة تجمع بين العملين، فيبدأ الحرف بتصادم كتصادم الحرف الساكن المحقق، وينتهى بتباعد كتباعد الحرف الساكن المقدَّر.

  ويختلف الحرف المتحرك عن الحرف الساكن فى كون التصادم لا زمن له.

  ويختلف عن الحرف الساكن المقدَّر فى كون التباعد زمنه نصف زمن الألف، أو نصف زمن الواو، أو نصف زمن الياء- على حسب نوع حركته.

- كل حرف محقق (ساكن أو متحرك) لابد أن يبدأ بالتصادم بين طرفى المخرج، وكل حرف ساكن (محقق أو مقدَّر) له زمن، فلابد أن يظل الصوت ماسكًا فى المخرج معتمدًا عليه زمن ولادة الحرف، فإن كان مقدَّرا ضبط زمنه بالحركات، وإن كان محققًا ضبط زمنه بالمشافه والسماع. والحرف المتحرك زمنه هو زمن حركته حيث يولد الحرف بمجرد التصادم بين طرفى مخرجه، ولا يتضح صوته أويكتمل ولادته إلا بالتباعد أى بمشاركة مخرج أصل الحركة؛ ولذلك لابد أن:

- يصاحب الحرف المتحرك تصعد الصوت فى الفتح والنصب، وضم الشفتين فى الرفع والضم، وخفض وسط اللسان فى الجر والكسر؛ (لأن بيانه فى زمن حركته).

  ولابد أن يعلم القارئ: أنَّه عند النطق بالحرف المفتوح فإنه يفتح الحرف لا يفتح الفكين، وعند النطق بالحرف المضموم فإنه يضم الحرف لا يضم الشفتين، وعند النطق بالحرف المكسور فإنه يكسر الحرف لا يكسر الفك السفلى.

- التصادم فى مخرج الحرف المتحرك ليس لـه زمن؛ (لأن زمنـه هو زمن حركتـه لا زمن سكونه)، ولذلك كان وضوح الصفة فى الحرف الساكن أبين من الحرف المتحرك؛ لأن زمن التمكن من مخرج الحرف حال السكون أطول من حال الحركة.

وقد يسأل سائل: كيف أتصادم فى مخرج الحرف المتحرك ولا أجعل لهذا التصادم زمنًا؟ نقول: بأن تحرص على مشاركة مخرج أصل الحركة مع بداية التصادم، بمعنى أنك تفتح مع بداية التصادم فى نحو (بَ)، وتضم مع بداية التصادم فى نحو (بُ)، وتكسر مع بداية التصادم فى نحو (بِ)، فيتم العملان دون أن يكون للسكون الناتج عن التصادم قبل الحركة زمن- مع وجوده بالقطع- لأن الحرف المتحرك لا يمكن خروجه إلا بالعملين معًا، وكل حرف متحرك لابد من التمكن من مخرجه والتصادم فيه قبل التباعد للحركة؛لأن الحركة- تباعد إلى الجوف- ويستحيل أن يعتمد الصوت على الجوف إلا بتباعد عن مخرج محقق، فإذا ضبط القارئ التصادم قبل التباعد، خرج الحرف المتحرك فصيحًا.

ولهذا: من الخطأ أن يجعل القارئ كل إعماله على تصعد الصوت مباشرة عند النطق بالحرف المفتوح، أو على ضم الشفتين مباشرة عند النطق بالحرف المضموم، أو على خفض وسط اللسان مباشرة عند النطق بالحرف المكسور، وهذا من الأخطاء الشائعة التى قل من ينتبه إليها.

ويظهر هذا الخطأ بوضوح أكثر إذا تحركت الواو بالضم فى نحو: ﴿وُجُوهٌ﴾ أو تحركت الياء بالكسر فى نحو: ﴿مَعَٰيِشَ﴾، ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

الثمرات المستفادة: وعددها ثمانى ثمرات.

الثمرة الأولى:

التصادم فى مخرج الحروف المتحركة تصادم لا زمن لـه، وبيان الحرف المتحرك فى زمن حركته، ولذلك:

عند توالى الحركات (الفتحات أو الضمات أو الكسرات) تأخذ الشفتان وضع النطق بالحركة الأولى ويتصادم طرف كل مخرج مع طرفه الثانى، مع احتفاظ القارئ بالوضع الأول، ولا يحتاج الأمر إلى الرجوع إلى وضع السكون مع بداية النطق بكل حرف.

حجة من يقول بالرجوع إلى وضع السكون مع كل حرف متحرك:

أن عدم الرجوع إلى وضع السكون يؤدى إلى الفتح والضم والكسر فى موضع سكون الحرف.

ويرد على ذلك:
أن الرجوع إلى وضع السكون بعد الحركة يكون بسبب الحرف الساكن لا الحرف المتحرك؛ لأن بيان الحرف الساكن فى زمن سكونه، وبيان الحرف المتحرك فى زمن حركته.

الأمثلة:

فى كلمة ﴿سَأَلَكَ﴾ هنا تتالى أربعة أحرف مفتوحة، فتبقى الشفتان مفتوحتين على وضعهما من بداية النطق بالسين، ويتتالى الاصطدام فى مخارج الحروف المتتابعة حتى الانتهاء من نطق الكاف.

فى كلمة﴿فِيهِ﴾ هنا تَتَالَى حرفان مكسوران بينهما ياء ساكنة، فتبقى الشفتان متباعدتين على وضعهما من بداية النطق بالفاء، ويتتالى النطق بالحروف حتى الانتهاء من نطق الهاء.

فى كلمة ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ هنا تتالى أربعة أحرف مضمومة بالإضافة إلى الواو الساكنة، فتبقى الشفتان على وضع الضم من بداية النطق بالواو الأولى المضمومة، ويتتالى الانتقال إلى مخارج الحروف الأخرى، دون أن يحتاج القارئ إلى الرجوع إلى وضع السكون مع كل حرف، وإنما يظل على وضع الضم حتى ينتهى من إخراج الهاء المضمومة التى قبل الميم مباشرة. تنبيه:

الاحتفاظ بوضع النطق بالحرف الأول ثم توالى الحروف دون تغيير وضع الشفتين يكون فى حال توالى الحركات المتماثلة، وفى جميع حروف الحلق واللسان، ماعدا حروف الشفتين (م– ب– و– ف) والسبب: فى حروف الشفتين الرجوع إلى وضع السكون قبل توالى الفتحات أو الكسرات أو الضمات أمر اضطرارى، لتعذر فعلهما معًا، نظرا لحتمية التصاق الشفتين أو تقاربهما عند التصادم فى مخرج أى حرف من حروفها، فلا يمكن النطق بالحركة إلا بفاصل بين (التصادم والتباعد للحركة)، أما حروف الحلق واللسان فيمكن أن يعتمد الصوت على مخرج أصل الحركة مع بداية تصادم طرفى المخرج ويتصادم القارئ فى مخرج تلو الآخر دون أن يؤثر ذلك على شكل الشفتين.

وهذا الأمر لا يمكن إيضاحه أكثر من ذلك إلا بالمشاهدة والمشافهة.

الثمرة الثانية:

تُضَمُّ الشفتان في:

حالة النطق بالواو الساكنة (مقدَّرة أو محققة).

حالة النطق بحركة الضم.

لحظة التصادم فى الواو المتحركة قبل التباعد للحركة.

وضم الشفتين عند النطق بحرف ساكن (غير الواو) عمل يسميه العلماء (الإشمام)، ويقصد منه الإشارة إلى حركة حرف سكن لسبب، وهو في الأصل مضموم، وهذا العمل صحيح في مواضعه وبضوابطه، خطأ في غيرها.

والماهر هو الذي يراعى- عند توالى الحركات المختلفة وبينها سكون- ألا يصاحب الحرف الساكن حركة ضم، ولا خفض، ولا فتح.

أمثلة :

- كلمة ﴿ تُبْتُمْ ﴾.

الحرف الأول منها تاء مضمومة بعدها باء ساكنة، ثم تاء مضمومة بعدها ميم ساكنة.

فعلى القارئ أن يضم شفتيه بمجرد التصادم في مخرج التاء الأولى، ثم يعيد الشفتين إلى وضع السكون للنطق بالباء الساكنة، ثم يضم شفتيه بمجرد التصادم فى مخرج التاء الثانية، ثم يعيد الشفتين إلى وضع السكون للنطق بالميم الساكنة.

ولا بد من الاحتراز من الاحتفاظ بضم الشفتين عند النطق بالحرف الساكن إن أتى قبله أو بعده حرف مضموم.

- كلمة﴿ رُدُّوهَآ ﴾.

الحرف الأول منها راء مضمومة ثم بعده دال مشددة مضمومة، ففيها دالان الأولى ساكنة والثانية مضمومة، فعلى القارئ أن:

يضم شفتيه بمجرد التصادم في مخرج الراء، ثم يعود إلى وضع سكون الدال، ثم يعود للضم للنطق بالدال المتحركة، ويستمر محتفظًا بوضع الشفتين حتى ينتهي من إخراج الواو المدية. ويحترز من إبقاء ضم الشفتين عند النطق بالدال الساكنة الواقعة بين ضمتين: ضمة الراء قبلها وضمة الدال بعدها.

- في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾

هذا المقطع يتتالى فيه حرف مضموم ثم ساكن ست مرات:

صُمْمُنْ بُكْمُنْ عُمْيُنْ فالصاد المضمومة بعدها ميم ساكنة- والميم المضمومة بعدها نون ساكنة - والباء المضمومة بعدها كاف ساكنة - والميم المضمومة بعدها نون ساكنة-والعين المضمومة بعدها ميم ساكنة - والياء المضمومة بعدها نون ساكنة.

فعلى القارئ أن يضم شفتيه عند النطق بالحرف المضموم ويعيدهما إلى السكون عند النطق بالحرف الساكن؛ حتى يعطى كل حرف حقه من الحركة والسكون، كل ذلك فى خفة، ودون دفع بالشفتين إلى الأمام.

الثمرة الثالثة:

تحقيق التصادم في مخرج الحرف المتحرك له أبلغ الأثر في فصل الحرفين المتجاورين، فلا يقع القارئ في خطأ إدغام ما يجب عليه إظهاره.

(أمثلة إظهار الحرفين المتماثلين):

الهاءان المتتاليتان في نحو: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾.

وقد يجتمع ثلاث نونات متماثلات متتاليات، وذلك في قراءة ورش في قوله تعالى: ﴿مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ ﴾

حيث تحذف الهمزة (لفظًا) من ﴿إِنِ ﴾ وتنقل كسرتها إلى التنوين في﴿سُلۡطَٰنٍ ﴾ فتجتمع ثلاث نونات متواليات مكسورات.

وعندما يأتي الحرف الأول من المتماثلين بعد حرف مد ولين تكون العناية بإظهارهما أكبر، نحو ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ ﴾ ﴿فِيهِۛ هُدٗى ﴾. وقس على ذلك.

(أمثلة إظهار الحرفين المتجانسين) والأمثلة كثيرة نذكر منها:

(الحاء والعين) في قوله تعالى ﴿زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾.

(السين والزاي) في قوله تعالى ﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴾ .

(التاء والطاء) في قوله تعالى ﴿وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ ﴾.

(أمثلة إظهار الحرفين المتقاربين)، والأمثلة عليه كثيرة أيضًا، نذكر منها:

(القاف والكاف) في قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾، ﴿ لَّكَ قُصُورًا ﴾.

(الدال والذال) في قوله تعالى ﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾.

وقس على ذلك كل نظير. علمًا بأن هناك من يدغم الحرفين المذكورين في: المتماثلين– المتجانسين– المتقاربين من الأمثلة المذكورة وغيرها. أما في قراءة حفص فحكمها الإظهار.

الثمرة الرابعة:

التصادم في الحرف المتحرك (لا زمن له) ومعتمد حركة الحرف مخرجة المحقق؛ لأن الحركة لا يمكن أن تستقل بذاتها ولا أن تنفصل عن الحرف، وينبنى على ذلـك :

أولاً: عند التصادم فى مخرج الحرف المستعلى (الساكن والمتحرك) تكون درجة الاستعلاء واحدة فى الحالتين، أمَّا درجات التفخيم(ثمرة الاستعلاء)، ففى الحرف الساكن: تتوقف على درجة الاستعلاء فقط؛ أما فى الحرف المتحرك: فتتوقف على درجة الاستعلاء ونوع الحركة؛ ولأن بيان الحرف المتحرك فى زمن حركته: فالحركة تفخم مع الحرف المستعلى. وتتفاوت درجة التفخيم بحسب آلية الحركة؛ فالحرف المستعلى المتحرك بالفتح أفخم من الحرف المستعلى المتحرك بالضم، والحرف المستعلى المتحرك بالضم أفخم من الحرف المستعلى المتحرك بالكسر، والسبب: أن تصعد الصوت مع الفتح يعطى فخامة أكبر من اعتراضه (أى بين التصعد والتسفل) مع الضم، واعتراضه يعطى فخامة أكبر من تسفله مع الكسر.

[وسوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل فى باب التفخيم والترقيق].

ثانيا:عند التصادم فى مخرج الحرف المستفل (الساكن والمتحرك)، تكون درجة الاستفال واحدة فى الحالتين، أما درجة الترقيق (ثمرة الاستفال)، ففى الحرف المستفل الساكن: تتوقف على درجة الاستفال فقط، أما فى الحرف المستفل المتحرك: فتتوقف على درجة الاستفال ونوع الحركة؛ ولأن بيان الحرف المتحرك فى زمن حركته؛ فالحركة ترقق مع الحرف المستفل، وتتفاوت درجة الترقيق بحسب آلية الحركة؛ فالحرف المستفل المتحرك بالفتح أقل ترقيقا من الحرف المستفل المتحرك بالضم، والحرف المستفل المتحرك بالضم أقل ترقيقًا من الحرف المستفل المتحرك بالكسر، والسبب: أن درجة امتلاء الفم بصوت الحرف مع الفتح أكبر من

الضم، ومع الضم أكبر من الكسر، لأن الصوت يتصعد مع الفتح، ويعترض مع الضم، ويتسفل مع الكسر.

ثالثاً: درجة التصادم أو درجة الاعتماد بين طرفى المخرج واحدة فى حالتى السكون والحركة، فكما أن الحرف الشديد المجهور يحتاج إلى درجة من قوه التصادم بين طرفي مخرجه حال سكونه، فإنه يحتاج إلى ذات الدرجة عند الابتداء به متحركًا، وكما أن الحرف المهموس الرخو يحتاج إلى درجة من ضعف التصادم بين طرفي مخرجه حال سكونه، فإنَّه يحتاج إلى ذات الدرجة عند الابتداء به متحركًا، وقس على ذلك. ولذلك: يجب أن ينتبه القارئ عند تجاور حرفين متحركين أحدهما قوي والآخر ضعيف، نحو: تلاقى الباء مع الثاء كما فى قوله: ﴿ بِثَلَٰثَةِ ﴾، فالتصادم فى مخرج الباء أقوى من التصادم فى مخرج الثاء.

ونحو: تلاقي الكاف مع الفاء فى قوله: ﴿كَفَرَ ﴾، فالتصادم فى مخرج الكاف أقوى من التصادم فى مخرج الفاء، وقس على ذلك.

الثمرة الخامسة:

الحركات تكون أصلية وفرعية.

فالأصلية ثلاث: الفتحة المحضة، والكسرة المحضة، والضمة المحضة.

والفرعية اثنتان:

الأولى: الفتحة الممالة، وهى نوعان:

الفتحة الممالة إمالة كبرى، والفتحة الممالة إمالة صغرى (التقليل)، وهما حينئذٍ حركتان فرعيَّتان لا هما بكسرة محضة ولا بفتحة محضة، نحو:

تقليل ورش ﴿رَءَا كَوْكَبًا ﴾، وصل السوسى ﴿ نَرَى ٱللَّهَ ﴾، وقف الكسائى على ﴿رَحْمَةً ﴾، وما شابههما.

وكما أن الفتحة المحضة زمنها يساوى نصف زمن الألف المحضة، كذلك الفتحة الممالة زمنها يساوى نصف زمن الألف الممالة، والفتحة المقللة زمنها يساوى نصف زمن الألف المقللة.

الثانية: الكسرة المشمة بالضمة في نحو: ﴿ قِيلَ ﴾﴿ وَغِيضَ ﴾ ﴿وَسِيقَ ﴾، فلا هي بكسرة محضة، ولا بضمة محضة.

وأشار إلى الحركات الفرعية الإمام الطيبى بقوله:

وَالحَـــرَكَاتُ وَرَدَتْ أصليَّهْ   وَهْيَ الثلاثُ وَأَتَتْ فرعيَّهْ

وَهْيِ التي قبلَ الذي أُمِيلا   وكســرُهُ كضـمِّهِ كَقِـيلا

الثمـرة السادسة:

(فصاحة الحرف المتحرك تختبر بأصل حركته)

فالألف أصل حركة الفتح، فلو طوَّلنا صوت الحرف المفتوح فخرجت لنا الفتحة ألفًا تامة فصيحة، فهو فصيح.

والواو أصل حركة الضم، فلو طوَّلنا صوت الحرف المضموم فخرجت لنا الضمة واوًا تامة فصيحة، فهو فصيح.

والياء أصل حركة الكسر، فلو طوَّلنا صوت الحرف المكسور فخرجت لنا الكسرة ياء تامة فصيحة، فهو فصيح.

ولزيادة الإيضاح نقول:

الحرف المتحرك: يأتي بعده أصل حركته أو أي حرف آخر، فإذا مددنا الذي بعده حرف آخر فخرج لنا أصل حركته فهو فصيح، فمثلاً:

الميم المتحركة بالفتح تأتي وبعدها ألف، نحو: ﴿مَالِ﴾، وتأتي وبعدها حرف آخر، نحو: ﴿مَرْيَمَ﴾، ﴿مَعَهُ﴾، ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾.

فإذا مددنا الميم المفتوحة في الكلمات الثلاث فخرجت لنا الفتحة ألفًا صوتها مساوٍ تمامًا لألف ﴿مَالِ﴾ فهي فصيحة.

والميم المتحركة بالضم تأتي وبعدها واو، نحو﴿مُوسَىٰ﴾، وتأتي وبعدها حرف آخر، نحو: ﴿مُؤْمِنٍ﴾، ﴿مُحَرَّمٌ﴾، ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾.

فإذا مددنا الميم المضمومة في الكلمات الثلاث فخرجت لنا الضمة واوًا صوتها مساوٍ تمامًا لواو ﴿مُوسَىٰ﴾ فهي فصيحة.

والميم المتحركة بالكسر تأتي وبعدها ياء، نحو:﴿مِيعَادُ﴾، وتأتي وبعدها حرف آخر، نحو: ﴿مِنْهُمْ﴾، ﴿مِمَّا﴾، ﴿مِصْرَ﴾.

فإذا مددنا الميم المكسورة في الكلمات الثلاث فخرجت لنا الكسرة ياءً صوتها مساوٍ تمامًا لياء ﴿ مِّيعَادُ ﴾ فهي فصيحة.

وبضبط الحركات الثلاث على أصل حركتها يستطيع القارئ أن يتعرف على الحرف المتحرك الفصيح، فيأتي أولاً بالحرف المتحرك وبعده أصل حركته، أى يأتي بعده بألف مدية لينة إن كان الحرف متحركًا بالفتح، ويأتي بعده واو مدية لينة إن كان الحرف متحركًا بالضم، ويأتى بعده ياء مدية لينة إن كان الحرف متحركًا بالكسر. ثم يضبط عليه باقي أحواله أى حال كونه مشددًا، أو منونًا، أو متحركًا وبعده حرف متحرك، أو حال كونه متحركًا وبعده حرف ساكن (ليس أصل حركته). وعلى هذا المنوال يأتي بجميع أحرف الهجاء، ويتدرب على أحوالها جميعًا منفردة أولاً ثم مركبة في كلمة، ويستمر على ذلك حتى يتذلل لسانه للنطق الصحيح ويصير له عادة وسجية.

نموذج للتدريب على حرف متحرك، واخترنا حرف الباء:

باء متحركة وبعدها أصل حركتها	بَاعِدْ	بُورِكَ	مُّبِينٌ
باء متحركة وبعدها حرف متحرك	بَعَثَ	بُيُوتِ	بِكُلِّ
باء متحركة وبعدها حرف ساكن محقق	بَعْدِهِ	بُعْدًا	بِهْ
باء مشددة	وتَبَّ	حُبُّ	الجُبَّ
باء منونة	عذابًا	قَرِيبٌ	مُرِيبٍ

واختلاف صوت الحرف المتحرك عن صوت أصل حركته خطأ يسمى (لحن الحركة)، ولابد من الانتباه إلى:

أولاً: لحن حركة الضم ولحن حركة الكسر يأتى من اتجاه صوتهما ناحية الفتح، أماً لحن حركة الفتح فيأتى من:

- اتجاه صوتها ناحية الكسر، فتخرج ممالة، وهذا الخطأ يقع ممن يرققون الحروف عن طريق بسط الشفتين.
- اتجاه صوتها ناحية الواو، فتخرج مخطوطة بالواو، وهذا الخطأ يقع ممن يفخِّمون الحروف عن طريق ضم الشفتين.

ثانيـا: وقوع اللحن فـى حركـة الفتح أقل مـن وقوعـه فـى حركتـى الضـم والكسر، والسـبب: خروج الفتحة بمجرد تصعد الصوت، واحتياج الضمة إلى مشاركة الشفتين، واحتياج الكسرة إلى مشاركة وسط اللسان.

ثالثا:الحرف المتحرك يأتى بعده: حرف ساكن هو أصل حركتـه أو حرف متحرك أو حرف ساكن محقق:

١- الحـرف المتحـرك الذى يأتي بعده أصـل حـركته: قليـلاً ما يقـع فيه لحن الحركة، والسبب : أن زمن الحركتين يعطى للقارئ فرصة التمكن من مخرج أصل الحركة.

٢- الحـرف المتحـرك الـذى يـأتى بعده حـرف متحـرك: كثيـرًا مـا يقـع اللحن فـي المضـموم والمكسور ويعدهما حرف متحرك، والسبب:

أَنَّ زمـن الحركــة الواحــدة لا يعطــى للقــارئ غيــر المتمــرس الفرصــة الكافيــة لاعتمــاد الصوت على جوف الشفتين فـى المضموم، أو جوف وسط اللسـان فـى المكسور، فتكون النتيجة أن يتجه صوت الحركتين إلى الفتح لكون الألف ليس لها عضو يشارك الجوف.

الحـرف المتحــرك الـذى بعـده حــرف ســاكن محقــق : فاحتمـالات وقـوع اللحــن فــى المتحرك وبعده ساكن محقق أكبر بكثير من احتمالات وقوع اللحن فـى المتحرك وبعده متحرك، والسبب:

كلمـا قصـر الـزمن بـين الحـرفين المتجـاورين زاد اللحـن، فالمســافة الصـوتية التـى بـين الحــرفين المتحــركين أطـول مـن المسـافة الصـوتية التـي بـين المتحـرك والسـاكن بعـده. لأن المتحرك وبعده متحرك ننطق بهما كحرفين مستقلين رغم اجتماعهمـا فـي كلمـة لكـون كُلٌّ منـهما لا يعتمد في نطقه على الآخر، وهذا بدوره يخلق مسـافةً مـا بـين الحـرفين تمكـن القارئ من ضبط الاعتماد على أصل الحركة مقارنـة بـالحرف المتحرك وبعده ساكن، فعند اجتماعهمـا فـي كلمـة، لا يمكـن النطق بالسـاكن إلا بوجـود المتحـرك قبلـه (لكـون الحركـة واصلة ورابطة بين الحرفين أى بين المتحرك والساكن بعده).

رابعًا: من ثمرة العلاقة (بين المتحرك والساكن بعده) أن المسافة بينـهما تكون قصيرة جدًّا.

وإذا لـم ينتبـه القـارئ إلـى ذلـك فسيفقد الحـرف المتحـرك فصـاحته ويخـرج مخلوطـاً بـالفتح أو ممطـوطًا ويعـده ألف أو واو أو يـاء بحسـب نوع حـركتـه، وهذا ملاحـظ بالأداء ويحـتـاج

إلى المشافهة على متقن، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ- عند تحرك الحرف الساكن الأخير من الفعل بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين، نحو: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

يجب أن تكون المسافة بين الراء واللام وبين اللام واللام قصيرة جدا.

عند إخفاء النون الساكنة عند حرف من حروف الإخفاء، نحو التاء في:﴿كُنتُمْ﴾:

يجب أن تكون المسافة بين الكاف والتاء الساكنة (المخفى عندها) قصيرة جدًّا.

وعند إخفاء النون الساكنة عند الباء نحو ﴿أَنۢبِئْهُم﴾:

يجب أن تكون المسافة بين الهمزة والميم الساكنة المقلوبة قصيرة جداً.

ج- وعند إدغام النون الساكنة في حرف الواو، في نحو ﴿مِن وَالٍ﴾:

يجب أن تكون المسافة بين الميم والواو الساكنة المبدلة قصيرة جداً.

وعند إدغام الميم الساكنة في الميم في نحو ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ :

يجب أن تكون المسافة بين الكاف والميم الساكنة قصيرة جدا.

وقس على ذلك كل نظير من كل حرف متحرك وبعده ساكن.

فالقاعدة التي تحكم العلاقة بين الحرفين (اى المتحرك والساكن بعده) عامة.

الثمرة السابعة :

أزمنة الحروف المتحركة متساوية، والسبب: أن الحركة تساوي نصف زمن حرف المد واللين أو نصف زمن أصل الحركة، ولذلك:

١- تطويل زمن حركة عن أزمنة ما جاورها من الحركات خطأ في القراءة سماه العلماء (التمطيط) وهو من اللحن الجلى؛ لأنه يُدخِلُ حروفًا على الكلمة لا توجد فيها، ومثال ذلك:

﴿وَيَجْعَلُ﴾ إن أعطى ضمة اللام زمنًا أكثر مما تستحقه زاد واوًا، ويصير النطق بلام مضمومة بعدها واو ساكنة ممدودة. وقس على ذلك كل نظير.

وهذا الخطأ أكثر وقوعًا في الكلمات التي آخرها حرف مد محذوف رسمًا، نحو:﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، إن أعطى كسرة الفاء زمنًا أكثر من زمن حركة واحدة، زاد ياءً فتصير (أُوفِى). ومثلها ﴿رَبِّ﴾، ﴿ٱدْعُ﴾ ... إلخ.

فائدة: في سورة الشورى فى الآية الثلاثين في قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم ... وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾.

وفي الآية الرابعة والثلاثين من السورة نفسها فى قوله تعالى:

﴿ إِن يَشَأۡ ... وَيَعۡفُ عَن ... ﴾.

تكرر الفعل ﴿ يَعۡفُوَ ﴾ مرتين:

الأولى ﴿وَيَعۡفُواْ ﴾، بإثبات الواو (فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدَّرة على الواو للثقل)، والثانية ﴿وَيَعۡفُ ﴾، بحذف الواو (فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره).

٢- تقصير زمن حركة عن أزمنة ما جاورها من الحركات سماه العلماء (الاختلاس)، وهو وارد في التلاوة، وحكمه صحيح في مواضعه، وبضوابطه، أمَّا في غير ذلك فغير صحيح، والواجب المساواة بين أزمنة الحروف المتحركة فلا تكون حركة أقصر من جيرانها. واختلاس الحركات– بغير رواية– خطأ، وأكثر ما يقع عند توالي الحركات.

أمثلة لبعض الحركات التي قد تختلس بسبب توالي الحركات المتماثلة:

قد تختلس حركة فتح لتتابع الفتحات نحو: ﴿ وَوَجَدَكَ ﴾. ﴿سَأَلَكَ ﴾ .

وقد تختلس حركة ضم لتتابع الضمات نحو:﴿تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ ﴾ ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾.

وقد تختلس حركة كسر لتتابع الكسرات نحو: ﴿ بَارِئِكُمۡ ﴾. ﴿بِهِم ﴾ .

أمثلة لبعض الحركات التي قد تختلس لوقوع حركة مخالفة بين حركتين متماثلتين:

الهاء المضمومة الواقعة بين فتحتين: ﴿وهُوَ ﴾. ﴿فَهُوَ ﴾.﴿لَهُوَ ﴾.

الظاء المكسورة الواقعة بين فتحتين: ﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾.

اللام المكسورة الواقعة بين فتحتين: ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ .

أمثلة لبعض الحركات التي قد تختلس بسبب تتابع الحركات المختلفة:

الراء المكسورة الواقعة بين ياءين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة كما فى ﴿لِيُرِيَهُمَا ﴾.

الواو المكسورة والراء المضمومة بعدها لتتابع الحركات الثلاث مع تشديد الواو، كما فى﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ العين المكسورة والظاء المضمومة كما فى ﴿يَعِظُكُم﴾ والعين المكسورة والدال المضمومة كما فى ﴿يَعِدُكُم﴾ .

تنبيــه:

نطق الساكن بحركة مختلسة يؤدى إلى قلب الساكن متحركا والعكس.

وهذا يحدث من الذين اعتادُوا نطق حروف القلقلة الساكنة مائلة للحركة.

فينطقون الدال المكسورة فى نحو ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ بكسرة مختلسة، مثل ما ينطقون الدال الساكنة فى نحو ﴿وَلَقَدْ كَانَ﴾ .

وينطقون الباء المضمومة فى نحو ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بضمة مختلسة، مثل ما ينطقون الباء الساكنة فى نحو ﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾.

وينطقون الجيم المفتوحة فى نحو ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ بفتحة مختلسة، مثل ما ينطقون الجيم الساكنة من ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

وينطقون الطاء المضمومة فى نحو ﴿فَطُبِعَ﴾ بضمة مختلسة، مثل ما ينطقون الطاء الساكنة من ﴿يُطْفِـُٔواْ﴾.

وينطقون القاف المضمومة فى نحو ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ﴾ بضمة مختلسة، مثل ما ينطقون القاف الساكنة فى نحو ﴿تُقْبَلَ﴾.

ولا شك أن جعل الحرف المتحرك ساكنًا والساكن متحركًا من اللحن الجلى لأنه يغير المعنى، وإليك دليلاً على ذلك:

كلمة﴿ٱلسَّبُعُ﴾،بضم الباء، معناها: الحيوان المفترس المعروف،أما ﴿ٱلسَّبْعِ﴾، بإسكان الباء فمعناها: العدد سبعة.

الثمرة الثامنة والأخيرة:

حروف الكلمة لها مبنيان: مبنى حرفى ومبنى حركى، ولابد من كمال المبنيين معًا حتى يستقيم اللفظ مع المعنى.

فلاحظ حروف الكلمات: ﴿زُحْزِحَ﴾ ﴿خَفَّفَ﴾ ﴿رَفْرَفٍ﴾ ﴿أُفٍّ﴾ .. وغيرها كثير.

تجد أن البنيان الحرفى للكلمة يتسق مع البنيان الحركى فخرج اللفظ معبرًا عن المعنى، وهذا من جمال اللغة، ومع حسن الأداء تزداد اللغة جمالاً، ولذلك يجب أن ينتبه القارئ عند نطقه للكلمات أن يعبر اللفظ عن المعنى، لأن فى اللغة كلماتَ- على الرغم من أن حروفها مشكولة- إلا أننا يمكننا نطقها بطريقتين مختلفتين، تؤدى كل واحدة منهما إلى معنى مختلف. وأبرز الأمثلة على ذلك: الأفعال التى يُلحَقُ بها حرف من الحروف اللواصق، وهى حروف تلتصق بفعل من الأفعال وتكون زائدة على أصل الفعل، وبيان زيادتها عند القراءة ضرورى لبيان المعنى. نحو الفاء الزائدة فى:

﴿فَقَسَتْ﴾ ﴿فَقَعُواْ﴾ ﴿فَعَصَىٰ﴾ ﴿فَسَقَىٰ﴾

فعند النطق بـ ﴿فَقَسَتْ﴾، يجب أن يخرج القارئ حروفها على أن أصل الفعل (قَسَا يَقْسُو) وليس من فَقَس يفقِسُ.

وعند النطق بـ ﴿فَقَعُواْ﴾، يجب أن يخرج القارئ حروفها على أن أصل الفعل (وَقَعَ يَقَعُ)، وليس من فَقَعْ يَفْقَعُ.

وعند النطق بـ ﴿فَعَصَىٰ﴾، يجب أن يخرج القارئ حروفها على أن أصل الفعل (عَصَى يَعْصِى)، وليس من فَعَصَ يَفْعَصُ.

وعند النطق بـ﴿فَسَقَىٰ﴾، يجب أن يخرج القارئ حروفها على أن أصل الفعل (سَقى يَسقى)، وليس من فَسَقَ يَفْسُق.

ويمكن للقارئ التدريب على نطق هذه الكلمات، وما ماثلها، بطريقة صحيحة: بأن يقوم أولاً بنطق الكلمة مجردة من الحروف الزوائد، ثم ينطقها ثانياً بطريقة تظهر الحرف الدخيل وتوضح زيادته على أصل الفعل.

* * *

الفصل الخامس

المخرج العام الثاني: الحلق

ـــ

الحلق هو مؤخرة الفم فى البلعوم، ويقع تحت مستوى الذقن مباشرة؛ في الجزء الذي بين الحنجرة وأقصى اللسان.

وفي الحلق ثلاثة مخارج خاصة:

أقصى الحلق، وسط الحلق، أدنى الحلق، تخرج منها ستة أحرف.

ونجد ذلك فى قول الإمام ابن الجزرى:

ثُمَّ لأَقْصَى الْحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ   ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ

أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا ....

أولاً: أقصى الحلق مع ما يحاذيه من أقصى الحلق:

وأقصى الحلق، أى أبعده من ناحية الصدر، ويقع عند الحنجرة خلف ما يسمى بتفاحة آدم، وهو ما نراه ناتئًا فى الرقبة عند الرجال.

ويخرج من أقصى الحلق حرفان: الهمزة والهاء.

حرف الهمزة:

تخرج الهمزة بكيفية الصوت الشديد المجهور، فمع بداية الاعتماد على مخرجها يحتبس الهواء والصوت معًا لانغلاق المخرج والحبلين تماماً.

وإذا سكنت الهمزة يسمونها- وقفة حنجرية- لأنها لا تكتمل بالقلقلة، مثل باقى الحروف الشديدة المجهورة؛ وإنما يظل مخرجها والحنجرة (الحبلان الصوتيان)، فى حال الانغلاق التام زمن النطق بها.

السبب فى عدم قلقلة الهمزة:

هو ضيق مخرجها، وشدة انضغاطه، ووقوعه فى منطقة الحنجرة وأمام البلعوم، فمع سكونها ينغلق الحبلان تمامًا ويحتبس الهواء وراءهما بقوة، فإذا دُفع بقوة (كما يحدث عند إرادة القلقلة) انفتح الحبلان والبلعوم معًا، وتكيف الهواء بصوت كصوت المُتَقَيِّئ، ولبشاعة هذا الصوت أجمع العرب على عدم قلقلتها.

قال فى الرعاية:

سماها الخليل بن أحمد: الصوت الجرْسى. والجرْس فى اللغة الصوت، وسماها: الصوت المهتوف، والهتف فى اللغة الصوت الشديد، يقال هتف أى صوَّت.

فالهمزة يصوَّت بها عند النطق أى يعلو بها الصوت من قوة جهرها نتيجة لقوة انضغاط مخرجها مع قربه الشديد من الحنجرة. فلما كان فى صوت الهمزة زيادة على الصوت فى سائر حروف القلقلة امتنع قلقلتها، وقال: إنها كالمتهوع[1] أو كالسُّعْلَة أو كالسَّعْلَة[2]. انتهى بتصرف.

أمَّا القول بأن عدم قلقلة الهمزة سببه ما يعتريها من تغيير مثل: الإبدال والتسهيل وغيره فغير صحيح؛ لأن تغيير الهمزات منقول عن بعض القراء لا عن جميعهم، كما أنه لا يشمل جميع الهمزات الساكنة، ولو كان السبب فى عدم القلقلة هو تغيير الهمزة لاتفق الجميع على تغيير كل همزة ساكنة، كما اتفقوا على عدم قلقلتها.

والهمزة مثلها مثل باقى حروف الهجاء تثقل بالسكون وتخف بالحركة؛ لأن السكون يلزمه إحكام التصادم فى المخرج، أما الحركة ففيها تباعد عن المخرج.

ولكون الهمزة هى الحرف الوحيد (الشديد المجهور)، الذى لا يقلقل عند السكون، فإذا سكنت ثقلت جدًّا، وإذا تحركت استُثْقلت أيضًا، فجاز فيها التحقيق، والتخفيف بأنواعه من إبدال، وتسهيل، ونقل، وحذف، وغيرها من وسائل تخفيف الهمزة التى سبق ذكرها ضمن موضوعات الباب الثالث من هذا الكتاب فارجع إليه ص ١٩٨

وأكثر العرب لا تستعمل فى كلامها الجمع بين الهمزتين، لما فى ذلك من الثقل لتكرار التكلف فى نطق الهمزتين.

قال فى الرعاية: الهمزة منَ الحروفِ الزوائدِ، وَمِنْ حروفِ البدلِ، وَلمْ يَكُنْ لَهَا صُورةٌ فِى الخطِّ، واستثقلها العربُ فكثُرَ تغييرُهَا فى كَلاَمِهِمْ. فيجبُ على القارئ أنْ يعرفَ جميعَ ذلك مِن أَحوالِها وطِباعِها فيتوسَّطَ اللَّفظَ بها، ولا يَتَعَسَّفَ فى شِدَّةِ إخراجِها إذا نَطقَ بِها، لَكِنْ

---

[1] المتهوع: المتقيئ، ويقال: تهوَّع القئ، أى تكلَّفه.

[2] السُعْلَة (بضم السين): المجىء بحركة تدفع بها الطبيعة أذى عن الرئة والأعضاء المتصلة بها . أمَّا السَّعْلة (بفتح السين): فهى اسم مَرَّة من (سعل) ويكون معناها: الكحَّة.

يُخرِجُها بِلَطافةٍ وَرِفْق، لأَنَّها حَرْفٌ بَعُدَ مخرَجُه، فصَعُبَ اللَّفْظُ به لِصُعوبَتِه، ولذلك لَم تَسْتَعْمِل العربُ هَمْزَتَيْنِ مُحَقَّقتَيْنِ مِن أَصلِ كَلِمَةٍ، ولا توجدُ همزةٌ مُدْغَمَةٌ فى همزةٍ، فإذا أخرجها القارئ من لفظِه بِرفقٍ ولُطْفٍ، ولَم يتعسَّفْ باللَّفْظِ بها فقدْ وَصَل إلى اللّفظِ المسْتَحْسَنِ المختارِ فيها.

فقد حُكِيَ عن حمَّادِ بن زيدٍ أَنَّه قال: رأَيْتُ رجُلاً يَسْتعدِى على رجُلٍ بالمدينةِ، فَقُلْتُ له: ما تريدُ منه؟ فقال: إنه يتهدَّدُ القرآنَ، قال: فإذَا المطلوبُ رجُلٌ إذا قرأ يهمِز، يعنى أنه كان يهمزُ همزًا مُتَعَسِّفًا.

فيجِبُ على القارئ أَن لا يتكلَّفَ فى الهمزةِ ما يَقْبُحُ من ظهورِ شِدَّة النَّبرِ بنبرةِ الصَّوتِ، وأَنْ يلفِظَ بالهمزِ لفظًا سهْلاً، فقد قال أَبو بكرِ بن عياشٍ، صاحبُ عاصم: كان رجل يهمز "مؤصَدَة" فأَشتهي أَنْ أَسُدَّ أُذُنَيَّ إذا سمعتُهُ يهمزُها، يريد أَنَّه كانَ يتعسَّفُ فى اللَّفْظِ بالهَمز، ويتكَلَّفُ شِدَّة النَّبْر فَيَقْبُحُ لَفْظُه بها. انتهى.

أمثلة لبعض أحوال الهمزة التى ينبغى الانتباه إليها:

(١) إذا توسطت الهمزة الساكنة، نحو ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَبِئْرٍ﴾، ﴿تَأْلَمُونَ﴾، أو وقف القارئ عليها بالسكون نحو: ﴿أَسَوَاْ﴾، ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾، فلابد من التكلف فى إظهارها بدون نبر أو قلقلة.

وتتأكد هذه العناية إذا أتى قبلها حرف مد ولين، أو حرف لين، نحو:

﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾، ﴿سُوٓءٌ﴾، ﴿شَىْءٍ﴾. أو أتت الهمزة ساكنة للوقف وقبلها حرفان مشددان نحو: ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾.

وإذا أتى قبلها حرف ساكن محقق كانت العناية بها آكد وآكد، نحو: ﴿دِفْءٌ﴾، ﴿مِّلْءُ﴾.

وعند النطق بالهمزات الساكنة لابد: أن يغلق القارئ الحنجرة بقوة بدون تكلف أو نبر، ولابد أن يعطى زمنًا للاحتباس، وعند فتح المخرج عقب الاحتباس لا يخرج نفس أو هاء.

ولا يبالغ فى تعميقها فينضغط صوتها جدًا، فتخرج معيبة لخروجها من غير مخرجها.

(٢) من الحروف الفرعية المتفق على فرعيتها (الهمزة المسهلة)، وهى التى ينطق بها مُلَيَّنة لا هى همزة محققة، ولا هى ألف، أو واو، أو ياء، وهى على ثلاثة أقسام:

أن تكون: بين الهمزة والألف نحو: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾.

أوبين الهمزة والياء نحو: ﴿ أَءِنَّكَ ﴾.

أوبين الهمزة والواو نحو: ﴿ أَءُنزِلَ ﴾.

والتسهيل مضبوط بالرواية. وقد سبق أن تناولناه ضمن وسائل تخفيف الهمزات بالفصل الثانى من الباب الثالث بهذا المجلد. ص ١٩٨

وأكثر ما يقع خطأ التسهيل فى:

- الهمزات المتتالية، نحو: ﴿ جَآءَ أَمْرُنَا ﴾، ﴿ وَرَآءِ إِسْحَٰقَ ﴾، ﴿ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾.
والملاحظ عند اجتماع الهمزتين أن خطأ التسهيل- بدون رواية- يأتى في الهمزة الثانية غالبًا.
ولعدم الوقوع فى خطأ التسهيل: يجب أن يحقق تمام التصادم بين طرفى مخرج الهمزتين بدرجة واحدة.
- الكلمات المبتدأة بالهمز، نحو: ﴿ ءَامَنَ ﴾، ﴿ ءَاتِى ﴾، ولعدم الوقوع فى خطأ التسهيل: يجب أن يحقق الهمزة الأولى، ثم ينطق بالألف بعدها.
- الكلمات التى أتت بها الهمزة متحركة بعد حرف من حروف المد واللين الثلاثة، نحو: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ﴾، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّ ﴾، ﴿ شُرَكَآءَ قُلْ ﴾ ،﴿ ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ ﴾.
- الهمزات المكسورة وقبلها كسر، نحو: ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾، ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ .
- الهمزات المكسورة وقبلها ضم، نحو: ﴿ سُئِلَتْ ﴾
- الهمزات المضمومة وقبلها كسر، نحو: ﴿ يَسْتَهْزِئُ ﴾.
- الهمزات المضمومة وقبلها ضم، نحو: ﴿ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ ﴾ .

ويستطيع القارئ أن يتلافى الوقوع فى خطأ التسهيل إذا علم أن هذا الخطأ يأتى من عدم تحقيق تمام التصادم بين طرفى مخرج الهمزة مع بداية النطق بها متحركة بالفتح أو بالضم أو بالكسر.

(٣) الهمزة حرف مستفل منفتح، فهي مرققة على كل حال، فيجب المحافظة على عدم امتلاء الفم بها سواء أتت ساكنة أو متحركة.

ولقد ذكر الإمام ابن الجزرى بعض الهمزات التى قد يسبق اللسان إلى تفخيمها فقال:

وَهَمْزَ أَلْحَمْدُ أَعُوذُ إِهْدِنَا أَللهَ ....

أى عليك بترقيق الهمز إذا ابتدأت بها نحو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾،﴿أَعُوذُ﴾، ﴿ٱهۡدِنَا﴾ .

ومثلها: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾. وكل ما شابه ذلك.

أو أتى بعدها حرف مفخم، نحو اللام المغلظة فى لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾، ومثله:

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ ﴿أَطَّلَعَ﴾،﴿أَصۡطَفَى﴾.

وأيضًا إذا وقعت بين حرفين مفخمين مثل الألف والراء فى ﴿لِقَآءَ رَبِّى﴾ أو أتت الراء المفخمة بين همزتين فى نحو ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾، فالراء هنا قد اكتنفها همزتان واحدة قبلها، والثانية بعدها، فمع تفخيم الراء قد تفخم الهمزة الأولى أو الثانية أو هما معًا. وخلاصة الأمر: إذا جعل القارئ إعماله على ضبط مخرج الهمزة، فى جميع أحوالها، خرجت مرققة؛ لأنها لا يصاحبها استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة، فيجب أن ينتبه القارئ إلى ذلك، وبخاصة إن أتى قبلها أو بعدها حرف مفخم.

حرف الهاء :

تخرج الهاء بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق بها بضعف اعتماد بين طرفى مخرجها، يجعل صوتها جاريًا جريانًا تامًّا، ويجعل هواءها كثيرًا لا يتكيف كله بالصوت، فيجرى صوتها والنفس معًا في آنٍ واحد .

والهاء حرف مستفل منفتح، لا يستعلى معها أقصى اللسان بالإرادة، ولا تفخم بحال، وهى أضعف الحروف على الإطلاق، لكونها أضعف الحروف الضعيفة لأنها أبعدهن عن مقدم الفم ومع كونها مستفلة منفتحة فقد جمعت الصفات الضعيفة مع بُعد المخرج.

وكما سمى العلماء الهمزة بالحرف الجرسى، أو المهتوف، لقوة صوته بسبب جهره، وشدته مع بُعْدِ مخرجه، وانضغاطه، فقد سموا الهاء بالحرف الخفى، لضعف صوته بسبب همسه، ورخاوته، مع بُعْدِ مخرجه (من دون انضغاط).

ولأن الحروف المهموسة (فى الجملة)، أخفى وأضعف من الحروف المجهورة (فى الجملة)، فالهاء أخفى وأضعف الحروف المهموسة على الإطلاق، فكل حرف يأتى بعد الهاء، أو قبلها يكون أقوى منها، ولذلك: يجب المحافظة على بيانها حيث وقعت، ومعنى بيانها: (تحقيق مخرجها وضبطه)، فلو لم يتحفظ على بيانها سواء وقعت في درج الكلام، أو موقوفًا عليها لمال الطبع إلى ترك مخرجها لبعده، فتكاد تنعدم في اللفظ، أو ربما انعدمت تمامًا خاصة إذا تطرفت ساكنة.

والعناية بضبط مخرجها لا يقصد منه تقوية الاعتماد- كما يفعل البعض- فيقل همسها ويخرج صوتها قويًا فى السمع.

أمثله لبعض المواضع التى تحتاج إلى الانتباه إليها عند النطق بالهاء :

- لا يصاحب الهاء استعلاء ولا تفخم مطلقًا وخاصة إذا جاورها حروف مفخمة، نحو: الهاء الواقعة بين الطاء والراء﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾، أو الواقعة بين الألف المفخمة والغين ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾، أو عند الوقف عليها وقبلها حرف مفخم، نحو: ﴿ ٱللَّهَ ﴾ ﴿فِضَّةٍ ﴾ ﴿ صِبْغَةَ ﴾.
- إذا جاورت الهاءُ حرفًا من حروف الحلق كانت هى أضعف منه، فلابد من الانتباه إلى تحقيق مخرجها حتى لا يجذبها إليه، وخاصة حرفى وسط الحلق (الحاء والعين) بسبب التقارب الشديد بينهما، فى مثل: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾. وقد يخطئ البعض فيبدلون الهاء حاءً إذا جاورت الهاء الحاء، ينطقون بحاء واحدة مشددة، أو يبدلون الهاء عينًا إذا جاورت الهاء العين، وقد ينطقون بعين واحدة مشددة. وكل ذلك لحن جلى لا يجوز إجماعًا.
- يجب الحرص على بيان الهاء وإظهارها إذا أتت مكسورة، نحو:﴿ أَنفُسِهِمْ ﴾، أو بعد ياء ساكنة نحو: ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾.

وإذا تكررت من كلمتين، نحو: ﴿فِيهِ هُدًى﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾، فيجب إظهار الهاءين، إلا إذا أتت الرواية بإدغامهما.

وإذا تكررت من كلمة واحدة، نحو: ﴿إِكْرَٰهِهِنَّ﴾، ﴿وُجُوهُهُمْ﴾، ﴿يُلْهِهِمُ﴾، فلابد من تبيين الحرفين، وتصفية لفظهما من غير عجلة تجحف لفظ الهاء، أو تمطيط يثقل على الأسماع والقلوب.

وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى فى المقدمة الجزرية:

.... وَصَفِّ هَا جِبَاهُهُمْ عَلَيْهِمُ

- إذا وقعت الهاء بين ألفين نحو: ﴿بَنَٰهَا﴾ ﴿طَحَٰهَا﴾ ... إلخ.
  كان التحفظ على ضبط مخرجها وتحقيقها آكد؛ لأن خروج الألف بتصعد الصوت لعدم وجود عضو نطق يشارك الجوف، يجعل عدم تحقيق مخرج الهاء، تأثرًا بالألف، هو الأيسر فيسرع القارئ إليه.
- الحركة صوت مجهور، وكل حرف خفى إذا تحرك قوى صوته بالحركة، وبالتالى: فصوت الهاء الساكنة أشد خفاءً من المتحركة، لذا احتاجت إلى شديد العناية بتحقيق مخرجها مع جريان صوتها والنفس معًا بحيث يكون كل الهواء الحامل لصوتها هاءً خالصة، وليس حاءً، ولا مخلوطًا بحاء، وبخاصة: إذا سكنت موقوفًا عليها، وتتأكد العناية إذا أتى بعدها حرف ساكن فاجتمع ساكنان فى الوقف أحدهما هاء نحو: ﴿عَهْدٌ﴾. وإذا أتت الهاء ساكنة وقبلها حرف مفتوح فينبغى الاحتراز من الاعتماد على الجوف بدلاً من الهاء نحو: الوقف على ﴿ثَلَٰثَةِ﴾، ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، فمن لم يحترز يُبْدل الهاء، الساكنة ألفًا فينطق (ثلاثا– القارعا).

قال فى الرعاية:

"فإن سَكَنَت الأُولى من الهاءيْن وجَب إظهارُ الإدغامِ والتَّشديدِ وبيان الهاءِ المشدَّدَةِ، فَإن كانَ قبلَها حرفٌ مُشَدَّدٌ كانَ آكد في بيانِ المشدَّدَيْن، لا سيما إن كانَ الحرف المشَدَّدُ الأَوَّلُ حرفًا مجهورًا قويًا، نحو: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ ، أصله: ﴿يُوَجِّههُ﴾ ولذلكَ كُتِبَ في المصْحَف بهاءيْنِ مَع الإدغامِ، فلماَّ سَكَنَت الهاءُ الأُولى أُدْغِمَت في الثَّانيَـــــةِ

فيجبُ العنَايةُ ببيانِ الهاءِ الأولى الساكنةِ لصُعُوبةِ اللَّفْظِ بها بعْدَ الجيمِ المشدَّدَةِ، وكذلكَ كُلُّ هاء مُشَدَّدَةٍ يَجِبُ بيانُها، نحو:﴿ فَمَهِّلِ ﴾ ﴿ وَهَّـابًا ﴾ ﴿ جَهَّزَهُم ﴾ ومثله كثير" انتهى.

– في موضع واحد بالقرآن أتت هاء السكت بعدها هاء في قوله تعالى﴿ مَالِيَهْ ﴾ ﴿ هَلَكَ عَنِّي ﴾ الحاقة ٢٨،٢٩.

حال وصل الآيتين: يجوز الإدغام، بإدغام الأولى الساكنة في الثانية والنطق بهاء واحدة مشددة، ويجوز الإظهار مع السكت، وهو المختار.

وبجمع حروف أقصى الحلق (الهمزة والهاء) نقول:

اشترك الحرفان في أقصى الحلق ولكن لكل منهما بقعة تخصه.

من ناحية الصفة المحلية: الهمزة والهاء حرفان حلقيان.

ومن ناحية درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: الهمزة مجهورة والهاء مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت: الهمزة شديدة والهاء رخوة.

والحرفان يشتركان في صفتي انفتاح الصوت، واستفال أقصى اللسان، فهما مرققتان على كل حال.

وعلامة ضبط مخرج الهمزة أن تخرج: شديدة– مجهورة– غير مقلقلة– مستفلة– منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الهاء أن تخرج: رخوة– مهموسة– مستفلة– منفتحة.

فدرجة الاعتماد على مخرج الهمزة أقوى من درجة الاعتماد على مخرج الهاء، فصوت الهاء ضعيف خفي، أما صوت الهمزة فقوي جرسي.

تتمات:

(١) قال فى الرعاية: "ومِن أَجْلِ قربِ الهاءِ مِنَ الهمزةِ أَبْدَلَت العَرَبُ مِن الهاءِ همزَةً ومن الهمزةِ هاءً، فقالوا: "ماء"، وأَصلُه "ماه"، وأَصلُ "ماه": مَوَه، ثمَّ أُعِلَّ. وقالوا للصَّبَا: "هِير" و"إير"، وقالوا لِقُشورِ الرأسِ: "إِبْرِيَة" و"هِبريَة"، وقالوا: "أَيا فلان" و"هيا فلان"، و"هرقتُ الماءَ" "وأَرقتُه"، و "إيَّاك" و "هِيَّاك".

(٢) اختلفت قراءات القراء العشرة في خمس هاءات في عموم القرآن:

١- هاء ﴿ هَآؤُمُ ﴾ بسورة الحاقة آية ١٩، ولا نظير لها ، وهى من المد المتصل، والاختلاف في مقدار المد.

٢- هاء الضمير المذكر والمؤنث نحو:﴿ وَهُوَ ﴾،﴿ فَهِيَ ﴾،﴿ لَهُوَ ﴾،﴿ وَهِيَ ﴾، والاختلاف يدور بين: الإسكان والتحريك بالضم ،أو التحريك بالكسر.

كما قال الإمام الشاطبى:

وَهَا هُوَ بَعْدَ الوَاوِ وَالْفَا وَلاَمِهَا وهَا هِيَ أَسْكِنْ ....

.... والضَّمُّ غيرهم وكَسْرٌ ....

٣- هاء التأنيث نحو: ﴿نِعْمَةَ﴾،﴿نِعْمَتَ﴾،﴿جَنَّةَ﴾، ﴿جَنَّتَ﴾، والاختلاف في: الوقف بالتاء أم بالهاء (لما رسم بالتاء).
والوقف بالإمالة أم بالفتح (لما رسم بالهاء).

٤- هاء السكت نحو:﴿حِسَابِيَهْ﴾، ﴿مَالِيَهْ﴾. والاختلاف يدور بين: إثبات الهاء وحذفها (وذلك فى الوصل).

٥- هاء الكناية نحو﴿فِيهِ﴾، ﴿يَرْضَهُ﴾، ﴿أَلْقِهْ﴾. والخلاف يدور بين: إسكان الهاء، والتحريك بدون صلة، والتحريك مع الصلة.(وذلك فى الوصل).

ثانيا: وسط الحلق مع ما يحاذيه من وسط الحلق وتخرج منه العين والحاء:

ووسط الحلق يقع أمام البلعوم، فهو فوق الحنجرة وتحت لسان المزمار، ويضبط وسط الحلق بتقليص مجراه وتضييق جداري البلعوم بواسطة ضغط مؤخرة اللسان في اتجاه الجدار الخلفي للحلق.

حرف العين :

يخرج صوت العين بكيفية الصوت المجهور المتوسط بين كمال الشِّدَة وكمال الرخاوة. فعند بداية النطق بها يبدأ صوتها محتبسًا بقوة اعتماد أقل من قوة اعتماد الحرف الشديد المجهور، وأكبر من قوة اعتماد الحرف الرخو المجهور.

وللتدريب على ضبط قوة الاعتماد المطلوبة لإخراج العين: يأتي القارئ بهمزة بدل العين فيقول مثلاً : (يأْملون) بدلاً من (يعْملون) ، ثم ينطق العين بنفس قوة الاعتماد التي تهيأ لها المخرج فسوف يجد: أَنَّهُ لا يمكنه احتباس الصوت في العين كاحتباسه مع الهمزة، بل يندفع الصوت لا إراديًا فور الاحتباس، فيجرى جريانًا ضئيلاً ثم ينقطع، وذلك لكون مخرج العين أوسع قليلاً من مخرج أقصى الحلق. وضبط درجة الاعتماد عند نطق

العين ضروري لعدم جريان الصوت معها جريانًا كاملاً، وإنما يجرى الصوت جرياناً ضئيلاً ثم ينقطع من قبل أن تتعدى العين مخرجها إلى أدنى الحلق.
وجاء في نهاية القول المفيد: "ينبغي أن ينسل صوت العين قليلاً لأنه عُدَّ من الحروف البيْنيَّة". انتهى.

ومعنى "ينسل" أى يجرى الصوت لا إرادياً عقب احتباس ضئيل.

ولم تحمل العين صفة منفردة توضح موضع جريان الصوت فور احتباسه- كباقي حروف التوسط (الميم والنون واللام والراء)- بسبب ضيق التجويف الحلقى عن التجويف الفموى والشفتين، فليس بين مخارج حروف الحلق بُعد أو مسافة.
فنقـــــــول:

سبب توسط العين بين كمال الشِّدَّة وكمال الرخاوة هو: توسط مخرجها بين أقصى الحلق وأدنى الحلق، فمخرجها أكثر اتساعًا من أقصى الحلق، فلا يمكن أن يحتبس معها الصوت كاحتباسه فى الهمزة. ومخرجها أكثر ضيقًا من أدنى الحلق، فلا يمكن أن يجرى معها الصوت كجريانه فى الغين، ولذلك توسطت العين بين كمال الشِّدَّة (التى هى صفة الهمزة) وبين كمال الرخاوة (التى هى صفة الغين)، وذلك لكون الحروف الثلاثة (الهمزة والغين والعين) حروفًا مجهورة.

والعين الفصيحة علامتها: جريان الصوت فيها جريانًا ضئيلاً، ثم انقطاعه فور الجريان لا إراديًا، والخطأ في نطق العين يأتي من جريان الصوت فيها جريانًا كاملاً، أو انقطاع الصوت فيها انقطاعًا كاملاً أو حصره حصرًا شديدًا، وكل ذلك سببه عدم ضبط مخرجها فى وسط الحلق. فإذا جرى الصوت في العين جريانًا كاملاً فاعلم أنها قد خرجت عن كيفيتها المتوسطة؛ بسبب اعتماد الصوت على أدنى الحلق (وهذا الخطأ قد اعتدنا عليه في العين العامية).

وإذا انقطع الصوت تمامًا أو انحصر انحصارًا شديدًا فاعلم أن الصوت قد اعتمد على أقصى الحلق.

والواجب العناية بضبط مخرج العين، فلا يحصر صوتها أو يحتبس- كالحروف الشديدة شِدَّةَ تامةِ - وبخاصة إذا أتت مشددة نحو ﴿ يُدَعُّونَ ﴾، أو سكنت متطرفة، نحو:﴿ ٱلدَّاعِ ﴾.

ولا يجرى صوتها- كالحروف الرخوة رخاوة تامة- وبخاصة إذا سكنت وأتى بعدها حرف من حروف أدنى الحلق كالغين، فى نحو: ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ ﴾.

أمثلة لبعض أحوال العين التى ينبغى الانتباه إليها:

جاء فى الرعاية:

"وإذا سكَنَت العيْنُ وأَتَت بعدَها هاءٌ وجبَ التَّحَفُّظُ بإظهارِ العيْنِ لِئَلاَ تَقْرُبَ مِن لفظِ الحاءِ، وتَنْدَغِمَ فيها الهاءُ فتصيرَ كأَنَّها حاءٌ مُشَدَّدَةٌ، كما قالوا في "معَهُم": "مَحُّم"، فأَبدلوا مِن العَيْنِ حاءً، وأَدغموا الهاءَ فيها على إدغامِ الثَّاني في الأوَّلِ، لأَنَّ الحاءَ مؤاخيةٌ للهاءِ في الهَمْسِ، ومخرَجاهُما مُتقاربانِ، وذلك نحو قوله:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾، و﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾، و﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾، و﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾، التَّحَفُّظُ في هذا وشبهه بإظهارِ لَفْظِ العَيْنِ وإخراجِها من مخرَجِها واجبٌ.

وكذلكَ إظهارُ الهاءِ بعدَ العَيْنِ لازمٌ لبيَانِها، لأَنَّك إنْ لم تهتَمَّ بذلك قَرُبَت العَيْنُ مِن لفظِ الحاء، لأَنَّ البحَّةَ التي في الحاءِ تُسْرِعُ إلى اللَّفظِ بالحاءِ في موضعِ العَيْنِ معَ الهاءِ، لِقُرْبِ الحاءِ من الهاءِ في المخرج، واتحادهما فى الهمس والرخاوة، وقوة العين عن الهاء ببعض شدتها، فلابد من ضبط مخرج العين وتحقيقه، وإخراج العين من فوق مخرج الهاء.

وأقرب حروف الحلق إلى الهمزة من ناحية اللفظ حرف العين، لما فيها من بعضِ الشِّدَّةِ، فهي حرفٌ قويٌ، والعينُ مؤاخيةٌ للهمزةِ، والعربُ تُبْدِلُ مِن الهمزةِ عيْنًا، ومِنَ العينِ همزةً ويقولون:أَدَيْتُ فلانًا على فلان، وأَعْدَيْتُهُ، وموتٌ ذؤافٌ، وذُعَاف، وأَرَدْتَ أَن تفعَل، وَعَنْ تفعَل." انتهى بتصرف.

والعين حرف مستفل منفتح، فلا يستعلى معه أقصى اللسان، ولا يفخم بحال، ويجب الاعتناء بترقيقها، وبخاصة إذا أتى بعدها ألف نحو﴿ عَاصِفَةً ﴾أو حرف مُستعلٍ، نحو: ﴿ عَظِيمٌ ﴾ .

حــرف الحــاء:

يخرج صوت الحاء بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق بالحاء بضعف اعتماد يجعل صوتها جاريًا جريانًا تامًّا ويجعل هواءها كثيرًا لا يتكيف كله بالصوت فيجرى الصوت والنفس معًا فى آنٍ واحد.

أهم ما ينبغى الانتباه إليه عند النطق بالحاء:

يجب ضبط مخرج الحاء فى وسط الحلق وإلا خرجت هاءً أو شبيهة بالهاء، وخاصة إذا سكنت متوسطة نحو: ﴿ تَحْرِصْ عَلَىٰ ﴾ ويتأكد العناية إذا سكنت موقوفًا عليها، نحو: ﴿ سَبِّح ﴾ وتكون العناية آكد وآكد إذا أتى قبلها ألف، نحو: ﴿ جُنَاحٌ ﴾ أو حرف ساكن صحيح نحو: ﴿ وَٱلصُّبْحِ ﴾.

وقال فى الرعاية:

لم تأت حاءٌ وهاءٌ أَصْلِيَّتَانِ متلاصقتين فى كلمة؛ لقرب مخرجيهما مع اتحادهما فى جميع الصفات؛ ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا: مَدَحَهُ وَمَدَهَهُ وَكَدَحَهُ وَكَدَهَهُ، ولهذا: يجب بيان الحاء الساكنة إذا أتت بعدها هاء الضمير لئلا تدغم الهاء فى الحاء، لكون الهاء أَبعد مخرجًا من الحاء، وذلك فى نحو: ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلابد من إظهار الحرفين.

وإنما جاز اجتماعهما لأن هاء الضمير حكمها الانفصال وإن اتصلت بالكلمة رسمًا ولفظًا. انتهى بتصرف.

والحاء حرف مستفل منفتح لا يستعلى معه أقصى اللسان ولا يفخم بحال، ويجب الاعتناء بترقيقه وبخاصة إذا أتى بعدها ألف، نحو: ﴿ أَحَاطَ ﴾ أو حرف استعلاء نحو: ﴿ حَصْحَصَ ﴾.

قال الإمام ابن الجزرى:

وحاءَ حَصْحَصَ أَحَطْتُ الحقُّ ... ...

أى اعتن ببيان الحاء حيث وقعت وخاصة: إذا توسطت بين حرف مطبق مثل الصاد فى قوله:﴿ حَصْحَصَ ﴾، ومثل ذلك:﴿ أَحَطتُ ﴾ حيث جاورت الطاء المطبقة، و﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ حيث جاورت القاف المستعلية.

وبجمع الحرفين معاً (العين والحاء) نلاحظ:

اشترك الحرفان فى وسط الحلق ولكن لكل منهما بقعة تخصه.

من ناحية الصفة المحلية: العين والحاء حرفان حلقيان.

أَمَّا من ناحية درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: فالعين مجهورة والحاء مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة: فالعين متوسطة بين كمال الشدة وكمال الرخاوة، والحاء رخوة رخاوة تامة.

ويشترك الحرفان فى انفتاح الصوت واستفال أقصى اللسان فهما حرفان مرققان على كل حال.

وعلامة ضبط مخرج العين: أن تخرج: مجهورة- متوسطة- مستفلة- منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الحاء: أن تخرج: مهموسة- رخوة- مستفلة- منفتحَة.

فدرجة الاعتماد على طرفى مخرج العين أقوى من الحاء.

وأطلق العلماء على جهر صوت العين (بَعْبَعَة) وعلى همس صوت الحاء (بَحَّة) فصوت الحاء أخفى من صوت العين.

جاء فى الرعاية:

"إذا جاورت الحاء العين فلابد أن تغلب إحداهما الأخرى، فإما تبدل الحاء عينًا ويصير النطق بعين واحدة مشددة، وإما تبدل العين حاءً ويصير النطق بحاء واحدة مشددة، وذلك بسبب اتحادهما فى المخرج ووجود بعض الرخاوة فى العين. ولهذه العلة لم يتألف فى كلام العرب عين وحاء فى كلمة أصليتان، فلا توجد أبدًا إحداهما ملاصقة للأخرى فى كلمة إلا بحاجز بينهما، ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى فقالوا: ضَبَعَتِ الخيل وَضَبحَتْ وَنَزَلَ بِحِذَاه وَبِعِذَاه." انتهى بتصرف.

وجاء فى نهاية القول المفيد:

ينبغى المحافظة على بيان لفظ الحاء عند إتيان العين بعدها؛ لأنهما من مخرج واحد ولأن العين أقوى قليلاً من الحاء فهي تحذف لفظ الحاء إلى نفسها مثل:

﴿ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ ﴿ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ﴾ ﴿ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ فإذا جذبت العين الحاء فتنطق الحاء عينًا وهذا غير جائز، وفيها حالتان:

إما أن تُقْلَب الحاء إلى العين وننطق بهما ظاهرتين بلا إدغام، وهذا لم يقله أحد، أو يُدْغَما بعد القلب، وذلك ليس إلا عند (أبى عمرو) فى رواية غير مشهورة عنه، وهى إدغام الحاء فى العين حيث التقيا، ولكن المتواتر والمشهور عنه هو إدغامهما فى موضع واحد فقط وهو ﴿ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ .

فإذا جاءت الحاء ساكنة كان البيان آكد؛ لأنها بسكونها قد تهيأت للإدغام (إذ كل حرف أدغم لابد من إسكانه قبل أن يدغم) فإذا سكنت الحاء قبل العين قربت من الإدغام فيجب إظهارها، وذلك نحو: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ فالبيان فى هذه لازم؛ فكثيرًا ما يقلبون الحاء عينًا ويدغمونها وهذا لا يجوز إجماعًا. انتهى .

وإذا لقيت العين المتحركة عينًا مثلها أو لقيت الحاء المتحركة حاءً مثلها يجب المحافظة على إظهارهما معًا مخافة الإدغام بغير رواية، نحو:

﴿ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ ﴾ ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ ﴾ ﴿ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا ﴾ وما شابهها.

ثالثاً: أدنى الحلق مع ما يحاذيه من أدنى الحلق وتخرج منه الغين والخاء:

وأدنى الحلق هو ما قَرُب إلى منطقة أقصى الحنك اللحمى فوق لسان المزمار بقليل، وقبل اللهاة مباشرة.

حرف الغين:

تخرج الغين بكيفية الصوت الرخو المجهور، فيبدأ النطق بها بدرجة اعتماد تجعل صوتها جاريًا جريانًا تامًّا وكل الهواء متكيفًا بالصوت، وهى حرف مستعلٍ، (يستعلى معها أقصى اللسان بالإرادة)، وهى حرف منفتح حيث يصاحب استعلاء أقصى اللسان استفال طرفه.

والغين الفصيحة بها غرغرة معتدلة، فإن خرج صوتها بغرغرة عالية، أو محشرجًا مكتومًا؛ فهذا دليل على عدم ضبط مخرجها.

وخروج الغين بغرغرة عالية سببه: ترك مخرجها واعتماد القارئ على قُرب أقصى اللسان فيستعلى صوتها أكثر مما يجب وتأخذ درجة تفخيمية أعلى مما تستحق، وقد يخرج صوتها مخلوطًا بالقاف. أمَّا إن خرجت الغين محشرجة مكتومة فسببه اعتماد القارئ على قُرب وسط الحلق، فينضغط صوتها فيه لكون وسط الحلق أضيق من أدناه.

أهم ما ينبغى الانتباه إليه عند نطق الغين:

يجب أن يتحفظ ببيان الغين (مستعلية منفتحة) بضبط مخرجها جيدًا حتى لا يزاد فى تفخيمها، وخاصة إذا أتى بعدها ألف نحو: ﴿ غَافِرِ ﴾، أو جاورت حرف استعلاء مطبق نحو: ﴿ وَأَغۡطَشَ ﴾، كما يجب أن يتحفظ على بيان الغين إذا وقع بعدها قاف أو عين، نحو ﴿ تُزِغۡ قُلُوبَنَا ﴾ ﴿ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا ﴾ فبسبب قرب مخرج الغين من مخرج الحرفين ولكون رخاوة الغين تحتاج إلى شىء من التمهل فقد يسرع القارئ بإدغامها فى العين أو فى القاف.

حـرف الخـاء :

تخرج الخاء بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق بها بدرجة اعتماد تجعل صوتها جاريًا جريانًا تامًّا، والهواء غير متكيف كله بالصوت، فيجرى الصوت والنفس معًا فى آنٍ واحد.

وهى مثل الغين: حرف مستعلٍ منفتحٌ.

والخاء الفصيحة ليس فيها هذا الصوت الزائد الذى يسمى بالشخير، وظهوره مع الخاء خطأ يجب التخلص منه؛ لأنه يغير من صفاتها ويجعلها أكثر جهرًا وبيانًا من الغين، وهو دليل على عدم ضبط مخرجها.

وسبب ظهور الشخير عند النطق بالخاء، هو: قوة الاعتماد معها، فتترك مخرجها إلى قُرب وسط الحلق، وبسبب استعلائها وضيق وسط الحلق عن أدنى الحلق تزيد درجة إعاقة المخرج للهواء المار، وتقل كميته، فيخرج صوتها قويًّا مجهورًا، يجرى مضغوطًا فى وسط الحلق بصعوبة واهتزاز.

كما يجب التحفظ على ضبط مخرجها حتى لا يزاد فى درجة تفخيمها، وبخاصة إذا أتى بعدها ألف، نحو: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أو جاورت حرف استعلاء مُطبقًا نحو: ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾.

وبجمع الحرفين معاً (الغين والخاء) نلاحظ:

الغين والخاء يخرجان من أدنى الحلق، ولكن لكل منهما بقعة تخصه.

من ناحية الصفة المحلية: الغين والخاء حرفان حلقيان.

أمَّا من ناحية درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: فالغين مجهورة والخاء مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة: الغين والخاء رخوتان.

ويشترك الحرفان أيضًا فى كونهما منفتحين- مستعليين، فهما مفخمان على كل حال.

وعلامة ضبط مخرج الغين: أن تخرج: مجهورة- رخوة- مستعلية- منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الخاء: أن تخرج: مهموسة- رخوة- مستعلية- منفتحة.

وكلا الحرفين فيهما قوة اعتماد بسبب استعلائهما، ولكن:

درجة انفتاح الخاء أكبر من الغين. وبالتالى: درجة تفخيم الخاء أقل من درجة تفخيم الغين.

قوة الاعتماد المصاحبة للغين أقوى لجهرها، وبالتالى: صوت الخاء أخفى من صوت الغين.

وننبه إلى:

أولاً: انفردت كل من الخاء والغين فى كونهما الحرفين الوحيدين المتحدين فى المخرج والمتحدين فى صفات الرخاوة والاستعلاء والانفتاح، ولولا الهمس فى الخاء والجهر فى الغين لما تميز صوتهما، ولذلك:

يجب المحافظة على ضبط مخرج الغين، وبخاصة: إذا أتت ساكنة، وبعدها حرف مهموس، نحو: الشين، من ﴿يُغۡشَىٰ﴾، فقد يتأثر القارئ بالحرف المهموس بعدها فينقل مخرجها فينطق بخاء مكان الغين، فيختل المعنى.

وكذلك يجب المحافظة على ضبط مخرج الخاء، وبخاصة: إن أتت ساكنة وبعدها حرف مجهور نحو: اللام، من ﴿يَخۡلُقُ﴾، فقد يتأثر القارئ بالحرف المجهور بعدها فينقل مخرجها فينطق بغين مكان الخاء ، فيختل المعنى.

ثانيًا: أدنى الحلق أقرب مخارج الحلق إلى غار الحنك، وبالتالى إلى الخيشوم، (الذى يقع أعلى غار الحنك)، ولذلك سمح مخرج الغين والخاء بأداء صوت الغنة عندهما، فوردت الرواية بإخفاء النون الساكنة والتنوين عند الغين فى نحو: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾، وعند الخاء فى نحو ﴿مِّنْ خَوْفٍ﴾، وذلك فى قراءة الإمام أبى جعفر خاصة.

الثمرة المستفادة من دراستنا لمخرج الحلق:

الحلق عضو ثابت بعيد عن مقدم الفم، وهو عضو النطق الوحيد الذى يتضمن مخارج خاصة لا توجد بينها مسافة أو بُعد بسبب ضيق التجويف الحلقى، ولذا:

(١) لم ينفرد حرف حلقى واحد، بمخرج خاص.

(٢) ولم يشتمل المخرج الواحد على أكثر من حرفين، خلافًا لمخارج اللسان أو الشفتين.
فوسط اللسان، مثلاً: تخرج منه حروفًا ثلاثة، وكذلك طرف اللسان.
وتخرج من الشفتين حروفًا ثلاثة (و، م، ب).

(٣) وكان المخرج أو الحيز المولد للحرف طرفاه من ذات العضو، فحروف أقصى الحلق تخرج من أقصى الحلق مع ما يحاذيه من أقصى الحلق، وحروف وسط الحلق تخرج من وسط الحلق مع ما يحاذيه من وسط الحلق، وحروف أدنى الحلق تخرج من أدنى الحلق مع ما يحاذيه من أدنى الحلق.

(٤) ولكون ضيق الحلق ليس بدرجة واحدة، فأقصى الحلق أضيق من وسطه، ووسطه أضيق من أدناه، فكثيرًا ما يترك القارئ المخرج الضيق، ليعتمد على الأوسع منه، فتختلط حروفه وتتشابه أصواتها، ولهذا: امتنعت العرب عن إدغام حروف الحلق فى مجانسها، أو مقاربها، إلا رواية صحيحة عن الإمام أبى عمرو البصرى فى موضع واحد بسورة آل عمران، حيث قرأ بإدغام الحاء فى العين من قوله تعالى:﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ . ولا ثانى لها.

(٥) للتباعد بين مخرج الخيشوم وبين أقصى ووسط الحلق، كانت الهمزة والهاء، والعين والحاء، الأحرف الوحيدة المتفق على إظهارها مع إظهار النون الساكنة، ولو تنوينًا،

كما في نحو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ﴿مِنْ هَادٍ﴾ ﴿مِنْ حِسَابِهِ﴾ ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾، وكذلك التنوين.

والإظهار للنون الساكنة ولو تنوينًا معناه: قرع مخرج النون ونطقها من غير غنة ظاهرة، ثم قرع مخرج الحرف التالى لها.

ويطلق علماء التجويد على حروف الحلق اسمًا واحدًا، هو: (الحروف الحلقية). كما قال صاحب السلسبيل الشافى:

وَأَحْرُفُ الْحَلْقِ اسْمُهَا حَلْقِيَّة ... ...

أما علماء اللغة فعندهم مسمى خاص لحروف كل مخرج خاص.

فحروف أقصى الحلق (حروف حنجرية).

وحروف وسط الحلق (حروف بلعومية).

وحروف أدنى الحلق (حروف لهوية)، وفى هذا المسمى بالذات خلاف كبير بين علماء التجويد واللغويين المعاصرين؛ لأن هذا اللقب (لهوية)، عند علماء التجويد يطلق على القاف والكاف، أو حروف أقصى اللسان.

* * *

الفصل السادس

المخرج الثالث من المخارج العامة (اللسان)

أهم ما يتميز به اللسان :

١- الاتساع، فهو يمتد من أول التجويف الفموى حتى نهايته.

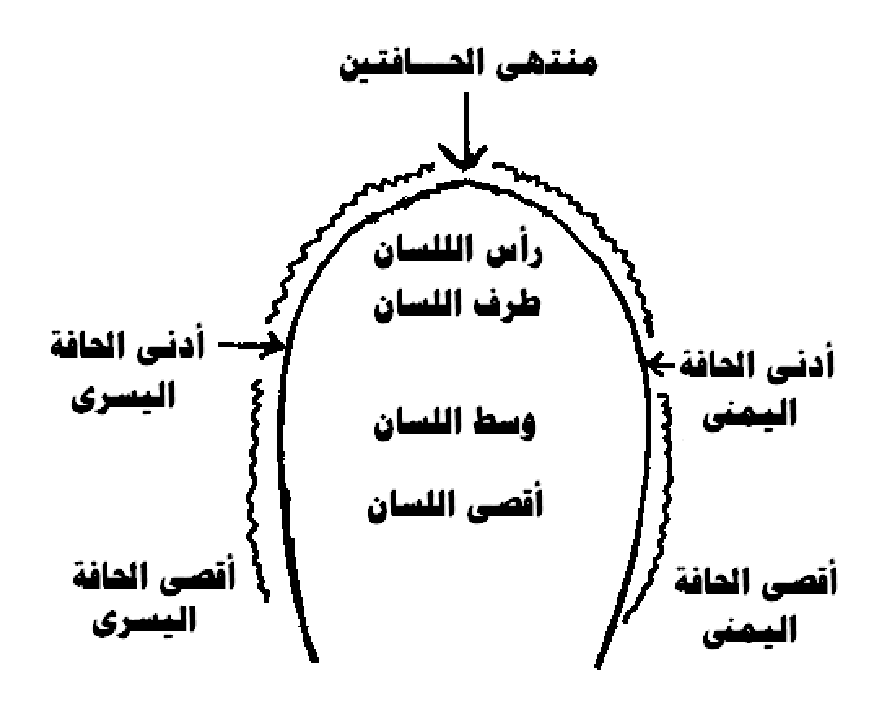
٢- المرونة، فهو ينقبض وينبسط ويأخذ أوضاعًا مختلفة، بحسب مخرج الحرف.

٣- مخارج حروفه يشاركها فيه غيره، بمعنى: كل حرف يخرج من اللسان أحد طرفى مخرجه اللسان، والطرف الثانى إما موضع فى غار الحنك، أو موضع فى الأسنان، أو الخيشوم، ولذا:

كان بين مخارجه بُعد ومسافة، فنجد بعض حروفه يحتل مخرجًا خاصًّا ينفرد به لا يشاركه فيه غيره، مثل: الضاد، واللام، والنون، والكاف، والقاف، أو يجمع المخرج الواحد ثلاثة أحرف، مثل: السين، والصاد، والزاى، ومثل: الطاء، والتاء، والدال، ولا يوجد فيه مخرج يجمع حرفين فقط، مثل مخرج الحلق.

ومن أجل ذلك: كان اللسان أعظم أعضاء النطق الخمسة وأكثرهن حروفًا حيث يخرج منه ثمانية عشر حرفًا من أصل ثمانية وعشرين، فجعل الله سبحانه وتعالى اللسان مرادفًا للغة فى قوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ أى بلغة عربية فصيحة.

ولكثرة حروف اللسان جرت العادة (عند دراسة المخارج) على تقسيم اللسان إلى خمس مناطق يخرج منها الثمانية عشر حرفًا، موزعة على عشرة مخارج خاصة تسمى كلها (مخارج لسانية) لخروجها من اللسان فى الجملة، وإن كان يشاركها فيه غيره.



(١) منطقة أقصى اللسان: وفيها مخرجان لحرفين.

(٢) منطقة وسط اللسان: وفيها مخرج واحد لثلاثة أحرف.

(٣) حافتا اللسان: وفيها مخرجان لحرفين.

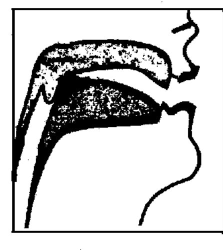
(٤) منطقة طرف اللسان: وفيها ثلاثة مخارج لخمسة أحرف.

(٥) منطقة رأس طرف اللسان: وفيها مخرجان لستة أحرف.

أولاً: منطقة أقصى اللسان

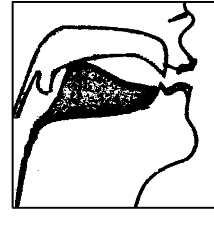
وهى أبعد اللسان ومؤخرته فى المنطقة التى تلى أدنى الحلق مباشرة، ويخرج منها القاف ثم الكاف.

تخرج القاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من أقصى غار الحنك الأعلى (من الجزء اللحمى منه) قريبًا من اللهاة، وهى اللحمة المدلاة نهاية غار الحنك.



القــاف

وتخرج الكاف من أقصى اللسان (أسفل مخرج القاف بقليل ناحية مقدم الفم) مع ما يحاذيه من أقصى غار الحنك، من الجزء اللحمى والعظمى معًا.



الكـاف

وتستطيع أن تتعرف على أن الكاف أسفل من القاف بأن تقول (عق)، ثم تقول (عك) تجد أن الصوت فى القاف أقرب إلى الحلق من الكاف.

قال "ابن الجزرى":

.... والْقَافُ أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقُ ثُمَّ الكَافُ

أَسْفَلُ ....

حـــرف القـــاف:

تخرج القاف بكيفية الصوت الشديد المجهور، فيبدأ النطق بها بدرجة اعتماد تغلق المخرج غلقا محكمًا فيحتبس النفس والصوت معًا، ثم يتم فتح طرفى المخرج بدفعة قوية (القلقلة) يهتز معها الحبلان الصوتيان اهتزازاً قوياً فيخرج صوت القاف مجهورًا متكيفًا كله بالصوت.

فالقاف من الحروف التى إن سكنت لا تكتمل إلا بالقلقلة. فهي صفة لازمة لها، ويجب المحافظة على شدة القاف وجهرها فى جميع أحوالها، ولا يكون ذلك إلا بضبط تصادم طرفى مخرجها بالدرجة المطلوبة لأن يتكيف كل الهواء الموظف لنطقها بالصوت، فلا يخالطها النفس. ومخرج القاف مهيأ للأمرين معًا (الشدة والجهر)، فإن خرج النفس مع القاف فاعلم أنك لم تضبط مخرجها.

أهم ما يجب التنبيه عليه عند النطق بالقاف:

١- إذا سكنت القاف فلابد من بيان قلقلتها، ولا يمكن إظهارها وتخليصها مما جاورها إلا بذلك، سواء وقعت فى وسط الكلمة نحو: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ أو موقوفًا عليها نحو: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿ٱلْحَقُّ﴾.

٢- القاف حرف مستعلٍ منفتح (يستعلى معها أقصى اللسان بالإرادة ويستفل طرفه) فيجب المحافظة على ضبط مخرجها، حتى تأخذ الدرجة التفخيمية المستحقة بلا مبالغة تشبهها بالحروف المطبقة ولا نقص يبدلها كافًا.

وهذان الأمران يحدثان كثيرًا فى نطق المبتدئين، فهم يبالغون فى استعلاء أقصى اللسان لدرجة تجعل صوت القاف من ﴿قَالَ﴾ يشبه صوت الطاء من ﴿طَآئِرٍ﴾.

وإذا كُسِرت القاف يبالغون فى استفال الصوت بها لدرجة نطق القاف كافًا فتصير ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المتكين).

٣- فى كلمة ﴿ٱلْحَقَّ﴾ القاف المشددة عبارة عن قافين: الأولى ساكنة، يحتبس فيها الصوت بدون قلقلة، والثانية متحركة. ولابد أن يستعلى أقصى اللسان بالإرادة فى الحرفين معًا، لأننا نلاحظ من بعض القارئين الاستفال بالقاف الساكنة تأثرًا بالحاء قبلها فيخرج صوتها كافاً، ثم يستعلى فى الثانية المتحركة، فيبدأ بكاف ساكنة وينتهى بقاف متحركة، وهذا من اللحن، فيجب اجتنابه.

٤- إذا تكررت القاف يجب التحفظ ببيانها نحو:

﴿يُشَاقِقِ﴾ ﴿تَشَقَّقُ﴾ ﴿أَفَاقَ قَالَ﴾ وشبهه.

٥- القاف من الحروف التى تكثر فيها اللهجات العامية، فالبعض ينطقها همزة والبعض ينطقها جيمًا قاهرية (التى نسميها بالجيم غير المعطشة)، والبعض ينطقها غينًا. وكل ذلك لا يجوز قراءة القرآن به فيجب اجتنابه عند التلاوة، ويجب على قارئ القرآن التدريب على النطق بالقاف العربية الفصيحة بالتدريب على ضبط مخرجها، وعلامته خروج صوتها متكيفًا بكل ما عُرف لها من صفات.

حـــرف الكــــاف:

تخرج الكاف بكيفية الصوت الشديد المهموس، فيبدأ النطق بها بقوة اعتماد أقل من القاف، ولكنها كافية لغلق المخرج غلقًا محكمًا، فيحتبس الصوت والنفس معًا، ولا يكمل الحرف إلا بانفراج طرفى المخرج بضعف وخفة، يتناسبان مع ضعف الاحتباس، فيخرج الهمس عقب الاحتباس.

فالكاف من الحروف التى إن سكنت لا تكمل إلا بالهمس، فيظهر معها الشدة أولاً ثم الهمس ثانيًا. ولا تنفك صفة الهمس عن الكاف بحال من الأحوال سواء ظهر مع الحرف (فى حال السكون) أم لم يظهر (فى حال الحركة) فهو موجود حتماً، ودليل وجوده: ضعف الاعتماد الذى يميز الكاف عن القاف.

فالقاف المتحركة فى نحو﴿ قَالَ ﴾، والكاف المتحركة فى نحو ﴿كَانَ ﴾، كلتاهما لا يخرج معهما النفس، ولكن القاف مجهورة، ودليل جهرها: قوة الاحتباس نتيجة لقوة الاعتماد، والكاف مهموسة، ودليل همسها: ضعف الاحتباس نتيجة لضعف الاعتماد.

وينبغى عند النطق بالكاف الساكنة الاعتناء بأربعة أمور:

الأول : ألا تظهر شدتها فقط فيبتر الحرف ولا يكمل.

الثانى: ألا يخرج صوت الحرف مع الهمس.

الثالث: ألا يكون الزمن بين احتباس الصوت والهمس كبيرًا يستنكره السامع.

الرابع: ألا يقوى الاعتماد على مخرجها حتى يقرب من مخرج القاف فتصبح شديدة مجهورة، وحينئذٍ لا تكمل إلا بالقلقلة.

أمَّا عند النطق بالكاف المتحركة فينبغى:

الاحتفاظ بهمسها متمثلاً فى ضعف الاعتماد المناسب لمخرجها. فالبعض إن قيل لـه: لا تخرج الهمس مـع الكاف المتحركـة، يبتعد عن مخرجها ناحية مخرج القاف، فيقوى الاعتماد جدًّا، فتخرج الكاف مجهورة صمَّاء خالية من الهمس تمامًا، كما فى لغات بعض الأعاجم.

ملاحظات:

(١) عنـد النطـق بالكـاف السـاكنة: يجـب الاعتنـاء ببيـان الصـفتين متتـاليتين (الشـدة ثـم الهمس)، وبخاصة:

إذا أتـت الكـاف سـاكنة، وبعدها حـرف متحـرك مهمـوس، نحـو:﴿أَكۡثَرَ﴾، فيجب تخلـيص همـس الكـاف مـن همـس الثـاء بعـدها، ولا يمكـن ذلـك إلا بإظهـار الحـرفين وتبيينـهما، من دون سكت أو فصل.

وإذا أتـت الكـاف سـاكنة للوقـف، وقبلهـا سـاكن مهمـوس، نحـو:﴿إِفۡكٌ﴾، فيجـب العنايـة بضـبط مخـرج الحـرفين، فيجـرى الصـوت والـنفس معًـا فـى الفـاء السـاكنة، لكونـها مهموسـة رخـوة، ثـم نصطدم فـى مخـرج الكـاف فيحتبس الصوت أولاً ثم يجرى النفس ثانيًا.

وإذا أتـت الكـاف سـاكنة، وبعدها حرف مجهور، نحـو:﴿ٱلذِّكۡرَىٰ﴾، أو سكنت موقوفًا عليها، وقبلها حرف مجهور، نحو: ﴿ نَذۡكُرَكَ ﴾، فيجب العنايـة بإخراج همسـها عقب الاحتباس حتى لا يبتر صوتها، وينقص الحرف، وعند الوقف عليها: يجب الانتباه إلـى عدم إبدالها قافًا، أو همزةً.

(٢) عند النطق بالكاف المتحركة: نبدأ بتصادم طرفى مخرجها مـع مشاركة أصل حركتـها، ولكـون هذا التصـادم لا زمـن لــه، والبيـان كلـه للحركـة، فلا يظهر الهمـس مـع وجوده حتماً متمثلاً فى ضعف الاعتماد. فإذا تكررت الكاف متحركة فيجب بيان الكافين سواء كان ذلك فى كلمة واحدة، نحو: ﴿سَلَكَكُمۡ﴾، ﴿مَّنَاسِكَكُمۡ﴾.

أو في كلمتين، نحو: ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾، ﴿ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾.

وإذا وقعت القاف بعد الكاف نحو ﴿ عَرْشُكِۖ قَالَتْ ﴾، وجب بيان الكاف لئلا تدغم في القاف لقوتها، ولقرب مخرجيهما.

(٣) الكاف حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فلا يصاحبه استعلاء إرادى لأقصى اللسان.

وبجمع الحرفين معاً (القاف والكاف) نلاحظ:

(١) اشترك الحرفان فى منطقة أقصى اللسان، وكان لكل منهما مخرج خاص به، بينه وبين مخرج الآخر بُعد ومسافة، بسبب أن طرفى مخرجيهما من عضوين، وهما أقصى اللسان مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، وامتاز أقصى اللسان عن أقصى الحلق فى هذا الأمر لكون الحلق مخرجًا ضيِّقًا ومخارج حروفه ليس بينها مسافة، وطرفا مخرجها من ذات العضو أى: أقصى الحلق مع ما يحاذيه من أقصى الحلق.

الصفة المحلية: القاف والكاف حرفان لهويان وتسمى بالحروف اللَّهوية.

ويقال: (اللَّهَوِيَّتان)، ويقال: (اللَّهَوِيَّان)؛ لأن الحرف يؤنث ويذكر فيقال: (لَهوِية) نظرًا لتأنيث الحرف، و(لَهَوِى)، نظرًا لتذكيره، ولقبا بذلك لخروجهما من قرب اللهاة.

قال فى السلسبيل الشافى:

.... والقَافُ والكَافُ هُمَا لَهْوِيَّة

أمَّا من ناحية اهتزاز الحبلين الصوتيين: فالقاف مجهورة، والكاف مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة : فالحرفان شديدان، ولكن شدة القاف أقوى من الكاف، لجهر الأولى وهمس الثانية. وبسبب جهر القاف خرج صوتها بالقلقلة.

ومن ناحية انحصار الصوت بين اللسان وغار الحنك: فالقاف والكاف منفتحتان.

ومن ناحية استعلاء أقصى اللسان بالإرادة: فالقاف مستعلية أما الكاف فمستفلة.

ولذلك كان: انفتاح القاف أَقل من انفتاح الكاف، وتفخيم القاف أَقل من تفخيم حروف الاستعلاء المطبقة.

وصوت الكاف أخفى من صوت القاف، وقوة الاعتماد المصاحبة للقاف أقوى من قوة الاعتماد المصاحبة للكاف.

وعلامة ضبط مخرج القاف:

أن تخرج شديدة- مجهورة- مستعلية- منفتحة- مقلقلة.

وعلامة ضبط مخرج الكاف:

أن تخرج شديدة- مهموسة- مستفلة- منفتحة.

(٢) اشتراك الحرفين فى صفتى الشدة والانفتاح يعنى: أن هناك تشابهًا بين طبيعة المخرجين، ومع خروجهما معًا من منطقة أقصى اللسان ولكون القاف مستعلية والكاف مستفلة، فأى ضعفٍ فى درجة الاستعلاء المطلوبة للنطق بالقاف ينقلها لمخرج الكاف فتشبهها، وأى استعلاء إرادى عند النطق بالكاف ينقلها لمخرج القاف فتشبهها، ولذلك نقول: لولا الهمس والاستفال فى الكاف لكانت قافًا، ولولا الجهر والاستعلاء فى القاف لكانت كافًا. فينبغى المحافظة على ضبط مخرج الحرفين حتى لا يشتبه أحدهما بالآخر فيختل المعنى. وبخاصة:

إذا تكررت القاف، فى نحو: ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.أو إذا تكررت الكاف فى نحو: ﴿لَكَ كَيْدًا﴾.

وإذا أتى بعد القاف حرف مهموس، نحو: ﴿يَقْسِمُونَ﴾، أو أتى بعد الكاف حرف مجهور، نحو: ﴿بِذِكْرِ﴾.

وإذا أتى بعد القاف حرف استفال، نحو: ﴿قُلْ﴾.أو أتت القاف مكسورة نحو: ﴿قِيلَ﴾، أو إذا أتى بعد الكاف حرف استعلاء نحو:﴿نَكَصَ﴾، أو حرف مفخم، نحو: ﴿يَشْكُرُونَ﴾، أو تجاور الحرفان، نحو: ﴿خَلَقَ كُلَّ﴾ ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾.

(٣) وردت الرواية (للقراء العشرة)، بإدغام القاف فى الكاف إدغامًا محضًا، فتبدل القاف كافًا وتُنْطَق بكاف واحدة مشددة، وذلك فى سورة المرسلات فى قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ الآية٢٠.

وورد وجه ثانٍ، وهو: الإدغام الناقص، بمعنى: إبدال القاف كافًا مع الاحتفاظ باستعلاء أقصى اللسان (الخاص بالقاف)، عند النطق بالكاف الساكنة الأولى.

والوجه المقدم والمشهور هو وجه الإدغام التام، وعليه العمل فى رواية حفص.

(٤) وورد فى قراءة الإمام أبى عمرو: إدغام الكاف المتحركة فى مثلها إذا أتيا فى كلمة واحدة فى: ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾ بالبقرة، ﴿سَلَكَكُمْ﴾ بالمدثر، ولا ثالث لهما.

أما إن أتيا من كلمتين: فالقاعدة عنده مطلقة تنطبق على كل كافين متحركتين، نحو: ﴿لَكَ كَيْدًا﴾ فتُنطق (لكَّيدًا) بكاف واحدة مشددة، وصلاً فقط، أما إن وقف على (لكَ)، سكَّنَ وأظهر.

كما أدغم الكاف المتحركة فى القاف، وأدغم القاف المتحركة فى الكاف، إذا كانتا من كلمتين بشرط تحرك ما قبل المدغم، نحو: ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ ﴿يُنفِقُ كَيْفَ﴾.

أما إن وقعتا معًا فى كلمة واحدة، فلا إدغام إلا بشرطين:

١- أن يتحرك ما قبل المدغم.

٢- وأن يقع بعد المدغم فيه ميم جمع.

فأدغمت القاف فى الكاف، فى نحو: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، وأظهرت فى نحو: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾؛ لأن ما قبل المدغم ساكن. وأظهرت فى نحو:﴿نَرْزُقُكَ﴾، لعدم وجود ميم جمع بعد المدغم فيه. واختلف فى ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾ فى التحريم، وهو المقرون بالنون الدالة على جمع الإناث، فروى عنه بالإدغام، وروى عنه بالإظهار.

تنبيـــه:

فى حالة إدغام الكاف المتحركة فى القاف: تبدل الكاف قافًا، وتخرج من مخرج القاف، وتأخذ جميع صفاتها.

وفى حالة إدغام القاف المتحركة فى الكاف: تبدل القاف كافًا، وتخرج من مخرج الكاف، وتأخذ جميع صفاتها، فجميع الإدغام الكبير من نوع الإدغام الكامل أو المحض حيث يذهب المدغم ذاتًا وصفةً.

والكبير، هو: ما تحرك فيه الحرفان (المدغم والمدغم فيه)، فيسكن المدغم، ويبدل من جنس المدغم فيه، وينطق بالحرفين حرفاً واحداً مشددًا من جنس الثانى.

ثانياً : منطقة وسط اللسان

وسط اللسان مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى- مخرج خاص- يجمع ثلاثة أحرف هى: الجيم، والشين، والياء.

كمال قال ابن الجزرى:

.... والوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَا ....



حرف الجيم:

تخرج الجيم بكيفية الصوت الشديد المجهور، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفى مخرجها بدرجة اعتماد تغلق المخرج غلقاً محكماً، فيحتبس الصوت والنفس معًا (صفة الشِّدَّة)، ولا يمكن اكتمال ولادة الجيم إلا بدفعة قوية يضطرب معها طرفا المخرج (صفة القلقلة)، ويهتز معها الحبلان الصوتيان اهتزازاً قويا فيتكيف كل الهواء بالصوت
(صفة الجهر)، فيخرج صوت الجيم مجهورًا ذا نبرة قوية، عقب الاحتباس.

والجيم مثلها مثل باقى الحروف؛ إن تعدت مخرجها فقدت فصاحتها.

فإن تعدت مخرجها ناحية أقصى اللسان: خرجت بين الجيم والكاف، وهى الجيم القاهرية، التى نسميها بالجيم غير المعطشة.

وإن تعدت مخرجها ناحية طرف اللسان: لا يمكننا إحكام إغلاق المخرج، فتخرج مهموسة رخوة بين الجيم والشين، مثل الجيم التى نسميها بالجيم المعطشة.

وبسبب اتحاد الدَّال والجيم فى جميع الصفات، ولكون الدَّال أيسر على اللافظ لخروجها من مقدم الفم، من طرف اللسان، فالبعض يُشرك مخرج الدال، بزعم المحافظة على شدة وجهر الجيم، فتخرج جيمًا مبدوءة بالدال.

وكل هذه الأعمال تؤدى إلى:

إخراج حروف فرعية تتردد بين الجيم والكاف، أو بين الجيم والشين، أو بين الجيم والدال، ولا توجد فى اللغة حروف فرعية من هذا النوع المذكور، إذ لا علاقة بين الجيم والكاف، أو بين الجيم والدَّال، أو بين الجيم والشين، ولا توجد فى اللغة جيم معطشة، وأخرى غير معطشة، وإنما توجد جيم واحدة فصيحة تخرج من مخرجها، الذى ذكره علماؤنا القدامى، متكيفة بصفاتها، التى نص عليها الأئمة الأعلام أمثال الإمام ابن الجزرى، وغيره. فالجيم الفصيحة تخرج من وسط اللسان بتصادم محكم مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، تبدأ- فى جميع أحوالها- باحتباس الصوت والنفس (الشدة) مع الجهر، وإذا سكنت خرجت بالقلقلة.

وصوت قلقلة الجيم صوت قوى مجهور، لا أثر فيه للنَّفَس، وتخرج الجيم الفصيحة غير مخلوطةٍ بحرف آخر. أمَّا الجيم التى تخرج مخلوطة بالدال أو بالكاف أو بالشين فليست بالجيم الفصيحة، وإنما هى لهجات عامية يجوز التكلم بها، ولكن لا يجوز قراءة القرآن بها؛ لأن فيها استعمال حرف فرعى مكان حرف أصلى، لم ترد الرواية به، ولم يذكره أحد من العلماء والقراء المتصل سندهم بقراءة النبى ﷺ .

ولكثرة الخطأ وشيوعه فى إخراج الجيم، كثر كلام العلماء فيه. فقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

(والجيم يجب أن يتحفظ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام ومصر، أو يمزجونها بالكاف بارتفاع اللسان عن مخرجها، كما يفعله بعض أهل اليمن).

وفى المقدمة الجزرية ذكر الإمام ابن الجزرى أبياتًا منبهًا فيها على أن الجيم مثل الباء، فكما أن الباء شديدة مجهورة، كذلك الجيم، فقال:

وَبَاءَ بَرْقٍ بَاطِلٍ بِهِمْ بِذِى	واحْرِصْ عَلى الشِّدَّةِ وَالْجَهْرِ الَّذِى
فِيها وَفِى الجِيم	....

وقال الإمام السخاوى:

والجيمُ إنْ ضَعُفَتْ أَتَتْ مَمْزُوجةً	بالشِّينِ مثلَ الجيمِ فى المَرْجَانِ
والعِجْلِ، واجْتَنِبُوا، وأخْرَجَ شَطْأَهُ	والرِّجْسُ مِثْلُ الرِّجْزِ فى التِّبْيَانِ

وقال الشيخ الحصرى رحمه الله فى كتابه (أحكام قراءة القرآن الكريم):

"من اللحن: النطق بالجيم ممزوجة بحرف الشين، وبعض الناس يسمى ذلك تعطيشًا؛ وهذا خطأ لأن الشين بها صفة التَّفَشِّى، ولم يقل أحد إن الجيم مثلها (فلم يَعُدَّ أحد من العلماء حرف الجيم من حروف التفشى)، والبعض يقول إن التعطيش هو النطق بالجيم ممزوجة بحرف الدال وهذا لحن".

أمثله لبعض المواضع التى تحتاج إلى الانتباه إليها عند النطق بالجيم:

١- من علامات ضبط مخرج الجيم: أنها إذا سكنت، خرجت مجهورة مقلقلة، سواء أتت ساكنة موصولة، نحو: ﴿ رِجْسًا ﴾، أم متطرفة موقوفًا عليها، نحو:

﴿إِخْرَاجِ ﴾. ولايمكننا بيان قلقلتها فى هذه المواضع وأمثالها إلا بالمحافظة على الابتداء بها شديدة مجهورة. أمَّا إن خلطت بالشين صارت مهموسة رخوة، وذهبت القلقلة.

٢- إذا سكنت الجيم وبعدها زاى؛ وجب التحفظ بإظهارها، نحو﴿ رِجْزًا ﴾،﴿ لِتُجْزَىٰ ﴾، ﴿وَسَيُجْزِى ﴾، وإلا قلبت الجيم زايًا، ويصير النطق بزاى واحدة مشددة.

والسبب: أن الزاى أيسر على اللافظ من الجيم، لخروج الأولى من رأس اللسان فى مقدم الفم، ومع رخاوتها وجهرها، فهي أيسر فى النطق من الجيم، التى هى شديدة، تخرج من وسط اللسان بعيدًا عن مقدم الفم.

وقد تقلب الجيم شينًا؛ لأن الشين حرف مهموس رخو، فهو أضعف من الجيم، ويشترك مع الزاى فى الرخاوة، فالشين أقل كلفة على اللافظ من الجيم.

وأيضًا إذا سكنت الجيم وأتى بعدها دال، نحو ﴿ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾، ﴿ وُجْدِكُمْ ﴾، فلكون مخرج الدال من طرف اللسان، عند مقدم الفم، فقد يسارع اللسان إلى تخفيف التصادم بين طرفى مخرج الجيم، ويعتمد الصوت على ما دون وسط اللسان فتخرج الجيم مخلوطة بالشين.

وكذلك إذا أتى قبلها شين، نحو ﴿ شَجَرَتَ ﴾، أو أتى بعدها حرف رخو مهموس، نحو الفاء فى ﴿ تَرْجُفُ ﴾، والحاء فى ﴿ وَجَحَدُواْ ﴾، فينبغي التحفظ والانتباه إلى تحقيق مخرج الجيم في الأحوال المذكورة وشبهها من الأحوال؛ حتى لا تخرج شينًا أو مخلوطة بالشين.

٣- إذا شددت الجيم في نحو ﴿ٱلْحَجَّ﴾، فلابد من الاحتفاظ بطرفى المخرج فى حال من التصادم التام زمن الجيم الساكنة الأولى، بحيث يبقى صوتها محتبسًا بين طرفى مخرجها حتى التباعد عنه إلى مخرج أصل الحركة لإخراج الجيم المتحركة الثانية.

ويتأكد ذلك إذا أتت مشددة بعد الألف، في نحو:﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ ﴿وَحَآجَّهُۥ﴾.

وإذا تكررت الجيم، نحو ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾، فلابد من تحقيق التصادم في المخرج للنطق بهما متتاليين مع المحافظة على شدتها وجهرها، بضبط مخرجها في كل مرة.

٤- الجيم حرف مستفل منفتح، مستحقه الترقيق على كل حال (لمؤاخاته للياء في المخرج) فيجب المحافظة على عدم تفخيمه، وبخاصة إذا أتى بعده ألف، نحو: ﴿وَٱلْجَارِ﴾ أو أتى بعد حرف مفخم، نحو:﴿أَخْرَجَ﴾، أو بعد حرف مستعل، نحو:﴿ ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

حرف الشين:

تخرج بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفي مخرجها بدرجة اعتماد تسمح بجريان الصوت فى سهولة وخفة (صفة الرخاوة)، ويكون هواؤها كثيرًا لا يتكيف كله بالصوت (صفة الهمس)، وتجتمع الصفتان (الرخاوة والهمس)، فيجرى الصوت والنفس معًا فى آنٍ واحد.

وعند النطق بالشين: يستعرض وسط اللسان، ويصطدم في خفة بغار الحنك الأعلى، فينطلق من بينهما الهواء الكثير الحامل للصوت، منتشرًا، يملأ الفم، ويجرى في سلاسة حتى مقدم الفم.

ولذلك: حملت الشين صفة، أطلق عليها العلماء (صفة التفشى)، انفردت بها دون باقي الحروف المهموسة الرخوة، بسبب اتساع مخرجها، وبعده عن مقدم الفم. فينبغي المحافظة على جريان صوت الشين، أى بيان رخاوتها، مع همسها وإلا أشبهت الجيم، لاشتراكهما في المخرج، وذلك:

سواء أتت الشين ساكنة موقوفًا عليها نحو: ﴿غَوَاشٍ﴾، أو ساكنة موصولة، نحو: ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾، أو مشددة نحو: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ولا فرق بين الشين الساكنة في حالاتها الثلاث المذكورة، من ناحية زمن جريان الصوت، وكمية الهواء المتدفق، ولا توجد درجات للتفشى (كما يذكر فى بعض كتب التجويد)؛ لأن الشين الفصيحة هى الشين المتفشية، أي الرخوة المهموسة، التي خرجت من مخرجها الصحيح، فالتفشى صفة لا إعمال فيها، بخلاف (القلقلة في الجيم، والهمس في الكاف، والتاء)، فإذا ضبط القارئ مخرج الشين فتكيف صوتها بالهمس والرخاوة؛ فهذا هو تفشيها.

والشين، مثلها مثل باقي الحروف، تظهر صفاتها- أكمل ما تكون- مع السكون ويقل ظهورها مع الحركة، أمَّا وضوح صوت الشين المفتوحة عن صوت الشين الساكنة، فليس سببه زيادة التفشى فى المفتوحة عن الساكنة، وإنما سببه تصعد الصوت فى المفتوحة مع التباعد إلى الجوف؛ حيث مخرج الألف.

وإذا تحركت الشين وأتى بعدها حرف الجيم، فلابد من تحقيق مخرجها وضبطه، وإلا قربت من لفظ الجيم، في نحو: ﴿شَجَرَتَ﴾، ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وشبه ذلك.

والشين حرف مستفل منفتح، مرقق على كل حال (لاتحاده مع الياء في المخرج)، فلابد من المحافظة على عدم تفخيمها، وخاصة إذا جاورها ألف، نحو: ﴿شَاخِصَةٌ﴾، أو حرف مستعلٍ، نحو: ﴿شَطَطًا﴾، أو حرف مفخم، نحو ﴿شَرَابٌ﴾.

وهنا سؤال:

إذا كان التفشى صفة لا إعمال فيها، فلماذا وصف العلماء الشين بها؟

الجواب: لأن فى وصف الشين بالتفشى فائدتين:

الفائدة الأولى:

وصف الشين بالتفشى، يعني: ضرورة تصادم طرفي مخرجها عند النطق بها، بدرجة تسمح بجريان الهواء الكثير من بينهما متدفقًا بقوة إلى الأمام منتشرًا في الفم.

ولهذا:

صنَّف العلماء صفة التفشى ضمن صفات القوة، لأن تفشى صوت الشين ناتج من قوة اعتماد بين طرفى مخرجها، بدرجة معينة، أدت إلى زيادة فى وضوح الصوت، وزيادة فى درجة بيانه فى السمع، على الرغم من كونه حرفًا مهموسًا.

وهكذا كل صفة قوة في الحرف المهموس، فهى تقلل من درجة خفائه، وتدل على وجود شىء من قوة الاعتماد بين طرفي مخرجه، مقارنة بغيره من الحروف المهموسة.

الفائدة الثانية:

تحسين أداء الحرفين المشتركين في مخرج واحد، وهما: الجيم والشين.

فوصف الشين بالتفشى، فيه تنبيه للقارئ بعدم خلط صوت الشين (المتفشية)، بصوت الجيم (المقلقلة)؛ لأنه إذا تفشت الجيم ذهبت عنها القلقلة.

وعند إخراج الشين هناك تفريط وإفراط:

فالبعض يرى أن التفشى فى الشين صفة يجب الحدّ منها، فيقوم بإرجاع مخرجها ناحية أقصى اللسان قليلاً، مع إحكام تصادم طرفيه، بغرض تقليل كمية الهواء المتدفق من بينهما، فتخرج الشين معيبة كمن به لثغة، وهذا تفريط.

وبسبب تعريف صفة التفشى– فى بعض كتب التجويد– بأنها: انتشار الريح داخل الفم حتى يتصل بمخرج الظاء، يقوم البعض بتقديم مخرجها إلى الأمام ناحية رأس اللسان (حيث مخرج الظاء)، فيخرج صوتها حادًّا مصحوبًا بهواء كثير متدفق، وهذا إفراط.

وكلا العملين خطأ ناتج عن ترك مخرج الشين الصحيح، الذي ذكره الأئمة العلماء. وما من وسيلة لضبط مقدار تفشى الشين إلا بضبط مخرجها، وكما قلنا من قبل:

إن ضبط القارئ مخرج الشين فخرجت مهموسة رخوة، فقد ضبط تفشيها، ولا إعمال أكثر من ذلك.

حـــرف اليـاء:

تخرج الياء بكيفية الصوت الرخو المجهور، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفي مخرجها بقوة اعتماد أقل من الجيم، بسبب: شدة الجيم ورخاوة الياء، وأكبر من الشين، بسبب: همس الشين وجهر الياء، فيمر الصوت من بين طرفى المخرج تحت الإعاقة الجزئية، ويكون الهواء الموظف لنطق الياء قليلاً يتكيف كله بالصوت، فيخرج صوتها رخوًا مجهورًا.

وهذا المخرج وتلك الكيفية، يخرج بهما:

١- الياء الساكنة المفتوح ما قبلها المعروفة بالياء المحققة، أو اللينة، كما فى نحو: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

٢- الياء المشددة، كما فى نحو: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾، ﴿أَيُّهَا﴾، ﴿تَقِيًّا﴾.

٣- الياء المتحركة بالحركات الثلاث، كما فى نحو: ﴿يَعْلَمُ﴾، ﴿يُؤْمِنُ﴾، ﴿مَعَايِشَ﴾.

أما الياء الساكنة المكسور ما قبلها، كما فى نحو: ﴿قِيلَ﴾ فمخرجها الجوف.

وأما الياء الساكنة المضموم ما قبلها فلم ترد في القرآن ولا اللغة.

والخلاصة: أن هذا المخرج يخرج منه جميع الياءات بأحوالها المختلفة، ماعدا: الياء التى تعتمد على الجوف، لأن الياء الجوفية مخرجها مقدَّر (متباعد الطرفين).

تنبيهات:

أولاً: الياء الساكنة المحققة، وكذلك الواو الساكنة المحققة، هما الحرفان المحققان الوحيدان اللذان يمكن أن يعتمد صوتهما على الجوف، على الرغم من فقدانهما مجانسة الحركة (الذى هو شرط الاعتماد على الجوف)، وذلك عند وجود السبب كهمز أو سكون، وحينئذ يمتد فيهما الصوت زمناً يقدر بالحركات، مثل حروف الجوف الثلاثة، أو حروف المد واللين، وهو ما يعرف بمد اللين، نحو: ﴿شَيْءٍ﴾ ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ ﴿بَيْتٍ﴾.

ويتطلب ذلك ضرورة وجود فراغ بين طرفى المخرج يسمح بامتداد الصوت فى الجوف (جوف وسط اللسان، أو جوف الشفتين)، فيتحول مخرجاهما حينئذٍ من مخرج محقق متصادم الطرفين، إلى مخرج مقدرَّ متباعد الطرفين، ومن كيفية الصوت الرخو المجهور، إلى كيفية الصوت الرخو المجهور الممدود. وذلك بسبب: أن المخرج المحقق لا يصلح لامتداد الصوت فيه زمنًا يقدر بالحركات، وهذا هو السبب فى إجماع أهل الأداء على أن الواو والياء المحققتين لا مد فيهما.

وبسبب مرونة المخرج، وإمكانية تصادم وتباعد طرفيه؛ حمل الحرفان صفة سماها العلماء (صفة اللين).

ولأن كل صفة يحملها الحرف سببها طبيعة مخرجه:

فكل حرف يخرج من هذا المخرج لابد أن يحمل تلك الصفة، فتكون الواو والياء المتحركتان لَيِّنتين أيضًا، غير أن اللين فى الساكنتين أبين منه فى المتحركتين؛ وفقًا للقاعدة: إن كل صفة توجد فى الساكن والمتحرك يكون بيانها مع السكون أكبر من الحركة، وذلك لاختلاف آلية نطق الحرف الساكن، عن آلية نطق الحرف المتحرك.

ثانيًا: عند إخراج الياء الساكنة ينبغى الحذر من:

١- خطأ إخراج الياء المقدَّرة من المخرج المحقق.

ففى نحو: ﴿فِيهَا﴾، ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾، ينطق البعض الياء المدية اللَّيِّنة بتصادم وسط اللسان مع غار الحنك فينحصر الصوت بينهما، والواجب فى حروف الجوف أَلا ينحصر صوتها فى موضع داخل الفم؛ أثناء النطق بها.

٢- خطأ إخراج الياء المحققة من المخرج المقدَّر:

ففى نحو: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ ينطق البعض الياء الساكنة اللينة، بتباعد وسط اللسان عن غار الحنك، فيمتد الصوت فى الجوف ويطول زمنه كالمقدَّرة المخرج.

ثالثًا: لا دخل لحافتى اللسان بمخرج الياء، ولا ينبغى إقحامهما عند النطق بها، لأن ذلك يؤدى إلى غلق المخرج فتفقد الياء رخاوتها، وتخرج شبيهة بالجيم، لاتحاد كلٍّ من الجيم والياء فى المخرج، وفى صفة الجهر. فالبعض يلجأ إلى ذلك عند نطقه للياء اللينة المحققة مخافة جريان الصوت فيها كالمدية، وقد يفعل ذلك بدون قصد منه، بسبب تجاور الياء والجيم، فى نحو: ﴿لُجِّيّٖ﴾ أو تجاور الياء والشين فى نحو: ﴿لَّا شِيَةَ﴾.

وقال صاحب نهاية القول المفيد فى معرض كلامه على الياء اللينة أى المحققة:

إذا نطقت بها فاحرص على رخاوتها ليحصل التخلص من شائبة الجيم، وكثيرًا ما يتلفظ بعض القراء فيأتى بالياء من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ كالجيم، وهو لحن فاحش. قال الإمام السخاوى:

لاَ تُشْرِبَنْهَا الْجِيمَ إنْ شَدَّدْتَهَا   فَتَكُونَ مَعْدُودًا مِنَ اللُّحَّانِ

قال الشارحون: ينبغى أن يحترز فى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، عن ستة أشياء يفعلها بعض الجهال:

الأول: تخفيف اللفظ بالهمز إذا وَصَل.

الثانى: شدة نبر الهمزة إذا ابْتَدأ.

الثالث: تخفيف الياء (أى جعلها غير مشددة).

الرابع: تقريبها من الجيم.

الخامس: السكت على الألف.

السادس: إشباع فتحة الكاف.

وبسبب ليونـة مخرج الواو والياء المحققتين: وردت الرواية بإدغام النون الساكنة والتنوين فيهما مع الغنة، لأنَّ مخرج الياء يسمح بولادة ياء ساكنة محققة مع الغنة، فيجرى الصوتان معًا، كما فى نحو: ﴿مَن يَعۡمَلۡ﴾.

وسمح مخرج الواو بولادة واو ساكنة محققة مع الغنـة فيجرى الصوتان معًا، كما فى نحو: ﴿مِن وَالٍ﴾.

وهذا يفسر لنا سبب انفراد الياء بإدغام النون الساكنة فيها دون باقى حروف وسط اللسان (الجيم والشين).

مواضع خاصة بالياء المحققة ينبغى الانتباه إليها:

١- إذا أتت الياء مشددة متوسطة، نحو: ﴿شَقِيًّا﴾، ﴿ٱلۡقَيُّومِ﴾، يجب بيـان الياءين الأولى الساكنة والثانية المتحركة، ويكون ذلك بلطف ومن غير نبرٍ، أو سكت.

فَإن كانَت الياءُ المشدَّدةُ قبلَها حرفٌ مُشَدَّدٌ، فذلك أَشدُّ وآكدُ فى البيان، لِئَلا يَشْتَغِلَ اللِّسانُ بالمشـدَّدِ الأَوَّلِ عَـن الثـانى، لِثِقَـل ذلـكَ وصُـعوبتِه، وذلـكَ نَحـو قولِـه تعـالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، و﴿وَذُرِّيَّتِهِمۡ﴾، و﴿رِبِّيُّونَ﴾، و ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وشبهه.

وإذا كانت الياء مشددة متطرفة موقوفا عليها بالسكون، فى نحو: ﴿خَفِيٍّ﴾،﴿بِمُصۡرِخِيَّ﴾ فلابد من بيان التشديد عند الوقف، بعمل ما يعرف بالنبر، أو الضغط،لبيان أن الياء المتحركة سقطت اضطراريًّا مع الوقف، وأن الكلمة الموقوف عليها إذا وصلت توصل بياءين الأولى ساكنة والثانية متحركة.

وإذا تكـررت اليـاء وجـب بيانهـا والـتحفظ علـى إظهارهـا بلطـف، كمـا فـى نحـو: ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ﴾.

وإذا تكررت وإحداهما مشددة يجب البيان لثقل التكرير ومخافة سقوط الأول، كما فى نحو: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ ونحو ذلك.

كذلك إذا تحركت الياء بكسرة، وقبلها فتح، نحو: ﴿تَرَيِنَّ﴾.

أو تحركت بفتح، وقبلها كسر، نحو: ﴿لَّا شِيَةَ﴾، ﴿وَنَعِيمًا﴾.

وإذا سكنت الياء التى هى "لام الفعل" وجب أن يتحفظ ببيان سكونها لئلا يدخلها شىء من كسر، فيكون ذلك لحنًا، كما فى نحو:﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾، ﴿أَرَءَيۡتَ﴾، ونحوهما.

٢- ترتبط الياء دائما بالكسر والترقيق؛ لأنها أسفل الحروف المستفلة، وأكثرهن ترقيقًا، وأيضًا أكثرهن انفتاحًا، وهذا يعنى أننا إذا ضبطنا مخرجها فلا يمكن تفخيمها. وهناك مواضع ينبغى العناية بترقيقها، مثل:

الياء المتحركة ويعدها حرف مطبق، نحو: ﴿يَضْرِبُونَ﴾، ﴿يَطْغَىٰ﴾.

أو حرف مستعل منفتح، نحو: ﴿يَقْبَلُ﴾، ﴿يَغْفِرْ﴾.

أو أتى بعدها ألف، نحو: ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾، ﴿يَٰلُوطُ﴾.

وكذلك إذا سكنت وأتى قبلها حرف مستعل، كما فى نحو:

﴿ٱلْقَيُّومِ﴾، ﴿نُقَيِّضْ﴾، ﴿خَيْرٌ﴾، ﴿ٱلْخَيْلِ﴾.

وكذلك إذا أتى بعدها نون مخفاة عند حرف مستعل، كما فى نحو:

﴿يَنصُرَكَ﴾، ﴿يُنظَرُونَ﴾، ﴿يَنقَلِبُونَ﴾.

فالمعلوم أن غنة الإخفاء تفخم مع إخفاء النون عند حرف مستعلٍ فغالبًا ما تفخم الياء قبلها، إن لم ينتبه القارئ إلى ضبط مخرجها جيدًا.

وبجمع حروف وسط اللسان الثلاثة (الجيم والشين والياء) نلاحظ ما يلى:

(١) اشتركت الحروف الثلاثة فى مخرج خاص واحد، هو: وسط اللسان مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، ولكن لكل منهم بقعة تخصه.

ويختلف وضع اللسان داخل الفم فى كل حرف عن الحرف الآخر تبعًا لذلك، والأحرف الثلاثة محققة فلابد من تصادم طرفى المخرج.

وتختلف درجة التصادم بين طرفى المخرج بحسب الكيفية التى يخرج بها صوت الحرف. فمن ناحية درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: الجيم والياء مجهورتان، والشين مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة: الجيم شديدة، والشين والياء رخوتان.

والأحرف الثلاثة تشترك فى صفتى الانفتاح والاستفال.

وبسبب خروج الياء من وسط اللسان، كان هو المخرج اللساني الوحيد، الذي يجمع ثلاثة حروف كلها مستفلة، مستحقها الترقيق على كل حال.

وأقوى تصادم بين وسط اللسان وما يحاذيه من غار الحنك يكون فى الجيم لشدتها مع جهرها، ثم يليها الياء لرخاوتها مع جهرها، ثم الشين لرخاوتها مع همسها.

وعلامة ضبط مخرج الجيم أن تخرج:
مجهورة- شديدة- مقلقلة- مستفلة- منفتحة.
وعلامة ضبط مخرج الياء أن تخرج:
مجهورة- رخوة- مستفلة- منفتحة.
وعلامة ضبط مخرج الشين أن تخرج:
رخوة- مهموسة- مستفلة- منفتحة.

(٢) تسمى الحروف الثلاثة بالحروف الشجرية (الصفة المحلية أو لقب الحرف).

كما جاء فى "السلسبيل الشافى":

والْجِيمُ والشِّينُ وَيَا شَجْرِيَّةٌ

ولقبت هذه الأحرف بالشجرية لخروجها من شَجْر الفم، بسكون (الجيم)..

[وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى فى قول، وقيل: هو متسع ما بين اللحيين، أى ما تنبت عليه اللحية من الخارج، أو ما اتسع من منطقة الفم، وهو ما بين وسط اللسان والحنك الأعلى].

واختلف العلماء فى حروف هذا اللقب، فقال الإمام ابن الجزرى فى كتابه (التمهيد): هى الجيم والشين والضاد، وأسقط الياء.

ثم رجع عن هذا الرأى فى كتابه (النشر)، فقال: هى الجيم والشين والياء.

وذهب آخرون إلى أنها أربعة أحرف، هى: الجيم والشين والياء والضاد.

كما قال صاحب "لآلئ البيان":

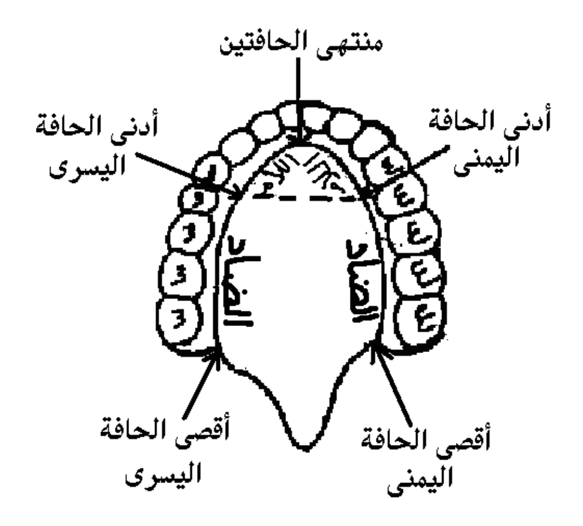
والْجِيمُ والشِّينُ ويَاءٌ لقُبِّتْ مَعْ ضَادِهَا شَجْرِيَّةٌ كَمَا ثَبَتْ

وهذا هو الرأى المشهور.

(٣) فى قراءة الإمام أبى عمرو البصرى: أدغم الجيم المتحركة فى التاء من قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾، ﴿ تَعْرُجُ .... ﴾ فتسكن الجيم وتبدل تاءً، وتدغم فى التاء المتحركة وينطق بتاء واحدة مشددة فى حالة وصل الآيتين فتقرأ: (المعار تَّعرج). كما أدغم الجيم فى الشين من قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾، فتبدل الجيم شينًا، وتنطق بشين واحدة مشددة (أَخْرَ شَّطْأَه) وذلك فى حالة الوصل فقط.

ثالثاً: منطقة حافتى اللسان

وتحتوى على مخرجين خاصين، أحدهما تخرج منه الضاد، والآخر تخرج منه اللام.



ويوضح الشكل أن للسان حافتين: حافة يمنى، وحافة يسرى، ولكل من الحافتين أقصى وأدنى، ثم بعد الأدنى من الناحيتين منتهى الحافتين، عند مقدم الفم.

ومنطقة أدنى الحافة إلى أقصاها (من الجانبين)، هى:

ما يحاذى حافتى اللسان من لثة الأضراس الثلاثة العليا، المعروفة بالطواحين، انتهاءً بالناجذ، أو ضرس العقل.

ومنطقة أدنى الحافة إلى منتهاها (من الجانبين) هى:

ما يحاذى حافتى اللسان من لثة الأسنان العليا، من الضاحك إلى الضاحك، من الناحيتين اليمنى واليسرى.

تسمى منطقة أدنى الحافتين إلى أقصاهما (الحافتين الخلفيَّتين).

وتسمى منطقة أدنى الحافتين إلى منتهاهما (الحافتين الأماميَّتين).

والحافتان الخلفيتان هما مخرج الضاد، أما الأماميتان فمخرج اللام.

قال الإمام ابن الجزرى:

.... والضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا

الاَضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمنَاهَا والَّلامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهاهَا

حـرف الضـــاد:

الضاد من الحروف التى تنفرد بها اللغة العربية، ولا نعلمه موجودًا فى لغة أخرى، ولذلك يطلقون على اللغة العربية (لغة الضاد).

تخرج الضاد من أدنى الحافتين إلى أقصاهما، من الناحيتين اليمنى واليسرى، مع ما يحاذيهما مما يلى الأضراس العليا (أى ما يأتى بعدهما) من لثة الأضراس العليا، أو من غار الحنك الأعلى، والمعنى واحد، باعتبار أن اللثة جزء من غار الحنك الأعلى.

وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى:

.... والضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا

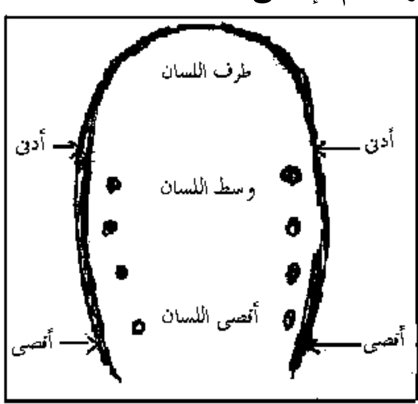
الاضرَاسَ ....

تخرج الضاد بكيفية الصوت الرخو المجهور، فيبدأ النطق بها بتصادم حافتى اللسان الخلفيَّتين (من الأدنى إلى الأقصى)، بلثة الأضراس العليا من الناحيتين اليمنى واليسرى، فيرتفع معهما باقى الحافتين (من الأدنى إلى منتهى الطرف)، لتحاذى لثة الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك، بحيث يكون رأس طرف اللسان ملتصقًا بلثة الثنيَّتين العلويَّتين من الداخل، كما هو مبين بالشكل.



ولأن قبة غار الحنك منخفضة من الأمام، عميقة من الداخل، فعندما يقرع اللسان بحافتيه الأماميَّتين والخلفيَّتين ما يوازيهما من لثة الأسنان والأضراس العليا، يكون هناك فراغ بين

وسط وأقصى اللسان وما يحاذيهما من قبة غار الحنك، ويكون هناك أيضًا التصاق محكم بين طرف اللسان وما يحاذيه من غار الحنك، وهذا يعنى: أن مخرج الضاد من أدنى الحافتين إلى أقصاهما، غير محكم الإغلاق.



نلاحظ فى الشكل: أن طرف اللسان يقع فى محاذاة المنطقة المنخفضة من أول غار الحنك، فعندما يصطدم الطرفان يكون التصاقهما محكمًا.

كما نلاحظ أن وسط اللسان وأقصى اللسان يقعان فى محاذاة المنطقة المجوَّفة، أو العميقة، من غار الحنك، فعندما تصطدم الحافتان من الأدنى إلى الأقصى بلثة الأضراس يكون هناك فراغ بين وسط وأقصى اللسان وبين قبة غار الحنك.

وعند النطق بالضاد يدفع القارئ الهواء بقوة اعتماد مساوية لقوة تصادم طرفى المخرج، وهى قوة كافية لاهتزاز الحبلين بشدة، فيتكيف كل الهواء المار من بينهما بالصوت (صفة الجهر)، ولكون المخرج غير مغلق تمامًا، فالإعاقة التى تواجه الهواء الحامل للصوت إعاقة جزئية، تمكن الصوت من الجريان فى المخرج (صفة الرخاوة).

والضاد حرف مستعلٍ، (يستعلى معه أقصى اللسان بقوة الإرادة).

وحرف مطبق، لأن استعلاء أقصى اللسان مصحوب باستعلاء الحافتين الأماميَّتين، فيخرج صوتها مفخمًا تفخيمًا قويًا.

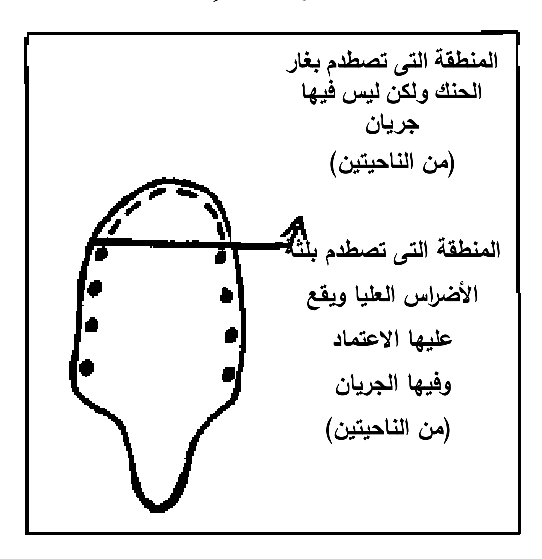
وسمى العلماء: مصاحبة ارتفاع الحافتين الأماميَّتين من الأدنى إلى المنتهى لمخرج الضاد (استطالة)، أى استطال المخرج، وامتد ليشمل باقى الحافتين.

وهذه الاستطالة اضطرارية؛ لأن من البديهى: أنه إذا استعلى أقصى اللسان، وارتفعت حافتاه الخلفيَّتان أن ترتفع معهما الحافتان الأماميَّتان، فتكون منطقة الحافتين من الأقصى إلى المنتهى من الناحيتين اليمنى واليسرى كلها مشاركة فى إخراج الضاد.

ولم يعتبر العلماء حافتى اللسان من أولهما إلى آخرهما مخرجًا للضاد، وإنما ذكروا الخلفيَّتين فقط؛ لأن جريان الصوت لا يكون إلا فى الخلفيَّتين (من أدنى الحافتين إلى أقصاهما)، أما باقى الحافتين فلا جريان فيهما، مع الأخذ فى الاعتبار:

أن الحافتين الأماميَّتين يتأثران بجريان الصوت فى الخلفيَّتين، بدليل شعور القارئ بذبذبة واهتزاز صوت الضاد (المجهور الرخو)، فى الأماميَّتين كنتيجة لجريان الصوت فى الخلفيَّتين.

لا يمكننا تحقيق صفة الرخاوة التى فى مخرج الضاد، أى جريان الصوت فى الخلفيَّتين بدون مشاركة الأماميَّتين، أو بمعنى آخر بدون (الاستطالة)، وهذا هو المقصود بمشاركة الحافتين الأماميَّتين مع كون الإعمال على الخلفيَّتين.



وفى الرسم نلاحظ: أن كلتا الحافتين تشاركان فى إخراج الضاد، ولكن الاعتماد والجريان يكون فى المنطقة من الأدنى إلى الأقصى.

الثمرة المستفادة:

علامة ضبط مخرج الضاد أن تخرج:

رخوة، (يجرى معها الصوت، كجريانه مع باقى الحروف الرخوة)، فلابد للقارئ من أن يسمع جريان الصوت عند تصادم حافتى اللسان (اليمنى واليسرى)، من الأقصى إلى الأدنى على ما يليهما من لثة الأضراس العليا.

مجهورة، (بتكيف كل هوائها بالصوت، فلا يخالطها النفس)، فيشعر القارئ بذبذبة الصوت واهتزازه على طول الحافتين.

مستعلية مطبقة، (يستعلى معها أقصى اللسان بالإرادة، ويستعلى طرفه، فتخرج بدرجة تفخيمية أعلى من القاف، وأقل من الطاء)، لانفتاح القاف، ولشدة الطاء، فدرجة الإطباق مع الطاء أكبر من الضاد.

مستطيلة (لاشتراك الحافتين الأماميتين مع الخلفيَّتين عند النطق بالضاد).

ولا يمكن جريان الصوت فى الضاد الساكنة إلا بالاستطالة، فإذا لم يستطل القارئ بمخرج الضاد لا يمكنه إخراجها حينئذٍ إلا بالقلقلة؛ لأنها تصير شديدة مجهورة، وهذا ما نسمعه من كل من لا يستطيع ضبط مخرج الضاد. كما فى نحو: ﴿فَضْلٌ﴾، ﴿ٱضْرِب﴾، وما شابههما.

ولكون مخرج اللام من الحافتيْن الأماميَّتين مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا، عرَّف علماء التجويد (الاستطالة)، بأنها: امتداد مخرج الضاد ليشمل مخرج اللام. وانفردت الضاد بهذه الصفة، دون باقى حروف الهجاء، فلم يحدث لحرف سواها أنه يحتاج إلى مشاركة مخرج غيره حتى يمكن النطق به، ولذلك اتفق العلماء على أن صفة الاستطالة صفة خاصة بحرف الضاد فقط.

والاستطالة والرخاوة صفتان لازمتان للنطق بالضاد الفصيحة، لا تنفك إحداهما عن الأخرى. فلا يمكن إخراج الضاد بدون بيان رخاوتها، ولا يمكن بيان رخاوتها إلا باستطالة مخرجها.

ولذلك نقول: طبيعة مخرج الضاد، كما هو سبب رخاوتها، فهو أيضًا سبب استطالتها، وكما أن الرخاوة صفة صوتية، كذلك الاستطالة، فلولا الاستطالة ما جرى صوت الضاد.

* * * سمى بعض أهل الأداء الاستطالة بالصفة المخرجية، ونقول: كل صفة يحملها الحرف سببها طبيعة مخرجه، وبالتالى فكل صفة يمكن أن نسميها بالصفة المخرجية، فلماذا اختصت صفة الاستطالة بهذا المسمى دون باقى الصفات؟؟؟؟

تنبيهات:

١- عند النطق بالضاد: لابد أن يجعلَ القارئ درجةَ اصطدام الحافتين الأماميَّتين بما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا، أمكنَ من درجة اصطدام الحافتين الخلفيَّتين بما يحاذيهما من لثة الأضراس العليا، حتى يخلق فراغًا بين وسط وأقصى اللسان وما يحاذيهما من قبة غار الحنك، فيجرى صوت الضاد فى سهولة، أمَّا إن أحكم التصادم بين صفحة اللسان كله وما يحاذيه من قبة غار الحنك فقد أغلق المخرج، ولا يمكنه حينئذٍ جريان الصوت فيه.

وكثيرًا ما يقع هذا الخطأ ممن يقحمون الفك السفلى فى إخراج الضاد، فيضغطون بالأضراس السفلى على العليا ويحكمون إلصاق حافتى اللسان بينهما، وهذا الخطأ من أهم أسباب عدم نجاح النطق بالضاد لأنه يمنع جريان صوتها.

٢- الاستطالة: ليس معناها جريان اللسان واندفاعه إلى الأَمام أثناء النطق بالضاد، لأن اللسان يكون ثابتًا، وما يشعر به القارئ من ذبذبة واهتزاز، يتردد داخل الفم، ليس بجريان اللسان وإنما هو اهتزاز وذبذبة الصوت المصاحب لاهتزاز وذبذبة الحبلين الصوتيين، بسبب تعاقب الفتح والغلق فيهما، كما يحدث مع حروف كيفية الصوت الرخو المجهور، فما يحدث فى مخرج الضاد من ذبذبة، هو الذى يحدث فى مخرج الذال، والزاى، والظاء مثلاً.

٣- صوت الضاد يتميز عن غيره من الحروف المجهورة بأنه صوت خفى، فيمكن أن نقول: إذا كانت (الهاء)، أخفى الحروف المهموسة، فكذلك (الضاد)، أخفى الحروف المجهورة، والسبب هو: مَوَّضع مخرجها، فصوت الضاد يتردد فى داخل التجويف الفموى، بعيدًا عن مقدم الفم، فهو يجرى فى الحافتين الخلفيَّتين، مع إحكام الإلصاق بين الحافتين الأماميَّتين وما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا.

٤- جريان صوت الضاد الساكنة له زمن، وزمنه لا يضبط بالحركات، وإنما بالمشافهة، ويجب أن يحافظ القارئ على بيان صوت جريان الضاد إذا سكنت متطرفة، نحو:

﴿ قَاضٍ ﴾،وإذا سكنت متوسطة نحو:﴿ فَضْلُ ﴾،﴿ ٱضْرِب ﴾، ويجب أن يظل صوت الضاد جاريًا حتى الانتقال إلى مخرج الحرف التالى، حتى لا يَخْلُقَ فراغًا أو سكتًا بين الحرفين.

٥- عند النطق بالضاد: لا يجعل القارئ اعتماده على حافة أمكن من الأخرى؛ لأن ذلك يؤدى إلى ظهور اعوجاج فى الفم يشوه شكل القارئ، فى حين أن استخدام الحافتين معًا يجعل الصوت مُوزَّعًا داخل الفم يخرج بقوة واحدة فى سلاسة ودون مشقة.

الضـــاد المتحركة:

الضاد المتحركة، مثلها مثل باقى الحروف المتحركة، تخرج بعملين: تصادم فى مكان السكون، لا زمن له، ثم التباعد إلى الجوف من أجل الحركة، ولذلك:

الضاد لها مخرج واحد فى حال السكون، وحال الحركة.

جميع الصفات التى تتصف بها الضاد الساكنة، توجد فى المتحركة، فمخرجها يستطيل مع الحركة، كما يستطيل مع السكون، غير أن بيان الصفات (ومن بينها الاستطالة)، حال السكون، أوضح من الحركة، لأن زمن التصادم فى المخرج، حال السكون، أطول من حال الحركة.

جـ- عند إخراج الضاد المتحركة: لا نتباعد إلى الجوف بكتلة اللسان دفعة واحدة، وإنما يتم التباعد بإحدى الحافتين قبل الأخرى، لأنه الأيسر، وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى:

.... من أَيْسَرَ أَو يُمنَاهَا ....

فبعد وَصْفِهِ لمخرج الضادِ، وَصَفَ كيفيةَ التباعدِ عنه، ولا يكون ذلك بالطبع إلا مع الحركة، لا مع السكون.

وعند مفارقة الحافتين لغار الحنك الأعلى لإخراج الضاد المتحركة، يجب ألا يلتوى اللسان يمينًا أو يسارًا، بل يفارق مستويًا لا يؤثر على شكل الفم، سواء كانت المفارقة مبتدئة بالحافة اليمنى، أو اليسرى، أو بالحافتين معًا.

حرف الضاد، من أكثر الحروف التى نالت اهتمام الكتّاب وأئمة الأداء منذ القرون الأولى وحتى الآن. فحديثًا قال بعض الباحثين:

حرف الضاد، الذى يوصف فى كتب التجويد، إنما هو الضاد القديمة التى كان ينطقها العربى فى عصر الفصاحة، والتى نادرًا أن تجد الآن من يلفظها، بسبب كون إخراجه عسيرًا لا ينطلق اللسان به إلا بعد رياضة ومران. ولقد تمكن التحول الصوتى من أَلْسن الناس وقارئى القرآن، حيث ابتدعوا ضادًا حديثة عبارة عن دالٍ مفخمة، أو طاءٍ، نتيجة للتصعب وتقليد بعضهم بعضًا بغير دليل.

وقديمًا قال الإمام مكى فى الرعاية:

"والضاد أصعب الحروف تكلفًا فى المخرج، وأشدها على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها، أتى بغير لفظها، وأخل بقراءته، ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعًا وسليقة".

وقال أيضًا:

"لابد للقارئ من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يُقصِّر فيه أكثرُ من رأيتُ من القراء لصعوبته على من لم يَدْرَب فيه ومن فرَّط فى ذلك أتى بلفظ غير الضاد، فيكون مبدلاً مغيرًا." انتهى.

والنطق بالضاد الفصيحة المكتملة مخرجًا وصفة من مميزات العربى، أمَّا ما يرد فى بعض كتب التجويد عن قول النبى ﷺ. "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش".

فقد قال عنه الإمام ابن الجزرى فى النشر: لا أصل له، ولا يصح وهو موضوع. وعلق عليه الشيخ الضَّبَّاع بقوله: معناه صحيح، ولكن لا أصل له، فلم نجد له سندًا فى كتب الحديث ومعاجمه.

ويستبدل بحرف الضاد كثيرًا، وأكثر ما يُستبدل به الحروف التالية:

الظاء- الطاء- الدال- الصاد المشمة بصوت الزاى- اللام.

قال العلماء:

"وأكثر الحروف التى ينحرف إليها الضاد هو حرف الظاء؛ لأن الضاد أعظم كلفة وأشق على القارئ من الظاء، ومتى قصَّر القارئ فى تجويد الضاد جعلها ظاءً".

وقال الإمام مكى فى الرعاية: "الضاد والظاء متقاربان فى السمع، ولا تفرق الضاد عن الظاء إلا باختلاف المخرج والاستطالة فى الضاد، ولولاهما لكانت إحداهما عين الأخرى."

وهذا معنى قول الإمام ابن الجزرى فى المقدمة الجزرية:

والضَّادَ باسْتِطَالَةٍ وَمَخْرَجِ   مَيِّزْ مِنَ الظَّاءِ ....

لماذا ينطق البعض الضاد ظاء؟

الناس فى ذلك نوعان: نوع يبدأ بمخرج الضاد وينتهى فى مخرج الظاء، فيبدأ بإلصاق الحافتين بلثة الأضراس والأسنان العليا وينتهى بإنزال رأس اللسان فيجعله محاذيًا لرءوس الثنايا العليا حيث مخرج الظاء، فينتهى صوت الضاد ظاءً، وهذا منتشر فى جزيرة العرب، وخاصة بالبوادى والقرى.

ونوع يصطدم مباشرة بمخرج الظاء، فيلصق رأس طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا، دون أن يعتمد على شىء من الحافتين، فيبدل الضاد ظاء خالصة، وهذا أكثر ما يقع فى أهل الشام وبعض أهل المشرق العربى.

لماذا ينطق البعض الضاد طاء؟

لأنهم ينطقون الضاد من مخرج الطاء، وهو طرف اللسان العريض مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، وهذا ما يفعله أكثر المصريين وبعض أهل المغرب.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا: أن البعض يخلط بين صوت انحصار الطاء الساكنة نتيجة لشدتها مع إطباقها، وبين صوت رخاوة الضاد الساكنة، فإذا أراد النطق بالضاد الساكنة أطبق مخرج الطاء على ما يحاذيه من غار الحنك فيحدث لهذا الإطباق صوت، يظنه صوت الضاد الساكنة، وهذا خطأ واضح.

لماذا ينطق البعض الضاد دالاً مفخمة؟

لأنهم يستعلون بأقصى اللسان فقط دون الحافتين، ويجعلون كل إعمالهم على طرف اللسان. وهذا كثيرًا ما يحدث عند نطق الضاد المتحركة، وبخاصة المتحركة بالكسر، كما فى نحو: ﴿ يُضِلُّ ﴾، أو عندما تجتمع الضاد والطاء فى نحو: ﴿ ٱضْطُرِرْتُمْ ﴾، فينطقون الضاد الساكنة دالاً مفخمة، لاشتراك كلٍّ من التاء والطاء فى المخرج.

لماذا ينطق البعض الضاد صادًا مشمة بالزاى؟

الصاد المشمة بصوت الزاى حرف من الحروف الفرعية التى نزل بها القرآن، فى كلمات مخصوصة، عند بعض القراء، غير حفص. فى نحو ﴿أَصْدَقُ﴾، ﴿يَصْدِفُونَ﴾.

وطريقة النطق بها: تنطق بزاى مستعلية فتخرج صادًا مجهورة مختلطة بصوت الزاى، ويقع صوتها فى السمع شبيهًا بصوت الظاء التى ينطقها العوام.

والنطق بالضاد، كما ننطق بالصاد المشمة بالزاى لحن وخطأ، أكثر ما يقع فى لهجات بعض البلاد الأعجمية، مثل: تركيا- باكستان- الهند.

لماذا ينطق البعض الضاد لامًا مفخمة؟

لأنهم يخرجونها من أدنى الحافتين إلى منتهى الطرف مع الاستعلاء بأقصى اللسان، وأكثر ما يقع فيه بعض القبائل بالسودان وأرض الحبشة.

ونطق الضاد منحرفًا إلى حرف من الأحرف المذكورة أو إلى لهجة من اللهجات لا يجوز، وهو من اللحن الجلى الذى يجب التخلص منه. ولقد زاد فشو اللحن فى لفظ الضاد حتى ابتلى به معظم القارئين، ولذلك اهتم العلماء بالتنبيه إلى مراعاة تصحيح التلفظ به.

فقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

على القارئ الحذر من قلبه إلى الظاء، لاسيما فيما يشتبه بلفظه؛ لأنه يعطى بعض الكلمات معانى غير ما أرادها الله.

ففى نحو: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾، يشتبه بقوله ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾.

فلو قلنا (ظَلَّ مَن تدْعُون)، لصار بمعنى (الدَّوام) بدلاً من (الضَّلاَل)، ومثله:

لو قلنا في ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الظالين)، لكان معناه (الدائمين). وهذا خلاف مراد الله تعالى.

ومثل الذى يبدل الضاد ظاءً فى هذا وشبهه، كالذى يبدل السين صادًا، فى نحو قوله تعالى:﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ أو يبدل الصاد سينًا فى نحو قوله تعالى"

﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾، فالأول من (السِّر) والثانى من (الإصْرَار).

وليعمل القارئ على إحكام لفظه، خصوصًا: إذا جاوره حرف الظاء؛ لئلا يختلط أحدهما بالآخر، فتبدل الضاد ظاءً أو العكس، فى نحو:﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

ويتأكد البيان إن كان الثانى مشددًا نحو: ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾، مخافة أن يلفظ بالمشدد الأول مثل ما يلفظ بالثانى، فيلفظ بالظاء المشددة بدلاً من الضاد المشددة.

وكذلك إذا جاوره حرف مجانس للظاء نحو﴿ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾.

(فالذال والظاء مشتركتان فى المخرج). أو جاوره حرف مفخم نحو: ﴿أَرۡضُ ٱللَّهِ﴾.

وإذا سكن وأتى بعده طاء، نحو: ﴿ٱضۡطُرَّ﴾، ﴿ٱضۡطُرِرۡتُمۡ﴾، فاحذر من أن تدغم الضاد فى الطاء، وتنطق بطاء واحدة مشددة.

وإذا أتى بعده تاء، فى نحو: ﴿أَفَضۡتُم﴾، ﴿فَقَبَضۡتُ﴾، فاحذر من أن يسبق اللسان إلى إدغام الضاد فى التاء، والنطق بتاء واحدة مشددة، لأنه الأخف. وهذا ممنوع باتفاق.

واحذر من أن تنقلب الظاء ضادًا، فى مثل ﴿أَوَعَظۡتَ﴾.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ما سبق بقوله:

وَإِنْ تَلاَقَيا الْبَيَانُ لاَزِمُ   أَنقَضَ ظَهْرَكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ
واضْطُرَّ مَعْ وَعَظْتَ مَعْ أَفَضْتُمْ   ....

وليس بيان الضاد مقصورًا على ما ذُكر، وإنما بيانها لازم مطلقًا، خاصة إذا أتت ساكنة نحو: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾، ﴿وَقَيَّضۡنَا﴾.

وإذا كانت الضّادُ مُشَدَّدةً وجبَ أن يَتأكَّد فيها البيانُ، نحو: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾، و﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾، و﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ﴾، و﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾، و ﴿يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، وشبهه كثير.

وكَذلكَ إذا تكرَّرَت ظاهرةً يَجِبُ بيانُها لِثِقَل التَّكْريرِ، فى حرفٍ قَوِيٍّ مُطْبَقٍ مُسْتَعْلٍ مُسْتطيلٍ مجهورٍ، وذلك نحو قوله: ﴿يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾، و﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾، وشبهه.

وإذا سَكَنت الياءُ قبلَ الضّادِ أو بعدَها وجبَ التَّحَفُّظُ بإظهارِ الضَّادِ، لأنها الأقوى، فربما ضعف لفظ الضاد لضعف الياء، وذلك نحو: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾،

و﴿ تَرَٰضَيۡتُم ﴾، ﴿ إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾، و﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾، وقريب من ذلك إن تَحرَّكَت الياءُ وهى مشدَّدةٌ، نحو:

﴿ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ ﴾، و﴿ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا ﴾، وشبهه.

تنبيهــات:

التنبيه الأول: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى، ورويس، قوله تعالى فى سورة التكوير: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾، بالظاء المشالة.

وقرأ الباقون ومن بينهم حفص بالضاد ﴿ بِضَنِينٖ ﴾.

ورسمت الكلمة فى جميع المصاحف بالضاد؛ لأنها الأغلب فى القراءة.

وقراءة (بظنين) على وزن (فَعِيل)، من: ظَنَنْتُ فلانًا اتَّهَمْتُه.

والمعنى: وما محمد على الغيب (وهو ما يوحى الله إليه) بمتهم أى: لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يحرِّف.

وقراءة ﴿ بِضَنِينٖ ﴾، بمعنى: بخيل بما يأتيه من قبل ربه، فهى صيغة مبالغة من ضَنَّ، بمعنى بَخِلَ.

التنبيه الثانى:

أدغم الإمام أبو عمرو البصرى، الضاد المتحركة فى الشين، فى لفظ واحد، لا ثانى له، وهو ﴿ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾، فيُسَكِّنُ الضاد ويبدلها شينًا، وينطق بشين واحدة مشددة.

التنبيه الثالث:

هناك من قال: إن الضاد الفصيحة تخرج مختلطة بالظاء، كما إن النطق بالضاد خالية من صوت الظاء يجعلها تحمل صفة الشِّدَّة، التى هى ضد الرخاوة. وقال إن من لم يفعل ذلك تكون صلاته باطلة.

ونقول:

أ- هذا القول فيه إغفال تام لصفة الاستطالة، التى اتفق جميع الأئمة والعلماء على أنها صفة خاصة بالضاد، تميزت بها عن سائر الحروف الأخرى. فالصواب أن يقال:النطق بالضاد الفصيحة خالية من الاستطالة يجعلها شديدة، ولا يقال: النطق بالضاد خالية من صوت الظاء يجعلها شديدة.

ب- جعل الضاد مخلوطة بالظاء معناه: تحويل الضاد الفصيحة، التى هى حرف أصلى، إلى حرف فرعى يتردد بين حرفين أصليين (الضاد والظاء)، مع ملاحظة أن الضاد -وهى حرف أصلى- ستكون بلا وجود، على قولهم.

ومن المعلوم- عند المجودين وأهل الأداء- أن الحروف الفرعية لا تكون إلا فى كلمات مخصوصة مضبوطة بالرواية المتواترة الصحيحة، ويقرأ بها بعض القراء لا جميعهم؛ لأن معظمها عبارة عن لهجات لبعض القبائل العربية نزل القرآن بها، مثل: الصاد المشمة بالزاى- والهمزات المسهلة، وغيرها، ولا مجال للاجتهاد أو القياس فيها، والمتفق عليه أنه لم تأت رواية بوجود حرف فرعى يسمى (الضاد المخلوطة أو المشمة بالظاء) أو (الضاد الظائية)، كما يسميها البعض.

ولقد علق الشيخ رزق خليل حبه شيخ المقارئ المصرية الأسبق على أصحاب هذا القول بما نصه:

"على من يقول بالضاد الظائية أن يعلم أن القراءة سُنَّة متبعة، ينقلها السلف عن الخلف ولا مجال للقياس فيها، ولم نسمع تسجيلاً للقرآن فى داخل مصر أو خارجها ينطق الضاد ظاءً أو شبيهة بالظاء، فمن يقول ذلك فهي لهجته الخاصة، وهى لَكْنَة أعجمية لا شأن بتلاوة القرآن بها، واللهجات لا تصلح لتلاوة القرآن إلا إذا وافقت الأحرف السبعة. وحتى لو قالوا إن النطق بالضاد الشبيهة بالظاء رواية، والنطق بالضاد بدونها رواية أخرى، لوردت الروايتان:مثل ما وردت قراءة بالسين، وأخرى بالصاد، فى نحو:﴿ يَبْسُطُ ﴾، ومثلها. وكما فى نحو:﴿ بِضَنِينٍ ﴾، فى سورة التكوير وهى رواية واردة فقد قرأها المكى والبصرى والكسائى (بالظاء الخالصة)، وقرأها الباقون كحفص بالضاد، وهذا فى هذه الكلمة فقط.

ولقد ظهر من مئات السنين من قال يجب تحريف النطق بالضاد ظاءً، فتصدى لهم القراء، ولا ندرى لماذا أثير موضوع الضاد فقط، مع أنه لولا الإطباق لنطقت الصاد سينًا، والطاء دالاً، والظاء ذالاً، وهذه حروف متجانسة فهي أولى أن يكون كل حرف منهما شبيهًا بالآخر، فكل من زعم أن الضاد الحالية شديدة فهو على غير الصواب". انتهى بنصه.

وعلى هذا لا يجوز قراءة القرآن بالضاد المخلوطة بالظاء، وإن جاز فى العامية، فلا يجوز فى القرآن، فالأداء العامى شىء، والقراءة التى هى سنة متبعة شىء آخر.

ونستطيع أن نستدل على عدم وجود ما يسمى بالضاد الظائية بأمرين:

الأول: تعريف معنى الاستطالة فى الضاد بأن مخرجها امتد حتى اتصل بمخرج اللام، ولم يختلف أحد من الأئمة على أن مخرج اللام أدنى الحافتين مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا، وهذا يعنى عدم إمكانية أن تكون الضاد الفصيحة بها شائبة الظاء لخروج الظاء من أطراف الثنايا مع طرف اللسان.

الثانى: حصر الإمام ابن الجزرى جملة ما ورد فى القرآن من الظاءات فكانت ثلاثين لفظًا، سردها فى قصيدته المعروفة بالمقدمة الجزرية، ومن هذه الألفاظ ما وقع فى موضع واحد، ومنها ما وقع فى غير موضع، ولقد سبقه إلى ذلك الإمام الدانى، ويفهم من حصرهما للظاءات الواردة فى القرآن أن ما سواها فيه هو بالضاد اتفاقًا لفظًا وكتابة، وأنه لا وجود لحرف خليط بين الحرفين وإنما يوجد ضاد خالصة وظاء خالصة.

وختامًا نقول: الضاد الفصيحة:

من ناحية الصفة المحلية: حرف شَجْرى.

ومن ناحية اهتزاز الحبلين الصوتيين: حرف مجهور.

ومن ناحية درجة الإعاقة: حرف رخو.

وصفة الاستطالة صفة صوتية تؤثر فى درجة الإعاقة وفى درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين.

ومن ناحية انحصار الصوت داخل الفم واستعلاء أقصى اللسان، فهو:

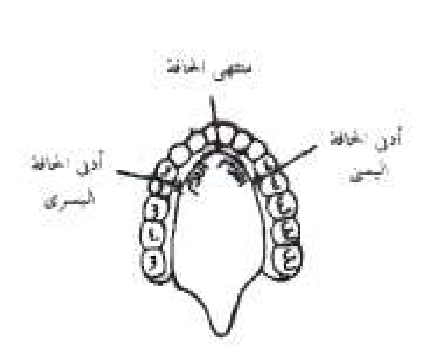
حرف مستعلٍ- مطبق، يفخم تفخيمًا زائدًا، ولكن بدرجة أقل من الطاء.

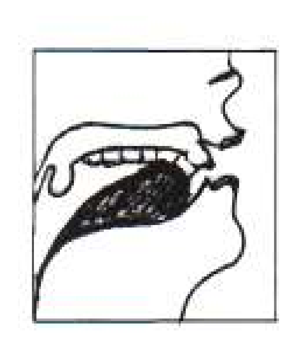
حرف اللام :

مخرج اللام هو حافتا اللسان الأماميتان من الأدنى إلى منتهى الطرف يمينًا ويسارًا مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك، فيشمل لثة الثنيَّتين، والرباعيَّتين، والنابين، والضاحكين.

قال الإمام ابن الجزرى:

.... وَالَّلامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهاهَا





والشكل يبين المنطقة التى تقرع فيها حافة اللسان لثة الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك بعد مخرج الضاد مباشرة، وحتى منتهى الحافة.

تخرج اللام بكيفية الصوت المجهور المتوسط بين كمال الشدة وكمال الرخاوة، فيبدأ النطق باللام بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد تجعل كلتا الحافتين الأماميَّتين يلتصقان التصاقًا محكمًا على ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا، فيحتبس الصوت، ولا يمكن أن يكون احتباسه مستمرًّا أو كاملاً بسبب أن الحافتيّن الخلفيَّتين لا يلامسان شيئًا من الأضراس وغار الحنك، فالمخرج به فتحة، لانه مغلق من الأمام، مفتوح من الخلف، فبمجرد احتباس الصوت فى الحافتَيَّن الأماميَّتين يجرى الصوت فى الحافتين الخلفيَّتين جريانًا ضئيلاً ثم ينقطع لا إراديًا، مع ملاحظة: أن طرفى المخرج فى حالة تصادم، ولكن الصوت يترك المخرج ليجرى وراءه.

واحتباس الصوت احتباسًا ضئيلاً، ثم جريانه جريانًا ضئيلاً (يعبر عنه بصفة التوسط). وتكون كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف قليلة، تتكيف كلها بالصوت (وهو ما يعبر عنه بصفة الجهر).

فنقول: صوت اللام حادَ عن مساره بسبب اصطدَامه بعائق ووجود فتحة ينفذ منها.

حاد عن مساره، أى: ارتدَّ إلى الخلف.

ودليل وجود العائق، هو: احتباس الصوت فى الحافتين الأماميَّتين.

ودليل وجود الفتحة، هو: جريان الصوت فى الحافتين الخلفيَّتين.

سمى العلماء ارتداد الصوت وتركه للحافتّين الأماميَّتين ليجرى فى الحافتين الخلفيَّتين: [صفة الانحراف].

وتوسطت اللام بين كمال الشِّدَّة وكمال الرخاوة؛ لأن البقعة التى بدأ منها صوتها محتبسًا غير البقعة التى انتهى فيها جاريًا.

وعندما احتبس الصوت لم يحتبس احتباسه فى الحروف الشديدة، بسبب أن المخرج غير مغلق تمامًا، كمخارج الحروف الشديدة.

وعندما جرى الصوت لم يجر جريانه فى الحروف الرخوة، بسبب أن المخرج غير مفتوح تمامًا، كمخارج الحروف الرخوة، ولذلك:

١- قوة الاعتماد اللازمة لإخراج اللام أكبر من قوة الاعتماد اللازمة لإخراج الحرف المجهور الرخو، وأقل من قوة الاعتماد اللازمة لإخراج الحرف المجهور الشديد.

٢- وكما أن توسط اللام صفة لازمة لها، كذلك الانحراف، صفة لازمة لها لا تكمل اللام بدونه، ولا يمكن أن يكون لها صوت إلا به، والانحراف صفة قوية؛ لأنه عبارة عن صوت مجهور يحدث عقب احتباس.

٣- وليس الانحراف سبب التوسط، ولا التوسط سبب الانحراف، وإنما خِلْقة مخرج اللام هى السبب فى الصفتين معًا، فلو أن مخرج اللام كان مغلقًا تمامًا لكانت اللام شديدة شدة تامة، ولو كان مخرجها مفتوحًا تمامًا لكانت اللام رخوة رخاوة تامة، وحينئذٍ تنعدم الصفتان معًا (التوسط والانحراف).

٤- الانحراف فى اللام (لا إرادى)، ولا يمكن أن يفتعله القارئ فيحرك لسانه يمينًا أو يسارًا كما يفعل البعض، وإنما هو مقارن للجزء الرخو من اللام، فإذا ضبط القارئ مخرج اللام فقد ضبط الانحراف.

فالانحراف هو انحراف الصوت، وليس انحراف اللسان، ولا هو انحراف اللام ناحية النون، أو الراء.

٥- ولأن جريان صوت اللام لا يأتى إلا عقب الاحتباس: فزمن اللام هو (زمن التوسط)، وليس زمن الانحراف، لأن زمن التوسط يشمل: (زمن الاحتباس، وزمن الجريان)، أمَّا الانحراف، فزمن الجريان فقط.

تنبيهات:

أولا: لابد أن تكون الحافتان الأماميَّتان ملتصقتين تمامًا بما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك، على أن يظل هذا الالتصاق مستمرًا حتى الانتهاء من نطق اللام الساكنة، أو الانتقال إلى مخرج أصل الحركة فى اللام المتحركة.

ثانيا: كلما اعتمد القارئ بقوة على الحافتين الأماميَّتين مع أصول الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك خَلُصَ صوت اللام من الغنة، لأن الصوت حينئذٍ لن يجد أمامه إلا الحافتين الخلفيتين ليجرى فيهما، أَمَّا إن اعتمد القارئ على طرف اللسان الدقيق، أو تصادم فى مخرج اللام بضعف، أدى ذلك إلى انحراف الصوت إلى الخيشوم بدلاً من انحرافه إلى الخلف وخرج صوت اللام مخلوطًا بالغنة.

ومن بداية النطق باللام نبدأ بقوة كافية لانقطاع الصوت لا إراديًا بعد جريان ضئيل، وإذا ضعف الاعتماد خرج صوتها مخلوطًا بالغنة وطال زمنه.

ثالثا: لابد من الانتباه إلى إعطاء اللام الساكنة ما تستحقه من زمن دون زيادة أو نقصان، فكثيرًا ما يغفل القارئ المبتدئ عن ذلك، ولقد نبَّه الإمام ابن الجزرى على اللام الساكنة بقوله:

وَاحْرِصْ عَلى السُّكُونِ فِي جَعَلْنَا .... مَعْ ضَلَلْنْاَ

ومثلهما: ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾، ﴿ وَظَلَّلْنَا ﴾، وشبهه كثير. فالواجب التحفظ ببيان اللام الساكنة لئلا تدغم فى النون لقرب مخرجيهما.

وإذا تكررت اللام مظهرة وجب التحفظ ببيانهما، نحو: ﴿ قَالَ لَهُمْ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ ﴾.

وإذا تكررت اللام أكثر من ذلك، بسبب الإدغام، كان البيان آكد

ففى نحو ﴿ غِلًّا لِّلَّذِينَ ﴾، اجتمع فى اللفظ: ست لامات متواليات.

وفى نحو ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ﴾، اجتمع فى اللفظ: خمس لامات متواليات.

وفى نحو ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ﴾، اجتمع فى اللفظ: أربع لامات متواليات.

وفى نحو ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم ﴾، اجتمع فى اللفظ: ثلاث لامات متواليات.

واللام من الحروف الكثيرة الورود فى القرآن واللغة، وكثيرة التكرار فى الكلمات المتجاورة، فيجب التحفظ ببيانها؛ ببيان إظهارها فى مواضع الإظهار، وبيان إدغامها فى مواضع الإدغام.

رابعا: اللام حرف مستفل، ولكنه يفخم أحيانًا، كما قال صاحب الرِّعاية:

"اللام حرف مستفل، وقد تأتى مفخمة لقربها من الراء فى المخرج، فلما استعملت العرب فى الراء التفخيم والترقيق، وهى مستفلة، فعلت مثله فى اللام". انتهى.

واللام إذا فخمت يجرى معها ما يجرى مع الحروف المستعلية المطبقة، فتأخذ درجة تفخيمية عالية؛ لأن مخرجها أوسع من مخرج الراء. فإذا استعلى القارئ بأقصى اللسان لإرادة التفخيم، استعلى معه طرفه، وانحصر الصوت بين صفحة اللسان وغار الحنك ولذلك جرى العرف عند المجودين على إطلاق اسم (التغليظ) على تفخيم اللام، واسم (التفخيم) على تفخيم الراء؛ لأن اللام المفخمة أعلى تفخيمًا من الراء المفخمة.

وورد تغليظ اللام فى القرآن فى حالتين:

إحداهما: لام لفظ الجلالة إذا سبقه ضم أو فتح، نحو: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿ٱللَّهُ﴾.

والأخرى: ما يعرف بلامات ورش فى قراءة الإمام نافع، إذا أتت قبل اللام صاد، نحو:

﴿ٱلصَّلَوٰةُ﴾، أو طاء، نحو: ﴿وَبَطَلَ﴾، أو ظاء، نحو: ﴿أَظْلَمَ﴾، ولامات أخرى بضوابط تذكر فى محلها.

أما فى غير هاتين الحالتين فاللام مرققة على كل حال.

ولقد نبَّه الإمام ابن الجزرى على وجوب ترقيق اللام وضرب الأمثلة على ذلك، فقال:

.... ثُمَّ لاَمَ لِلَّهِ لَنَا

وَلْيَتَلَطَّفْ وَعَلَى اللَّهِ ولاَ الضَّ ....

والمعنى: عليك بترقيق اللام فى الأمثلة الآتية وكل ما شابهها:

- **لام الجر الداخلة على لفظ الجلالة، فى نحو: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، واللام من لفظ ﴿لَنَآ﴾، وكل ما شابهه.**
- **اللام من لفظ ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، لمجاورتها الطاء المطبقة، ومثله:**

﴿فَٱخْتَلَطَ﴾، ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾، ﴿ٱللَّطِيفُ﴾.

أما ما قاله بعضهم من جواز تفخيم اللام الثانية من ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، لوقوعها بين تاء وطاء فمردود، كما قطع به أهل الأداء والمحققون.

- اللام من "عَلَى" فى قوله﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، لمجاورتها اللام المغلظة فى لفظ الجلالة، ومثله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾.

- اللام الأولى من قوله تعالى ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ لمجاورتها للضاد المطبقة.

** وقطع الناظم الكلمة على قوله "وَلاَ الضَّـ" للضرورة، وإلا فلا يجوز مثل هذا إلا فى حالة الاضطرار.

خامسا: عند ترقيق اللام: ينبغى عدم إمالة الصوت بها، وخاصة إذا وقعت بين مفخمين، نحو ﴿ خَلَقَ ﴾، فالبعض يبالغ فى ترقيقها إلى درجة الإمالة، بحجة وقوعها بين الخاء والقاف.

واللام الأصل فيها الاستفال، والتفخيم أو التغليظ أمر عارض، فإذا ضبط القارئ مخرج اللام خرجت مرققة وإذا أراد تغليظها أو تفخيمها استعلى بأقصى اللسان بالإرادة.

سادسا: عند النطق باللام المشددة المغلظة سواء لام لفظ الجلالة، أو فى رواية ورش فلابد أن ينتبه القارئ إلى:

أ- عدم زيادة زمن اللام الأولى الساكنة (أول المشدد)، عن اللام الساكنة فى غير المشدد، فاللام الساكنة فى نحو: ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾، زمنها يساوى زمن اللام الساكنة فى نحو: ﴿ جَعَلْنَا ﴾.

ب- اللام المشددة المغلظة يسرى فيها التغليظ على اللامين الأولى الساكنة والثانية المتحركة، لأن الحرف المشدد يعامل معاملة الحرف الواحد فى التفخيم والترقيق، غير أنه فى اللفظ بوزن حرفين.

علامة ضبط مخرج اللام: أن تخرج: مجهورة- متوسطة- مستفلة- منفتحة.
وتحمل أيضًا صفة الانحراف.

اللام من ناحية الصفة المحلية: من الحروف الذَّلقية.

ومن ناحية اهتزاز الحبلين الصوتيين: حرف مجهور.

ومن ناحية درجة الإعاقة: حرف متوسط أو بَيْنى.

ومن ناحية درجة انحصار الصوت واستعلاء أقصى اللسان: حرف مستفل، منفتح، مستحقه الترقيق، وإذا فخم كان التفخيم صفة عارضة له.

وبجمع حروف منطقة الحافتين (الضاد واللام) نخرج بالثمرة التالية:

الضاد، واللام، يخرجان من حافتى اللسان، وكل من الحرفين لا يستغنى عن الحافتين معًا.

ففى الضاد: يكون الإعمال على الخلفيتين، مع مشاركة الأماميَّتين (صفة الاستطالة).
وفى اللام: يكون الإعمال على الأماميَّتين وينحرف الصوت ليجرى فى الخلفيَّتين (صفة الانحراف).

وفى الضاد: تلتصق الحافتان الأماميَّتان والخلفيَّتان بغار الحنك كله، أو لثة الأسنان والأضراس (على ما بيَّناه فى دراستنا لمخرج الضاد).

أما فى اللام: فتلتصق الحافتان الأماميَّتان فقط بلثة الأسنان العليا، وهذا معناه:

أن الفراغ الموجود بين حافتى اللسان وغار الحنك، فى اللام، أكبر من الضاد، وبالتالى تكون المنطقة التى يجرى فيها الصوت (داخل التجويف الفموى)، فى اللام، أكبر من الضاد، ولذلك كان صوت اللام أكثر وضوحًا وبيانًا من صوت الضاد، ولعل هذا هو السبب فى وصف اللام- فى كتب التجويد- بأن مخرجها أوسع المخارج، لأن الضاد مخرجها واسع واللام أوسع مخرجًا من الضاد، هذا بالإضافة إلى أن مخرج اللام أوسع مخارج حروف التوسط الخمسة المجموعة فى قولهم (لن عمر)، فمخرج اللام -بالاتفاق- أوسع من مخرج العين، والنون، والميم، والراء.

رابعاً: منطقة طرف اللسان

وفيها ثلاثة مخارج خاصة، يخرج منها خمسة أحرف:

النون والراء لكل منهما مخرج خاص، مستقل. والدال والتاء والطاء فى مخرج خاص واحد.

حرف النون:

تخرج النون من مخرج خاص، هو: طرف اللسان الدقيق مع ما يحاذيه من أصول الثّنيَّتين العلويَّتين، تحتها مباشرة مخرج اللام، أى أنها أَدخل إلى الحنك من اللام.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتُ اجْعَلُوا ....



مخرج النون

يُلاحظ فى الشكل:

الشفتان والفكان مبتعدان قليلاً عن بعضهما.

طرف اللسان الدقيق مصطدم تمامًا مع لثة الثنيَّتين العلويَّتين.

سقف الحنك اللحمى واللهاة منخفضان كثيرًا لفتح الممر الخيشومى.

تخرج النون بكيفية الصوت المجهور المتوسط بين كمال الشدة وكمال الرخاوة، فيبدأ النطق بالنون بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد كافية لالتصاق طرفى المخرج التصاقًا محكمًا، فيحتبس الصوت، ولكن لا يمكن أن يكون احتباسه مستمرًا وكاملاً؛ لأن الإعاقة ليست مستمرة، وإنما يندفع الهواء الحامل للصوت تاركًا مخرج النون ليجرى فى الخيشوم، من خلال فتحة فى نهاية غار الحنك واصلة بين التجويفين (الفموى والخيشومى)، ويكون

جريان الصوت فى الخيشوم ضئيلاً، ثم ينقطع لا إراديًا، مع ملاحظة: أن طرفى مخرج النون فى حالة تصادم أثناء جريان الصوت فى الخيشوم.

واحتباس الصوت احتباسًا ضئيلاً، ثم جريانه جريانًا ضئيلاً (يعبر عنه بصفة التوسط). وتكون كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف قليلة، تتكيف كلها بالصوت (صفة الجهر).

فنقول: صوت النون حادَ عن مساره بسبب اصطدامه بعائق ووجود فتحة ينفذ منها.

حاد عن مساره: أى ترك مخرج النون- عندما احتبس فيه- متجهًا إلى مخرج الخيشوم. والعائق هو: الاصطدام المحكم بين طرفى مخرج النون (ويسمى بالجزء الشديد أو الجزء اللسانى للنون). والفتحة هى: جريان الصوت فى الخيشوم (ويسمى بالجزء الرخو أو الجزء الخيشومى للنون). ومن مجموع الجزأين أو العملين يولد حرف النون، وزمنه يساوى زمن التوسط أى: زمن الاحتباس بالإضافة إلى زمن الجريان. والصوت الذى يجرى فى الخيشوم هو (الغنة)، ولا تكمل النون إلا به. ومخرج النون هو سبب توسطها؛ لأن البقعة التى بدأ منها الصوت محتبسًا غير البقعة التى انتهى فيها جاريًا.

وعندما احتبس الصوت لم يحتبس احتباسه فى الحروف الشديدة، بسبب: أن المخرج غير مغلق تماما كمخارج الحروف الشديدة.

وعندما جرى الصوت لم يجر جريانه فى الحروف الرخوة، بسبب: أن المخرج غير مفتوح تمامًا كمخارج الحروف الرخوة؛ ولذلك:

توسطت النون بين كمال احتباس الصوت وكمال جريانه.
وكانت الغنة من صفات القوة؛ لأنها صوت مجهور يجرى عقب احتباس.

والنون المتوسطة هى التى تسمى بالنون المظهرة، التى يصاحبها قوة اعتماد أقوى من درجة الاعتماد اللازمة لإخراج الحروف الرخوة، وأقل من درجة الاعتماد اللازمة لإخراج الحروف الشديدة. وهذا الأمر فى غاية الأهمية للتحكم فى بيان الجزء الخيشومى (الغنة)، أو عدم بيانه. فكلما قوى الاعتماد ضعف بيان الجزء الخيشومى، أو الجزء الرخو من النون، وكلما ضعف الاعتماد زاد بيانه.

وظهور الغنة فى النون المتوسطة خطأ يخل بفصاحتها؛ لأن النون- باعتبارها حرف هجاء حكمه الانفصال عما جاوره – يجب أن يكون الجزء الخيشومى فيه مكملاً له

وليس ظاهراً عليه.

وبيان الغنة لها أحوال تتوقف على ما جاور النون من حروف، ومحل دراستها: أحكام النون الساكنة والتنوين، وسيأتى إنْ شاء الله تعالى فى الجزء الثانى المتمم لهذا الكتاب، أمَّا النون التى ندرسها فى المخارج فهي النون المتوسطة أو المظهرة، أى التى يكون فيها الجزء اللسانى ظاهرًا على الجزء الخيشومى، فننطق النون دون أن يلحظ السامع صوت الغنة، مع وجودها حتمًا فلا تكمل نون من غير غنة.

ويستطيع القارئ أن يتعرف بنفسه كيف أن الصوت يحتبس في الجزء اللسانى ليجرى فى الجزء الخيشومى، وأن النون لا تكمل إلا بالغنة، بأن يقوم بغلق فتحتى الأنف، فيغلق بذلك ممر الصوت الخارج من الخيشوم، وينطق نونًا ساكنة فيقول (انْ)، فيجد أن الصوت قد احتبس تمامًا بمجرد تصادم طرفى مخرج النون، وإذا ترك الأنف مفتوحًا يجد أن صوت النون بدأ فى الظهور مباشرة. فهذا يدل على أن الجزء اللسانى لا يجرى فيه الصوت أبدًا، وأن الجريان يكون فى الجزء الخيشومى؛ ولذلك: لا تنْفك الغنة عن النون بحال، فهي مركبة فى ذات النون لا تكمل إلا بها سواء أكانت ساكنة أو متحركة.

الثمرات المستفادة:

الثمرة الأولى:

عند النطق بالنون لا يتوزع الهواء الحامل للصوت على المخرجين، أى: (المخرج اللسانى والمخرج الخيشومى)، ليخرج الصوت من المخرجين معًا فى آنٍ واحد، وإنما يترك الصوت المخرج اللسانى ليجرى فى المخرج الخيشومى، فالجزء اللسانى ليس فيه جريان أَلْبتة، وإنما الجريان فى الجزء الخيشومى.

والمتحكم فى زمن الجريان، عقب الاحتباس، هو قوة الاحتباس نتيجة لقوة الاعتماد أو ضعف الاحتباس نتيجة لضعف الاعتماد.

فإذا أردنا إطالة زمن الغنة أضعفنا الاعتماد وبالتالى: يضعف الاحتباس وتقل درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت فيطول زمن الغنة.

وإن طال زمن الغنة كان البيان للجزء الخيشومى[1].

أمَّا إن أردنا عدم بيان الغنة فلابد من تقوية الاعتماد، فيقوى الاحتباس وتزيد الإعاقة للهواء الحامل للصوت، فيجرى الصوت جريانًا ضئيلاً ثم ينقطع.

وإن قصر زمن الغنة كان البيان للجزء الشديد أو اللسانى، لأن الخيشوم مثل الجوف، إذا شاركه عضو يتشكل هواء الخيشوم بصوت ذلك العضو.

الثمرة الثانية:

لأَن مخرج النون مستقل عن مخرج الغنة، ولأَن مخرج النون شديد يحتبس فيه الصوت، ومخرج الغنة رخو يجرى فيه الصوت؛ فلا تكمل النون إلا بالغنة، أمَّا الغنة فتكمل بالنون وبدونها.

أمَّا قولنا: (لا تكمل النون إلا بالغنة)، فمعروف، أمَّا قولنا: (الغنة تكمل بالنون)، فمعناه: اعتماد القارئ على مخرج النون بضعف فيطول زمن الغنة وتكمل، فى نحو:

﴿ مِّن نِّعۡمَةٍ ﴾ ﴿ مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾.

وأمَّا قولنا: (الغنة تكمل بدون النون)، فمعناه: اعتماد القارئ على مخرج حرف آخر غير النون وتكمل الغنة أيضًا، ففى نحو: ﴿ مِن وَالٍ ﴾ يبدل القارئ النون الساكنة واوًا ساكنة، ويعتمد على مخرج الواو، ويجرى صوت الغنة فى الخيشوم مع جريان صوت الواو، فيجتمع صوتان فى آنٍ واحد: صوت الواو من (مخرج الواو)، وصوت الغنة من (الخيشوم).

وكذلك فى نحو: ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ يعتمد القارئ على مخرج الياء، ويجرى صوتان فى آنٍ واحد: صوت الياء من (مخرج الياء)، وصوت الغنة من (الخيشوم)، وهكذا.

وإمكانية إخراج الغنة باعتماد القارئ على مخرج حرف آخر غير النون، كانت السبب فى تعدُّد أحكام النون الساكنة والتنوين عند مجاورتها لحروف الهجاء الأخرى، فأظهرت النون عند أحرف، وأدغمت فى أحرف، وأخفيت عند أخرى. وسنتناول هذا بالتفصيل عند دراستنا لأحكام النون الساكنة والتنوين إن شاء الله.

---

[1] ومما يساعد القارئ على أن يكون البيان للغنة– عند النطق بالغنَّة الظاهرة أو المطوَّلة– أن يجعل لسانه فى حالة ارتخاء تآم، مع ضعف اعتماد على مخرج النون.

بعض المواضع التى يجب الانتباه إليها عند إخراج النون :

(١) إذا تكررت النون مظهرة من كلمتين، نحو: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ ﴾، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾، وما شابهها. يجب التحفظ ببيانها حتى لا يسرع اللسان إلى الإدغام بغير رواية لاجتماع المثلين.

وكذلكَ إنْ تَكرَّرت فى كلمةٍ، نحو: ﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾، ﴿ فَأَمَّنُنْ ﴾، ﴿ سُنَنَ ﴾ وشبهه كثير. وكذلك إذا كانت الأولى مشددة، فلابد من التحفظ ببيانها، والبيان فيها آكد لاجتماع ثلاث نونات، نحو: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾، ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ ﴾، ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ ﴾.

وكَذلكَ إن اجتمَعَت النّوناتُ مِن كَلِمتَيْنِ، بإلقاءِ حَركةِ الهمزةِ على الأُولى (وهو ما يعرف بالنقل)، وجبَ البيانُ. نحو:

﴿ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ ﴾، و﴿ رَسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، و﴿ مِن شَيۡءٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾، وهو كثيرٌ فى قراءَةِ ورشٍ خاصةً.

(٢) حرف النون حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فيجب المحافظة على ذلك، وبخاصة:

نون التنوين الساكنة بعد حرف مفخم نحو: ﴿ غَفُورٌ ﴾ وما شابهها، أو بعد حرف مطبق، نحو ﴿ مَرَضًا ﴾، وما شابهها.

النون الساكنة أول المشدد بعد حرف مطبق، نحو: ﴿ ظَنَّ ﴾، ﴿ يَظُنُّونَ ﴾.

النون المتحركة قبل اللام المغلظة نحو ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، أو قبل حرف مستعلٍ، نحو: ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾.

النون المتحركة وبعدها ألف سواء أتى بعد الألف حرف مستعلٍ، نحو: ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾، ﴿ نَٰصِحُونَ ﴾، أو حرف مستفل، نحو: ﴿ نَآئِمُونَ ﴾.

(٣) وعلامة ضبط مخرج النون أن تخرج: مجهورة، متوسطة، مستفلة، والغنة مكملة لها؛ ولا تكمل النون إلا بالغنة؛ فهى مركبة فيها لا تولد بدونها.

حرف النون، من ناحية الصفة المحلية: من الحروف الذَّلقيَّة.

ومن ناحية اهتزاز الحبلين الصوتيين: حرف مجهور.

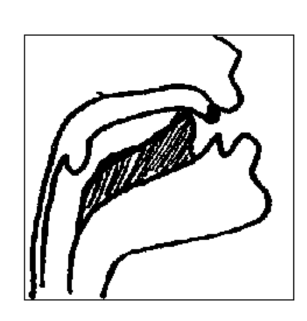
ومن ناحية درجة الإعاقة: حرف متوسط.

أما من ناحية درجة انحصار الصوت واستعلاء أقصى اللسان فهو: حرف منفتح، مستفل.

حـــرف الـــــراء

تخرج الراء من طرف اللسان الدقيق، أدخل إلى الظهر قليلاً، مع ما يحاذيه من أول غار الحنك بُعَيْد مخرج النون مباشرة.

والمراد بطرف اللسان الدقيق: (منتهى طرف اللسان مما يلى رأسه)، والمراد بـ(ظهر اللسان)، أى صفحته التى تلى الحنك الأعلى.



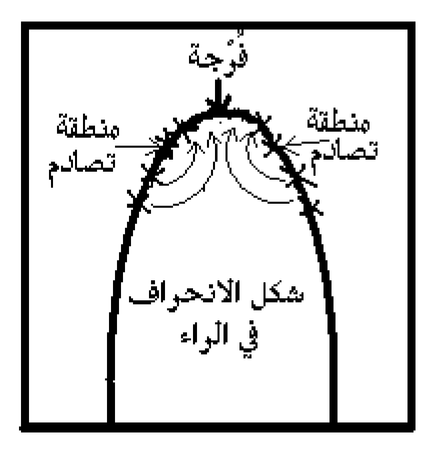
قال الإمام ابن الجزرى:

....	واللاَّم أَدْنَاهَا لِمُنْتَـهَاهَا
والنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتُ اجْعَلُوا	وَالرَّا يُدَانِيهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُ

والمعنى: اللام تخرج من أدنى الحافتين إلى منتهاهما مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا والنون والراء يخرجان من طرف اللسان، ففى النون يقرع طرف اللسان الدقيق أصول الثنيَّتين العلويَّتين، وفى الراء يقرع طرف اللسان الدقيق أول غار الحنك الأعلى فيكون مخرج النون تحت مخرج الراء مباشرة، فيكون ترتيب مخارج الحروف الثلاثة: اللام أولاً، ثم النون أدخل منها، ثم الراء أدخل من النون، فالراء أدخل الحروف الثلاثة إلى غار الحنك.

والنون والراء تخرجان من طرف اللسان الدقيق، ولكن المنطقة التى يقرعها طرف اللسان فى النون، غير التى يقرعها فى الراء، فلو قلنا:

(انْ- ارْ) نجد أن الطرف (عند النطق بالراء)، يرجع إلى الخلف قليلاً ناحية صفحة اللسان، أى ظهره، ويقرع غار الحنك إلى الداخل قليلاً عن مخرج النون.



تخرج الراء بكيفية الصوت المجهور المتوسط بين كمال الشدة وكمال الرخاوة.

ويبدأ النطق بالراء بتصادم طرف اللسان الدقيق بأول غار الحنك بُعَيْدَ أصول الثَّنِّيتين مباشرة، فيلتصق بغار الحنك جانبا الطرف يمينًا ويسارًا دون وسطه، فتبقى فرجة أو فجوة بسيطة بين وسط الطرف وغار الحنك.

والسبب فى تلك الفجوة، هو: خِلقة أول غار الحنك، فلو تحسس القارئ هذه المنطقة بلسانه لوجدها منخفضة عن باقى غار الحنك، ولوجدها تنقسم إلى ناحيتين وبينهما وسط، والوسط أكثر عمقًا للداخل من الناحيتين؛ ولذلك عند تصادم طرف اللسان بهذه المنطقة يلتصق جانبا الطرف دون وسطه.

ومع التصاق جانبى الطرف يحتبس الصوت، ولا يمكن أن يستمر هذا الاحتباس بسبب وجود فتحة فى وسط الطرف، فالمخرج غير مغلق تمامًا، فبمجرد الاحتباس ينحرف الصوت عن جانبى الطرف مندفعًا إلى وسطه، فيجد الهواء الحامل للصوت وسط الطرف راجعًا إلى الخلف قليلاً فيضغط عليه، فيرتعد وسط الطرف ناحية الأمام قليلا ليفسح الطريق أمام الصوت ليتابع طريقه إلى خارج الفم، ويكون جريانه جريانًا ضئيلاً ثم ينقطع لا إراديًا.

فاحتباس الصوت احتباسًا ضئيلاً أولاً، ثم جريانه جريانًا ضئيلاً ثانيًا (صفة التوسط).

ويسبب اندفاع الهواء عقب الاحتباس يهتز الحبلان الصوتيان بقوة فيتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت (صفة الجهر).

فنقول: صوت الراء حادَ عن مساره بسبب اصطدامه بعائق ووجود فتحة ينفذ منها.

حاد عن مساره: أى أن الصوت لم يظل محتبسًا، بل ترك الجزء الذى احتبس فيه ليجرى فى الجزء المفتوح من المخرج.

والعائق أمام الصوت فى الراء ليس واحدًا، وإنما عائقان: اصطدام جانبى الطرف بغار الحنك، مع رجوع وسط الطرف إلى الخلف؛ ولذلك احتاج خروج الراء إلى: انحراف وارتعاد.

والفتحة هى: الفراغ بين وسط الطرف وغار الحنك.

أطلق العلماء على ترك الصوت لجانبى الطرف ليجرى فى وسطه (صفة الانحراف). وبسبب ارتعاد الطرف عند خروج الراء حملت الراء (صفة التكرير)؛ لأَنَّ طرف اللسان بعد أن يفسح المجال أمام الصوت لخروج الراء بارتعادة واحدة يعود مرة أخرى إلى وضعه الأول، قبل الارتعادة الأولى، وكلما ضغط القارئ على طرف اللسان ارتعد فخرجت راء ثانية، وهكذا يستطيع القارئ أن يخرج راءات عديدة لقابلية وسط الطرف للارتعاد مرات عديدة، بسبب رجوعه إلى وضعه الأول عقب كل ارتعادة.

وحمل الراء لصفة التكرير لا يعنى الإتيان بها مكررة، ولا يقصد بها الارتعادة الواحدة اللازمة لإخراج الراء؛ لأن عمل الشىء مرة واحدة ليس بتكرير، وإنما يعنى: قابلية الراء لهذا الأمر، وهو أمر معيب يجب اجتنابه نهائيًّا؛ لأن إخراج راءات عديدة تعنى زيادة لا تصح بإجماع.

والسبب فى حمل الراء صفات: التوسط والانحراف والتكرير، هو: خِلقة مخرجها. وليس الانحراف سببًا فى توسطها، ولا توسطها سببًا لانحرافها، فخلقة مخرج الراء أنه به فتحة، فيتحتم معه أن يبدأ صوتها محتبساً احتباساً ضئيلاً؛ لأن المخرج غير مغلق تماماً، ثم يجرى صوتها جريانًا ضئيلاً؛ لأن المخرج غير مفتوح تمامًا، وعندما جرى الصوت عقب الاحتباس كان منحرفًا عن مكان احتباسه إلى مكان جريانه، وصحب ذلك ارتعاد الطرف ارتعادة واحدة لرجوع الطرف ناحية الظهر قليلاً؛ ولهذا:

أ- فالبقعة التى بدأ صوت الراء فيها محتبسًا، غير البقعة التى انتهى فيها جاريًا.

ب- زمن الراء الساكنة ليس زمن انحراف الصوت فقط ولا زمن الارتعادة الواحدة فقط، وإنما هو زمن الأعمال الثلاثة معًا (الاحتباس، ثم الانحراف، مع الارتعادة)، ويجمع الثلاثة صفة التوسط، فزمن الراء الساكنة هو زمن التوسط.

ولأن درجة الاعتماد اللازمة لإخراج الراء: أقوى من درجة الاعتماد فى الحرف الرخو المجهور، وأقل من درجة الاعتماد فى الحرف الشديد المجهور، فزمن التوسط أقصر من زمن الحروف الرخوة المجهورة وأطول من زمن الحروف الشديدة المجهورة، يبدأ من بداية الاحتباس الضئيل، وينتهى بنهاية الجريان الضئيل، وهذا الجريان الضئيل مضبوط بالارتعادة الواحدة، فكل راء لها ارتعادة واحدة.

الثمرات المستفادة: وعددها خمس ثمرات.

الثمرة الأولى:

القول بإحكام إلصاق طرف اللسان بغار الحنك إلصاقًا محكمًا عند النطق بالراء بحجة منع التكرير يعنى عمليًا ترك مخرجها؛ لأن مخرج الراء الصحيح غير صالح لإحكام الإلصاق؛ لأنه مخرج حرف متوسط، فلو أحكم القارئ إلصاق طرف لسانه بغار الحنك ثم تحسس موضعه داخل التجويف الفموى لوجده ملتصقًا بوسط غار الحنك وليس بأوله[1]، ولهذا: فالعبارة التى توجد فى كتب التجويد عن ضرورة إلصاق اللافظ ظهر اللسان بالحنك الأعلى، لابد أن تفهم على أن الإلصاق من الجهة اليمنى واليسرى لطرف اللسان، أَمَّا الوسط فلابد أن يبقى بدون إلصاق، وهذا يحدث بصورة تلقائية بمجرد قرع مخرج الراء الصحيح.

وإحكام الإلصاق لكل طرف اللسان يؤدى إلى غلق الفتحة التى من أجلها توسطت الراء، وهذا يعنى تحويل مخرج الراء إلى مخرج مغلق تمامًا، وتصبح الراء شديدة شدة تامة، فلا يكمل صوتها إلا بقلقلة لكونها مجهورة، وهنا يكون القارئ قد ارتكب عددًا من الأخطاء:

١- جعل الراء شديدة، وهى متوسطة.

٢- أعدم بها صفة الانحراف (لانعدام الفتحة التى سينحرف إليها الصوت).

---

[1] من الوسائل المعينة على ضبط مخرج الراء: أن يضبط القارئ مخرج النون أولاً؛ ثم يحاول أن يجعل طرف لسانه يصل إلى مخرج النون، عند النطق بالراء. وَرُوِىَ أن عبيد الله الأسدى، كان يلثغ بالراء غينًا، فقيل له: ضع ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها إلى الأمام، ففعل فاستقام له إخراج الراء من مخرجها.

٣- أعدم بها صفة التكرير (التى هى قابلية الطرف للارتعاد)، فضلاً عن عدم الارتعادة الواحدة اللازمة لإخراج الراء؛ لأن مع الإلصاق المحكم لا يمكن الارتعاد، لأن الصوت لا يجد ممرًا للخروج.

٤- أوجد للراء صفة ليست فيها، وهى صفة القلقلة، والعرب لا تقلقل الراء، وحتى لو اكتفى باحتباس الصوت بدون قلقلة لخرج صوتها مبتورًا شبيهًا بالطاء، وهو ما يعرف بالحصرمة.

والراء - مثلها مثل باقى الحروف - الدليل على ضبط مخرجها أن تتكيف بالصفات الصوتية المعروفة بها؛ فإن اختلت صفة واحدة منها فهذا دليل على عدم ضبط مخرجها.

وعلامة ضبط مخرج الراء أن تخرج:

مجهورة- متوسطة- مستفلة- منفتحة- يظهر معها الانحراف، والقابلية للتكرير لخروجها بارتعادة واحدة.

ولا يمكن أن تتحلى بجميع هذه الصفات مجتمعة إلا بضبط مخرجها.

الثمرة الثانية:

الانحراف فى الراء هو انحراف الصوت، وليس انحراف اللسان.

والانحراف صفة للاَّم والراء، ولا إعمال فيها، لأنها تتم بطريقة لا إرادية، بشرط ضبط مخرج الحرفين ضبطًا جيدًا.

ويختلف الانحراف فى الراء عن الانحراف فى اللام بسبب اختلاف المخرجين.

فعند المقارنة بين انحراف صوت الراء وانحراف صوت اللام سنجد:

مخرج الراء: أقل اتساعًا، والفتحة التى يجرى فيها الصوت توجد قريبة جدًا من المنطقة التى يحتبس فيها (يحتبس الصوت فى جانبى الطرف ويجرى فى وسطه).

هذا بالإضافة إلى ضيق الفتحة التى ينحرف إليها الصوت.

أمَّا فى اللام: فينحرف الصوت إلى الحافتين الخلفيَّتين، ومع اتساع المخرج المحتبس فيه الصوت مع اتساع الفتحة التى يجرى فيها الصوت، حملت اللام صفة واحدة منفردة، وهى صفة الانحراف؛ لأن انحراف الصوت فيها كافٍ لإخراج وولادة حرف اللام واضحًا فصيحًا.

أما فى الراء: فلم يكف انحراف الصوت لاكتمال ولادة الراء فى وضوح وبيان، بسبب خِلقة مخرجها، فاحتاجت إلى ارتعاد الطرف مع الانحراف، وهذا الارتعاد هو السر فى وضوح صوت الراء، وقوته وجهره.

ولهذا: حملت الراء صفتين، هما: الانحراف- التكرير.

وقال العلماء: انحراف اللام أكبر من انحراف الراء.

الثمرة الثالثة:

خروج الراء بارتعادة واحدة، مع قابلية مخرجها لتكرير الراءات، دليل على أن مخرج الراء الصحيح هو حيث يمكن تكريرها. ولذلك:

يستطيع من لا يجيد إخراج الراء أن يتدرب أولاً على تكريرها حتى يحدد مخرجها الصحيح، ثم بعد ذلك يتدرب على التخلص من التكرير والإتيان بارتعادة واحدة.

كما أن البعض لا يستطيع النطق بالراء الصحيحة: بسبب ضعف العضلات المحرِّكة لمقدمة اللسان، ومع عملية التكرير تقوى العضلات، وتصبح قادرة على النطق بالارتعادة اللازمة لإخراج الراء.

ومن الوسائل المعينة: أن يحافظ القارئ- مع ضبط مخرج الراء- على تباعد بسيط جدًّا بين الفك العلوى والسفلى؛ لأن وجود مسافة بين الأسنان العليا والسفلى يعطى لطرف اللسان مرونة ويقلل الضغط عليه فلا يرتعد إلا مرة واحدة.

ولكن لماذا تكرر الراء؛ أو بمعنى آخر: لماذا تخرج مع القارئ أكثر من راء على الرغم من أنه يريد إخراج راء واحدة؟

الجواب:

تكرر الراء عندما يعتمد القارئ على مخرج الراء الصحيح ولكن بقوة اعتماد أكبر مما ينبغى، فلا يستطيع القارئ أن يتحكم فى عدد الارتعادات، نظرًا لقوة الانحراف، وسرعة الارتعاد (لأن قوة الاعتماد تؤدى إلى قوة الانحراف، التى تؤدى بدورها إلى سرعة الارتعاد، فيجد القارئ الارتعادات تتوالى ويتولد مع كل واحدة راء، دون أن يستطيع التحكم فيها لسرعة الارتعاد).

ومن هنا تأتى صعوبة حرف الراء، فجميع الحروف الأخرى إذا ضبط القارئ مخرج الحرف ضبطت معه قوة الاعتماد، ماعدا الراء، وعلامة زيادة درجة الاعتماد عن المستحق هو ظهور التكرير.

وصفة التكرير التى انفردت بها الراء دون سائر الحروف الأخرى صفة يجب اجتنابها بالكلية بالمعنى اللغوى لكلمة (تكرير)، التى تعنى إعادة فعل الشىء، أَمَّا فعله مرة واحدة فليس بتكرير، ولذلك من الخطأ أن نسمى الارتعادة الواحدة اللازمة لإخراج الراء (تكرير).

والمقصود من قول الإمام ابن الجزرى فى معرض كلامه عن حرف الراء:

.... وبتكريرٍ جُعِلْ ....

أى أن الراء حرف له قابلية التكرير، وهى صفة لازمة له فاحذر أيها القارئ من أن تأتى به.

وقال (والكلام لابن الجزرى): وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها كما يفعله بعض الأندلسيين، وغالب من لا معرفة له يقع فى ذلك، وهو خطأ ولحن؛ لأن فيه زيادة فى اللفظ القرآنى، والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها، كما هو مذهب المحققين. انتهى.

ويجب ألا نفهم عبارة الإمام (إخفاء تكريرها)، أن المقصود إعدام الراء، ولقد رأيت من يفعل ذلك إذا نطق بالراء المشددة فى نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، فيذهب بالراء الأولى الساكنة وينطق بالثانية محتجًّا بقول الإمام ابن الجزرى فى المقدمة الجزرية: (وَأَخف تَكْرِيرًا إذا تَشَدَّدا).

ولا يمكن أن يكون مقصود الإمام إعدام الراء بقصد إخفاء التكرير؛ لأن حرف الراء مثله مثل سائر الحروف، إذا شددت ننطق بحرفين: الأول منهما من جنس الثانى، فننطق بالأول ساكنًا، مع بيان مخرجه وإعطائه ما يستحق من زمن، ثم نتباعد لإخراج الثانى المتحرك، فالمقصود بإخفاء التكرير ليس إذهاب الراء، وإنما تحقيق مخرجها ونطقها راء واحدة وعدم تكريرها، سواء أتت مخففة نحو: ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾، ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾، ﴿مَرۡيَمَ﴾. أو أتت مشددة نحو:

﴿يُسِرُّونَ﴾، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾، ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾، ﴿بِضَآرِّينَ﴾.

مع الانتباه إلى الراء الساكنة المرققة، فينبغى ألا يؤدى ترقيقها إلى نحولها نحولاً زائدًا يذهب

بها وينقل مخرجها، وربما أخرجها ياءً خالصة.

ولا تستغنى الراء المتحركة عن تحقيق مخرجها وعن الارتعادة الواحدة؛ ولا يظهر معها التكرير لأن الاصطدام فى المخرج قبل التباعد للحركة لا زمن له.

فإذا توالت الراء متحركة مظهرة وجب التحفظ ببيانها، نحو:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾، ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾.

وننبه هنا على أمرين:

الأول: الراء الساكنة قبل اللام، فى نحو: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾، وما شابهه.

لم يرد إدغامها إلا عن الإمام أبى عمرو البصرى (بخلف عن الدورى)، فيجب على المظهرين التحفظ ببيان الراء مخافة إدغامها فى اللام لقرب المخرجين، ولكونه أخف على اللسان من إظهار الحرفين.

الثانى: لفظ ﴿ ٱلْأَرْضُ ﴾، لابد من نطق الراء مستقلة عن مخرج الضاد، سواء تحركت الضاد فى الوصل، أم سكنت للوقف، فكثيرًا ما يقرأ البعض هذه الكلمة بالذات بإخفاء الراء ووصل الهمزة بالضاد مباشرة، وهذا لحن واضح.

الثمرة الرابعة:

اللام والراء يشتركان فى أن لهما أحوال تفخيم وأحوال ترقيق، فهما من الحروف المستفلة التى تفخم أحيانًا وترقق أحيانًا. ولكن الراء آصل فى التفخيم من اللام، أى أن اللام الأصل فيها الترقيق، أما الراء فالأصل فيها التفخيم. والسبب هو خِلقة مخرج الحرفين:

فاللام: تخرج من الحافتين الأماميَّتين، وينحرف صوتها إلى الداخل ناحية الحافتين الخلفيَّتين، ومع استفال أقصى اللسان، يستفل صوتها وينحل، فعند إرادة التغليظ، أو التفخيم، تحتاج إلى إعمال فلابد أن يستعلى القارئ بأقصى اللسان بالإرادة.

أَمَّا الراء: فأصالة التفخيم فيها تكمن فى الارتعادة الواحدة التى لا يمكن إخراج الراء بدونها، لأنَّهُ مع ارتعاد الطرف يصطدم الهواء الحامل للصوت بقوة بالجزء الأمامى من غار الحنك الأعلى، وبسبب انخفاضه عن باقى غار الحنك مع ضيق الفتحة التى يمر منها الصوت ينضغط صوت الراء فى مقدمة التجويف الفموى، فيمتلئ الفم بصدى صوت الراء، هذا بالإضافة إلى أن الراء يحدث معها استعلاء لا إرادى، مثل ما يحدث مع الواو والكاف، ولكنْ لأن الراء تخرج بارتعادةٍ كان أغلب أحوالها التفخيم، أمَّا الواو والكاف فمرققتان على كل حال.

فنستطيع أن نقول:

١- ارتعاد طرف اللسان فى الراء يهتز له المخرج والحبلان الصوتيان اهتزازًا قويا، فهناك تشابه بين القلقلة فى الحروف الشديدة المجهورة، وبين ارتعاد الصوت فى الراء، فكلاهما صوت مجهور ذو نبرة قوية (مع ملاحظة الفرق بين آلية إخراج القلقلة وآلية الارتعاد).

٢- أصالة التفخيم فى الراء سببه ارتعاد طرف اللسان بها، كما قال سيبويه:

(إذا تكلمت بالراء خرجت كأنها مضاعفة)، وتفخيم الراء سببه انضغاط صوتها فى الجزء الأمامى للتجويف الفموى (بين طرف اللسان وغار الحنك). وليس بسبب استعلاء أقصى اللسان بالإرادة كما فى حروف الاستعلاء؛ ولذلك لم تعتبر بإجماع من حروف الاستعلاء، على الرغم من أن أحوال تفخيمها أكثر من أحوال ترقيقها. ولذلك عند إرادة تفخيم الراء لا يحتاج القارئ إلا إلى ضبط مخرجها، ولا يحتاج إلى استعلاء أقصى اللسان بالإرادة كما يفعل مع اللام المغلظة، أو مع حروف الاستعلاء المعروفة.

ومن الملاحظ فى الأداء العملى: أن الذى يستعلى بأقصى اللسان بالإرادة بقصد النطق بالراء المفخمة يخرجها بتفخيم زائد يجعل صوتها مطبقاً مخلوطًا بصوت الغين، أو القاف، مما يخل بفصاحتها. ومع الاستعلاء الإرادى يتأخر طرف اللسان إلى الخلف، فلا يمكن تكريرها.

وأحوال ترقيق الراء منضبطة مع آلية الحركة، فهي لا ترقق غالبًا إلا مع الكسر أو الياء؛ لأن آلية حركة الكسر تضعف من نبرة ارتعاد الطرف بالراء؛ نظرًا لتسفل الصوت معها ناحية قاع الفم.

٣- ولأن اللام المفخمة لابد أن نستعلى معها بأقصى اللسان بالإرادة بقصد تفخيمها كانت اللام أشد تفخيمًا من الراء، فتفخيم اللام كتفخيم الحروف المستعلية المطبقة، وتفخيم الراء كتفخيم الحروف المستعلية المنفتحة، غير أنه لا يصاحبها استعلاء إرادى فى أقصى اللسان.

٤- بسبب وجود فتحة ينفذ منها الصوت في مخرجى اللام والراء سمح مخرج الحرفين بأن يكون معتمداً للغنة وصوت الحرف في آنٍ واحد؛ أى يجرى صوت اللام وصوت الغنة معاً في نحو: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾، ويجرى صوت الراء وصوت الغنة معاً في نحو: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾، وذلك في رواية حفص عن عاصم من طريق الطيبة، حيث قرأ بإدغام النون الساكنة والتنوين في الحرفين، مع إظهار الغنة، وذلك بخلف عنه.

الثمرة الخامسة:

وتخص الحروف الثلاثة (اللام– والنون– والراء) والعلاقة بينهن:

أولا: حملت الحروف الثلاثة لقب: الحروف الذَّلقية (الصفة المحلية).

جاء في الرعاية:

الحروف (الذَّلْقية) يقال عنها (الذَّلَقية) بفتح اللام وإسكانها. ويقال لها (الذُّولَقيَة)، وهى ثلاثة: الراء واللام والنون، سماهن الخليل بن أحمد بذلك؛ لأنهن ينسبن إلى الموضع الذى فيه مخرجهن، وهو طرف اللسان، وطرف كل شيء ذَلْقه.

وقال صاحب السلسبيل الشافى:

.... واللاَّمُ والنُّونُ وَرَا ذَلْقِيَّةْ

وأوسع الحروف الثلاثة مخرجًا هو حرف اللام.

ثانيًا: بعد دراستنا لمخارج الحروف الثلاثة يتبين لنا: أنها لا يمكن أن تشترك فى مخرج واحد، بسبب توسطها، ففى مخرج كل حرف منها فتحة ينفذ إليها الصوت عقب احتباسه، فالبقعة التى يبدأ الصوت منها محتبسًا، غير التى ينتهى فيها جاريًا.

وهذا معناه عمليًّا: حتمية أن يكون لكل حرف مخرج خاص، بينه وبين الآخر مسافة كافية لعدم اختلاط الأصوات الثلاثة، ففى النون: يتجه الصوت عقب انحباسه إلى الخيشوم، وفى الراء: يتجه الصوت عقب انحباسه إلى الأمام، وفى اللام: يتجه الصوت عقب انحباسه إلى الخلف.

فالحق أن الحروف الثلاثة حروف متقاربة وليست متجانسة، ولذلك أعرضنا عن تناول عبارة (تقارب على خلاف، أو تجانس على خلاف) عند ذكر العلاقة بينها من أول الكتاب حتى آخره.

جاء في هداية القارى:

والقول بأن لِكُلٍّ من اللامِ والنونِ والراءِ مخرجًا مستقلاً، هو ما قال به الجمهور، خلافًا للفراءِ وموافقيه، حيث قالوا: إن مخارجَ الحروف الثلاثة واحدة، وهو: طرف اللسان وما يحاذيه كما تقدم. والتحقيق هو ما قال به الجمهور، لأن طرفَ اللسانِ غيرُ ظهرهِ وَحَافَتهُ غَيْرُهُمَا.

وقد أشار الإمام ابن برَي إلى مذهب الفَرَّاءِ والجمهور معًا بقوله رضى الله عنه:

والَّلامُ مِنْ طَـــرْفِهِ والـرَّاءُ   والنُّـونُ هَكَذا حَـكَى الفَـرَّاءُ

والحـقُّ أنَّ الَّلامَ قَدْ تَنَاهَى   لَهُ مِـنَ الْحَـافَةِ مِـنْ أَدْنَـاهَـا

والـرَّاءُ أدخـلُ إلَى اللِّسَانْ   مِنْ مَخْرَجِ النُّونِ فدونَكَ البيانْ

ثالث: للتقارب بين النون واللام، أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا : (هَتَنت) السَّمَاءُ وَ(هَتَلَت)، إذا هطل المطر بقوة، وقالوا: سَحَائِبُ (هُتل) و(هُتن). وقالوا على ما يجعل به الهودج من الثياب: (سُدُن) و(سُدُل).

رابعاً: في قراءة الإمام أبى عمرو البصرى:

تدغم الراء المتحركة في اللام، نحو: ﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾.

وتدغم اللام المتحركة فى الراء، نحو: ﴿ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾.

فإذا أتت واحدة منهما مفتوحة بعد ساكن، نحو: ﴿ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ ﴾، فالحكم الإظهار؛ لكون الفتحة أيسر الحركات، والغرض من الإدغام التخفيف، وهو متحقق بالفتحة، فاكتفى بها.

واستثنى من هذا الشرط كلمة ﴿ قَالَ ﴾، فلامها تدغم؛ وإن كانت مفتوحة بعد ساكن لكثرة ورودها، كما فى نحو: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾.

وتدغم النون المتحركة في اللام والراء، نحو: ﴿ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ ﴾، إلا إذا كانت النون بعد ساكن، فإنها لا تدغم كما فى نحو: ﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾، واستثنت كلمة ﴿ نَحْنُ ﴾ حيث وردت، فنونها تدغم وإن وقعت بعد ساكن، في مثل: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ ﴾.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ما سبق بقوله فى الطيبة:

.... فالرَّاءُ في اللامِ وَهِيْ في الرَّاءِ لاَ

إنْ فُتِحا عَنْ سَاكِنٍ لاَ قَالَ ثُمْ لاَ عَنْ سُكُونٍ فِيهِمَا النُّونُ ادَّغِمْ

وَنَحْنُ أَدْغِمْ ....

الطاء والدال والتاء :

تخرج الحروف الثلاثة من مخرج خاص واحد، هو:

طرف اللسان العريض مع ما يحاذيه من (نطع غار الحنك)، وهو المنطقة التى تلى لثة الثَّنيَّتين العلويَّتين. ويصاحب الطاء استعلاء وإطباق، ويصاحب الدال والتاء استفال وانفتاح.



الطـاء

الدال والتاء

ولابد أن ينتبه القارئ إلى أن طرف اللسان يرتفع كله عن قاع الفم ويصطدم بنطع غار الحنك، وهذا الوضع يخلق تباعداً طبيعياً بين الفكين (كما هو ملاحظ فى الرسم)، أما إن وجد القارئ أن الفكين يقتربان من بعضهما عند نطق أى حرف من الأحرف الثلاثة، فليعلم أن المخرج غير مضبوط، وأن طرف اللسان ليس فى الموضع الصحيح.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى مخرج الحروف الثلاثة بقوله:

والطَّاءُ والدَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ عُلْيَا الثَّنَايَا ....

ومعنى (مِنْهُ) أى من طرف اللسان، ولأن الطرف ينضغط فى مخرج الحروف الثلاثة وَيَعْرُض، لكون المخرج شديدًا محكم الإغلاق تمامًا. فالمراد من (عليا الثنايا) ليس أصول الثنايا، وإنما ما يليها (أى ما يلى لثة الثنايا العليا)، ناحية غار الحنك الأعلى، لكون

(أصول الثنايا) لا تصلح لأن تكون طرفًا لمخرج محكم الإغلاق تمامًا، أى شديد شِدَّة تامَّة.

وننبه إلى: إذا دقَّ طرف اللسان كان مخرجاً للنون، وإذا عَرُضَ كان مخرجا للدال والتاء والطاء، والتصاق طرف اللسان الدقيق بأصول الثنيَّتين العلويَّتين عند النطق بالحروف الثلاثة ليس دليلاً على خروجهن منها؛ لأن الاعتماد والإعمال والارتكاز يكون على المنطقة العريضة من الطرف مع ما يحاذيها من غار الحنك الأعلى، وهذا ضرورى لغلق المخرج تمامًا، ولذلك:

أ- اتصفت الحروف الثلاثة بصفة الشِّدَّة، واتصفت النون بصفة التوسط؛ (لأن كل صفة يحملها الحرف سببها طبيعة مخرجه).

ب- اتفق أهل الأداء على تسمية الحروف الثلاثة بالحروف النِّطْعية- بكسر النون مشددة وإسكان الطاء- نسبة إلى محل خروجهن، وهو نطع غار الحنك، أى ما ظهر فى بدايته وهو الجلدة الملتزمة بالعظم الناتِئ فى أعلى الغار وفيها آثار كالتحزيز، أى خطوط مستطيلة كأنها شقوق تظهر عند الوليد بوضوح قبل أن تنبت له أسنان.

** توجد زيادة وإيضاح بكتاب الأسئلة ص٧٤، ٧٥ سؤال(١٣٦).

وسنتناول كل حرف من الأَحرف الثلاثة بالشرح والتفصيل:

حـــرف الطـــاء:

يخرج بكيفية الصوت الشديد المجهور، فيبدأ النطق به بتصادم طرفى مخرجه بدرجة اعتماد كافية لغلق المخرج غلقًا تامًا، فيحتبس الصوت والنفس معًا، (صفة الشدة)، ولا يمكن إكمال ولادة الطاء إلا بدفعة قوية يضطرب معها طرفا المخرج (صفة القلقلة)، ويخرج صوت الطاء متكيِّفاً كله بالصوت (صفة الجهر). ومن علامات ضبط مخرج الطاء: أن يحتبس الصوت والنفس عند بداية النطق بها، أى بمجرد تصادم طرفى مخرجها، ولا يكمل صوتها- إذا سكنت- إلا بالقلقلة، وهى أقوى حروف القلقلة فى قوة نبرتها، لأن الطاء الحرف الوحيد المطبق من حروف القلقلة الخمسة.

والطاء حرف استعلاء مطبق مستحقه التفخيم على كل حال، وهو أقوى الحروف المستعلية، بل هو أقوى الحروف على الإطلاق؛ حيث اجتمع فيه من صفات القوة ما لا يجتمع فى غيره، فهو حرف: شديد- مجهور- مُسْتَعْلٍ- مطبق- مقلقل. وكل صفة من هذه الصفات من صفات القوة، فإذا اجتمعت فى حرف كملت قوته، ولذا: كانت الطاء أفخم الحروف العربية على الإطلاق وأكثرهن استعلاءً وإطباقًا، فينبغى أن ينتبه القارئ إلى بيان ذلك عند نطقه الطاء فى جميع أحوالها، وإذا ضبط القارئ مخرج الطاء واستعلى بأقصى اللسان بالإرادة خرجت الطاء الفصيحة مصحوبة بالدرجة التفخيمية المستحقة لها بلا زيادة ولا نقصان، سواء أتى بعدها ألف، نحو:﴿أَقْطَارِهَا﴾، ﴿طَآئِرٍ﴾ أو تحركت بحركة من الحركات الثلاث، نحو:﴿فَأَحَبَطَ﴾، ﴿يَبْسُطُ﴾، ﴿طِينٍ﴾، أوأتت ساكنة، نحو: ﴿يُطْعِمُونِ﴾، أو أتت مشددة، نحو: ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾، ﴿يَطَّوَّفَ﴾، أو تكررت فى نحو: ﴿شَطَطًا﴾.

وإذا وقعت الطاء مدغمة فى التاء، وجب على القارئ أن يبيِّن إدغامها إدغاماً ناقصاً بالإبقاء على الاستعلاء وصفة الإطباق (التى هى للطاء)، عند نطقة بالتاء، فيبدأ بتاء ساكنة مستعلية مطبقة ويتباعد بتاء متحركة مستقلة، وذلك فى:

﴿بَسَطتَ﴾، ﴿أَحَطتُ﴾، ﴿فَرَّطتُمْ﴾، ﴿فَرَّطتُ﴾.

قال الإمام ابن الجزرى:

وَبيِّنِ الإطْبَاقَ مِنْ أَحَطْتُ مَعْ بَسَطْتَ ....

وجاء فى الرعاية:

"ويجب أن يُبَيَّنَ الطَّاءُ إذا وقعت بعدَ ضاد أو صاد، لأَنَّها لا تكونُ كَذلكَ إلاَّ مُبْدَلَةً مِن تاءٍ زائدةٍ، وليست بأَصل فيخافُ عليها أَن يميلَ بها اللِّسان إلى أَصلِها، وهوَ التَّاء. فبيانُها هناكَ لازمٌ، وذلك نحو:﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، أَصله: (اضْتُرَّ)، من (الضَّرَرْ) على وزن (افْتَعَلْ)، ثُمَّ أَبدلوا مِن التَّاءِ طاءً لمؤاخاتِها لِلضَّادِ في الإطباقِ والاستِعلاءِ والجَهْر،

ولِبُعْدِ التَّاء مِن الضَّاد وضَعْفِها، لأَنَّ التَّاءَ حرفَ مهموسٌ فيه ضَعْفٌ فقُرِن بالضَّادِ حرفٌ قويٌّ مِثلُها وهو الطَّاء، فأُبدِلَتْ مِن التَّاء.

وكذلك: ﴿ ٱصۡطَفَىٰ ﴾، أَصلُه: (اصْتَفى)، من (الصفوَةِ) على وزن (افتَعَل)، ثم فُعِلَ بالتَّاء مع الصَّاد مِثْلُ ما فُعِلَ بها مَع الضَّادِ، لأَنَّ الصَّادَ أَيضًا مِن حروفِ الاستِعْلاءِ، فَيَجِبُ أَن يُبَيَّنَ الطَّاءُ في هذا كُلِّهِ، إذْ هِيَ بدلٌ مِن تاءٍ، ويُظْهَرُ الإطباقُ لِئلا يذهبَ اللَّفظُ إلى نحو التَّاءِ الَّتي هي الأَصل" انتهى.

حـــرف الـــدال:

الدال مثل الطاء تخرج بكيفية الصوت الشديد المجهور، فيحدث مع الدال ما يحدث مع الطاء من شدة، وجهر، وقلقلة، ولكن: لأن الطاء حرف مستعلٍ مطبق، والدال حرف مستفل منفتح، فدرجة الاعتماد على مخرجه أقل من الطاء، وبالتالى: فدرجة شدتة أقل، ودرجة جهره أقل، ودرجة قلقلته أقل.

ومن علامات ضبط مخرج الدال أن يحتبس معه الصوت والنفس بمجرد تصادم طرفى مخرجه، سواء أتت ساكنة مقلقلة، نحو: ﴿ قَدۡ كَانَ ﴾، أو متحركة بحركة من الحركات الثلاث، كما فى نحو: ﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ ﴾، ﴿ دِينَ ﴾.

وإذا تكررت الدال مظهرة وجب التحفظ ببيانها، لصعوبة التكرير على اللسان، نحو: ﴿ يَرۡتَدِدۡ ﴾، ﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ ﴾ ﴿ صَدَدۡنَٰكُمۡ ﴾، وشبهه.

وكذلك إذا أتت الدال الأولى مشددة كما فى نحو: ﴿ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾، فيجب التحفظ ببيان سكون أول المشدد بإظهار زمنه من دون قلقلة.

وإذا سكنت الدال وأتت بعدها نون وجب التحفظ ببيان قلقلة الدال، لئلا تخفى عند النون، لقرب مخرجيهما، كما فى نحو: ﴿ أَدۡنَىٰ ﴾، ﴿ وَعَدۡنَا ﴾، ﴿ فَوَجَدۡنَٰهَا ﴾، وشبهه.

وجاء في الرعاية:

"وإذا كانت الدَّالُ بدلاً من تاءٍ وجبَ عَلى القارئِ إظهارُها وبيانُها لِئَلاَّ يَميلَ بها اللَّسانُ إلى أَصلها، وذلك نحو قوله: ﴿ مُزۡدَجَرٌ ﴾ و﴿ وَٱزۡدُجِرَ ﴾، و﴿ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾،

وشبهه، لأَنَّ الأَصْلَ فيه: (مزتَجَر)، و(ازتُجِر)، و(تَزْتَري)، فلمَّا وقعَت "التَّاء" وهي حرفٌ مهموسٌ ضعيفٌ، بينَ حرفينِ مَجْهوريْن قَوِيَّيْنِ، وهُما (الزَّايُ والجيمُ، والزَّايُ والرَّاءُ) خَفيت وضَعُفَت لِقُوَّةِ ما قبلَها وما بعدَها، ولِضَعْفِها في أَصْلِها، فأُبدِلَ مِنها حرفُ مِن مخرجِها يُؤاخي الجيمَ والزَّايَ والرَّاءَ، في الجَهْرِ والقُوَّة، ويَقْرُبُ مِن مَخْرَجِهنّ وهو الدَّالُ لِيَعْمَل اللّسانُ عملاً واحدًا بالحروفِ القَوِيَّةِ المتَّفِقَةِ في الصَّفَةِ، فلابُدَّ مِن التَّحَفُّظِ بإظهارِ لفظِ الدَّالِ في ذلكَ وبيانِها لِئَلا يشوبَها لفظُ التَّاءِ الذي هو أَصلُها" انتهى.

والدال حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فيجب بيان ترقيقه إذا أتى بعده ألف، نحو:﴿ دَافِقٍ ﴾، ﴿ دَآبَّةٍ ﴾، وشبهه، أو أتى بعده أو قبله حرف مفخم، نحو:

﴿ ٱلدَّارِ ﴾، ﴿ أَصۡدَقُ ﴾، ﴿ صَدۡرِكَ ﴾، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ﴾.

وتدغم الدال الساكنة– إدغامًا لغويًّا وقرآنيًّا– إذا أتى بعدها تاء، كما فى نحو:

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ﴾، ﴿ لَّقَد تَّابَ ﴾، ﴿ حَصَدتُّمۡ ﴾، ومثله كثير.

فيجب إبدال الدال تاءً والنطق بتاءٍ واحدة مشددة، وتذهب الدال مع الإدغام، فلا أثر للقلقلة. ويسمى هذا الإدغام إدغام المتجانسين الصغير، وهو من النوع التام.

وفي قراءة الإمام أبى عمرو البصرى: تدغم الدال المتحركة في عشرة حروف، بشرط ألا تأتى الدال مفتوحة وقبلها ساكن.

وإليك بعض الأمثلة:

مثال السين:﴿ يَكَادُ سَنَا ﴾. مثال الذال :﴿ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾. مثال الضاد:﴿ بَعۡدِ ضَرَّآءَ ﴾.

مثال التاء:﴿ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ ﴾. مثال الشين:﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾. مثال الظاء:﴿ يُرِيدُ ظُلۡمًا ﴾.

مثال الزاى: ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا ﴾. مثال الصاد: ﴿ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ﴾. مثال الجيم: ﴿ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾.

مثال الثاء:﴿ يُرِيدُ ثَوَابَ ﴾.

وفى جميع الأحوال المذكورة، وأمثالها، تبدل الدال بعد إسكانها إلى جنس الحرف التالى لها، وينطق به مشددًا تشديدًا كاملاً لا أثر للدال فيه.

وإذا فتحت الدال وقبلها ساكن كما فى (بَعْدَ) فإنها لا تدغم استغناء عن الإدغام بخفة الفتحة، أمَّا إذا أتى بعدها تاء، كما فى نحو: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، فإنها تدغم للتجانس.

حـــرف الـــتاء :

تخرج التاء بكيفية الصوت الشديد المهموس، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفى مخرجها بقوة اعتماد أضعف من الطاء والدال، ولكنها كافية لغلق المخرج غلقًا تامًّا محكمًا، فيحتبس الصوت والنفس معًا (صفة الشدَّة)، ولا يمكن اكتمال ولادة التاء إلا بانفراج طرفى المخرج بضعف يتناسب مع ضعف الاحتباس، فيتدفق الهواء فى خفة وهو ما يعرف (بصفة الهمس).

وإذا سكنت التاء: فلابد من بيان الصفتين متتاليتين، الشِّدَّة أولاً ثم الهمس، على أن تأخذ كل صفة الزمن الكافى لبيانها، وهذا الزمن يضبط بالمشافهة، ويتفق مع ميزان القراءة من ناحية السرعة والبطء.

وعلامة ضبط مخرج التاء: أن يحتبس الصوت والنفس معًا، احتباسًا ضعيفًا، بمجرد تصادم طرفى المخرج، ففى نحو: ﴿فِتْنَةً﴾، ﴿فَأَهْلَكْتُهُ﴾، وشبهه، لابد أن يحتبس صوت التاء أولاً، ثم يخرج الهمس متدفقًا ثانيًا.

ومن أبرز الأخطاء التى يقع فيها القارئ عند النطق بالتاء الساكنة:

أ- احتباس صوت التاء الساكنة وعدم الإتيان بالهمس بعده، وهذا يؤدى إلى بتر صوت التاء وعدم تمامه، مع ظهور السكت والفصل بين التاء والحرف الآتى بعدها، وغالب ما يحدث هذا الخطأ إذا سكنت التاء وأتى بعدها حرف مهموس، نحو: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾.

وإذا سكنت التاء وما بعدها ساكن أيضًا، كان التحفظ ببيان التاء صعبًا واحتمال الخطأ أكبر، كما فى نحو الوقف على الهاء فى:﴿فَأَهْلَكْتُهُ﴾، وكذلك إذا سكنت التاء وما قبلها ساكن أيضاً، كما لو أتت الثاء الساكنة بعدها تاء ساكنة للوقف، نحو: ﴿لَبِثْتَ﴾.

وما من وسيلة لنطق الحرفين نطقًا صحيحًا (التاء والهاء الساكنتين)، (والثاء والتاء الساكنتين)، إلا بضبط مخرجيهما، مظهرين، مستقلين عن بعضهما، بدون فصل أو سكت. وقس على ذلك كل ما شابه.

ب- الإتيان بصوت الهمس شبيهًا بصوت السين أو الثاء.

وسببه: التقارب الشديد بين مخرج التاء ومخرج الحرفين المذكورين، فبعد أن يعتمد القارئ على مخرج التاء ويحتبس الصوت فيها ينتقل إلى مخرج السين أو الثاء بدلاً من أن يجافى بين طرفى مخرج التاء لإخراج الهمس، وحتى لا يقع القارئ فى هذا الخطأ يجب عليه: أن يظل معتمدًا على مخرج التاء، وعند إخراج الهمس يتجه به إلى أعلى ناحية غار الحنك، وليس إلى الأمام ناحية أطراف الثنايا.

وبالتجربة:

غالب من يخرج همس التاء سينًا أو ثاءً يخرج التاء بجعل طرف لسانه فى قاع الفم عند أطراف الثنايا السفلى، والصواب: أن يرتفع به إلى أعلى ويجعله فى نطع غار الحنك.

وهذا الخطأ هو المقصود بقول الإمام شريح:

إن القراء قد يتفاضلون فى التاء، فتلتبس فى ألفاظهم بالسين؛ لقرب مخرجها منها، فَيُحْدِثون بها رخاوة وصفيرًا، والسبب فى ذلك: أنهم يخرجونها من جهة الثنايا، فى اتجاه مخرج السين، ولا يَصْعَدُونَ بها إلى مخرجها جهة الحنك الأعلى.

والهمس فى التاء لا يظهر فى حالتين:

الأولى: **حـالة التشديد** نحو: ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾، ﴿كِدتَّ﴾.

الثانية: **حـالة الـتـاء المتحركة بحركة من الحركات الثلاث**، نحو:

﴿تَعَالَىٰ﴾، ﴿تُؤْمِن﴾، ﴿تِلْكَ﴾.

وفى الحالتين: يوجد الهمس حتمًا متمثلاً فى ضعف الاعتماد، الذى فَرَّق بين الدال والتاء فى السمع؛ لأنه لولا الهمس فى التاء لكانت عين الدال، لاتحادهما فى المخرج وفى جميع الصفات ماعدا الهمس فى التاء والجهر فى الدال.

والمقصود: أن تمييز الحرفين فى السمع هو دليل همس التاء، ولا يحتاج الأمر إلى ضرورة ظهوره محسوسًا، فإذا نطق القارئ بدال فصيحة وبتاء فصيحة، فالتمييز بين الحرفين فى السمع هو فى حد ذاته دليل همس التاء وجهر الدال.

وسبق أن قلنا إن سبب عدم ظهور الهمس مع الحركة: أن الصوت يتباعد بعد احتباسه إلى مخرج أصل الحركة، فلا يظهر الهمس، وإنما تظهر الحركة.

وفى حالة التاء المشددة يكون زمن الاحتباس (زمن حرف هجاء ساكن)، أما فى حالة التاء المتحركة فلا زمن له.

وخطأ إخراج الهمس فى التاء المتحركة يكون أكثر شيوعًا فى حالة تحرك التاء بالكسر، نحو: ﴿تِلْكَ﴾، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما شابههما، وعلاجه:

عند النطق بالتاء، التأكد من وضع طرف اللسان على نِطْع غار الحنك الأعلى، وليس على أطراف الثنايا السفلى، وعند التباعد إلى أصل الحركة، يتباعد القارئ ناحية الداخل فى اتجاه جوف وسط اللسان، وليس إلى الخارج ناحية أطراف الثنايا السفلى.

تنبيهات:

ذكر صاحب الرعاية عدة تنبيهات، رأيت أن أذكرها بنصها فى هذا الموضع لأهميتها؛ حيث قال:

(إن تكـرَّرت التَّـاءُ فـى كلمـةٍ وجبَ أَنْ يُبَـيَّنَ التَّكريـرُ بيانًـا ظـاهرًا، نحـو: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، و﴿تَتَجَافَىٰ﴾، و﴿تَتْرَا﴾، وشبهه. فإن كانَ التَّكريرُ مِن كَلِمَتيْنِ والأُولى متحركةً أَظْهَرْتَهُما إظهـــارًا بَيِّنًـــا، نحـــو: ﴿كِدتَّ تَرْكَنُ﴾، و﴿كُنتَ تَرْجُوٓاْ﴾، و﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ﴾، و﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى﴾، وكذلك إن تكرَّرت ثلاثَ مرَّات، كانَ البيانُ لِذلكَ آكد، نحو قوله: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا﴾.

فَبَيانُ هذا الحرْفِ المكَرَّرِ لازمٌ، لأَنَّ فى اللَّفظِ به صعُوبةً، لأَنَّه بمنزلةِ الماشى يرفعُ رِجْلَه مرَّتيْن أو ثلاثَ مرَّاتٍ ويَرُدُّها فى كُلِّ مَرَّةٍ إلى الموضِعِ الذى رَفَعَها منه، وقَدْ مُثِّلَ ذلكَ فى ثِقَلِهِ بمنَزْلَةِ إعادةِ الحديثِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثلاث. أَلا ترى أَنَّ اللِّسانَ إذا لفَظَ بالتَّاءِ الأُولى، رَجَع إلى مَوضِعِه لِيَلفِظَ بالتَّاءِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يرجعُ إلى موضعِه ثالثةً، لِيلفظَ بالتَّاءِ الثَّالِثَةِ. وذلكَ صَعْبٌ فيه تَكَلُّفٌ، وقد مثَّله بعضُ العُلماءِ بِمشْيِ المُقَيَّدِ. فالتَّحَفُّظُ ببيانِه لازمٌ لِلْقارِئِ. ومَعْرِفَتُه لِذلكَ زيادةٌ فى فهمِه وعِلْمِه بحَقيقةِ لَفْظِه.

وَإذا وَقَعَت التَّاءُ المتَحَرِّكَةُ قَبْلَ دالٍ وجَبَ بيانُها لِئَلاَّ تَصيرَ دالاً، لأَنَّها مِن مَخرَجِ الدَّالِ، والدَّالُ أَقوى مِنها، لأَنَّها مجهورةٌ شَديدةٌ، كالطَّاءِ. فَهِيَ تَجْذِبُ الحرفَ الذى قَبْلَها إلى لَفظِها

لأنَّه أَضعفُ مِنْها، وهو مِن مَخْرَجِها. وذلك نحو: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ تُظْهِرُ لَفْظَ التَّاءِ مَع إظهارِ لَفظِ الدَّالِ السَّاكِنَةِ قَبْلَ النُّونِ، ومِثْلُه فى التَّاءِ ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ﴾.

وقد قال بعضُ العُلماء: إن الأَصْلَ فى: ﴿أَعْتَدْنَا﴾: أَعْدَدْنا– بِدالَيْنِ– وكَذلِكَ ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾، أَصلُه: أَعْدَدَت، من العُدَّةِ، وفيه ضَعْفٌ لِنَقْلِ الأَقْوى إلى الأَضْعَفِ وإنَّما يُنْقَلُ أَبدًا الأَضْعَفُ إلى الأَقْوى، إذا تَقارَبَتِ المخَارِجُ، لِيَقْوى الكَلامُ. فَهَذا هُوَ الأَكْثَرُ فى الأَصْلِ. وَرُبَّما خالف اليَسيرُ ذَلك لِعِلَّةٍ مُوجِبَةٍ، وإذا نُقِلَ الأَقوى إلى الأَضْعَفِ ضَعُفَ الكَلام.

والتاء حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فإذا وَقَعَت التَّاءُ مُتَحَرِّكَةً قبلَ طاءٍ، وَجَبَ التَّحَفُّظُ ببيانِ التَّاءِ، لِئَلا يَقْرُبَ لَفْظُها مِن الطَّاءِ، لأَن التَّاء مِن مَخرَجِ الطَّاءِ. لَكِنَّ الطَّاءَ حرفٌ قَوِىٌّ مُتَمَكِّنٌ لِجَهْرِه ولِشِدَّتِه وإطباقِه واسْتعلائِه. والتَّاءُ حرفٌ مَهْموسٌ فيه ضَعْفٌ. والقَوِىُّ مِن الحروفِ إذا تَقَدَّمَه الضَّعيفُ مُجاوِرًا لَه جَذَبَه إلى نَفْسِه إذا كانَ مِنْ مَخْرَجِه، لِيَعْمَلَ اللِّسانُ عَمَلاً واحدًا فى القُوَّةِ مِن جِهةٍ واحدَةٍ.

فَإن لم يَتَحَفَّظ القَارِئُ بإظهارِ لَفْظِ التَّاءِ على حَقِّها مِن اللَّفْظ قَرُبَ لَفْظُها مِن لَفْظِ الطَّاءِ ودَخَل فى التَّصْحيفِ. وذَلِك نحو: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾، و﴿اسْتَطَاعَ﴾، و﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ وشبهه. لابُدَّ مِن التَّحَفُّظ بإظهارِ التَّاءِ فى هذا النَّوْع بِلَفْظٍ مُرَقَّقٍ غيرِ مُفَخَّمٍ لِيظْهَرَ مِن لَفْظِ الطَّاءِ التَّى بعدَها. أَلا تَرى أَنَّ التَّاءَ إذا وَقَعَت بعدَ حرفِ إطباقٍ، لَمْ يَكُن بُدّ مِن أَنْ تُبْدَلَ مِنها طاء، لِضَعْفها. وذَلِك نحو قولِه: ﴿اصْطَفَى﴾، و﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾، و ﴿تَصْطَلُونَ﴾ و﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾، وشبهه. لِيعْمَل اللِّسانُ عَمَلاً واحدًا. وأَصْلُ الطَّاءِ فى ذَلِكَ وشِبْهه تاءٌ، وإنَّما تبقى التَّاءُ على لَفْظِها مع حرفِ الإطباق إذا كانتْ قَبْلَهُ مُتَحَرِّكَةً، فافهمه.

وكَذلِك تُبَيِّنُ التَّاءُ المتحَرِّكَةُ قَبْلَ الطَّاءِ، وإنْ حالَ بينَهُما حَائل، نحو: ﴿اخْتَلَطَ﴾، وإن لم تُبَيِّن التَّاءُ مُرَقَّقَةً معَ تَرقِيقِ اللاَّمِ، قَرُبَت مِن لَفْظِ الطَّاءِ التَّى بعدَها، وصارَت اللاَّمُ مُفَخَّمَةً، وذلكَ إحالَةٌ وتغييرٌ. فلابُدَّ مِن ترقيقِ اللاَّمِ والتَّاءِ، وإظهارِ ذلك) انتهى.

ومثل ذلك ﴿تَصْلَى﴾، وإذا قرأت لورش فخمت اللام، وكان بيان ترقيق التاء آكد. واعلم أنك إذا ضبطت مخرج التاء ونطقتها مستقلة عما جاورها خرجت مرققة مستفلة بدون عناء أو مشقة.

بعض أحوال إدغام التاء فيما جاورها:

جاء فى الرعاية:

(وإذا لَقِيَتْ التَّاءُ السَّاكِنَةُ طاءً، أُبدِلَ منها طاءٌ، وأُدغِمَت فى الطَّاء التى بعدَها.

فيجبُ على القارئ عندَ ذلك أَنْ يَتَحَفَّظَ بإظهارِ الإدغام، والإطباقِ، والاستعلاءِ، لِتكَرُّرِ ذلك فى اللَّفظِ عنـدَ الإدغـامِ، والتَّشـديدِ. وذلـك نحـو قولـه: ﴿ وَقَالَت طَّآيِفَةٌ ﴾، و﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ ﴾، و﴿ بَيَّتَ طَآيِفَةٌ ﴾ – فى قراءة من أسكن التاء– فيُظْهِرَ الإطباقَ، لأنَّه فى الوصل إطباقان بِحرفينِ مُنْطَبِقَيْن مُسْتَعْلِيَيْن (مجهوريْنِ شديديْنِ) وذلكَ كُلُّهُ غايةُ القُوَّةِ فى الحَرفِ.

وإذا لقيت التاءُ الساكنةُ دالاً، نحو: ﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ﴾، أبدلت التاء الساكنة دالاً، ويكون النطق بدال واحدة مشددة.

وإذا لَقِيَت التَّاءُ السَّاكِنَةُ تاءً أُخرى، وجَبَ أن يُبَيَّنَ الإدغامُ والتَّشديدُ فى ذلك، وذلك نحو: ﴿ طَلَعَت تَّزَاوَرُ ﴾، و﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾، و﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ ، وشبهه.. حيث يظهَرُ الإدغام ويَكْمُلَ التَّشديدُ. وكله واجب وجوبًا لغويًّا قبل كونه قرآنيًّا. انتهى.

وفى قراءة الإمام أبى عمرو البصرى: تدغم التاء المتحركة فى تسعة أحرف من التى تدغم فيها الدال السابق ذكرها وفى الطاء أيضًا. وإليك بعض الأمثلة:

مثال السين: ﴿ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾. مثال الذال: ﴿ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ ﴾.

مثال الضاد: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾. مثال الشين: ﴿ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾.

مثال الثاء: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ﴾. مثال الظاء: ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ ﴾.

مثال الزاى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾. مثال الصاد: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾.

مثال الجيم: ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾. مثال الطاء: ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ ﴾.

وَرُوِيَ عنه الوجهان (الإظهار والإدغام) فى أربع كلمات، وهى:

﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ ﴾ ﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ ﴾ ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ ﴾.

ووافقه حمزة فى إدغام التاء فى أربعة أحرف فى مواضع مخصوصة، هى:

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾ وموضع خامس فيه الوجهان، وهو: ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾.

وفى جميع الأحوال المذكورة وما شابهها، تبدل التاء بعد إسكانها إلى حرف مجانس لما جاورها، وينطق به حرفًا واحدًا مشددًا من جنس الثانى.

وتاء التأنيث المربوطة التى ترسم بالهاء، نحو: ﴿نِعْمَةَ﴾، ﴿جَنَّـةُ﴾ تلفظ فى الوصل تاء، وفى الوقف هاء.

أما تاء التأنيث المبسوطة التى ترسم بالتاء، نحو: ﴿جَنَّتِ﴾، ﴿نِعْمَتَ﴾ فهي فى الوصل تاء، وفى الوقف مختلف فيها: فبعض القراء (ومن بينهم حفص)، يقف عليها بالتاء اتباعًا للرسم، والآخرون يقفون بالهاء عملاً بالأصل.

بجمع الحروف الثلاثة: الطاء والدال والتاء نلاحظ:

من ناحية الصفة المحلية: تلقب بالحروف النَطَعية.

قال فى السلسبيل الشافى:

والطَّاءُ والدَّالُ وَتَا نِطعِيَّة .....

من ناحية درجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: الطاء والدال مجهورتان، أمَّا التاء فمهموسة.

من ناحية درجة الإعاقة: تشترك الحروف الثلاثة فى (صفة الشَّدَّة)، التى تعنى الإعاقة التامة، ودرجة الإعاقة فى الطاء أقوى من الدال، لإطباق واستعلاء الطاء، وانفتاح واستفال الدال، ودرجة الإعاقة فى التاء أضعف من الدال، لجهر الدال وهمس التاء.

من ناحية انحصار الصوت، واستعلاء أقصى اللسان: الطاء مستعلية مطبقة، والدال والتاء مستفلتان منفتحتان.

وعلامة ضبط مخرج الطاء، أن تخرج: مجهورة- شديدة- مستعلية- مطبقة- مقلقلة (إذا سكنت).

وعلامة ضبط مخرج الدال، أن تخرج: مجهورة- شديدة- مستفلة- منفتحة- مقلقلة (إذا سكنت).

وعلامة ضبط مخرج التاء أن تخرج: مهموسة- شديدة- مستفلة- منفتحة.

ولولا الاستعلاء والإطباق فى الطاء، والاستفال والانفتاح فى الدال، لكانت كل منهما عين الأخرى. ولولا الهمس فى التاء، والجهر فى الدال، لكانت كل منهما عين الأخرى.

وأقوى الحروف الثلاثة: الطاء، ثم الدال، ثم التاء. فالتاء أخفى الحروف الثلاثة وأضعفهن.

وكل ما سبق يدل على أن الحروف الثلاثة وإن اشتركن فى مخرج خاص واحد إلا أن لكل منهن بقعة تخصه.

خامساً : منطقة رأس طرف اللسان

وبها مخرجان خاصان يخرج من كل منهما ثلاثة أحرف.

فالأول: يخرج منه (الظاء والذال والثاء)، ويقع فى نهاية رأس الطرف.

والثان: يخرج منه (الصاد والسين والزاى)، ويقع فى نهاية رأس الطرف أيضًا، ولكن أدخل من المخرج الأول قليلاً، (ناحية داخل الفم).

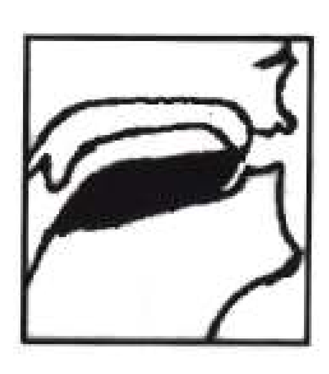
مخرج الظاء والذال والثاء:

رأس طرف اللسان، أى نهايته، مع ما يحاذيه من أطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين.

ويصاحب الظاء استعلاء وإطباق، ويصاحب الذال والثاء استفال وانفتاح.



مخرج الظاء



مخرج الذال والثاء

قال الإمام ابن الجزرى:

.... والظَّاءُ والذَّالُ وَثَا لِلْعلْيَا

مِنْ طَرَفَيهِمَا ....

ومعنى من طرفيهما: أى رأس طرف اللسان يحاذى طرف الثَّنيَّتين العلويَّتين، فلا يخرج طرف اللسان للخارج، وإلاَّ حاذى ظهر اللسان طرف الثَّنيَّتين العلويَّتين، وهذا مخالف للمخرج الذى حدَّده أهل الأداء وعلماؤنا المتقنون.

وسنتناول كل حرف من الأحرف الثلاثة بالشرح والتفصيل.

حــــرف الـظـاء :

يخرج بكيفية الصوت الرخو المجهور، ويبدأ النطق به بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد لا تغلق المخرج تماما، فيستطيع الهواء الحامل للصوت المرور تحت الإعاقة الجزئية (صفة الرخاوة)، ويتكيف كله بالصوت (صفة الجهر).

ولابد من عدم إقحام حافتى اللسان، أو أطراف الثنايا السفلى عند النطق بالظاء؛ لأن ذلك فيه زيادة اعتماد تؤدى إلى زيادة فى الإعاقة وبالتالى عُسر فى جريان الصوت، وهذا ملاحظ فى بعض القارئين، فالبعض يستعلى بحافتى اللسان عند تصادم رأس الطرف بالثَّنيَّتين العلويَّتين، والبعض الآخر يضغط بأطراف الثنايا السفلى على باطن الطرف، أو قد يجمع بين العملين معًا. وكل هذا يؤدى إلى ضيق المخرج، وعدم سهولة فى جريان الصوت.

وهناك من يضعف الاعتماد جدًّا عند تصادم طرفى المخرج فيظهر الهمس مع الظاء، وظهور الهمس مع الظاء، وهى حرف مجهور، دليل على عدم ضبط مخرجها، ومخرج الظاء الصحيح صالح لجريان الصوت فيه جريانًا تامًا، مع قوة اعتماد كافية لأن يتكيف كل الهواء بالصوت، فإن انقطع صوت الظاء بعد جريان ضئيل، أو لم يجر أبدًا، أو خرج مخلوطًا بالنفس، فاعلم أنَّ مخرجها غير مضبوط.

مع ملاحظة أن استخدام الحافتين عند النطق بالظاء يؤدى إلى زيادة فى درجة الاستعلاء والإطباق فتأخذ درجة تفخيمية أعلى مما تستحق، ويجعل صوتها مخلوطاً بصوت الغين.

والعلاقة بين الظاء والذال كالعلاقة بين الطاء والدال، فلولا الاستعلاء والإطباق فى الظاء والاستفال والانفتاح فى الذال لصارت كل منهما عين الأخرى.

فيجب العناية بضبط مخرج الظاء بحيث تخرج مستعلية مطبقة، وبخاصة إذا كسرت، فى نحو: ﴿ عَظِيمٍ ﴾، أو أتى بعدها حرف مستفل نحو: ﴿ أَوَعَظْتَ ﴾ ﴿ مَحْظُورًا ﴾، والنطق بالظاء ذالاً يؤدى إلى إفساد المعانى، فتصبح ﴿ أَوَعَظْتَ ﴾ (أَوَعَذْت)، وتصبح ﴿ مَحْظُورًا ﴾ (محذورًا)، وقس على ذلك.

حرف الذال:

تخرج بذات الكيفية التى يخرج بها حرف الظاء، وهى كيفية الصوت الرخو المجهور. والفرق بين الحرفين الذى ميَّز كلاً منهما عن الآخر: أن الظاء حرف مستعلٍ مطبق، مستحقه التفخيم على كل حال، أما الذال فحرف مستفل منفتح، مستحقه الترقيق على كل حال، فإن استفل القارئ بأقصى اللسان عند النطق بالظاء، قلبت ذالاً. وإن استعلى القارئ بأقصى اللسان عند النطق بالذال قلبت ظاءً.

وإلى ذلك أشار الإمام ابن الجزرى بقوله:

وَخَلِّصِ انْفِتَاحَ مَحْذُورًا .... خَوْفَ اشْتِبَاهِهِ بِمَحْظُورًا ....

والمعنى: أظهر أيها القارئ ما تميزت به الذال من انفتاح واستفال حتى لا تنقلب الذال ظاء فى المثال المذكور، وفى غيره، نحو: ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾، ﴿ٱلْأَذْقَانِ﴾، ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، ﴿ذَرْهُمْ﴾... إلخ.

ومما ينبغى التنبيه عليه عند النطق بالذال:

ما سبق ذكره من أخطاء تقع عند النطق بالظاء، وهى: إقحام حافتى اللسان، أو الضغط بأطراف الثنايا السفلى، أو إضعاف الاعتماد جدًّا، فهذا يقع أيضًا عند النطق بالذال، ومن الملاحظة والتجربة نجد أن غالب من لا يجيد النطق بالظاء، لا يجيد النطق بالذال، فيجب الانتباه إلى ذلك والابتعاد عن الوقوع فى الأخطاء التى ذكرناها وغيرها، مثل:

الاعتماد على مخرج الدال، أو الاقتراب منه عند النطق بالذال: وأكثر ما يقع هذا الخطأ عند النطق بالذال المكسورة وبعدها ياء ساكنة، نحو:﴿ٱلَّذِى﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو إذا سكنت الذال وقبلها حرف مخرجه بعيد عن طرف اللسان، نحو: الهمزة فى: ﴿ٱلْأَذْقَانِ﴾، وما شابهها.

واختلاط الذال بالدَّال يزيد درجة الإعاقة، ويحول دون جريان الصوت فيها بسهولة، وهناك من يخلط صوت الذال بالدال إلى درجة لا يمكنه معها إخراجها ساكنة إلا بالقلقلة. ومخرج الذال صالح لإخراج حرف (رخو)، يجرى معه الصوت جريانًا تامًّا، وحرف (مجهور)، لا يخالطه النفس، فيجب الانتباه إلى ذلك وخاصة:

إذا أتى بعد الذال حرف مهموس، نحو: ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾ ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾.

والذال حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال.

وأى خلل يصيب الذال فاعلم أنك لم تضبط مخرجها.

وإذا سكنت الذال وأتى بعدها ظاء، نحو: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾، وما شابهه، لزم الإدغام فى القرآن واللغة، فتبدل الذال ظاء وينطق بظاء واحدة مشددة.

وفى قراءة بعض القراء مثل أبى عمرو وهشام:

أدغمت الذال الساكنة فى ستة أحرف، وهى حروف الصفير الثلاثة (س، ص، ز)، وحروف لفظ تجد (ت، ج، د)، وإليك الأمثلة:

﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾، ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ﴾، ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ﴾، ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾، ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا﴾، ﴿إِذۡ دَخَلُواْ﴾.

أمَّا فى قراءة المظهرين- ومن بينهم حفص- فيجب التحفظ ببيان الحرفين حتى لا يسرع اللسان إلى الإدغام، لأنه الأيسر.

وأدغمت الذال المتحركة فى حرفين، هما: السين والصاد، وذلك فى قراءة أبى عمرو البصرى. مثال:

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾.

فتبدل الذال بعد إسكانها حرفًا مماثلاً للمدغم فيه، وينطق بالحرفين حرفًا واحدًا مشددًا.

حــــرف الـــثــاء :

يخرج بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفى مخرجها بضعف اعتماد يتناسب مع طبيعة مخرجها المفتوح، فتكون درجة الإعاقة ضعيفة، فيجرى صوتها فى خفة وسلاسة، وهو ما يعرف بصفة (الرخاوة)، ويكون اهتزاز الحبيلين ضعيفًا جدًا، فلا يتكيف كل الهواء بالصوت، وهو ما يعرف بصفة (الهمس)، فيجرى الصوت والنفس معًا فى آنٍ واحد.

والثاء حرف خفى مهموس، ومحافظة القارئ على هذين الأمرين من الوسائل المعينة على ضبط مخرجها، وعلى عدم اشتباهها بالذال، لاتحاد الحرفين فى المخرج وفى جميع الصفات إلا أن الذال مجهورة والثاء مهموسة.

وتقوية الاعتماد على مخرج الثاء يجعل صوتها يشتبه بالذال، وهذا يحدث غالبًا إذا جاورها حرف مستعلٍ نحو: ﴿يُثْخِنَ﴾ ﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾.

وهناك من يحافظ على همس الثاء، ولكن لا يحافظ على خفاء صوتها، وذلك بتقوية الاعتماد بين طرفى مخرجها، فيضيق المخرج وينحصر الصوت والنفس فيه فتخرج الثاء بها صفير، كصفير السين، فتشبهها.

وإذا تكررت الثاء مظهرة، كما فى: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، ﴿حَثِيثًا﴾ فيجب العناية بها حتى لا تشتبه بحرف آخر.

والثاء حرف مستفل، منفتح، يجب التحفظ باستفاله وعدم تفخيمه، وبخاصة:

إذا جاورها ألف، نحو: ﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾، أوأتى بعدها حرف استعلاء، نحو:

﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾، ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ وما شابههما.

فى قراءه الإمام أبى عمرو البصرى، أدغمت الثاء المتحركة في خمسة أحرف، هى: (السين، والذال، والضاد، والتاء، والشين)، وإليك بعض الأمثلة:

فى: السين، نحو: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾. فى:الذال، نحو:﴿وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ﴾.

فى: الضاد، نحو: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾. فى:التاء، نحو:﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

فى: الشين، نحو: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾.

وفى الأمثلة المذكورة وما شابهها، تبدل الثاء بعد إسكانها حرفًا من جنس التالى لها ويصير النطق بحرف واحد مشدد من جنس الثانى.

أما بالنسبة للثاء الساكنة: فقد اختلف فى إدغامها فى الذال فى ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾، بالأعراف، وحفص من المدغمين، عن طريق الشاطبية.

وبجمع الحروف الثلاثة (الظاء والذال والثاء) نلاحظ ما يلى:

لقب الحروف: لثوية، وهى ما تعرف بالصفة المحلية.

قال فى السلسبيل الشافى:

وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَثَا لَثَوِيَّةْ ....

ولا يفهم من تسمية الحروف الثلاثة بالحروف اللثوية أنها تخرج من اللثة، أى اللحم النابت فيه الأسنان، ولكنها تخرج قريبة منها- على عادة العرب فى تسمية الأشياء بما قاربها- فسموها باللثوية نسبة إلى اللثة؛ لأنهن يخرجن من قربها وليس منها.

ولذلك لا يصح الارتفاع برأس اللسان إلى اللثة عند النطق بالحروف الثلاثة، بحجة أن اسمها لثوية.

ونلاحظ أن فى لقب الحروف الثلاثة دليلاً آخر على صحة القول بعدم إخراج طرف اللسان للخارج عند النطق بحرفٍ منها، وذلك لأن قرب رأس اللسان من اللثة تعنى ضرورة محاذاته لأطراف الثنايا، أمَّا إن خرج الطرف للخارج فقد صار بعيدًا عن اللثة.

أمَّا من ناحية اهتزاز الحبلين الصوتيين: فالظاء والذال مجهورتان والثاء مهموسة.

ومن ناحية درجة الإعاقة: فالحروف الثلاثة حروف رخوة، ولكن رخاوة الظاء والذال مصحوبة باهتزاز وذبذبة بسبب جهرهما، أما الثاء فلهمسها يتدفق النَّفَس مع الصوت في سلاسة وخفة. ولذلك كانت الثاء أكثر الحروف الثلاثة رخاوة وأخفاهن صوتًا.

ومن ناحية انحصار الصوت واستعلاء أقصى اللسان: فالظاء مستعلية مطبقة، والذال والثاء منفتحتان مستفلتان.

واشتراك الحروف الثلاثة في صفة الرخاوة سببه: أن مخرجهن مخرج مفتوح، لا يمكن غلقه أو احتباس الصوت فيه. وتميزت الظاء عن الذال بالاستعلاء والإطباق، وتميزت الذال عن الثاء بالجهر. فأقوى الحروف الثلاثة: الظاء، ثم الذال، ثم الثاء.

وعلامة ضبط مخرج الظاء أن تخرج: مجهورة- رخوة- مستعلية- مطبقة.

وعلامة ضبط مخرج الذال أن تخرج: مجهورة- رخوة- مستفلة- منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الثاء أن تخرج: مهموسة- رخوة- مستفلة- منفتحة.

مخرج الصاد والسين والزاى:

رأس طرف اللسان يحاذى الصفحة الداخلية للثَّنيَّتين السُّفليَّتين مع مشاركة أطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين.

أو بمعنى آخر:

رأس الطرف– الذى يحاذى أطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين لإخراج الحروف اللثوية– يحاذى صفحة الثَّنيَّتين السُّفليَّتين لإخراج السين والصاد والزاى، بالإضافة إلى أن ظهر رأس الطرف يحاذى أطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين.

فيضع القارئ رأس اللسان على الصفحة الداخلية للثَّنيَّتين السُّفليَّتين، ويضغط بأطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين على ظهر رأس الطرف، فينشأ صوت زائد ناتج عن اصطدام الهواء الحامل للصوت بالصفحة الداخلية للثَّنيَّتين العلويَّتين.

فصوت (الصاد، والزاى، والسين) محصور بين أطراف الثَّنيَّتين السُّفليَّتين وأطراف الثَّنيَّتين العلويَّتين، وفى جريانه يصطدم بالصفحة الداخلية للثَّنيَّتين العلويَّتين، ثم يمر من بين فتحات الأسنان، فيكتسب حدة ووضوحًا.

وهذا الصوت الزائد فى الحروف الثلاثة يعبر عنه فى علم التجويد بصفة (الصفير)، التى تعنى: حدَّة الصوت ووضوحه فى السمع، ولذلك: سميت الحروف الثلاثة بحروف (الصفير)، ويصاحب الصاد استعلاء وإطباق، ويصاحب الزاى والسين استفال وانفتاح.





وبيان مخرج حروف الصفير جاء بتعبيرين:

الأول للإمام الشاطبى، حيث قال فى منظومته المعروفة بالشاطبية:

مِنْهُ وَمِنْ بَيْنِ الثَّنَايَا ثَلَاثةٌ ....

الثانى للإمام ابن الجزرى، حيث قال فى المقدمة الجزرية:

.... والصَّفِيرُ مُسْتَكِنْ

مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَايَا السّفْلَى ....

وكلمة (منه)، المقصود بها رأس طرف اللسان أى نهايته، ومعنى (مستكن)، أى ملازم للحروف الثلاثة. ولا فرق بين التعبيرين؛ لأن ما فوق الثنايا السفلى هو بالضبط ما بين الثنايا العليا والسفلى.

وسنتناول كل حرف من الأحرف الثلاثة بالشرح والتفصيل:

حــــرف الـصـاد:

يخرج بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق به بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد تتناسب مع طبيعة مخرج الصاد المفتوح، فيجرى الصوت فى سلاسة (صفة الرخاوة)، ولا يتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت (صفة الهمس)، فيجرى صوت الصاد مع النفس فى آنٍ واحد.

والصاد حرف مُستعلٍ مطبق، مستحقه التفخيم على كل حال، وحدَّة صوت الصاد وقوته فى السمع ناتجة عن استعلائها وإطباقها، فإن ضبط القارئ مخرجها مع استعلائها وإطباقها، فقد ضبط صفيرها، ولا تحتاج الصاد فى إخراجها أكثر من ذلك.

أما ما يفعله البعض من ضم الشفتين للأمام عند النطق بالصاد خاصة، بحجة بيان صفيرها، فهذا العمل غير صحيح، وحجتهم غير صحيحة؛ لأن بيان الصفير فى الصاد لا يحتاج إلا إلى ضبط مخرجها، ولا علاقة لها بالشفتين، وضم الشفتين عند إخراج الصاد الساكنة، يؤدى إلى تأخر طرف اللسان للخلف فتترك مخرجها، فنسمع صوت اندفاع الهواء من بين الشفتين إلى الخارج، لا صوت الصاد، فتذهب فصاحتها.

حرف السين:

تخرج السين بذات الكيفية التى يخرج بها حرف الصاد، وهى كيفية الصوت الرخو المهموس. والفرق بين الحرفين: أن الصاد يصاحبه استعلاء إرادى فى أقصى اللسان، فهي حرف مُستعلٍ مطبق، أما السين فيصاحبها استفال، فهى حرف مستفل منفتح.

فلو لم يستعل القارئ بأقصى اللسان عند النطق بالصاد لخرجت سينًا.

ولو لم يستفل القارئ بأقصى اللسان عند النطق بالسين لخرجت صادًا.

والاستعلاء والإطباق (صفتا قوة)، والاستفال والانفتاح (صفتا ضعف)، وهذا معناه:

أن قوة الاعتماد اللازمة لإخراج الصاد أكبر من قوة الاعتماد اللازمة لإخراج السين، وبالتالى: فكمية الهواء الموظفة لإخراج السين أكبر من الصاد، وصوت الصاد أكثر حدَّة من صوت

السين، أو بمعنى آخر: صفير الصاد أقوى من صفير السين؛ لأنه من المعلوم عند إخراج الحرف المهموس أنَّه:

كلما قل الاعتماد قلت درجة الإعاقة لهواء الزفير الآتى من الرئتين والموظف لنطق الحرف، وبالتالى تكثر كميته ويزيد همس الحرف ويضعف صوته، وكلما زاد الاعتماد زادت درجة الإعاقة وقلت كمية الهواء، فقل الهمس، وقوى صوت الحرف.

ومن هنا كانت العلاقة وثيقة بين قوة وضعف الاعتماد، وبين مقدار الهمس فى الحرف المهموس. فكلما قوى الاعتماد قل الهمس، وكلما ضعف الاعتماد زاد الهمس.

وعلى ذلك: الصاد أقل الحروف المهموسة همسًا لأنها أقواهن اعتمادًا، وأيضًا هى أقوى حروف الصفير حدَّة.

والسين أضعف من الصاد، أى أنها أكثر منها همسًا، وأقل منها صفيرًا، فصوت السين أقل حدَّة من صوت الصاد.

وضبط صفير السين فى ضبط مخرجها، ولا إعمال أكثر من ذلك.

حـــرف الـــزاى:

يخرج بكيفية الصوت الرخو المجهور، فيبدأ النطق به بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد تسمح بجريان الصوت جريانًا تامًّا تحت الإعاقة الجزئية (صفة الرخاوة)، ويتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت (صفة الجهر)، ويكون مصحوبا بذبذبة واهتزاز.

ولوجود تناسق وتناسب بين حِدَّة الصوت والجهر – فكل منهما يؤدى إلى قوة الصوت – كانت الزاى أعلى صفيرًا وصوتها أكثر حدَّة من السين، بسبب همس السين وجهر الزاى، واشتراك الحرفين فى صفتى الاستفال والانفتاح، وكانت الصاد أكثر الحروف الثلاثة صفيرًا لانفرادها بصفتى الاستعلاء والإطباق.

والزاى مثل الصاد والسين، ضبط صفيرها فى ضبط مخرجها، ولا إعمال أكثر من ذلك.

وبجمع الحروف الثلاثة نخرج بالملاحظات الآتية: وعددها أربع ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

الحروف الثلاثة – وإن اشتركن فى مخرج واحد – فإن لكل منهن بقعة تخصه.

ألقاب الحروف: تسمى بالحروف الأسلية، وهو ما يعرف بالصفة المحلية، نسبة إلى أسلة اللسان أى مستحد طرفه، وتسمى أيضًا بحروف الصفير.

قال فى السلسبيل الشافى:

وَأَحْرُفُ الصَّفِيرِ قُلْ أَسْلِيَّهْ ....

بالنسبة لدرجة اهتزاز الحبلين الصوتيين: فالصاد والسين مهموستان، والزاى مجهورة.

بالنسبة لدرجة الإعاقة: فالحروف الثلاثة حروف رخوة، رخاوة تامة.

بالنسبة لانحصار الصوت واستعلاء أقصى اللسان: الصاد مستعلية مطبقة، والزاى والسين مستفلتان منفتحتان.

وعلامة ضبط مخرج الصاد أن تخرج: رخوة- مهموسة- مستعلية- مطبقة.

وعلامة ضبط مخرج السين أن تخرج: رخوة- مهموسة- مستفلة- منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الزاى أن تخرج: رخوة- مجهورة- مستفلة- منفتحة.

وحملت الحروف الثلاثة صفة منفردة لا ضد لها، وهى صفة (الصفير)، اكتسبتها من مخرجها، فإن ضَبطَ القارئ مخارج الحروف الثلاثة فخرجت متكيفة بصفاتها المذكورة، فهذا هو صفيرها، ولا إعمال أكثر من ذلك.

والمقصود: أن الحروف الثلاثة لم تتصف بحدَّة الصوت أى (الصفير)، إلا بسبب طبيعة وموضع مخرجها، ولا يتكلف القارئ إحداث الصفير فيها.

وأقواهن صفيرًا (الصاد)، لإطباقها واستعلائها، ثم (الزاى) لجهرها، ثم (السين) لهمسها. وليس هناك درجات للصفير فى داخل الحرف الواحد؛ لأن الصفير، صفة مثل باقى الصفات، يكون ظهورها مع السكون - سواء كان سكونًا مخففًا أو مصحوبًا بالتشديد- أوضح من الحركة.

ووضوح الصوت فى الصاد المفتوحة، بدرجة أكبر من الساكنة، سببه:

تَصعَّد الصوت إلى الجوف، وليس زيادة درجة الصفير؛ لأن الصفير لا يكون إلا فى مخرج الحرف المحقق، لا فى مخرج الجوف.

ودرجة صفير الصاد الساكنة التى فى ﴿يَصْدِفُونَ﴾ تساوى درجة صفير الصاد الساكنة أول المشدد فى ﴿يَصَّدَّقُواْ﴾، ودرجة صفير الصاد المفتوحة التى فى ﴿صَدَقَ﴾، تساوى درجة صفير الصاد المفتوحة ثانى المشدد فى ﴿يَصَّدَّقُواْ﴾. وقس على ذلك السين والزاى.

ولكن:

إذا كانت صفة (الصفير) لا إعمال فيها، فلماذا وصف العلماء الحروف الثلاثة بتلك الصفة؟

الجواب:

منطقة رأس طرف اللسان يخرج منها ستة أحرف، كل ثلاثة يجمعهن مخرج خاص واحد، (فالظاء، والذال، والثاء)، فى مخرج مستقل عن مخرج(الصاد، والسين، والزاى).

ومنطقة رأس طرف اللسان هى المنطقة الوحيدة التى يخرج منها ستة أحرف من مخرجين متقاربين، لا يفصل بينهما فاصل.

وتشترك الأحرف الستة فى صفة الرخاوة التامة، بسبب أنها الأحرف الوحيدة التى مخارجها تتكون من طرفين أحدهما نهاية الثنايا أى أطرافها، وهذا يعنى أن مخارجها مخارج مفتوحة تمامًا بسبب مرور الصوت من خلال فتحات الأسنان الأمامية.

[وهذا معنى ما نجده فى كثير من كتب التجويد من أن مخارج الحروف الستة بها فرجة].

فالفرجة هنا- فرجة طبيعية- لا يتكلفها القارئ، وهذا يعنى: ضرورة تصادم طرفى مخارجها تصادمًا تاماً مثلها فى ذلك مثل باقى الحروف المحققة.

ولكن بين مخرج (الظاء، والذال، والثاء)، ومخرج (الصاد، والسين، والزاى)، فرق لابد أن ينتبه القارئ إليه، وهو:

مخرج (الظاء، والذال، والثاء)، أقرب إلى الخارج من مخرج (الصاد، والسين، والزاى)، فالأخير مخرجه أعرض، وتمكن الصوت منه أكبر، وقوة الاعتماد عليه أكبر، ودرجة تصادم طرفيه أكبر. وكل هذه الأسباب جعلت مخرج حروف الصفير أكثر إحكامًا حيث ينحصر الصوت فى ممر ضيق، فيخرج فيه قوة، وحدَّة، ووضوح فى السمع.

وهنا تتجلى فائدة وصف العلماء لتلك الأحرف بصفة (الصفير):

فهذه الصفة لا تخلق إعمالاً زائدًا فى مخرج الحرف، إلا أنها (مثلها مثل باقى الصفات المنفردة)، لها فائدة عظيمة فى ضبط المخرج وتحسين الأداء.

فالسين والثاء، متحدتان فى الصفات المتضادة، متقاربتان جدًّا فى المخرج، وكذلك الزاى والذال، فوصف العلماء (السين والزاى) بالصفير للَفْتِ الانتباه إلى حدِّة صوتهما مقارنة بصوت (الثاء والذال).

وربما لا يشعر بهذه الفائدة العربى الذى اعتادت أذنه على التفريق بين صوت الحرفين، أمَّا غير العربى فيحتاج إلى هذه الصفة ليستطيع التفريق بواسطتها بين الحرفين.

وأيضًا: صفة الصفير، مقياس لضبط مخرج السين عن مخرج الثاء، فإذا أخرج القارئ الثاء بها حدَّة السين، فليعلم أنه لم يضبط مخرجها، وكذلك إذا أخرج الذال بها حدَّة الزاى، فليعلم أنه لم يضبط مخرجها.

الملاحظة الثانية:

الفرق بين الصاد والسين، هو: الاستعلاء والإطباق فى الأولى، والاستفال والانفتاح فى الثانية، فإذا جاورت السين حرفًا مستعليًا، وجب الحرص على استفال أقصى اللسان بها وإلا قلبت السين صادًا، وذلك فى نحو:

﴿أَوْسَطُهُمْ﴾، ﴿مَسْطُورًا﴾، ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾، ﴿بَسَطتَ﴾.

ويتأكد البيان إذا وقع لفظ لمعنى- هو بالسين- أشبه لفظًا آخر لمعنى آخر- هو بالصاد- نحو: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾، و﴿وَأَصَرُّواْ﴾، فالأول من (السِّر)، والثانى من (الإصرَارَ)، وكـــــذلك ﴿يُسْحَبُونَ﴾، و﴿يُصْحَبُونَ﴾، و﴿قَسَمْنَا بَيْنَهُم﴾،﴿قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ وقس على ذلك.

وهذا ما أشار إليه الإمام ابن الجزرى بقوله:

وَرَقِّقَنْ مُسْتَفِلاً مِنْ أَحْرُفِ ....

.... وَسِينَ مُسْتَقِيمِ يَسْطُو يَسْقُو

وَخَلِّصِ انْفِتَاحَ......عَسَى خَوْفَ اشْتِبَاهِهِ... عَصَى

وكذلك يجب العناية بإستعلاء الصاد وإلا قلبت سينًا، وخاصة إذا سكنت وأتى بعدها حرف مستفل نحو: ﴿حَرَصْتُمْ﴾، أو تحركت بالكسر نحو: ﴿صِرَٰطٍ﴾.

والفرق بين السين والزاى، هو الهمس فى السين والجهر فى الزاى.

فلولا الهمس فى السين لكانت زايًا، فيجب الحرص على همس السين، وبخاصة إذا أتى بعدها حرف شديد فربما يسرع اللسان إلى جهر السين فتقلب زايًا، نحو:

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾، ﴿يُسْجَرُونَ﴾، ومثله كثير.

ولولا الجهر فى الزاى لكانت سينًا. فإذا وقعت الزاى قبل الجيم وجب بيان الحرفين؛ لأنـه مـع شدة الجيم، وجهر الزاى، قد يسرع اللسان إلى تخفيف اللفظ بالزاى، فتخرج مهموسة، فتقلب سينًا، نحو: ﴿تُزْجِي﴾، ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾، ﴿رِجْزًا﴾ وشبهه.

وكذلك الأمر إذا جاورت الزاى التاء، فى نحو: ﴿كَنَزْتُمْ﴾ أو الدال، فى نحو: ﴿تَزْدَرِيٓ﴾ و﴿ٱزْدَادُواْ﴾ وشبهه.

المـلاحظة الثالثـة:

من الحروف الفرعية- المتفق على فرعيتها- الصاد المشمة بالزاى، ومعنى الإشمام هنا: مزج لفظ الصاد بالزاى فيخرج حرف ثالث فرعى لا هو بالصاد الخالصة، ولا هو بالزاى الخالصة، وإنما يتردد بين المخرجين وبين الحرفين.

وإشمام الصاد زايًا لهجة من اللهجات العربية التى كانت معروفة فى زمن نزول القرآن، وهى لغة قيس، وإنما كانوا يفعلون ذلك لاتحاد الصاد مع الزاى فى المخرج وفى الصفير. والصاد حرف مستعل مطبق، والزاى حرف مستفل منفتح. والزاى حرف مجهور، والصاد حرف مهموس.

والاستعلاء والإطباق والجهر والصفير صفات قوة، أمَّا الاستفال والانفتاح والهمس فصفات ضعف. فجمعوا صفات القوة التى فى الحرفين فجعلوها فى حرف واحد. فجمعوا:

الاستعلاء مع الإطباق مع الجهر مع الصفير فنطقوا بزاى مستعلية، مطبقة، مجهورة، فخرجت الصاد المشمة بالزاى.

وهى قراءة خلف عن حمزة فى لفظ ﴿صِرَٰطٍ﴾، حيث وقع فى عموم القرآن.

وقرأ بها خلاد عن حمزة الموضع الأول من الفاتحة دون باقى المواضع.

وقرأ بها كل من: حمزة- الكسائى- خلف العاشر- رويس باب ﴿أَصْدَقُ﴾ ، وهو كل صاد ساكنة بعدها دال حيث وقع فى عموم القرآن وذلك نحو:

﴿تَصْدِيقَ﴾، ﴿يَصْدِفُونَ﴾، ﴿فَٱصْدَعْ﴾، ﴿يُصْدِرَ﴾... إلخ.

قال الإمام الشاطبى:

وإِشْمامُ صادٍ ساكنٍ قَبْلَ دَالِهِ   كَأَصْدَق ....

وقرأ به حمزة بخلف عن خلاد لفظ ﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾، ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ حيث وقع.

أمَّا باقى القراء فالصاد الخالصة وهى لغة قريش.

فائدة:

﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾، ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾، وكذلك ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، ﴿صِرَٰطَ﴾، نزلت بثلاث لغات: بالصاد الخالصة، والسين، والصاد المشمة بالزاى.

وجاء فى طلائع البشر للأستاذ عبد الفتاح القمحاوى، قوله:

"﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ و﴿صِرَٰطَ﴾ قرئ بالسين على الأصل؛ لأنه مشتق من السَّرْط، وهو البلع، وهى لغة عامة العرب، وإنما أبدل منها صادًا لأجل الطاء التى بعدها، أى لتوافقها فى الاستعلاء والإطباق، فدل ذلك على أن السين هى الأصل؛ لأنه لو كانت الصاد هى الأصل لم ترد إلى السين لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم فى الكلام إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى. وقرئ بالصاد وهى لغة قريش، ولاتباع خط المصحف وأن السين حرف مهموس فيه تسفل وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة، فأبدل من السين التى هى الأصل فى اللفظ (صادًا)، لأنها تؤاخى الطاء فى الإطباق والاستعلاء، وتؤاخى السين فى الصفير والمخرج. وقرئ كذلك بالإشمام زايًا وذلك للمؤاخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين، وهو الزاى من غير إبطال الأصل." انتهى.

الملاحظة الرابعة:

أدغمت السين المتحركة فى الزاى - فى قراءة أبى عمرو البصرى - وذلك فى قوله تعالى: ﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾، وعنده الوجهان (الإدغام والإظهار)، فى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾.

وعند الإدغام تُبدل السين زايًا فى قوله تعالى: ﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾، فتنطق الزاى زاياً مشددة، وتبدل السين شيناً فى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾، فتنطق الشين شيناً مشدَّدة.

* * *

(الفصل السابع)

المخرج الرابع من المخارج العامة

(الشــفتان)

الشفتان عبارة عن طرفين أحدهما علوى والآخر سفلى، وكل طرف منهما يتكون من جزأين جزء يلى داخل الفم وفيه طراوة ورطوبة ولا يرى ويسمى (باطن الشفة)، وجزء يلى البشرة إلى خارج الفم وفيه جفاف ويسمى (ظاهر الشفة)، وبين الطرفين وسط وهو منطبق الشفتين.

وفى الشفتين مخرجان خاصان لأربعة أحرف يخرج من الأول حرف واحد، وهو الفاء، ومن الثانى ثلاثة أحرف وهى: الواو، والباء، والميم.

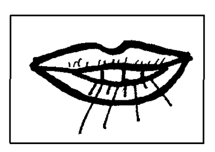
المخــرج الأول : مخرج حرف الفاء

باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا.

قال ابن الجزرى:

.... وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَهْ فَالْفَا مَعَ اطْرَافِ الثَّنَايَا المُشْرِفَهْ

وقوله: الثنايا المشرفة، أى العليا. وأطلق الشفة ولم يقيدها ومراده الشفة السفلى، إذ لا يتأتى النطق بالفاء من العليا، كما هو ظاهر.



يخرج حرف الفاء بكيفية الصوت الرخو المهموس، فيبدأ النطق به بتصادم أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى، وحتى تخرج الفاء فصيحة واضحة لابد من تصادم طرف المخرج بباطن الشفة السفلى، وليس بظاهرها، وأن يتحقق التصادم بين الطرفين، ولكن بدرجة اعتماد تسمح بمرور الهواء الحامل للصوت من بين طرفى المخرج فى سلاسة وخفة، فيجرى الصوت فى الفاء جريانًا تامًّا (صفة الرخاوة)، وتكون كمية الهواء الموظفة

لنطقها كبيرة، لا تتكيف كلها بالصوت (صفة الهمس)، ويجرى الصوت والنفس معاً فى آنٍ واحد.

وينبغى الاحتراز من تلامس وسط أو منطبق الشفتين عند إخراج الفاء حتى لا تخرج مخلوطة بصوت الميم، وبخاصة عند إخفاء النون عند الفاء.

ويطلق أهل الأداء على تحقيق التصادم بين طرفى مخرج الفاء وخروجها متكيفة بصفاتها (بيان تأفُّفِها).

فيجب بيان تأففها إذا التقت بمقاربها كالميم والواو والباء؛ لأن كل حرف من الحروف الثلاثة أقوى منها، ومع تقارب المخرجين قد يسرع القارئ إلى ترك التصادم فى مخرج الفاء للنطق بالميم، كما فى نحو: ﴿تَلْقَفْ مَا﴾، أو بالواو، كما فى نحو: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا﴾، أو بالباء، كما فى نحو: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ﴾. ومع ترك التصادم بين طرفى مخرج الفاء فقد تعدم الفاء أو تخفى.

وإذا تكررت الفاء يجب التحفظ ببيان الحرفين، سواء كان التكرار فى كلمة واحدة، كما فى نحو: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾، أو كان من كلمتين، كما فى نحو: ﴿تَعْرِفُ فِي﴾، ﴿خَلَائِفَ فِي﴾، وشبهه كثير.

والفاء حرف خفى ضعيف بسبب همسه مع رخاوته، فيجب التحفظ ببيانها إذا أتى بعدها حرف مهموس، مثل السين فى نحو ﴿نَفْسٌ﴾.

وإذا جاورت الظاء يجب بيان الحرفين حتى لا تقلب (V)، وهذا الحرف ليس من الحروف العربية، كما فى نحو: ﴿حِفْظُهُمَا﴾ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ وما شابهها.

والفاء حرف مستفل، منفتح، مستحقه الترقيق على كل حال، فيجب التحفظ على ترقيقه وخاصة إذا أتى بعده ألف، نحو: ﴿فَارِضٌ﴾، ﴿فَآتَتْ﴾ وشبهه، أو أتى بعده حرف مُستعل، نحو: ﴿فَضْلُ﴾، ﴿فِضَّةٍ﴾، أو حرف مفخم نحو: ﴿فَرَضَ﴾ ، وما شابهه.

وأقرب الحروف اللسانية إلى الفاء هو حرف الثاء، ولقرب مخرج الحرفين أبدلت العرب أحدهما من الآخر فتقول: (ثوم) و(فوم)، (مغافير) و(مغاثير).

وفى قراءة الكسائى أدغمت الفاء الساكنة فى الباء من قوله تعالى:

﴿ نَخْسِفْ بِهِمُ ﴾ بسورة سبأ، وأظهرها الباقون، ومن بينهم حفص.

المخرج الثانى: الواو والباء والميم

من الشفتين معًا.

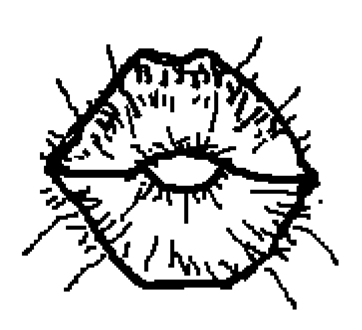
قال الإمام ابن الجزرى:

لِلشَّفَتَينِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ ....

وسنتناول كل حرف من الأحرف الثلاثة بالشرح والتفصيل.

حرف الواو:

تخرج الواو (المحققة)، بتصادم طرفى مخرجها، أى بتصادم باطن الشفتين من الجانبين مع انضمام الشفتين، بحيث تكون هناك فرجة فى الوسط يمر منها الصوت، وهو ما يعبر عنه باستدارة أو تقبيب الشفتين. والمنضم من الشفتين طرفا الشفتين اللذان يليان البشرة (ظاهر الشفتين)،



ولا يقوم القارئ بالدفع بالشفتين أو بمطِّهما إلى الأمام، وإنما تضم الشفتان فى مكانهما بصورة معتدلة لا إفراط فيها، ولا تفريط.

تخرج الواو بكيفية الصوت الرخو المجهور، فيبدأ النطق بها باستدارة الشفتين بدرجة اعتماد كافية تحول دون غلق الفتحة التى فى وسط الشفتين، فلا ينغلق المخرج انغلاقًا

تامًّا، فيتمكن الهواء الحامل للصوت من المرور من بين طرفى المخرج تحت الإعاقة الجزئية، فيجرى الصوت جريانًا تامًّا (صفة الرخاوة)، ويتكيف كله بالصوت (صفة الجهر).

وهذا المخرج المحقق تخرج منه (الواو المحققة التى تسمى باللينة، وهى الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو المتحركة بحركة من الحركات الثلاث).

أما (الواو الساكنة المضموم ما قبلها)، فتخرج من مخرج الواو المقدَّر، حيث يعتمد الصوت على الجوف مع مشاركة الشفتين فتخرج من جوف الشفتين، وقد سبق أن تناولناها بالتفصيل فى مخرج الجوف.

ومخرج الواو يحتاج إلى إعمال وعناية ودراية بكيفية خروج الواو المحققة والواو المقدَّرة، وكيفية المحافظة على استدارة الشفتين وبقاء فرجة فى الوسط يمر منها الصوت فى الحالتين، ويجب الانتباه إلى ضرورة ضم الشفتين فى الحالتين، ولكننا عند إخراج الواو المقدَّرة: نحتفظ بطرف اللسان ممسوكًا عند أصول الأَسنان السفلى لعمل فراغ خلف الشفتين يؤدى إلى اتساع الممر الصوتى كله فتخرج الواو من جوف الشفتين، أمَّا عند إخراج الواو المحققة: فنترك طرف اللسان على وضعه الطبيعى، فلا يكون هناك فراغ خلف الشفتين مما يحول دون اعتماد الصوت على الجوف، وهذا يساعد على التمكن من تصادم طرفى المخرج.

وقد سبق أن تناولنا بالتفصيل أحوال الواو المحققة الساكنة، وسيكون كلامنا هنا عن أحوال الواو المحققة المتحركة:

الواو المتحركة ثقيلة، فإذا كانت حركتها الضم ازدادت ثقلاً، نحو:

﴿ وُجُوهٌ ﴾، ﴿ وُجْدِكُمْ ﴾، ﴿ تَفَٰوُتٍ ﴾، ﴿ ٱلْوُثْقَىٰ .. ﴾، وشبهه. فلابد من التحفظ ببيانها.

وكذلك إذا انضمت لالتقاء الساكنين، نحو: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ ﴾ ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾، ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾.

وكذلك إذا انضمت الواو وبعدها واو، نحو: ﴿ وُۥرِىَ ﴾.

والواو المتحركة بالكسر أثقل من المتحركة بالضم لعدم التناسب بين الكسر والواو، فإذا شددت الواو مكسورة صارت أكثر ثقلاً، نحو:

﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ ﴾، وشبهه.

وإذا تكررت الواو، وواحدة منهما مشددة من كلمة أو كلمتين، وجب التحفظ ببيانها، نحو:

﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾، ﴿ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ ﴾، ﴿ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾، وشبهه.

وكذلك إذا تكررت متحركة من غير تشديد، نحو: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ، ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾، ﴿ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ ﴾ و ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا ﴾ ونحو قوله: ﴿ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ ﴾.

وإذا سكَنَت الواوُ المفتوحُ ما قَبْلَها، وأَتت بعدَها واوٌ أُخرى، وجب الإدغامُ والتشديد، لاجتِماعِ مِثْلَيْنِ، والأَوَّلُ مِنهما ساكِنٌ، نحو: ﴿ عَصَواْ وَّكَانُواْ ﴾، و﴿ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ﴾، ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ ﴾، وشبهه. وكذلك إن كان قَبْلَ الواوِ السَّاكِنَةِ، واوٌ أُخرى. فَذلِكَ آكَدُ فى البيانِ، لاجتِماعِ الأَمثالِ الثِّقالِ والإدغامِ، وذلك نحو: ﴿ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾.

وليحترز –عند الإدغام–من إخراج الواو الساكنة من الجوف، وإلا فُكَّ التشديد وحدث الإظهار.

وإذا سكنت الواو متطرفة يجب التحفظ ببيانها دون أن يشوبها شىء من الضم، نحو الوقف على: ﴿ لَهْوٌ ﴾ ﴿ ٱلْعَفْوَ ﴾.

والواو حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فينبغى العناية بترقيقها، وبخاصة:

إذا أتت قبل الراء المفخمة، نحو: ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾، ﴿ وَرَآءَ ﴾، وشبهه.

أو أتت قبل اللام المغلظة، نحو: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾.

أو أتت قبل حرف مُستعلٍ، نحو: ﴿ وَضَعَتْهَا ﴾، ﴿ وَطُبِعَ ﴾ وشبهه.

أو أَتت قبل الألف، نحو: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، أو الياء، نحو: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾.

ويجب العناية بترقيق الواو الساكنة المفتوح ما قبلها إذا أتى قبلها حرف مُستعلٍ، نحو: ﴿ ٱلْقَوْمِ ﴾، ﴿ ٱلْخَوْفِ ﴾.

وكذلك الواو المشددة المضموم ما قبلها نحو: ﴿ ٱلْقُوَّةِ ﴾.

حرف الباء:

تخرج الباء بانطباق باطن الشفة العليا على باطن الشفة السفلى. كما هو مبين بالشكل.



تخرج الباء بكيفية الصوت الشديد المجهور، فيبدأ النطق بها بتصادم طرفى المخرج بدرجة اعتماد كافية لغلق المخرج غلقًا تامًّا، فيحتبس الصوت والنفس معًا (صفة الشدة)، ولا تكتمل ولادة الباء إلا بدفعة قوية يضطرب معها طرفا المخرج (صفة القلقلة)، ويكون اهتزاز الحبلين قويًّا لدرجة يتكيف معها كل الهواء بالصوت (صفة الجهر)، فيخرج صوت الباء عقب احتباسه مجهورًا ذا نبرة قوية.

والباء مثلها مثل كل الحروف الشديدة المجهورة، لابد أن يحتبس معها الصوت بمجرد تصادم طرفى مخرجها، وإذا سكنت سكونًا لازمًا أو عارضًا فلا تكمل إلا بالقلقلة، وبيان قلقلتها فى بيان شدتها وجهرها.

وسواء تحركت الباء أم سكنت، يجب المحافظة على قوة التصادم بين طرفى مخرجها للمحافظة على شدتها وجهرها، وبخاصة:

إذا أتى بعدها حرف مهموس، فقد يسرع اللسان بتخفيف لفظها تأثرًا بالحرف التالى لها، نحو: ﴿بِهِمْ﴾ ، ﴿بِثَلَٰثَةِ﴾. وإذا تكررت الباء مظهرة يجب بيان الحرفين، نحو: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾، ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾، وشبهه.

والباء حرف مستفل منفتح مستحقه الترقيق على كل حال، فيجب المحافظة على ترقيقه، وبخاصة إذا أتى بعده ألف، نحو: ﴿بَٰسِطٌ﴾، ﴿بَٰلِغُ﴾،﴿بَارِيِكُمْ﴾، ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ وشبهه.

أو إذا أتى بعده حرف استعلاء، نحو: ﴿وَبَطَلَ﴾، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾، ﴿وَبَصَلِهَا﴾، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾.

أو إذا أتى بعده راء مفخمة، نحو: ﴿وَبَرْقٌ﴾ ، وما شابهه.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى ما سبق فقال فى المقدمة الجزرية:

وَبَاءَ بَرْقٍ بَاطِلٍ بِهِمْ بِذِى   وَاحْرِصْ عَلَى الشِّدَّةَ وَالْجَهْرِ الَّذِى

فِيهَا ....

وأدغمت الباء الساكنة فى الفاء، عند بعض القراء، مثل: الكسائى وأبى عمرو، وذلك فى خمسة مواضع: ﴿ يَغْلِبْ فَسَوْفَ ﴾، ﴿ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴾، ﴿ ٱذْهَبْ فَمَن ﴾، ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ ﴾، ﴿ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾.

كما أدغمت الباء الساكنة فى الميم- عند أبى عمرو والكسائى وخلف العاشر- فى ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ آخر البقرة- أَمَّا ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ هود آية:٤٢، فأظهرها بعض القراء، وأدغمها آخرون، وحفص من المدغمين.

ومن أجل تجانس الميم والباء أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالت:

لَون (أَرْمَدْ) و(أَربْد)، ويقال: (أَرمَى) فُلاَن على فُلاَن، و(أَرْبَى) عَلَيهِ، إذا زاد عليه.

حـــرف المـــيم:

تخرج الميم من مخرج الباء أى بتصادم باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا، بكيفية الصوت المجهور المتوسط بين كمال الشِّدَّة وكمال الرخاوة، فيبدأ النطق بالميم بتصادم طرفى مخرجها بدرجة اعتماد كافية لغلق المخرج، فيحتبس الصوت والنفس معًا، ولا يكون احتباسهما تامًّا (كما فى الباء)، بسبب وجود فتحة ينفذ منها الصوت عقب احتباسه، ومع استمرار غلق الشفتين يندفع الهواء الحامل للصوت إلى الخيشوم، من خلال فتحة فى الفم واصلة بين التجويف الفموى والتجويف الخيشومى؛ فيجرى الصوت فى الخيشوم جريانًا ضئيلاً ثم ينقطع.



شكل الشفتين ووضع الحنك الرخو عند النطق بالميم

ويُلاحظ فى الشكل:

الشفتان منطبقتان على بعضهما، وسقف الحنك الرخو منخفض لفتح الممر إلى التجويف الأنفى، أو الخيشومى.

واحتباس الصوت احتباسًا ضئيلاً، ثم جريانه جريانًا ضئيلاً (هو ما يعرف بصفة التوسط)، وبسبب احتباس الصوت والنفس أولاً تكون كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف قليلة تتكيف كلها بالصوت (صفة الجهر).

فنقول: صوت الميم حاد عن مساره بسبب اصطدامه بعائق، ووجود فتحة ينفذ منها. بمعنى أن صوت الميم لم يستمر محتبسًا فى الشفتين، وإنما تركهما فور احتباسه متجهًا إلى الخيشوم، فالبقعة التى بدأ فيها صوت الميم محتبسًا، غير البقعة التى انتهى فيها جاريًا.

والزمن الذى احتبس فيه الصوت بالإضافة إلى الزمن الذى جرى فيه يشكلان معًا حرف الميم، فالميم مثل النون لا تكتمل إلا بالغنة، وجزؤها الشديد أى الذى يحتبس فيه الصوت هو الشفتان، وجزؤها الرخو هو الخيشوم.

ومخرج الميم هو سبب توسطها، والميم المتوسطة هى الميم التى يصاحبها درجة اعتماد أكبر من الواو وأقل من الباء، فقوة اعتماد الحرف المتوسط لابد أن تكون أكبر من الحروف الرخوة المجهورة، وأقل من الحروف الشديدة المجهورة.

وفى الميم المتوسطة يكون البيان للجزء الشفوى، أمَّا إن أردنا بيان الجزء الخيشومى فلابد من إضعاف الاعتماد على الجزء الشفوى لتقل درجة الإعاقة ويطول زمن جريان الصوت فى الخيشوم.

ولكون المخرج- الذى يجرى فيه صوت النون والميم عقب احتباسه فى جزئيهما الشديد - مخرجًا واحدًا هو الخيشوم، ولكى تتميز غنة النون عن غنة الميم كانت جميع أحوال الميم- التى تظهر الغنة فيها- تنحصر فى: إدغام الميم فى الميم، نحو: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، إخفاء الميم عند الباء، نحو: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ ﴾.

ولم تدغم الميم فى الواو (رغم اتحادهما فى المخرج، فهما حرفان متجانسان).

ولم تُخْفَ عند الفاء (رغم تقاربهما فى المخرج، فهما حرفان متقاربان).

والسبب: أن الشفتين تنطبقان مع الميم والباء، ولا تنطبقان مع الواو والفاء، وهذا الأمر فى غاية الأهمية عند إرادة إظهار غنة الميم؛ لأن غنة الميم- حتى لا تشتبه بغنة النون- لابد من أن تبدأ بانطباق الشفتين، ثم يعتمد الصوت على الخيشوم. أمَّا إن تباعدت الشفتان خرجت الغنة للنون، ولهذا حذَّر الإمام الجمزورى- صاحب التحفة- من إدغام الميم فى الواو وإخفائها عند الفاء بقوله:

وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِى   لِقُرْبِها وَالاِتِّحادِ فاعْرِفِ

لأن الغنة حينئذٍ سوف تلتبس بغنة النون، فلا يعلم هل الحرف المدغم أو المخفى كان ميمًا أو نونًا.

ولذلك يجب التحفظ ببيان الحرفين مظهرين مستقلين عن بعضهما بدون فصل أو سكت إذا أتت الميم الساكنة وأتى بعدها فاء، أو واو، نحو:

﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾، ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ ﴾، ومثله كثير.

وإذا تكررت الميم من إدغام أو من غير إدغام، وجب بيان التكرير بيانًا ظاهرًا، وما كان فيه تشديد فلابد من بيان غُنَّتِه، بتطويل زمنها أثناء النطق بالميم الساكنة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ ﴾ فهنا قد اجتمع فى اللفظ ست ميمات.

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ فهنا قد اجتمع فى اللفظ ثمانى ميمات، وهذا الموضع لا ثانى له فى القرآن.

وكذلك إذا تكررت الميم من غير إدغام فيجب بيان التكرير بيانًا ظاهرًا، نحو: ﴿ وَٱضْمُمْ ﴾، ﴿ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾، ومثله كثير.

وحرف الميم حرف مستفل، منفتح، مستحقه الترقيق على كل حال، فيجب المحافظة على ترقيقه، وخاصة إذا جاوره حرف مستعل، أو مفخم، نحو:

﴿ مَخْمَصَةٍ ﴾، ﴿ مَّرَضٌ ﴾، ﴿ رَمَضَانَ ﴾، ﴿ مَصِيرًا ﴾، ﴿ حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾.

ولقد نبَّه الإمام ابن الجزرى إلى ترقيق الميم ضاربًا المثل ببعض الكلمات، فقال:

.... وَالْمِيمَ مِنْ مَخْمَصَةٍ وَمِنْ مَّرَضْ

وكذلك يجب ترقيقها إذا أتى بعدها ألف، نحو: ﴿ مَٰلِكِ ﴾ ﴿ مَا ضَلَّ ﴾.

والنون والميم متفقتان فى جميع الصفات، ولا يكتملان إلا بالغنة، ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا: (غين) و(غيم) و(المدى) و(الندى) ويقال (مَجِرَ الرجل من الماء) و(نَجِرَ) إذا أكثر شربه[1].

وبجمع حروف الشفتين الأربعة (الفاء والواو والباء والميم) نخرج بالملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى:

من ناحية الصفة المحلية (لقب الحروف): الحروف الشفوية أو الشفهية، ولقبت بذلك لخروجها من الموضع الذى تخرج منه، وهو باطن الشفة السفلى بالنسبة للفاء، وللشفتين معًا بالنسبة لغيرها، فى الجملة.

---

[1] من الرعاية بتصرف.

قال فى السلسبيل الشافى:

وَأَحْرُفُ الشِّفَاهِ قُلْ شَفَوِيَة ....

وانفردت الفاء بمخرج مستقل عن باقى الأحرف بسبب مشاركة الأسنان، التى هى جزء من التجويف الفموى.

بالنسبة لاهتزاز الحبلين الصوتيين: الفاء مهموسة، والميم والواو والباء مجهورة.

بالنسبة لدرجة الإعاقة: الفاء والواو رخوتان، والباء شديدة، والميم متوسطة بين كمال الشِّدَّة وكمال الرخاوة.

أمَّا بالنسبة لانحصار الصوت واستعلاء أقصى اللسان: فأحرف الشفتين جميعها مستفلة منفتحة، مستحقها الترقيق على كل حال.

الملاحظة الثانية:

أقوى حروف الشفتين اعتمادًا على طرفى مخرجها الباء، ثم الميم، ثم الواو، ثم الفاء. واتحدت الواو والميم والباء فى مخرج واحد، ولانطباق الشفتين مع الميم والباء، واستدارتهما مع الواو كانت علاقة التجانس بين الميم والباء أقوى من الواو؛ ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فيقولون: هذا أمر (لازب) و(لازم).

وتميزت الميم والباء بكونهما متحدتين فى البقعة التى يبدأ منها صوت الحرف. فالبقعة التى يبدأ منها صوت الميم هى ذاتها البقعة التى يبدأ منها صوت الباء، ولكن البقعة التى ينتهى فيها صوت الميم بعيدة عن الشفتين، فالميم تنتهى فى الخيشوم، أما الباء فينتهى صوتها فى الشفتين، أى فى البقعة التى بدأ منها، وهذا الأمر لم يحدث مع حرفين متجانسين غير الميم والباء، فكل الحروف المتجانسة الأخرى مشتركة فى مخرج واحد، ولكل منها بقعة تخصه، والبقعة التى يبدأ منها صوت الحرف هى ذاتها التى ينتهى فيها.

وانتهاء صوت الميم فى الخيشوم، وانتهاء صوت الباء بالقلقلة فى الشفتين هو السبب فى اختلاف أصواتهما، واختلافهما فى بعض الصفات، وفى أن قوة الاعتماد مع الميم أضعف من الباء.

الملاحظة الثالثة:

علامة ضبط مخرج الفاء أن تخرج: مهموسة- رخوة- مستفلة- منفتحة.

وعلامة ضبط مخرج الباء أن تخرج: مجهورة- شديدة- مستفلة- منفتحة، وإذا سكنت لا تكمل إلا بالقلقلة.

وعلامة ضبط مخرج الميم أن تخرج: مجهورة- متوسطة- مستفلة- منفتحة، ولا تكمل إلا بالغنة، وذلك فى جميع أحوالها ساكنة، أو متحركة مخفَّفة، أو مشددة.

وعلامة ضبط مخرج الواو أن تخرج: مجهورة- رخوة- مستفلة- منفتحة، واللين صفة لمخرجها حيث يتصف مخرجها بالليونة والمرونة، لإمكانية أن يتصادم طرفاه فتخرج الواو واوًا محققة، وأن يتباعد طرفاه فتخرج من الجوف، عند وجود السبب.

تعليق:

يرد فى بعض كتب التجويد وصف لمخرج الواو والباء والميم بقولهم: (من بين الشفتين معًا تخرج الباء والميم والواو، إلا أن الواو بانفتاحهما، والميم والباء بانطباقهما) وفى بعض المراجع (إلا أن الواو بانضمام، وانفتاح).

والمقصود بانفتاحهما مع الواو:

الفرجة التى تكون فى الوسط.

والمقصود بانضمامهما:

استدارة الشفتين.

والمعنى أن مخرج الواو به عملان: استدارة الشفتين مع فرجة فى الوسط، أما الباء والميم فبمخرجهما عمل واحد، هو انطباق الشفتين.

وجاء فى نهاية القول المفيد:

"المراد من انفتاحهما فى (الواو): انفتاحهما قليلاً، وإلا فهما ينضمان فى (الواو)، ولكن لا يصل انضمامهما إلى حد الانطباق".

أى بالمقارنة بوضعهما مع (الميم) و (الباء)، فهما ينفتحان مع (الواو) قليلاً، فتأخذ الشفتان وضع الاستدارة لا وضع الانطباق.

وهذا المعنى هو الذى أيده الشيخ "الحصرى" رحمه الله فى كتابه "أحكام قراءة القرآن" فقال:

"وأما (الواو) [تذكر فى كثير من الكتب بأنها تخرج من بين الشفتين مع انفتاحهما] وينبغى التنبيه على أن المراد من أن (الواو) تخرج بانفتاح الشفتين، ليس معناه إخراجها بتمطيط الشفتين، بل يجب تدوير الشفتين، والفرجة التى تبقى بعد تدويرهما هى التى يعبرون عنها بانفتاح الشفتين، فهو خلاف إطباقهما عند (الباء) و(الميم). وقالوا: إن الشفتين مخرج (الباء) و(الميم) و(الواو)، إلا أن الشفتين تنطبقان بـ (الباء) و(الميم)، وتنفتحان مُقَبَّبَتين بـ(الواو)، وهذا تعبير دقيق لكيفية النطق بـ (الواو)". انتهى بتصرف.

* * *

(الفصل الثامن)

المخرج الخامس من المخارج العامة

(الخيشوم)

هو آخر المخارج العامة والخاصة، حيث ذكره الإمام ابن الجزرى فى آخر كلامه عن المخارج فقال:

.... وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ

والغنة صوت له رنين، ترتاح إليه الأذن، يصاحب حرفين لا ثالث لهما وهما النون والميم.

تعريف الخيشوم ، أوْ ما يسمى حديثاً بالتجويف الأنفى أو التجويف الخيشومى:

هو عبارة عن تجويف على شكل الكمثرى، فيه غضاريف متجعدة، مركب فوق غار الحنك الأعلى، نهايته الأمامية منفتحة على فتحتى الأنف، ونهايته الخلفية منفتحة على الحلق والتجويف الفموى، والخيشوم هو أقصى الأنف من الداخل، وليس الأنف أو المنخر، ولو سددنا فتحتى الأنف لوجدنا صوت الغنة يتردد فى داخل التجويف الذى يقع خلف فتحتى الأنف، دليلاً على أن مصدر التصويت بالغنة، أو موقع الخيشوم، هو فى أقصى الأنف من الداخل. وصوت الغنة صوت رخو مجهور، فلو وضع القارئ راحة يده أمام فتحتى الأنف لا يشعر بأثر الهواء.

ملاحظات هامـــــة:وعددها خمس:

الملاحظة الأولى:

الخيشوم مخرج عام، لا تكمل نون ولا ميم بدونه، فالصوت يحتبس فى مخرجى الميم والنون ثم يجرى فى الخيشوم، ومن مجموع العملين يولد الحرف.

ولقد أشار الإمام ابن الجزرى إلى العملين، عند ذكره لموضع خروج كل حرف:

فذكر مخرج النون (الجزء اللسانى)، فقال:

والنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ ....

وذكر مخرج الميم (الجزء الشفوى)، فقال:

لِلشَّفَتَيْنِ .... مِيمُ ....

وذكر المخرج الذى يكمل فيه صوت الحرفين، وماهيَّة هذا الصوت بقوله:

وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ ....

وعند ذكر الإمام ابن الجزرى لصفات الحروف لم يعتبر الغنة صفة، ولم يذكرها ضمن الصفات؛ لأنَّه نظر إلى الخيشوم على أنه تجويف فوق غار الحنك الأعلى له خلقة مختلفة عن تجويف الفم والحلق، إذا تخلله الهواء اكتسب فيه ترنمًا ورنينًا، يعرف بالغنة، فاعتبر أنَّ صوت الغنة هو صوت النون والميم، وليست صفة لهما؛ لأن صوت الحرفين لا يولد بكامله فى المخرج اللسانى أو الشفوى، ولكن فى الخيشوم.

وهذا التصور الذى تصوره الإمام ابن الجزرى منذ أكثر من سبعمائة سنة هو ذاته الذى يقول به اللغويون المعاصرون، فهم يرون أنَّه: كما أنَّ هناك تجويفًا فمويًّا فهناك تجويف أنفى، والحروف التى تولد فى التجويف الفموى تعد أصواتًا فموية، وهى معظم الحروف فى اللغة العربية وفى اللغات الأخرى، والحروف التى تولد فى التجويف الأنفى تعد أصواتًا أنفية، وهى فى لغة العرب فى النون والميم فقط.

وتختلف الأصوات التى تولد فى التجويف الأنفى أو الخيشوم عن الأصوات التى تولد فى التجويف الفموى فى أن الأولى لا تستغنى بحال عن التجويف الفموى؛ لأنها تتكون من الاعتماد على التجويفين معًا، أمَّا الثانية فتستغنى تمامًا عن التجويف الأنفى، وقد يشتركان معًا فى حالات خاصة.

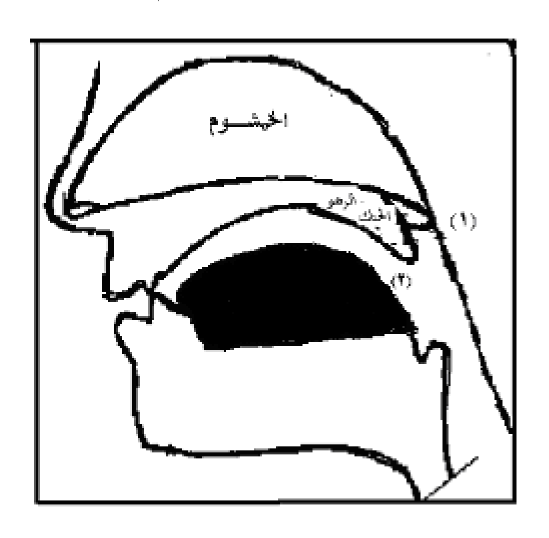
وعدم ذكر الإمام ابن الجزرى للغنة ضمن الصفات سواء فى مقدمته الجزرية، أو فى الطيبة لا يمنع من اعتبارها صفة لصوت النون والميم؛ لأن فى ذلك فائدة، وهى تنبيه القارئ (العربى وغير العربى)، على ألاَّ يجعل هذا الصوت لغير الميم والنون.

الملاحظة الثانية:

المتحكم فى اعتماد الصوت على مخرج الخيشوم هو الحنك الرخو.

ومن المعلوم أن غار الحنك الأعلى يتكون من جزأين: جزء عظمى صلب، وجزء لحمى رخو ينتهى باللهاة، وهذا الجزء اللحمى عبارة عن مجموعة من الأنسجة العضلية التى يمكن أن تُضْغَط فى اتجاه الحائط الخلفى للحلق فينفصل التجويف الفموى والحلقى عن التجويف الخيشومى أو الأنفى، فيغلق الطريق أمام الهواء، بحيث لا يتمكن من المرور إلا من خلال الفم وحده.

أمَّا إن ابتعد الجزء اللحمى عن الحائط الخلفى للحلق، فيفتح الطريق أمام الهواء، فيتمكن من المرور من خلال التجويف الأنفى أو الخيشوم.



والشكل السابق يوضح كيفية ارتفاع الحنك الرخو، وكيفية انخفاضه، وابتعاده.

ففى رقم (١) حالة النطق بجميع الحروف، ماعدا النون والميم، وفيها يرتفع الحنك الرخو ليغلق الطريق الموصل للخيشوم.

وفى رقم (٢) حالة النطق بالنون والميم، وفيها ينخفض الحنك الرخو ليفتح الطريق الموصل للخيشوم.

الملاحظة الثالثة:

بيان الغنة فى النون أكبر من الميم؛ ولذلك قال العلماء (النون أغن من الميم)، والسبب يرجع إلى اختلاف خلقة مخرج النون اللسانى عن مخرج الميم الشفوى.

مخرج النون: طرف اللسان الدقيق يصطدم بأصول الثَنيَّتين العلويَّتين.

مخرج الميم: باطن الشفة السفلى يصطدم بباطن الشفة العليا.

فنلاحظ أن:

١- منطبق الشفتين أكثر اتساعًا من طرف اللسان الدقيق.

٢- ضيق التجويف الفموى المصاحب لإطباق الشفتين، واتساعه مع النون.

٣- وقوع مخرج النون فى التجويف الفموى، ووقوع الخيشوم فوق غار الحنك الأعلى. فالخيشوم أقرب للنون من الميم.

كل هذه العوامل أدت إلى أن الممر الواصل بين مخرج الميم الشديد والخيشوم أضيق وأبعد من النون، كما أن المساحة التى يحتبس فيها صوت الميم- قبل جريانه فى الخيشوم- أكبر من النون، وبالتالى:

فجزء الميم الشديد أكبر من جزء النون الشديد، وجزء الميم الرخو أقل من جزء النون الرخو، بمعنى:

أن الميم أقرب إلى الشِّدَّة من الرخاوة، أما النون فهي أقرب إلى الرخاوة من الشِّدَّة، فغنة النون أقوى بيانًا من غنة الميم.

(والنون آصل فى الغنة من الميم).

وأصالة غنة النون عن غنة الميم تكمن فى:

أن غنة النون تكمل بمخرج النون وبغيره من المخارج، أمَّا غنة الميم فلا تكمل إلا بمخرج الميم، بحيث إذا ترك القارئ مخرج الميم- عند أداء الغنة- كانت الغنة للنون لا للميم.

وسيزداد فهمنا لهذا الأمر من خلال دراستنا لأحكام النون والميم الساكنتين.

الملاحظة الرابعة:

الجوف والخيشوم ممران للنفس، أى هواء الزفير عند خروجه بدفع الطبع، فكيف يتحول هذا النفس إلى صوت؟

يفتقر المخرجان إلى معتمد يعتمد عليه القارئ فى دفع هواء الزفير بالإرادة، فيهتز الحبلان الصوتيان، ويتحول الهواء المار بينهما من مجرد نفس إلى صوت مجهور.

معتمد مخرج الجوف، هو:

كل حرف محقق يأتى قبل حرف من حروف المد واللين الثلاثة، بشرط أن يتحرك بحركة مجانسة، فيأتى قبل الألف فتح، وقبل الواو ضم، وقبل الياء كسر، نحو مخرج القاف فى ﴿قَالَ﴾ ،﴿يَقُولُ﴾ ، ﴿قِيلَ﴾.

أمَّا معتمد مخرج الخيشوم، فهو:

- مخرج النون والميم، فى نحو: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ ، ﴿هُمْ﴾ ، ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾ ، ﴿لَكُم مَّا﴾.
- مخرج الحرف الذى وردت الرواية بإدغام النون والميم فيهما (مع بيان الغنة)، مثل:
  مخرج الواو عند إدغام النون الساكنة فى الواو، فى نحو:﴿مِن وَالٍ﴾.
  ومخرج الياء عند إدغام النون الساكنة فى الياء، فى نحو:﴿مَن يَشَآءُ﴾.
- مخرج الحرف الذى وردت الرواية بإخفاء النون والميم عنده (ولا يكون إلا بالغنة)، مثل:
  مخرج الصاد عند إخفاء النون الساكنة عند الصاد، فى نحو: ﴿يُنصَرُونَ﴾.
  ومخرج التاء عند إخفاء النون الساكنة عند التاء، فى نحو: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾.
  وما قلناه عن النون الساكنة ينطبق على التنوين.
  وبيان ذلك سنتعرض له بالتفصيل عند دراستنا لأحكام النون والميم الساكنتين.

ومع ملاحظة الفرق بين حروف المد واللين الثلاثة، وأحوال الغنة، نخلص إلى:

١- الخيشوم مخرج مقدَّر.

٢- الغنة ليست بحرف؛ لأنها تشارك الحروف عند الإدغام، فى نحو:

﴿مِن وَالٍ﴾ ﴿مَن يَشَآءُ﴾، وتكون عند مخارجها عند الإخفاء، فى نحو: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾، ﴿يَنكُثُونَ﴾.

وهنا سؤال:

الجوف والخيشوم مخرجان مقدَّران. ومن مخرج الجوف تخرج حروف ثلاثة: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وتميزت أصواتهن بسبب مشاركة الشفتين للجوف عند إخراج الواو، ومشاركة وسط اللسان للجوف عند إخراج الياء، وتبعية الألف لما قبلها تفخيمًا وترقيقًا؛ فكيف تميزت غنة النون عن غنة الميم، وليس لأحدٍ منهما بقعة تخصه فى الخيشوم؟

الجـــــواب:

لازمت الميم حالة واحدة، وهى أن يكون معتمد غنتها هو انطباق الشفتين، كوضع النطق بالميم الساكنة، وبذلك تميزت غنة النون عن غنة الميم.

وهذا هو السبب فى أنه لم يأت فى القرآن واللغة علاقة بين الميم والحرف التالى لها ينتج عنها بيان غنة الميم إلا فى حالتين: حالة إدغامها فى الميم، أو إخفائها عند الباء، وذلك لاتحاد الميم والباء فى المخرج، فلابد أن يبدأ النطق بهما بانطباق الشفتين تمامًا، ولكن انطباقهما مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم.

وانطباقهما مع الميم المظهرة أقوى من انطباقهما مع الميم المدغمة أو المخفاة عند الباء.

الملاحظة الخامسة:

سبب ظهور الغنة فى القراءة هو: وجود حرفى الغنة (الميم والنون)، وظهور الغنة فى غير وجودهما، بضوابطه، خطأ يجب التخلص منه.

وأكثر وقوعه مع حروف الجوف الثلاثة، والحروف المتحركة بالحركات الثلاث، والسبب هو: عدم إحكام التصادم فى مخرج الحرف المحقق قبل التباعد إلى الجوف، سواء عند نطق حروف المد واللين الثلاثة، أو الحركات الثلاث.

فمع عدم ضبط التصادم: عند التباعد إلى الجوف يتوزع الهواء الحامل للصوت على التجويفين الفموى والخيشومى؛ فيخرج الصوت مخلوطًا بالغنة.

ويستطيع القارئ أن يختبر نفسه بأن يغلق فتحتى الأنف أثناء نطق الحرف، فإذا وجد الصوت قد اختلف فهذا دليل على وجود الغنة فيه.

أمَّا القول بأن الغنة ممكن أن تخالط كل الحروف فغير صحيح؛ لأن الغنـة لا تخـالط إلا الحـرف الـذى يسمح مخرجـه بـأن يكـون معتمـدًا لصـوتين فـى آنٍ واحـد (صـوت الحـرف وصوت الغنة)، وهذا لا يحدث مع حرف محقق ساكن إلا فى ستة أحرف، وهى:

النون والميم؛ لأنهما لا يكملان إلا بالغنة.

الـلام والـراء؛ لأن بمخرجيهمـا فتحـة ينفـذ منهـا الصـوت، وهـو مـا يعـرف بصـفة الانحراف.

الواو والياء؛ لمرونة مخرجيهما وسهولة اعتماد الصوت فيه على الجوف، وهو ما يعرف بصفة اللين.

أمَّا باقى الحروف الساكنة المحققة فلا يخالطها الغنة، وذلك (لا إراديًّا)؛ لأن مخارجها لا تسمح بذلك. ولو بدأنا بحرفٍ ساكنٍ منها وقلنـا مثلاً: افْ- اشْ- اجْ- اتْ... إلخ. لوجدنا أن الصوت يعتمد كلية على مخرج الحرف المحقق، ولا أثر للغنـة فيـه، ومهمـا حاولنـا إيصال الصوت إلى الخيشوم نجد الممر مغلقًا تمامًـا، ولا دخل لمهارة القـارئ فى ذلك، وإنما لطبيعة وَخِلْقة المخرج.

وننبـــه إلى:

١- إذا تمكن القارئ من جوف الشفتين (أى من الجوف مع مشاركة انضمام الشفتين)، عند إخراج الواو المقدَّرة، وإذا تمكن من جوف وسط اللسان (أى من الجوف مع مشاركة خفض وسط اللسان)، عند إخراج الياء المقدَّرة، بحيث كان الممر الجوفى بالاتساع الكافى لجريان الصوت فيه، أدى ذلك إلى خلو الصوت من الغنة. أمَّا إن ضاق الممر الجوفى بسبب التصاق وسط اللسان، أو جزء منه بغار الحنك عند النطق بالياء، أو اعتمد القارئ على الشفتين فقط، أو كان طرف اللسان أمام فتحة الشفتين تمامًا، عند النطق بالواو، أدى ذلك إلى اتجاه صوتهما إلى الممر الخيشومى فيختلط صوتهما بالغنة.

ومما يساعد على اتساع الممر الجوفى:

تحقيق مخرج الحرف السابق لحروف المد الثلاثة، مع ضبط درجة الاعتماد المطلوبة، والحرص على وجود تباعد بين الأسنان العليا والسفلى مما يصنع انفراجًا داخل التجويف الفموى، ويعطى اللسان مرونة للانتقال من المخرج المحقق إلى مخرج الحركة، مع ملاحظة أن هذا الانفراج لا يكون مع الألف والياء فقط، ولكن

أيضًا مع الواو؛ لأنه يساعد على عمل تجويف خلف الشفتين مما يسهل اتساع الممر الجوفى فيسهل جريان الصوت فى سهولة.

ولابد أن تبدو المسافة بين الفكين بصورة طبيعية لا تكلف فيها، وإنما تكون على الوضع الطبيعى للشفتين فى حالة الانفراج البسيط.

وأيضًا عند النطق بحروف المد واللين الثلاثة: لابد أن يحافظ القارئ على التباعد إلى الجوف بقوة كافية لترابط جزيْئَات الصوت وعدم تفرقها بين الجوف والخيشوم، مهما طال زمن الحركات.

٢- عند النطق بالحركة: لابد من الانتباه إلى ضرورة التصادم فى مخرج الحرف المحقق قبل التباعد إلى الحركة، وسبب ظهور الغنة فى الحروف المتحركة هو اهتمام القارئ بأن يكون كل إعماله على التباعد إلى الجوف (مخرج أصل الحركة)، والاكتفاء بمجرد التلامس فى مخرج الحرف المحقق، وهذا ملاحظ تمامًا فى الأداء العملى والتجربة، فإذا سمعت قارئًا يخرج الحروف المتحركة مخلوطة بالغنة فاعلم أن السبب هو: عدم التحقق من مخارج الحروف قبل التباعد إلى الحركة.

٣- خفض الرأس إلى أسفل عند القراءة من الأمور التى تؤدى إلى تباعد القارئ بالهواء الحامل للصوت ناحية الخيشوم، فيخرج الصوت مخلوطًا بالغنة؛ ولذلك لابد أن يحافظ القارئ على استقامة الرأس عند القراءة، ويتأكد ذلك لَدَى مَنْ عِندَهُ ظهورُ الغنة مع الحروف عيبٌ متكرر وظاهر.

٤- النون والميم المتحركتان بحركة من الحركات الثلاث، وكذلك إذا أتيا قبل حرف من حروف المد الثلاثة، حكمهما الإظهار، ومقدار الغنة فيهما أَنقص ما يكون، وكلما تمكن القارئ من ضبط مخرج الحرفين قبل التباعد إلى الجوف قلَّ ظهور الغنة فيهما. ولا يمكن تصفية الصوت تمامًا من الغنة كما يحدث مع باقى الحروف؛ فالنون والميم لا تكملان إلا بأن ينتهى صوتهما فى الخيشوم، فإذا تحرك الحرفان كان تباعد القارئ من الخيشوم (حيث انتهى صوت النون والميم)، إلى مخرج الجوف (حيث أصل الحركة)، وهذا يعنى أن يظل الممر بين الخيشوم والجوف مفتوحًا بدرجةٍ ما، فلا يمكن تصفية صوت الحركة من الغنة، أَمَّا (أَصل الحركة) الأَلف، أَو الواو، أَو الياء فلا

يخلو صوتها من الغنَّة إلا بعد تمكن الصوت من الجوف تمامًا، وهذا ملاحظ بالتجربة: فلو أَغلقنا فتحتى الأنف وقلنا (نَا، نُو، نِى)، لوجدنا أن الغنة موجودة مع الألف، والواو، والياء مع بداية النطق، ثم يخلو الصوت فيها تمامًا مع امتداده فى الجوف.

٥- عند ظهور الغنة: فهى دائمًا، تتبع الحرف المدغم فيه، أو المخفى عنده، فى تفخيمه وترقيقه، فترقق مع المرقق، وتفخم مع المفخم، بعكس الأَلِف، التى تتبع ما قبلها فى تفخيمه وترقيقه، وبيان السبب بكتاب الأسئلة صفحة ١٠٩، إجابة سؤال رقم (٤٨).

*　　　*　　　*

(الفصل التاسع)

الصـــــفات

معنى الصفة لغةً واصطلاحًا:

الصفات جمع صفة.

ومعناها فى اللغة: ما قام بالشىء من المعانى، حسيًّا كان، أو معنويًّا.

والمراد بالصفة المعنوية: الشىء الذى يدرك وجوده بالذهن من غير أن يكون له وجود مادى محسوس، فلا يمكن رؤيته ولا لمسه، مثل: صفة العلم، صفة الإرادة، ... إلخ.

والمراد بالصفة الحسية: الشىء الذى يدرك بإحدى الحواس الخمس، مثل:

البياض– الصفرة– الحمرة ... إلخ.

وليس المقصود بالصفة هنا معنى النعت، أو الوصف، كما أراده النحويون، مثل:

اسم الفاعل، واسم المفعول، أو ما يرجع إليهما عن طريق المعنى، نحو: شَبَهْ أو مثل.

معنى الصفة فى الاصطلاح: كيفية تكيف بها صوت الحرف عند النطق به فتميزه من غيره، وهذه الكيفية قد تكون لازمة للحرف فلا يمكن النطق به بدونها، أو تكون عارضة له فتزول عنه بزوال السبب.

فوائد دراسة الصفات:

(١) تمييز المخرج الجيد من المخرج الردىء:
صفة الحرف هى الحارس على صحة مخرجه والضابط له؛ لأن الحرف إن اختل مخرجه اختلت صفاته التى ذكرها العلماء له، وإن ضبط مخرجه ضبطت صفاته، وقد سبق أن تناولنا هذا الأمر بالتفصيل عند دراستنا للفصل الثانى (مدخل لدراسة المخارج والصفات) بأول الباب الرابع من هذا المجلد، وص ٣٢ من كتاب الأسئلة، سؤال (٣١) وإجابته.

(٢) ضبط مخارج الحروف التى دُمجت فى مخرج واحد للتقارب الشديد الذى يصعب معه الفصل، والتى نسميها بالحروف المتجانسة.

فالفارق بين كل حرفين متجانسين هو صفات كل منهما، فمثلاً:

السين والزاى حرفان متجانسان، ومن معرفتنا أن السين مهموسة والزاى مجهورة نستطيع أن نضبط المخرجين، فلا يختلط أحدهما بالآخر، وقس على ذلك باقى الحروف المتجانسة.

(٣) ضبط مخارج الحروف المتقاربة فى المخرج وفى الصفات.

فمثلاً: حروف رأس طرف اللسان (ظ، ذ، ث)، (ص، س، ز)، من معرفتنا لصفة الصفير وحروفها تمكنًا من عدم خلط الذال بالزاى، أو السين بالثاء، وقس على ذلك.

وأشار الإمام ابن الجزرى إلى الفوائد الثلاث المذكورة بقوله:

(على مريد قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة توفية تخرجه عن مجانسه).

(٤) اتصال لفظ الحروف الساكنة بعضها ببعض، وعدم إحداث سكت، أو فصل بين حروف الكلمة الواحدة، أو الكلمات المتصلة.

فمثلاً: من معرفتنا لصفتى الشدة، والقلقلة نستطيع إيصال الحرف الساكن الشديد المجهور بما بعده، كما فى نحو:﴿ قَبْلِكُمْ ﴾ فبفضل القلقلة فى الباء توصل باللام من غير فصل أو سكت بينهما.

ومن معرفتنا لصفتى الشدة والهمس نستطيع إيصال الحرف الساكن الشديد المهموس بما بعده، كما فى نحو:﴿ فِتْنَةً ﴾ فبفضل خروج الهمس فى التاء توصل بالنون من غير فصل أو سكت بينهما، وقس على ذلك كل نظير.

(٥) من دراسة صفات الحروف نعرف متى يكون الإدغام من النوع التام، ومتى يكون من النوع الناقص.

فمثلاً: إذا وردت الرواية بإدغام حرفين، وكان فى الأول (المدغم)، صفة قوة يتميز بها ويمكن ظهورها مع الثانى (المدغم فيه)، كان الإدغام من النوع الناقص، مثل ظهور الاستعلاء والإطباق عند إدغام الطاء فى التاء، كما فى نحو:

﴿ أَحَطتُ ﴾،﴿ بَسَطتَ ﴾.

ومثل ظهور الغنة فى إدغام النون فى الواو والياء، فى نحو: ﴿ مِن وَالٍ ﴾،﴿ مَن يَشَآءُ ﴾.

فمن معرفتنا لماهية الاستعلاء، والإطباق، والغنة، وكيفية أَدائهنَّ عرفنا أن الإدغام من النوع الناقص.

أمَّا إن وردت الرواية بإدغام حرفين، وكان فى الأول صفة قوة يتميز بها ولكن لا يمكن ظهورها مع المدغم فيه، كان الإدغام من النوع التام، كإدغام الباء الساكنة فى الميم، فى نحو: ﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾، وإدغام الدال الساكنة فى التاء، فى نحو: ﴿أَرَدتُّمۡ ﴾، فالقلقلة فى الباء والدال الساكنتين صفة قوة، ومن معرفتنا لماهية القلقلة وكيفية أدائها نعرف أن الإدغام لابد أن يكون من النوع التام؛ لأن بيان صفة القلقلة فى الحرفين لا يمكن إلا مع إظهارهما.

وإذا وردت روايتان إحداهما بالإدغام الناقص، والأخرى بالإدغام التام، فمن معرفتنا للصفات نستطيع التعرف على الصفة التى يمكن ظهورها مع المدغم فيه، عند القراءة بوجه الإدغام الناقص، فمثلاً: فى كلمة﴿ نَخۡلُقكُّم ﴾، فى سورة المرسلات، وردت قراءتها بالإدغام الناقص، والإدغام التام- وإن كانت رواية الإدغام التام أشهر- ومن معرفتنا لصفات القاف نعلم أن الصفة التى يمكن ظهورها مع الإدغام الناقص هى صفة الاستعلاء.

أما ما يرد فى بعض كتب التجويد من القول بأن (من فوائد معرفة الصفات: معرفة قوى الحروف وضعيفها ليعلم ما يجوز فيه الإدغام وما لا يجوز؛ لأن ما له قوة وَمَزِيَّة عن غيره لا يجوز أن يدغم فى ذلك الغير لئلا تذهب تلك المزيَّة)، فكلام فيه نظر؛ لأن الإدغام مرهون بالرواية، ولا يعرف إلا بالتلقى عن القراء المتصل سندهم بالنبى ﷺ، وليس مرهونًا بقوة الحروف وضعفها. وينبغى أن يفهم هذا القول على أن الحرف المدغم القوى يدغم فى الأضعف منه إدغامًا ناقصًا، حتى لا تذهب عنه تلك المزية، بشرط أن تأتى الرواية بالإدغام، (ولزيادة الإيضاح يمكنك الرجوع إلى ضوابط الإدغام الناقص بنهاية الباب السادس بالمجلد الثانى). ص١٣٨.

أمَّا إطلاق القول بأن القوى لا يدغم فى الضعيف، فهو وجه من وجوه الدراية العقلية الذى لا يوجب حكمًا، أو هو قول على سبيل الحكاية، لأن الرواية الثابتة والمقروء به كليهما يدلان على أن أئمة القراء مختلفون فى إظهار بعض الحروف، وإدغام الأخرى.

ولا يجب أيضًا أن نقلل من أهمية الدراية والقياس العقلى فى علم التجويد؛ لأن لكل رواية وجهًا من وجوه الدراية، يفسرها ويُترجم القواعد النظرية التى دوَّنها الأئمة العلماء فى كتبهم إلى ثمرات عملية، ينعكس أثرها على تلاوة القارئ، فتوافق الدراية الرواية.

تنقسم الصفات إلى قسمين:

قسم يضم الصفات اللازمة (وتسمى أيضًا الذاتية أو الأصلية)، وهى الصفات المكوَّنة لصوت الحرف، والتى لا يمكن إخراجه وولادته بدونها.

وقسم يضم الصفات العارضة (وتسمى أيضا الصفات غير اللازمة)، وهى التى تنشأ من تجاور الحرف مع غيره من الحروف، بحيث إذا انفصل الحرف عن مجاوره زالت عنه تلك الصفة، والصفات التى ذكر العلماء أنها صفات عارضة هى:

الإظهار– الإدغام– القلب– الإخفاء– التفخيم– الترقيق– المد– القصر– التحريك– السكون– السكت.

هل تتأثر الصفة اللازمة بالصفة العارضة؟

الجواب: نعم، وهناك أكثر من دليل على ذلك:

- مثل أن يكون بيان الصفة اللازمة مع السكون أبين من الحركة، بسبب أن الحرف الساكن يمكث في مخرجه زمنًا، فبيانه فى زمن سكونه، أما الحرف المتحرك فلا يمكث فى المخرج، لأن بيانه فى زمن حركته، ولذلك لا يتأثر الحرف المتحرك بأزمنة الصفات، لأن الحركة تسوَّى بين أزمنة الحروف المتحركة.
- ومثل ظهور القلقلة مع السكون وإعدامها مع الحركة؛ فالقلقلة صفة لازمة لحروفها، لا يمكن ولادة الحرف بدونها، ولكنها تتأثر بصفات الحرف العارضة مثل السكون والحركة.
- ومثل ظهور الهمس فى الكاف والتاء الساكنتين، وعدم ظهوره مع المتحركتين.

- ومثل تأثر ثمرة صفات الاستعلاء والإطباق والانفتاح بالحركات الثلاث، فالأثر الناتج عن الاستعلاء والإطباق أو الاستعلاء والانفتاح يتأثر بالحركات الثلاث، فالمستعلى المفتوح أفخم من المضموم، والمضموم أفخم من المكسور.
- وهناك صفات ذاتية تتأثر بالمجاورة، مثل تأثر الغنة بمجاورة النون والميم للحروف الأخرى، وما يترتب عليها من أحكام الإظهار والإدغام والقلب والإخفاء.
- ومثل تأثر الكاف والتاء وحروف القلقلة بالإدغام، وما يترتب عليه من تشديد، فلا يظهر الهمس فى الكاف والتاء المشدَّدتين نحو:﴿ٱلْمُتَّقِينَ ﴾،﴿يُدْرِككُّمُ ﴾. ولا تظهر القلقلة إذا جاء أحد حروفها مشددًا، نحو:﴿ أَطَّلَعَ ﴾، ﴿حُجَّةٌ ﴾، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ﴾، ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ﴾.

الصــفات اللازمــة:

عند دراستنا للحروف، باعتبار أنها حروف هجاء حكمها الانفصال عمّا قبلها أو ما بعدها، تنصَبُّ الدراسة على القسم الأول من الصفات، وهو المتعلق بالصفات اللازمة؛ ولأنَّ المتحكم والضابط لكل الصفات التى يتصف بها الحرف هو طبيعة الحيز المولد له، أى طبيعة مخرجه، فدراسة الصفات اللازمة تعنى بإيجاز أنها:

وصفٌ لماهية الصوت الناتج من اعتماد القارئ على حيز معين فى عضو من أعضاء النطق، وهو ما يعرف بالمخرج، وذلك من ناحية:

أولاً: درجة اهتزاز الحبلين تحت تأثير قوة أو ضعف اندفاع الهواء الآتى من الرئتين والمتجه إليهما بالإرادة، وهو ما يعرف بـ (الجهر والهمس).

ثانيًا: درجة الإعاقة للهواء الحامل للصوت، (المار أو المحتبس) بين طرفى المخرج وذلك تحت تأثير وضع الانغلاق التام، أو الجزئى، أو التوسط، أو وضع التباعد التام، وهو ما يعرف بـ (الشَّدَّة والرخاوة والتوسط).

ثالثًا: الصفات الأخرى اللازمة لولادة الحرف، والتى ذكرها العلماء، سواء كانت صفات متضادة أى متقابلة، أو صفات منفردة لا ضد لها.

فالحرف- فى الحقيقة- هو صوت، إذا وصفناه نجده يحمل مجموعة من الصفات، كل صفة تؤثر فى غيرها ويتأثر غيرها بها.

** لزيادة الإيضاح يمكنك الرجوع إلى كتاب الأسئلة صـ٢٦ سؤال (٤) وإجابته.

اختلاف العلماء فى عدد الصفات اللازمة:

اختلف العلماء فى عدد الصفات اللازمة: فمنهم من عدَّها سبع عشرة صفة، وهو الإمام ابن الجزرى، وتابعه على ذلك شراح المقدمة الجزرية، وغيرهم، وهى:

(١) الهمس (٢) الجهر (٣) الشِّدَّة

(٤) الرخاوة، والتوسط (بين الشِّدَّة والرخاوة). (٥) الاستعلاء

(٦) الاستفال (٧) الإطباق (٨) الانفتاح

(٩) الذلاقة (١٠) الإصمات (١١) الصفير

(١٢) اللين (١٣) الاستطالة (١٤) القلقلة

(١٥) الانحراف (١٦) التكرير (١٧) التفشِّى

ومن العلماء من نقص عن السبع عشرة وعدَّها أربع عشرة صفة، بنقص الذلاقة، والإصمات، والانحراف، واللين، وزيادة صفة الغنة.

ومنهم من عدَّها ست عشرة صفة، بنقص الذلاقة، والإصمات، وزيادة صفة لحرف الألف سماها صفة الهوائى.

وهناك من ذكر سبع عشرة صفة، إلا أنَّه نقص الذلاقة، والإصمات، والانحراف، واللين، وزاد أربع صفات، وهى: الغنة، الخفاء، التفخيم، الترقيق.

ونلاحظ أن التفخيم والترقيق من الصفات العارضة، والمقام مقام عدّ الصفات اللازمة.

ومنهم من زاد على ذلك العدد، وهو صاحب كتاب الرعاية، فإنه أوصلها إلى أربع وأربعين صفة.

واختار الجمهور ما اختاره الإمام ابن الجزرى، وهو أن عدد الصفات سبع عشرة صفة المذكورة سالفًا.

مع ملاحظة:

كل صفة لها أثر على المخرج، وبالتالى على الحبلين الصوتيين، لابد أن تؤثر فى صوت الحرف، وتسمى بـ(الصفة الصوتية).

وجميع الصفات التى ذكرها الإمام ابن الجزرى صفات صوتية، ماعدا الذلاقة والإصمات، لأنهما يتعلقان بالبناء الصرفى للكلمة العربية.

ولذلك لم نذكرهما عند دراسة الكيفيات، ومخرج كل حرف، ونلاحظ أن معظم الأئمة قد أسقطوهما فى عدِّ الصفات. ويرى بعض العلماء أن سبب إضافة الإمام ابن الجزرى لصفتى الذلاقة والإصمات، هو: الرغبة فى المساواة بين عدد المخارج (سبعة عشر مخرجًا)، وبين عدد الصفات. أمَّا الغنة فهي من الصفات الصوتية، ولذلك سنذكرها ضمن الصفات، وإن لم يذكرها الإمام ابن الجزرى.

تقسيم الصفات:

تنقسم الصفات اللازمة إلى قسمين: قسم له ضد، وقسم لا ضد له.

(أ) صفات لها ضد	(ب) صفات ليس لها ضد
(١) الجهر، وضدها الهمس.	(١) الصفير.
(٢) الشدة، وضدها الرخاوة، وبينهما التوسط.	(٢) القلقلة. (٣) اللين.
(٣) الاستعلاء، وضدها الاستفال.	(٤) الانحراف.
(٤) الإطباق، وضدها الانفتاح.	(٥) التكرير. (٦) التفشي.
(٥) الإذلاق، وضدها الإصمات	(٧) الاستطالة.
	(٨) الغنة.

وسوف نبدأ بشرح الصفات التى لها ضد أولاً، ثم بعد أن ننتهى من ذوات الأضداد نتناول الصفات التى لا ضد لها، فنقول وبالله التوفيق:

الصفات ذوات الأضداد:

(الجهــر والهمــس)

أولاً : صفة الجهر:

الجهر لغة: الإعلان والوضوح.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أى لا تعلنها، وترفع صوتك بها.

اصطلاحًا: اهتزاز الحبلين الصوتيين بقوة كافية لأن يتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت.

مستحق صفة الجهر (أى الثمرة العملية المستفادة): عدم جريان النفس عند النطق بالحرف.

حروفها: التسعة عشر حرفًا الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الهمس العشرة المجموعة فى قول الإمام ابن الجزرى:

مَهْمُوسُهَا فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ ....

ويفهم من ذلك: أن كل الحروف صفتها الجهر؛ ماعدا حروف العبارة المذكورة.

وجمع حروف الجهر بعض أهل العلم فى هذا القول:

(عَظُمَ وَزْنُ قَارِئٍ ذِى غَضٍّ جَدٍّ طَلِبِ)

أى رجح ميزان قارئ ذى غض للبصر، وقد اجتهد فى الطلب.

وصفة الجهر من (صفات القوة)، قال العلماء:

حروف الجهر مجهورة لقوتها من قوة الاعتماد عليها فى مخارجها، فتخرج بصوت قوى مجهور يمتنع النفس من الجرى معها.

وجهر بعض هذه الحروف أقوى من بعض، على قدر ما فى الحرف من صفات قوة، بجانب صفة الجهر.

فالطاء أقوى من الذال، وإن اشتركتا فى صفة الجهر، والسبب تميز الطاء عن الذال بالاستعلاء والإطباق والشِّدَّة، وقس على ذلك بقية الحروف المجهورة.

وهناك علاقة بين قوة الاعتماد والجهر، وعلاقة بين درجة الجهر وكمية الهواء الموظفة لنطق الحرف: فمع قوة الاعتماد تزيد قوة جذب هواء الزفير ناحية الحبلين

الصوتيين، وتزيد درجة الإعاقة أمام الهواء الحامل للصوت، فلا يوظف منه إلا كمية قليلة، فكلما قوى الاعتماد زاد الجهر وقلت كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف، فالحرف المجهور هواؤه قليل يتكيف كله بالصوت، وبالتالى:

جهر الحروف الشديدة أقوى من جهر الحروف الرخوة.

وكمية الهواء الموظفة لنطق الحرف الشديد المجهور أقل من كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف الرخو المجهور.

وجهر الحروف المستعلية أقوى من جهر الحروف المستفلة.

وجهر الحروف المطبقة أقوى من جهر الحروف المنفتحة.

ثانياً: صفة الهمس:

الهمس لغةً: الخفاء، ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾، أى إلا صوتًا خفيًا ضعيفًا.

وفى لسان العرب (لابن منظور) مادة (همس) (الهموس)، من أسماء الأسد لأنه يهمس فى الظلمة، ثم جعل ذلك اسمًا يعرف به، يقال: أسد هموس، كما قالوا: (بصير بالدجى هاد هموس).

اصطلاحًا: اهتزاز الحبلين الصوتيين بضعف شديد، فلا يتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت.

مستحق صفة الهمس (الثمرة العملية المستفادة): جريان النفس عند النطق بالحرف.

حروف صفة الهمس: الحروف العشرة المجموعة فى قول الإمام ابن الجزرى:

فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ ....

أصلها: سكت فحثه شخص، أى حرَّضه على الكلام، ولكن لضرورة الشعر أَتت فحثه شخص سكت.

وهى: الفاء- الحاء- الثاء- الهاء- الشين- الخاء- الصاد- السين- الكاف- التاء.

والهمس صفة من صفات الضعف، وسميت حروفه مهموسة لضعفها وجريان النفس معها عند النطق بها، لضعف الاعتماد عليها فى مخارجها.

وهمس بعض الحروف أقوى من بعض، على قدر ما فى الحرف من صفات ضعف بجانب صفة الهمس:

فأقوى الحروف همسًا أضعفها صفةً... فأقوى الهمس فى: الهاء، والفاء، والحاء، والثاء؛ لأن جميع صفاتها ضعيفة، وأقل الحروف همسًا: الصاد، لاستعلائها وإطباقها وصفيرها.

والحرف المهموس هواؤه كثير لا يتكيف كله بالصوت.

وهناك علاقة بين ضعف الاعتماد والهمس: فكلما ضعف الاعتماد زاد الهمس نتيجة لضعف حركة الحبلين الصوتيين، وكلما قوى الاعتماد قل الهمس نتيجة لقوة حركة الحبلين الصوتيين.

وبالتالى:

همس الحروف الشديدة أقل من همس الحروف الرخوة، وكمية الهواء الموظفة لنطق الحرف الشديد المهموس أقل من كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف الرخو المهموس.

وهمس الحروف المستعلية أقل من همس الحروف المستفلة.

وهمس الحروف المطبقة أقل من همس الحروف المنفتحة.

وبجمع (الجهر والهمس) معًا نخلص إلى:

تحقيق الفرق بين الحرف المجهور والحرف المهموس: أن نَفَس الحرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوى كان الحرف مجهورًا، وإن بقى بعضه بلا صوت كان الحرف مهموسًا. والحروف الهجائية مقسمة بين الصفتين، فما كان منها من حروف (فحثه شخص سكت) فهو مهموس، وما لم يكن منها فهو مجهور.

قال فى السلسبيل الشافى:

الهمسُ جَرْىُ نَفَسِ الحروفِ ... والْجَهْرُ حَبْسُ جَرْيِهِ الْمَعْرُوفِ

وكل الحروف المهموسة يتحقق فيها الهمس بصورة طبيعية عند الناطقين بالعربية إلا الكاف والتاء، فيحتاجان إلى دراية وتدريب سواء فى حالة سكونهما أو تحركهما.

(الشِّدّة والتوسط والرخاوة)

أولاً: صفة الشِّدّة:

الشدة لغة: القوة.

اصطلاحًا: إعاقة الهواء الموظف لنطق الحرف إعاقة تامة بسبب لزوم المخرج لوضع الانغلاق التام.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): احتباس الصوت احتباسًا تامًّا.

حروفها ثمانية، جمعها الإمام ابن الجزرى بقوله (أجد قط بكت)، حيث قال فى المقدمة الجزرية:

.... شَدِيدُهَا لَفْظُ أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ

وجمعها آخرون فى قولك: (أجدك قطبت)، وهى:

الهمزة، والجيم، والدال، والقاف، والطاء، والباء، والكاف، والتاء.

الشِّدَّة صفة من صفات القوة، سميت حروفها بالشديدة لاحتباس الصوت عن الجريان عند النطق بها لقوة الاعتماد عليها فى مخارجها، فمثلاً إذا قلت (اجْ- ا تْ) يتصادم طرفا المخرج لدرجة تحبس الصوت فلا يجرى معهما، وكذا مع أخواتهما.

قال العلماء: احتباس الصوت فى الحرف الشديد هو الاحتباس المؤقت الذى نحس به فى مخرج الحرف لحظة قصيرة بسبب التقاء طرفى المخرج التقاءً محكمًا، ومن أجل ذلك هى حروف آنِيَّة؛ لا يمكن إطالة الصوت معها، لما يصاحبها من احتباس النفس والصوت.

والحروف الشديدة لا تكمل إلا بالقلقلة؛ إن كانت مجهورة، ماعدا الهمزة، ولا تكمل إلا بالهمس، إن كانت مهموسة.

وحروف صفة الشِّدَّة بعضها أكثر شِدَّة من الآخر، بحسب ما فى الحرف من صفات القوة.

فأقوى الحروف الشديدة حرف الطاء، لاجتماع صفات القوة فيه ما لم يجتمع مع غيره. وأضعف الحروف الشديدة الكاف والتاء، بسبب همسهما.

فلولا الهمس فى الكاف والتاء لكانت كل الحروف الشديدة مجهورة.

والحرف الشديد (المجهور أو المهموس)، يحتبس الصوت والنَّفَس فيه أولاً، ولا يعرف (السامع) جهره من همسه إلا بما يأتى عقب الاحتباس، فإن كان زمن الاحتباس قصيرًا وخرج الصوت بالقلقلة كان الحرف شديدًا مجهورًا، وإن كان زمن الاحتباس طويلاً وخرج الهمس بعده كان الحرف شديدًا مهموسًا.أو بمعنى آخر: عقب الاحتباس إن خرج صوت، فهو مجهور، وإن خرج همس، فهو مهموس، وخروج الهمس دليل على ضعف الشِّدَّة، وهذا ما يحدث مع (الكاف والتاء)، والجهر والقلقلة دليلان على قوة الشِّدَّة، وهذا ما يحدث مع حروف القلقلة الخمسة قطب جد.

أمَّا الهمزة فقد منع العرب قلقتها، وزمنها هو آن احتباس الصوت فى مخرجها.

ثانياً: **صفة التوسط**:

التوسط لغةً: الاعتدال.

اصطلاحًا: إعاقة الهواء الموظف لنطق الحرف بسبب انغلاق المخرج، ثم زوال تلك الإعاقة لوجود فتحة فى المخرج ينفذ منها الصوت.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): احتباس الصوت احتباسًا ضئيلاً، ثم جريانه جريانًا ضئيلاً.

حروف صفة التوسط خمسة، جمعها الإمام ابن الجزرى بقوله (لن عمر)، حيث قال فى المقدمة الجزرية:

وبين رِخْوٍ والشَّدِيد لِنْ عُمَرْ ....

والعبارة (لن عمر) فيها الفعل (لِن)، فعل أمر من (لان يلين) أى كن سهلاً. ومعروف أن عمر ﷺ كان شديدًا فإذا لان عمر يصير كل من كان شديدًا ليِّنًا.

سميت الحروف الخمسة المتوسطة أو البينيَّة؛ لأن صوتها يحتبس احتباسًا ضئيلاً فى مكان، ثم يجرى جريانًا ضئيلاً فى مكان آخر، فتوسطت بين كمال الشدة وكمال الرخاوة، وزمنها يجمع بين العملين معًا، فزمنها أطول من زمن حروف الشِّدَّة التامة، وأقصر من زمن حروف الرخاوة التامة. وطبيعة وَخلقة مخرج الحروف الخمسة هو سبب توسطها، وحمل كل حرف صفة منفردة تدل على المكان الذى يجرى فيه الصوت عقب احتباسه، ماعدا العين، والسبب هو ضيق مخرج الحلق.

وأزمنــة حــروف التوســط متســاوية(فــى مجملهــا)، وجميعهــا: مســتفلة- منفتحــة- متوسطة- مجهورة. وحملت اللام (صفة الانحراف)، وحملت النون والميم (صفة الغنة)، وحملت الراء صفتين هما (الانحراف والتكرير)، فكانت أقوى حروف التوسط. والصفات الثلاث المذكورة (صفات قوة)، ولم تحمل العين صفة منفردة مثل الباقيات، ولذلك يجب أن تكون أخفاهن صوتًا، أى لا يمتلئ الفم بصوتها، مثل باقى حروف التوسط، نظرًا لضيق مخرجها مع بعده عن مقدم الفم، وإذا ضبط القارئ مخرج العين الصحيح وَجد أن هذا الأمر قد تحقق بدون إعمال منه.

وحـروف التوسـط- عمـومًا- قوَّتهـا أكبـر مـن ضـعفها، فعنـد عـدِّ الصـفات القويـة والضعيفة توضع صفة التوسط فى ميزان الصفات القوية.

وصفة التوسط هى الصفة الوحيدة التى لم تأخذ حقها فى التعريف فى كتب التجويد، بل إن أكثر الشارحين للجزرية لم يعدوها صفة عند عدِّ الصفات.

ثالثاً: صفة الرخاوة:

الرخاوة لغة: الطراوة والليونة.

اصطلاحًا: عدم إعاقة الهواء الموظف لنطق الحرف إعاقة تامة بسبب لزوم المخرج لوضع عدم الانغلاق التام.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): جريان صوت الحرف جريانًا تامًّا.

حروف صفة الرخاوة: هى الستة عشر حرفًا الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الشِّدَّة الثمانية، وحروف التوسط الخمسة.

وهى: ف ح ث هـ ش خ ص س ذ ز ض ظ غ و ى المدَّيَّتان والمحققتان،وحرف الألف .

وسماها العلماء بالحروف: الرِّخْوة والرَّخْوة والرُّخْوة.

فيصح فى الراء التفخيم والترقيق، والحركات الثلاث، ولكن الكسر أشهر.

والرخاوة صفة من صفات الضعف، وسميت حروفها بالرِخوة لضعف الاعتماد عليها فى المخرج حتى جرى معها الصوت، فكان فيه رخاوة، فمثلاً إذا قلت (اذْ) أو (اسْ)، تجد الصوت يجرى معهما وكذلك أخواتهما.

والحرف الرخو أطول الحروف الساكنة زمنًا.

وصفة الرخاوة لها دور فاعل فى تجويد اللفظ وإظهار الحروف التى يصعب النطق بها متجاورة؛ ففى مثل: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾، ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾، ﴿ٱضْطُرَّ﴾، ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾، ﴿مَسْجِدٍ﴾، فجريان الصوت فى الحروف الرخوة الساكنة فى الأمثلة المذكورة، وما شابهها، يمنع إدغامها فى مجاورها، أو اختلاط صوتهما.

وعند دراسة صفة الرخاوة ننظر إلى حروفها من ناحيتين:

من ناحية درجة الرخاوة، ومن ناحية زمن الرخاوة.

أ- بالنسبة لدرجة الرخاوة:

الحروف التى تخرج بتباعد الطرفين أكثر رخاوة من الحروف التى تخرج بتصادم الطرفين، فرخاوة حروف المد واللين الثلاثة أكبر من غيرها.

ورخاوة الحروف المحققة تتأثر بصفات القوة والضعف، فلكون الرخاوة صفة ضعف فهي تزيد مع الحرف الضعيف، وتقل مع الحرف القوى.

فرخاوة الحرف المجهور أقل من رخاوة الحرف المهموس.

ورخاوة الحرف المستعلى أقل من رخاوة الحرف المستفل.

ورخاوة الحرف المطبق أقل من رخاوة الحرف المنفتح.

وجميع الحروف الرخوة تشترك فى خاصية جريان الصوت فى سهولة ويسر، ولكن: سهولة جريان الصوت فى الحروف المقدَّرة أكبر من الحروف المحققة.

وفى الحروف الرخوة المهموسة أكبر من الحروف الرخوة المجهورة.

ونستطيع أن نقول: أقل الحروف الرخوة رخاوة هو حرف الضاد؛ لأنه:

مجهور- مستعلٍ- مطبق- مستطيل، وجميعها صفات قوة.

وأكثر الحروف الرخوة رخاوة هى حروف المد واللين الثلاثة؛ لأنها: تخرج بتباعد الطرفين، فلا يعاق صوتها ألْبتة.

ب- بالنسبة لزمن الرخاوة:

عند دراسة زمن الرخاوة لابد من إضافة مخرج الخيشوم؛ لأنه مخرج الغنة، وهى الجزء الرخو من النون والميم، ولكون الخيشوم مخرجًا مستقلاً عن مخرجى النون والميم

فيمكن إطالة زمن الغنة، أو تقصيره، بضوابط تحكمها نوع العلاقة بين النون والميم والحرف الآتى بعدهما. بتفصيل يذكر فى محله عند دراسة أحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم الساكنة.

وتقسم المخارج الرخوة إلى قسمين:

قسم المخارج المحققة: وهذه المخارج يقاس زمن الرخاوة فيها بالسماع والمشافهة، بحسب ميزان القراءة من ناحية السرعة والبطء.

قسم المخارج المقدَّرة، ويتضمن:

الجوف: ويقاس زمن رخاوة حروفه بالحركات، وأقله حركتان، وأكثره ست حركات، (بحركات الحروف من ضم وفتح وكسر، وليس بحركات الأصابع قبضًا وبسطًا).

الخيشوم: ويقاس زمن الصوت الذى يخرج منه- أى الغنة- بالمشافهة والسماع، بما يتفق مع حكم العلاقة بين النون والميم والحرف الآتى بعدهما من: إظهار، وإدغام، وإخفاء. فأزمنة الغنن ليست واحدة فى الأحكام الثلاثة.

* * *

وبعد دراستنا للصفات الخاصة بدرجة الاهتزاز (الهمس والجهر)، والصفات الخاصة بدرجة الإعاقة (الشِّدَّة والرخاوة والتوسط)، نخلص إلى الملاحظات الآتية:

(١) الحروف الشديدة (آنِيَّة)، لا يجرى معها الصوت ولا يمكن إطالة مقاطعها والتغنى بها وترديدها، وما عداها (زمانية) يجرى فيها الصوت زمنًا، وهى متفاوتة فى الجريان، ويمكننا إطالة مقاطعها والتغنى بها وترديدها، وتغيير طبقة الصوت فى كل مقطع عن الآخر[1].

والحروف الرخوة رخاوة تامة، أتم جريانًا من الحروف المتوسطة.

(٢) الحرف الشديد ينحصر صوته فى المخرج انحصارًا تامًّا، ولو وقفت عليه لوجدت الصوت راكدًا محصورًا، حتى لو أردت أن تمد صوتك به ما أمكنك، فلا بد له من

---

[1] فى علم الموسيقا يقوم الملحن أو الموسيقار بتوزيع النغمات وتغيير الأصوات وإطالتها مع الحروف الرخوة فقط، ولا يمكنه فعل ذلك مع الحروف الشديدة، ولذلك قالوا: الحروف الشديدة آنية، والحروف الرخوة زمانية.

مكمل، فإن كان شديدًا مجهورًا فمكمله (القلقلة)، وإن كان شديدًا مهموسًا فمكمله (الهمس).

(٣) الحرف المتوسط به شدة ضئيلة ومكمله الرخاوة الضئيلة؛ لأنك إن وقفت عليه وجدت الصوت لا يجرى كالحروف الرخوة ولا ينقطع كالحروف الشديدة، وإنما يجرى على حد الاعتدال، أى التوسط.

قال صاحب السلسبيل الشافى:

والرِّخْوُ جَرىُ الصوتِ والشِّدَّةُ لاَ والْوَسْطُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ حَصَلاَ

(٤) كل الحروف الشديدة مجهورة، ماعدا الكاف والتاء، فهما مهموستان.

وكل الحروف الرخوة مجهورة، ماعدا (فحثه شخص س)، فهي مهموسة.

وكل الحروف المتوسطة مجهورة.

(٥) كل حرف ساكن لابد له من زمن يمكث فيه الصوت فى مخرج الحرف، ويتوقف هذا الزمن، على طبيعة مخرجه من ناحية:

(الشدة والرخاوة والتوسط)، (الجهر والهمس).

فالحرف المجهور هواؤه قليل والحرف المهموس هواؤه كثير. وكمية الهواء الموظفة لنطق الحرف المجهور أقل من كمية الهواء الموظفة لنطق الحرف المهموس.

فلابد أن يكون زمن الحرف المهموس أطول من زمن الحرف المجهور.

والحروف الرخوة المهموسة أطول زمنًا من الحروف الرخوة المجهورة.

والحروف الشديدة المهموسة أطول زمنًا من الحروف الشديدة المجهورة.

والحروف الرخوة المهموسة أزمنتها متساوية، على الإجمال.

والحروف الرخوة المجهورة (المحققة) أزمنتها متساوية، على الإجمال.

والحروف الرخوة المجهورة (المقدَّرة)، أزمنتها متساوية.

والحروف الشديدة المجهورة أزمنتها متساوية، على الإجمال.

والحروف الشديدة المهموسة أزمنتها متساوية.

والحروف المتوسطة مجهورة وأزمنتها متساوية، على الإجمال.

وكميزان عام:

جملة الحروف الرخوة أطول زمنًا من جملة الحروف المتوسطة.

وجملة الحروف المتوسطة أطول زمنًا من جملة الحروف الشديدة.

وكل ذلك بما يتناسب وميزان القراءة من ناحية التحقيق، والتدوير، والحدر، وهذا الميزان من دقائق علم التجويد ويحاجة إلى دربة واعتياد حتى يستطيع القارئ أن يطبقه جيدًا، ويصبح لسانه طليقًا به.

(٦) بعرض الحروف الهجائية على الصفات الخمس نجد أن:

كل حرف لابد أن يحمل صفة واحدة من (الهمس والجهر)، وصفة واحدة من (الرخاوة، والشدة، والتوسط).

(الاستعلاء والاستفال)

و (الإطباق والانفتاح)

والصفات الأربع تصف أثر وضع اللسان داخل الفم على سِمَن صوت الحرف، أى (تفخيمه)، ونحول صوت الحرف، أى (ترقيقه).

وقبل البدء فى تناول كل صفة منها لابد من أن يقف القارئ على بعض الأمور، نوجزها فيما يلى:

أقصى اللسان هو بداية التجويف الفموى الذى لابد أن يمر به الهواء الموظف لنطق الحرف قبل أن يتابع طريقه إلى الخارج، واستعلاؤه يؤدى إلى ضيق مؤخرة التجويف الفموى، وإلى ضيق المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى، وضيق التجويف الفموى بالجملة، بدرجات متفاوتة، على حسب مخرج الحرف الذى يصاحبه الاستعلاء.

ومصاحبة استعلاء أقصى اللسان بالإرادة لمخرج الحرف تؤدى إلى زيادة فى درجة الاعتماد، فتقل كمية الهواء وتزيد درجة الإعاقة فتحدث تقوية فى الصوت، ومع اندفاعه إلى خارج الفم يكون أقصى اللسان بمثابة الحائط فيصطدم فيه الصوت المندفع بقوة ليرتد إلى غار الحنك الأعلى محدثًا صدى يمتلئ الفم به فيخرج صوت الحرف سمينًا مفخمًا.

إنْ صاحَبَ استعلاء أقصى اللسان استعلاء طرفه: زادت درجة الاستعلاء، وضاقت المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك، وزادت درجة انحصار الصوت بينهما، وزادت قوة امتلاء الفم بصدى الصوت (وهذا ما يحدث مع حروف الاستعلاء المطبقة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء).

أمَّا إن صَاحَبَ استعلاء أقصى اللسان استفال طرفه: قلت درجة الاستعلاء، واتسعت المسافة بين صفحة اللسان وغار الحنك، وقلت درجة انحصار الصوت بينهما، وقلت قوة امتلاء الفم بصدى الصوت (وهذا ما يحدث مع حروف الاستعلاء المنفتحة: القاف، والغين، والخاء).

ومخرج الحرف المستعلى هو الضابط لاستفال الطرف أو استعلائه؛ فالقارئ عند النطق بالحرف المستعلى يقوم بعملين: ضبط الاعتماد على طرفى مخرج الحرف، مع الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة.

وليس المقصود بصفة الاستعلاء استعلاء أى جزء من اللسان كوسطه، أو طرفه، أو استعلاء أقصى اللسان الطبيعى، أو اللا إرادى المصاحب لبعض الحروف، مثل حرف الواو وحرف الكاف، ولكن الاستعلاء المقصود، هو: استعلاء أقصى اللسان بالإرادة، فهذا هو الذى يصاحبه التفخيم.

والاستعلاء عمل زائد يتم مع مخرج الحرف المراد تفخيمه، وهذا يعنى- عمليًا- إمكانية مصاحبة استعلاء أقصى اللسان لكل حرف؛ فما هو الضابط لهذا الاستعلاء وما يترتب عليه من تفخيم؟

الضابط لصفتى الاستعلاء والاستفال هو المنقول عن الأئمة المتصل سندهم بقراءة النبى ﷺ ، فقد نقلوا لنا أن الأحرف السبعة المجموعة فى (خص ضغط قظ)، وهى:

الخاء، الصاد، الضاد، الغين، الطاء، القاف، الظاء، حروف استعلاء مفخمة، أما غيرها فحروف استفال مرققة.

ولذلك فنحن نلتزم فى قراءتنا للقرآن بتفخيم ما فخمه النبى ﷺ وترقيق ما رققه.

ومن هنا نعلم أن للاستعلاء والاستفال ميزانًا لا نتجاوزه عند نطق الحروف، وبخاصة عند تجاور الحروف، فلا نستعلى بأقصى اللسان مع المستفل لمجاورته حرفًا مُستَعليًا، فيخرج الحرفان مفخمين، وكذلك لا نستفل بأقصى اللسان مع المستعلى لمجاورته حرفًا مستفلاً فيخرج الحرفان مرققين. والواجب إعطاء كل حرف حقه، وتخليصه مما جاوره، فلا تَغْلِب صفةُ أحدِهما صفةَ الآخر.

وأشار صاحب السلسبيل إلى ذلك بقوله :

إِيَّاكَ أَنْ تُفَخِّمَ المُسْتَفِلاَ إِنْ كَانَ الإِسْتِعْلاَ بِهِ مُتَّصِلاَ

وسنشرع الآن فى بيان كل صفة من الصفات الأربع المذكورة :

أولاً: صفة الاستعلاء:

الاستعلاء لغةً: الارتفاع والعلو.

اصطلاحًا: استعلاء أقصى اللسان بالإرادة عند النطق بالحرف.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): التفخيم، وهو سِمَن يعترى صوت الحرف فيمتلئ الفم بصداه.

حروفه: سبعة، جمعها الإمام ابن الجزرى بقوله: (خص ضغط قظ)، حيث قال فى المقدمة الجزرية:

.... وَسَبْعُ عُلْوٍ خُص ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ

وصفة الاستعلاء (صفة قوة)، وسميت حروفها بالمستعلية لاستعلاء الصوت معها، بما نقل عن قراءة النبى ﷺ .

ثانياً : صفة الاستفال:

الاستفال لغةً: الانحطاط والانخفاض.

اصطلاحًا: هو الصفة الضد للاستعلاء، بمعنى عدم استعلاء أقصى اللسان بالإرادة عند النطق بالحرف.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): الترقيق، وهو نحول يعترى صوت الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه.

حروف الاستفال: الباقية من حروف الهجاء بعد أحرف الاستعلاء السبعة المتقدمة وبعد الألف الجوفية، وهى واحد وعشرون حرفًا:

ء ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ع ف ك ل م ن هـ و ى

وصفة الاستفال (صفة ضعف)، وسميت حروفه بالمستفلة لاستفال الصوت معها.
وتنقسم الحروف المستفلة (بما نقل عن قراءة النبى ﷺ) إلى:
حروف مستفلة لها أحوال تفخيم وأحوال ترقيق، وهى (اللام والراء).

وحروف مستفلة مرققة على كل حال، وهى الباقية من حروف الاستفال الواحد والعشرين بعد استبعاد اللام والراء.

أما بالنسبة لحرف الألف: فهو تابع لما قبله فى استعلائه، واستفاله، وإطباقه، وانفتاحه، وبالتالى فى تفخيمه وترقيقه، ولذلك كانت الألف التابعة لحرف مستعلٍ مطبق أفخم من الألف التابعة لحرف مستعل منفتح، وكانت الألف التابعة لحرف مستفل منفتح مرققة. والسبب فى ذلك: أن الألف هى الحرف الوحيد الذى ليس له عضو نطق يشارك الجوف، وليس له مخرج متصادم الطرفين، وبالتالى لا يعاق صوته فى موضع توصف الحروف التى تخرج منه باستعلاء، أو استفال، أو إطباق، أو انفتاح؛ ولذلك لا تدخل الألف فى عدَّ

حروف الاستفال الباقية بعد حروف الاستعلاء السبعة المعروفة، ولا تدخل فى عدِّ حروف الانفتاح الباقية بعد حروف الإطباق الأربعة (الطاء والضاد والظاء والصاد).

ثالثاً : **صفة الإطباق**:

الإطباق لغةً: الالتصاق.

اصطلاحًا: انحصار الصوت وانضغاطه بين صفحة اللسان وغار الحنك، بسبب زيادة في الاستعلاء، نتيجة: انطباق جملة اللسان، أو معظمه على غار الحنك، أو محاذاته محاذاة شديدة، بحسب مخرج الحرف المستعلى، والإطباق لابد أن يلازمه استعلاء.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): زيادة فى التفخيم.

حروف الإطباق: أربعة، وقد ذكرها الإمام ابن الجزرى فى قوله:

وصادُ ضادٌ طاءُ ظاءٌ مُطْبَقَةْ ....

بفتح الباء من (مطبقة) وكسرها، ويترك تنوين الأول والثالث للوزن.

ولم يركب الإمام ابن الجزرى الحروف الأربعة فى جملة لعدم حصول معنى فى تركيبها ولثقلها على اللسان. وجمعها غيره فى أول الكلمات الأربع الواردة فى الشطر الأول من البيت التالى :

صَادَ الضَّعيفُ طِائرًا ظَفْرًا به سُبْحانَ مَنْ أعلاهُ عن أترابه

وصفة الإطباق (صفة قوة)، وسميت حروفه بالمطبقة لانحصار صوتها بين صفحة اللسان وغار الحنك، مما زاد تفخيمها، مقارنة بغيرها من حروف الاستعلاء.

ويمكننا أن نقول: إن الحرف المطبق هو المستعلى استعلاءً زائدًا مقارنة بباقى أحرف الاستعلاء، فإذا ذكرت صفة الإطباق منفردة فلابد أن تشمل (الاستعلاء والإطباق)، فكل حرف مطبق مستعلٍ، وسبب الإطباق هو مخرج الحرف المستعلى، وذلك لاستعلاء طرف اللسان مع استعلاء أقصاه بدرجات متفاوتة، بحسب موضع مخرج الحرف.

فالقارئ عندما يريد النطق بحرف مطبق ما عليه إلا ضبط مخرج الحرف مع استعلائه بأقصى لسانه بالإرادة، فيأخذ الحرف درجته فى الاستعلاء وفى الإطباق معاً، وما يترتب عليهما من تفخيم، بدون زيادة أو نقص.

رابعاً : صفة الانفتاح:

الانفتاح لغةً: الافتراق.

اصطلاحًا: هو الصفة الضد للإطباق، فتعنى عدم انحصار الصوت، أو عدم انضغاطه بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى، بسبب تجافى جملة اللسان، أو معظمه، عن غار الحنك الأعلى، بحسب مخرج الحرف.

مستحق الصفة (الثمرة العملية المستفادة): ضعف امتلاء الفم بصوت الحرف.

حروفه: الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإطباق الأربعة المتقدمة.

وهى ـ ماعدا الألف الجوفية ـ أربعة وعشرون حرفًا:

ء ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ع غ ق ك ل م ف ن هـ و ى.

وجمعت فى قولهم: من أَخذ وجد سعت فزكَ حق له شرب غيث.

وتنقسم حروف الانفتاح إلى قسمين:

حروف مستعلية، وهى: القاف والغين والخاء.

وحروف مستفلة، وهى: الحروف الباقية.

وصفة الانفتاح (صفة ضعف)، وسميت حروفه بالمنفتحة لعدم انحصار صوتها، أو لعدم انضغاطه بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى.

ولكون الانفتاح يتناسق وينسجم مع الاستفال والترقيق، ولأن الاستعلاء صفة قوة والانفتاح صفة ضعف :

أ- كان انفتاح الحروف المستعلية (انفتاحًا جزئيًّا)، يظهر أثره فى ضعف تفخيمها، مقارنة بأخواتها من حروف الاستعلاء المطبقة.

ب- وكان انفتاح الحروف المستفلة (انفتاحًا كليًّا)، لما بين الاستفال والانفتاح من تناسب.

ويجمع الصفات الأربع (الاستعلاء والاستفال)، و(الإطباق والانفتاح)، نخرج بالثمرات التالية: وعددها خمس ثمرات.

الثمرة الأولى:

حروف الاستعلاء السبعة تنقسم إلى مجموعتين:

أ-مجموعة الحروف المستعلية المطبقة، وتضم الحروف الأربعة التى تخرج من طرف اللسان، أو بمشاركة طرف اللسان، وهى:

(الطاء، والظاء، والضاد، والصاد)، فمع استعلاء أقصى اللسان بالإرادة بقصد التفخيم يستعلى اللسان كله بدرجات متفاوتة، بحسب مخرج كل حرف ومدى قربه أو بعده عن غار الحنك.

ب- مجموعة الحروف المستعلية المنفتحة، وتضم الحروف الثلاثة التى تخرج من منطقة أدنى الحلق وأقصى اللسان، ويستفل معها طرف اللسان، مع استعلاء أقصاه بالإرادة بغرض التفخيم. وهذه الحروف هى:

(القاف، والغين، والخاء).

وتفخيم كل حرف يكون على قدر الاستعلاء المصاحب له، فكلما كان الاستعلاء أبلغ كان التفخيم أقوى، فحروف الاستعلاء المطبقة أقوى فى التفخيم من حروف الاستعلاء المنفتحة؛ لأن امتلاء الفم بصدى الحرف المستعلى المطبق أقوى من امتلاء الفم بصدى الحرف المستعلى المنفتح.

وهذا ما يؤكده الإمام ابن الجزرى، حيث قال:

وَحَرْفَ الاِسْتِعْلاَءِ فَخِّمْ وَاخْصُصَا الإِطْبَاقَ أَقْوَى نَحْو قَالَ وَالْعَصَا

والمعنى: حروف الاستعلاء مفخمة على كل حال، وحروف الإطباق تختص بتفخيم أقوى.

وضرب مثالاً لحرف مستعلٍ منفتح، وهو القاف فى نحو﴿ قَالَ ﴾، ومثالاً لحرف مستعلٍ مطبق، وهو الصاد فى نحو﴿ عَصَاىَ ﴾، فيكون تفخيم الصاد أقوى من تفخيم القاف.

ولابد أن يحافظ القارئ على أمرين:

١- أن يكون هناك فرق فى درجة التفخيم بين الحرف المستعلى المطبق، والحرف المستعلى المنفتح، وهذه لا تتأتى إلا بضبط مخرج الحرف مع الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة، ويكون العملان فى آنٍ واحد.

٢- أن يحرص القارئ على أن يجعل انضغاط الصوت فى داخل التجويف الفموى بين ظهر اللسان وغار الحنك ولا يتجه بالصوت مباشرة إلى الخيشوم عند استعلائه بأقصى اللسان فيخرج الصوت مخلوطًا بالغنة.

وننبه إلى أن بعض المؤلفين يطلقون على اصطلاح الاستعلاء (التفخيم)، وعلى اصطلاح الاستفال (الترقيق)، وهذا لا يصح؛ لأنه بذلك قد جعل الاستعلاء مرادفًا للتفخيم، والاستفال مرادفًا للترقيق، وهذا خلط بين العمل وثمرته، أو بين السبب والمسبَّب، فالعمل:

الاستعلاء والاستفال، وثمرة الأول التفخيم، والثانى الترقيق.

الثمرة الثانية:

الاستعلاء والإطباق من صفات القوة، وعند اجتماعهما تتوقف ثمرتهما، وهى التفخيم الزائد، على ما يحمله الحرف من صفات قوة، أو صفات ضعف.

فالحرف المستعلى المطبق المجهور الشديد أقوى استعلاءً، وبالتالى أقوى تفخيمًا من الحرف المستعلى المطبق المجهور الرخو.

والمجهور الرخو أقوى استعلاءً من المهموس الرخو، وبالتالى أقوى تفخيمًا منه، ولذلك كانت الطاء أقوى تفخيمًا من الضاد لشدة الطاء ورخاوة الضاد، والضاد أقوى تفخيمًا من الظاء لقوة استعلاء الضاد بالاستطالة، والظاء أقوى تفخيمًا من الصاد، لسببين: الأول: جهر الظاء، وهمس الصاد.

الثانى: مخرج الظاء أقوى استعلاءً إلى غار الحنك من الصاد؛ لأن الظاء تخرج من رأس طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ومخرج الصاد أخفض منها (من رأس طرف اللسان مع ما بين أطراف الثنايا العليا والسفلى).

وهناك من يرى أن الصاد أفخم من الظاء، ولكننا نجد أن أثر الكسر على الصاد فى نحو ﴿صِرَٰطٍ﴾ أقوى من أثره على الظاء فى نحو﴿عَظِيمٌ﴾ ، وهذا دليل آخر على أن الظاء أفخم من الصاد، فمن المعلوم: كلما قوى استعلاء الحرف قل أثر الكسر عليه.

وصفة الانفتاح (صفة ضعف)، وتتوقف ثمرة اجتماع الاستعلاء مع الانفتاح، وهو ضعف التفخيم على ما يحمله الحرف من صفات قوة، أو صفات ضعف.

فالحرف المستعلى المنفتح الشديد المجهور أقوى استعلاءً وأقل انفتاحًا من الحرف المستعلى المنفتح الرخو المجهور.

والرخو المجهور أقوى استعلاءً وأقل انفتاحًا من الرخو المهموس.

ولذلك كانت أقوى الحروف المستعلية المنفتحة القاف لجهرها مع شدتها، ثم يأتى بعدها الغين لرخاوتها، ثم تأتى الخاء لهمسها.

والخلاصة: الحروف المستعلية المطبقة أعلى استعلاءً من الحروف المستعلية المنفتحة.

وترتيب حروف الإطباق المستعلية كالتالى: الطاء، ثم الضاد، ثم الظاء، ثم الصاد.

وترتيب حروف الانفتاح المستعلية كالتالى: القاف، ثم الغين، ثم الخاء.

فإذا ضبط القارئ مخرج الحرف المستعلى وضبط معه ما يستحقه من صفات (الجهر والهمس والشِّدَّة والرخاوة)، وغيرها من الصفات المنفردة الأخرى، كالقلقلة، والاستطالة، والصفير، وإذا جعل القارئ استعلاء أقصى اللسان بالإرادة بغرض التفخيم مصاحبًا للتصادم فى مخرج الحرف أخذ كل حرف ما يستحقه من استعلاء، وبالتالى من تفخيم دون عناء أو مشقة، ولا شىء أكثر من ذلك.

مع ملاحظة أن الدراسة فى هذا الباب (باب الصفات) تتناول الصفات الأربع لحروف الاستعلاء السبعة كحروف هجاء ساكنة حكمها الانفصال عما قبلها، أو ما بعدها، أمَّا أثر الحركة على درجات التفخيم فسوف نتناوله إن شاء الله فى الباب القادم تحت عنوان (التفخيم والترقيق).

الثمرة الثالثة:

الفرق بين (الإطباق والاستعلاء)

الفارق بين الصفتين: أن الإطباق سببه: موضع مخرج الحرف فى داخل الفم.

أما الاستعلاء فسببه: استعلاء القارئ بأقصى اللسان بالإرادة، ومع الإطباق تزيد درجة الاستعلاء، ولا ينفك الإطباق عن الاستعلاء، بمعنى أنه لا وجود للإطباق بدون استعلاء، فى حين أن الاستعلاء ممكن وجوده بدون إطباق، ولذلك:

كل حرف مطبق مستعلٍ، وليس كل حرف مستعل مطبقًا، فالإطباق أبلغ وأخص من الاستعلاء، أما كونه أبلغ فلأن الحرف المطبق يلزمه مبالغة فى الاستعلاء، ولذلك خصت

حروف الإطباق بتفخيم أقوى، فالصوت يستعلى وينطبق. أما كونه أخص فذلك لأنه يلزم مع الإطباق الاستعلاء، ولا يلزم مع الاستعلاء الإطباق.

الثمرة الرابعة:

الفرق بين (الانفتاح والاستفال)

الفارق بين الصفتين: أن الانفتاح سببه: موضع مخرج الحرف داخل الفم والحلق (بالنسبة للحروف المستعلية)، وعدم الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة (بالنسبة للحروف المستفلة).

أما الاستفال فسببه: عدم قيام القارئ باستعلاء أقصى اللسان بالإرادة، فكل حرف لا يقوم معه القارئ بالاستعلاء الإرادى بقصد التفخيم تسمى حالة أقصى اللسان عندئذٍ (حالة استفال)، حتى ولو استعلى أقصى اللسان، أو قريبًا منه (لا إراديًّا)، كما يحدث فى بعض الحروف.

وإذا استفل أقصى اللسان فالحرف منفتح مطلقًا، أمَّا إن استعلى بالإرادة فلا يعد منفتحًا إلا إذا استفل طرف اللسان معه، ولذلك:

كل الحروف المستفلة منفتحة، وليست كل الحروف المنفتحة مستفلة.

تعـــليق :

*** يوجد فى بعض الكتب مَنْ يقول: "فى وصف حروف الاستعلاء مجازٌ؛ لأن المستعلى فى الحقيقة هو اللسان، وأما الحروف فمستعلٍ عندها اللسان، فكان حق التعبير أن يقال: الحروف المستعلى عندها اللسان، ولكن حصل اختصار فقيل الحروف المستعلية. وفى وصف الحروف بالإطباق مجاز، لأن المطبق هو اللسان فى الحقيقة، وأما الحروف فمطبق عندها اللسان، فكان حق التعبير أن يقال: الحروف المطبق عندها اللسان، ولكن حصل اختصار فقيل الحروف المطبقة". انتهى بنصه.

وردًّا على هذا القول:

وصف حروف الاستعلاء بالحروف المستعلية، وحروف الاستفال بالحروف المستفلة، وكذلك وصف حروف الإطباق بالحروف المطبقة حقيقةٌ لا مجاز؛ لأن الحرف ما هو إلا صوتٌ اعتمد على مخرج، فإذا استعلى اللسان استعلى المخرج، واستعلى الصوت المعتمد

عليه، أى استعلى الحرف، وكذلك إذا استفل اللسان، أو انطبق، فكل ما يحدث للمخرج هو فى الحقيقة يحدث للصوت المعتمد على هذا المخرج الذى هو الحرف.

*** وأيضًا يوجد فى بعض الكتب من يقول: إن وصف حروف الحلق بالمستعلية، أو بالمستفلة لا يصح؛ لأن الاستعلاء والاستفال صفتان خاصّتان باللسان لا بالحلق. انتهى بتصرف.

وردًّا على هذا القول نقول:

لا خطأ فى وصف حروف الحلق بالمستعلية أو بالمستفلة؛ لأن الاستعلاء أو الاستفال عمل فى أقصى اللسان يؤثر فى مخرج الحرف سواء كان فى الحلق، أوفى الشفتين، أو فى اللسان.

الثمرة الخامسة:

الفرق بين (الترقيق والإمالة)

الترقيق: هو نحول يعترى صوت الحرف نتيجة لاستفال أقصى اللسان، أو لعدم الاستعلاء بأقصى اللسان بالإرادة.

أما الإمالة: فهي: أن تنحو بالفتح، أو بالألف ناحية الكسر، أو الياء كثيرًا (إمالة كبرى)، فتسمع صوت الفتح أو الألف به صوت الياء، أو قليلاً (إمالة صغرى)، فلا نسمع صوت الياء، ولكن ينحل الصوت جدًّا.

ولا يكون الترقيق إلا مع الاستفال.

أمَّا الإمالة فتكون مع حروف مستفلة، كإمالة الألف فى نحو:﴿ مُوسَىٰ ﴾،﴿ عِيسَىٰ ﴾، وتكون مع حروف مستعلية، كإمالة الألف فى نحو:﴿ قَضَىٰ ﴾، ﴿ تُلْقِىَ ﴾.

وبين الترقيق والإمالة قاسم مشترك، وهو: انحدار صوت الحرف إلى أسفل أو إلى قاع الفم؛ ولذلك:

إذا اجتمعت الإمالة مع الاستفال، نحو:﴿ عِيسَىٰ ﴾، ﴿ مُوسَىٰ ﴾ازداد ترقيق الحرف المستفل وازداد انفتاحه.

وإذا اجتمعت الإمالة مع الاستعلاء والإطباق، كما فى نحو: ﴿ قَضَىٰ ﴾، ﴿ وَعَصَىٰ ﴾، قلَّ تفخيم الحرف المستعلى وفقد إطباقه.

وإذا اجتمعت الإمالة مع الاستعلاء والانفتاح، كما فى نحو:﴿ فَتَلَقَّىٰ ﴾،﴿ خَابَ ﴾، قلَّ تفخيم الحرف المستعلى وازداد انفتاحه.

(الذّلاقة والإصمات)

أولاً: صفة الذّلاقة:

الذَّلاقة لغةً: جاء فى المعجم الوسيط: الذَّلاقة:مصدر ذَلَقَ، وذَلَق اللسانُ: كان حادًّا طلقًا.

اصطلاحًا: سرعة النطق بالحرف وخفته لخروجه من ذَلَقِ اللسانِ، وما يليه من الشفتين باعتبارهما نهاية جهاز النطق، فَذَلَقُ كل شىء طَرَفُه.

حروفها: ستة: الفاء والراء والميم والنون واللام والباء، وتسمى بالحروف (الذُّلْق) بضم الذال مشددة وسكون اللام.

جمعها صاحب الرعاية فى هجاء: (نَمَرْ فَبَلْ) أو(مَلْ فَنَبَر)، وجمعها الإمام ابن الجزرى فى قوله: (فَرَّ من لُب)، حيث قال فى المقدمة الجزرية:

.... وَفَرَّ مِنْ لُبِّ الحُرُوفِ المذْلَقَهْ

قال صاحب نهاية القول المفيد:

"جمعها ابن الجزرى فى ثلاث كلمات وهى (فَرَّمِن لُب) ومعناها: هرب الجاهل من ذى لب، أى من ذى عقل؛ لأن (اللُّب)، بضم اللام العقل. ويمكن أن يكون المعنى: فَرَّ من الخلق من له عقل وعرف الحق، ففيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

وقال بعض العلماء: إذا حمل المعنى "فَرَّ من الخلق من له عقل وعرف الحق" يكون ضبط الكلمات "فرَّ مَن لَبَّ " وهذا لا يصح لأن (لَبَّ) فعل ماضٍ مقصور، وصوابه أن يرسم هكذا "لبَّى" وحينئذٍ يلزم عدّ الألف اللينة من حروف الإذلاق، وهذا لا يصح، ولقد جمعها فضيلة الشيخ على شحاته السمنودى[1] فى قوله: "نَلْ بِرَّ فَم"، أى نَلْ (وهو فعل أمر من النوال) بِرَّ فَمْ أى الكلمة الطيبة لأنها بِرُّ الفم.

ولم يعدُّوا الواو من حروف الذلاقة: للاختلاف على مخرجها بين مخرج الجوف والشفتين، ولكونها تأتى ساكنة مدية لينة، وتأتى لينة فقط، وفيها مع كل حالة إعمال

---

[1] هو إبراهيم بن على بن على بن شحاتة السمنودى عالم كبير فى علم التجويد والقراءات مصرى الجنسية. وله تآليف نفيسة فريدة مفيدة ، منها: حل العسير من أوجه التكبير – تتمة فى تحرير طرق ابن كثير وشعبة – لآلئ البيان فى تجويد القرآن – تنقيح فتح الكريم فى تحرير أوجه القرآن العظيم بالاشتراك مع شيخنا فضيلة الشيخ عبد العزيز الزيات والشيخ عامر السيد عثمان، وهو من أحسن المؤلفات التى وضعت لتحرير أوجه طيبة النشر فى القراءات العشر.

يختلف عن الأخرى. مع وجود ثقل فى ضبط مخرجها لاحتياجها إلى عملين: ضم الشفتين، أو استدارتها، مع فرجة فى الوسط.

سبب التسمية :

سميت هذه الحروف الحروف المذلقة، أو حروف الذَّلاقة، أو الإِذْلاق لذلاقتها، أى خفتها وسرعة النطق بها لخروج بعضها من ذَلَق اللسان، وهى: اللام، والنون، والراء، وخروج الأخرى من الشفتين، وهى: الميم، والباء، والفاء؛ فهي أخف الحروف فى النطق.

وقال صاحب الرعاية: (فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه فى النطق كثرت فى أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسى التام يعرى منها، أو من بعضها. وقد قال (ابن جنى) فى سر الصناعة: وفى هذه الحروف الستة سِرٌّ طريف ينتفع به فى اللغة، وذلك أنك متى رأيت اسمًا رباعيًّا أو خماسيًّا غير ذى زوائد فلابد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان ثلاثة، وذلك نحو: (جَعْفَر)، فيه الفاء والراء و(قَعْضَب)، فيه الباء، و(سَلْهَب)، فيه اللام والباء، و(سَفَرْجَل)، فِيه الفاء والراء واللام، و(فَرَزْدَق): فيه الفاء والراء، و(هَمَرْجَل)، فيه الميم والراء واللام، و(قِرْطِعْب)، فيه الراء والباء. وهكذا عامة هذا الباب. فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرّاةً من بعض هذه الأحرف الستة فاقضِ بأنه دخيل فى كلام العرب وليس منه. فهذا أصل فافهمه). انتهى من الرعاية بتصرف.

ثانياً : **صفة الإصمات** :

الإِصمات لغةً: المنع؛ لأن الإصمات مشتق من الصمت، والصمت معناه: السكوت، أى المنع من الكلام، تقول: صَمَتُّ عن الكلام، أى منعت نفسى عنه.

اصطلاحًا: الممنوعة من أن تنفرد بنفسها فى كلمة فى لغة العرب إذا كثرت حروفها لصعوبتها على اللسان.

حروفه: الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الذلاقة الستة، وذلك بعد استبعاد حرف الألف.

كما قال الإمام مكى فى الرعاية:

"الألف خارجة عن المذلقة والمصمتة؛ لأنها هواء لا ينحصر صوتها فى عضو، ولا مستقر لها فى مخرج"، أى لا حيز لها فى مخرج محقق.

سبب التسمية :

جاء فى الرعاية: أنها حروف أصمِتت، أى منِعت أن تختص ببناءِ كلمةٍ فى لغةِ العرب، إذا كثُرَت حروفُها لاعتياصِها على اللَّسانِ، فهي حروفٌ لا تَنْفَرِدُ بِنَفسِها فى كلمةٍ كثيرةِ الحُروفِ، أَعنى على أَكثر مِن ثلاثةِ أَحرفٍ، حتى يكونَ معها غيرُها من الحروفِ المُذْلَقةِ، فاعرف هذا الأصل فى كلام العرب؛ لأنه دالٌّ على حكمة الله سبحانه وتعالى فى لغتها، منبَّهٌ على أن فى الحروف مُستثقلاً و مستخفًّا.

وقال صاحب السلسبيل:

الإذلاقُ خِفَّةُ الحُرُوفِ وَضْعَا والانْصِمَاتُ ثُقْلُهُنَّ طَبْعَا

وبناء على ما سبق:

فلابد (فى كلام العرب) أن يكون فى الكلمات الرباعية، أو الخماسية الأصول حرفٌ على الأقل من الحروف المذلقة لتعدل خفته ثقل حروف الإصمات.

فإن وجدت كلمة رباعية، أو خماسية الأصول وليس فيها حرف من حروف الذلاقة فاعلم أنها أعجمية، أو شاذة، بمعنى أنها دخيلة على كلام العرب ملحقة به بالاستعمال، أى إنها كلمات كثر تداولها على الألسنة، فألحقت باللغة، مثل: كلمة(عَسْجَد)، اسم للذهب، وحروفها الأربعة أصلية ليس بها حرف زائد، ولا حرف من حروف الذلاقة.

ومثلها كلمة (عَسْطُوس)، وهو اسم للخيزران، ومثلهما كل ما شابههما.

تنـــبيه :

الحكم على الكلمات التى تكون أصولها أكثر من ثلاثة، وليس فيها حرف من حروف الذَّلاقة بأنها أعجمية، لا يعنى أن كل كلمة أصولها أكثر من ثلاثة، وبها حرف من حروف الذَّلاقة يحكم عليها بأنها عربية، فهناك كلمات رباعية أو خماسية الأصول وبها أكثر من حرف من حروف الذَّلاقة، ومع ذلك ليست بعربية مثل:

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ﴿عِمْرَٰنَ﴾.

فهذه الكلمات وأمثالها (أعجمية)، استعملها العرب فى لغتهم وليست منها، ولما كثر ورودها وفشا استعمالها ألحقت باللغة.

فقاعدة الذَّلاقة والإصمات يستدل بها على الكلمات الأعجمية، إذا خلت من حروف الذَّلاقة، ولا يستدل بها على عربية الكلمات.

وليس هناك فائدة تجويدية أو ثمرة عملية من دراسة صفتى الإذلاق والإصمات. وجميع الحروف (مذلقة أو مصمتة)، ينبغى العناية بضبط مخارجها وتحقيق سكونها وعدم اختلاس حركتها، وإذا احتاج الحرف المذلق لبعض العناية فالعناية بالمصمت آكد لخفة الأول وثقل الثانى، فقد يسرع اللسان إلى ترك مخرجه واختلاس حركته، وقد يقع ذلك أيضًا فى المذلق.

والإذلاق والإصمات ليس لهما أثر على حركة الحبلين الصوتيين ووضعهما.

ولقد اجتمع أهل الأداء على أن هاتين الصفتين لا دخل لهما بعلم التجويد، وكان الأَولى عدم عدِّهما من الصفات؛ لأن التجويد علم يبحث فى كيفية تلاوة الحرف القرآنى، وأبحاثه صوتية يترتب عليها أثر في السمع، وبالتالى لا يتعلق به إلا الصفات التى يكون لها أثر صوتى يطلب من القارئ مراعاته عند النطق بالحروف. أما فى هاتين الصفتين فلا يترتب عليهما شىء من ذلك، فلا يقال: إن خرج الحرف مذلقًا أو خرج مصمتًا فقد ضُبِطَ مخرجه، ولذلك: فمحل هاتين الصفتين هو علم الصرف الذى يدرس فيه البناء الصرفى للكلمات العربية، وعلم المعاجم الذى يدرس فيه الكلمات العربية والكلمات المعرَّبة.

ولذلك نجد كثيرًا من المحققين، ومنهم الإمام الشاطبى، قد أهمل ذكرهما مع الصفات، وذكرهما الإمام الجزرى للمساواة بين عدد صفات الحروف وعدد المخارج الخاصة، بجعل صفات الحروف سبعة عشر كمخارج الحروف.

والحروف المصمتة غير الحروف الصُّمِّ: وهى الحروف التى ليست من الحلق، كما سماها الخليل بن أحمد الفراهيدى، فقال: كل حرف عدا حروف الحلق (ء،هـ،ع،ح،غ،خ)، يقال لها صُمٌّ، لتمكنها فى خروجها من الفم واستحكامها فيه، يقال: للمُحْكَم المصَمَّ.[1]

* * *

---

[1] انظر الرعاية.

وإلى هنا تم الكلام على الصفات التى لها ضد.

نذكرها لك مجتمعة، كما جاءت فى المقدمة الجزرية للإمام ابن الجزرى:

صِفَاتُها جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلْ	مُنْفَتِحٌ مُصْمَتَةٌ والضِّدَّ قُلْ
مَهْمُوسُهَا فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ	شَدِيدُهَا لَفْظُ أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ
وَبَينَ رِخوٍ والشَّديدِ لِنْ عُمَرْ	وَسَبْعُ عُلْوٍ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ
وَصَادُ ضَادٌ طَاءُ ظَاءٌ مُطْبَقَهْ	وَفَرَّ مِنْ لُبِّ الحُرُوفِ الْمُذْلَقَهْ

وكل حرف من الحروف لابد أن يأخذ صفة واحدة من كل صفتين متضادتين فيكمل له خمس صفات حتمًا- ماعدا الألف- فلا تجمع إلا صفات (الجهر والرخاوة)، والسبب سبق ذكره فى أكثر من موضع.

وسنشرع بعون الله فى الكلام عن الصفات التى لا ضد لها، ونبدأ بالصفة الأولى وهى (صفة الصفير) وفقًا للترتيب الذى ذكره الإمام ابن الجزرى.

صفة الصفير

الصفير لغةً: حدَّة الصوت.

اصطلاحًا: حدَّة فى صوت الحرف تنشأ عن مروره فى مجرى ضيق يجعل صوته قويًّا فى السمع.

حروفه: ثلاثة (الصاد والسين والزاى)، وهى معروفة بحروف الصفير، ذكرها الإمام ابن الجزرى بقوله:

صَفِيرُهَا صَادٌ وَزَاىٌ سِينُ ....

كيف يحدث الصفير فى الطبيعة ؟

إذا حُصِرَ الهواء فى مكان محكم وَسُمِحَ له بالخروج من خلال فتحة صغيرة نجده قد خرج باندفاعٍ محدثًا صوتًا حادًّا نسميه (الصفير)، وكلما زادت درجة انحصار الهواء كانت سرعة اندفاعه للخارج أكبر، وكان صوت صفيره أعلى. وهذا نلاحظه فى آنية الطبخ (البرستو)، فهي تطلق صوتًا حادًّا أى (صفيرًا) لاندفاع الهواء المضغوط داخلها إلى الخارج من خلال فتحه صغيرة، ونلاحظ كذلك أَننا إذا حصرنا الهواء فى مقدم الفم ثم دفعناه للخارج من خلال فتحة ضيقة فى الشفتين خرج الصوت الذى نسميه صفيرًا، وكلما زادت سرعة اندفاع الهواء للخارج نتيجة لشدة انحصاره داخل الفم زادت حدة الصوت، أى زادت درجة الصفير.

سبب اتصاف الصاد والزاى والسين بالصفير:

هو خلقة مخرجها، مما جعل صوتها محصورًا بين صفحة الثنايا العليا وأطراف الثنايا السفلى، ويندفع مع جريانه من بين فتحات الأسنان الأمامية، فيكتسب قوة وحدَّة فى السمع وزيادة فى الصوت يسمى بالصفير.

وصفة الصفير (صفة قوة)، فقوة صفير الحرف على قدر ما يحمله من صفات قوة.

فأقوى الحروف الثلاثة صفيرًا الصاد، لاستعلائها وإطباقها، ثم يليها الزاى، لجهرها، ثم يليها السين؛ لهمسها.

وتشترك الحروف الثلاثة فى صفة الرخاوة، وزمن رخاوتها هو زمن صفيرها، وتكون الصفتان فى أعلى بيان لهما عند سكونهما، كما فى نحو: ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾، ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾،

ويقل بيانهما مع الحركة، كما فى نحو: ﴿صَبَرَ﴾، بسبب ترك مخرج الحرف إلى مخرج أَصل الحركة.

والصفير صفة ليس فيها إعمال من القارئ، فإذا ضبط مخرج الحرف وخرج صوته متصفًا بصفاته الصوتية من ذوات الأضداد فقد ضبط صفيره. أمَّا ما يذكر – فى بعض الكتب– من وقوع أخطاء فى إخراج الصفير فهي فى الحقيقة أخطاء فى ضبط مخرج الحرف وليس فى الصفير؛ لأن الصفير عبارة عن حزمة مترابطة من:

مخرج، مع (همس أو جهر) و(رخاوة) و(استعلاء أو استفال) و(انفتاح أو إطباق).

فائدة صفة الصفير: تحسين أداء حروفها، وضبط مخرجها، والتمييز بين مخرج الثاء والسين، وبين مخرج الذال والزاى، للتقارب الشديد بينها مما يصعب على بعض القارئين وبخاصة (غير العرب) التفرقة بينهما إلا بحدّة صوت الزاى والسين مقارنة بصوت الذال والثاء، إذ لولا الصفير الناتج عن اختلاف مخرج الزاى والسين عن مخرج الذال والثاء لكانت الزاى ذالاً ولكانت السين ثاءً.

صـــفة القـلـقـلة

القلقة لغة: اللَّخْلَخْة التى لا تَقْلَعُ الشىء من مكانه.

اصطلاحًا: إخراج صوت الحرف الشديد المجهور فور احتباسه باضطراب طرفى مخرجه.

حروفها: خمسة، مجموعة فى قول الإمام ابن الجزرى:

.... قَلْقَلَةٌ قُطْبُ جَدٍ ...

والمعنى: حروف القلقلة مجموعة فى قولهم (قطب جد)، وهى: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال.

ويسمى كل حرف منها بالحرف المقلقل، أو الملقلق كما سماه الخليل بن أحمد الفراهيدى.

سبب القلقلة وكيفيتها :

سبب القلقلة: أن مخارج الحروف الخمسة محكمة الغلق تخرج أصواتًا مجهورة، فمع الانغلاق المحكم لطرفى المخرج يحتبس الهواء الموظف لنطق الحرف ويعاق إعاقة تامة وكاملة فيحتبس صوت الحرف، وما من وسيلة لإكمال خروجه إلا بدفعة قوية ينفصل بها

طرفا المخرج، ويهتز لها الحبلان اهتزازًا شديدًا، فيَخْرُج صويت مجهور ذو نبرة قوية، يتضح به معالم الصوت المحتبس. وهذا الصويت، يسمونه فى علم الصوتيات الحديث، الصوت الانفجارى، لأنه ناتج عن انفكاك دفعى قوى بعد انغلاق محكم.

وصفة القلقلة (صفة قوة)، فعلى قدر ما يجتمع لحروفها من صفات القوة، على قدر قوة القلقلة، فأقوى الحروف قلقلة الطاء، لاستعلائها وإطباقها، ثم القاف لاستعلائها وانفتاحها، ثم الجيم والدال والباء فى مستوى واحد لاستفالهن وانفتاحهن، أما صفة الإذلاق التى فى الباء فصفة غير صوتية لا أثر لها فى النطق.

الثمرات المستفادة : وعددها خمس.

الثمرة الأولى:

الحروف الخمسة حروف شديدة مجهورة، وعندما تجتمع (الشدة والجهر)، فى حرف واحد يمثل ذلك إزعاجًا لجهاز النطق، حيث ينغلق المخرج والحبلان، ويعاق الهواء ويحتبس الصوت وتظل الرئتان محرومتين من الهواء فيضيق صدر القارئ ولا يرتاح إلا بفك هذا الانغلاق، وكلما قرب مخرج الحرف إلى الحنجرة، ضاق صدر القارئ أكثر؛ ولهذا كانت القاف أحوج الحروف الخمسة إلى سرعة القلقلة، والتجربة شاهد على ذلك.

ولهذا السبب قالوا: "القاف أصل القلقلة وأعْرَف حروفها" ولا يفهم من هذا القول أن القاف أقوى قلقلة من الطاء- كما يوجد فى بعض الكتب- لأن الطاء أقوى من القاف بإطباقها، فنبرة صوتها أقوى، فلو ضبط القارئ مخرج الطاء ومخرج القاف بحيث كانت الطاء مستعلية مطبقة، والقاف مستعلية منفتحة، لوجد أن قلقلة الطاء أقوى من قلقلة القاف أَمَّا إن وجد العكس فليعلم أنَّه قد بالغ فى استعلاء القاف فجعلها مستعلية مطبقة.

الثمرة الثانية:

القلقلة لا يمكن أن تكون إلا مع الحرف الشديد، فلو كان الحرف رخوًا ما وجدت القلقلة؛ لأن فى جريان الصوت بيانًا للحرف فلا حاجة لصفة أخرى.

والقلقلة والجهر، يظهران معًا فى وقت واحد، والصفات الثلاث (الشدة والجهر والقلقلة)، تؤثر كل منها فى الأخرى. فإن ضعفت الشدة ضعفت القلقلة، وضعف الجهر، وقد يضعف الاحتباس (الشدة)، لدرجة تذهب القلقلة نهائيًا، فيخرج الحرف مهموسًا عقب

الاحتباس؛ لأن الاحتباس الضعيف معناه: انفكاك ضعيف، واهتزاز للحبلين ضعيف، وهواء كثير، لا يتكيف كله بالصوت. وخروج النفس مع القلقلة يذهب بجهرها أو يضعفه فيخرج صوت القلقلة ضعيفًا هزيلاً من دون النبرة القوية التى يجب أن تدركها الأذن والتى يتميز بها الحرف المقلقل عن غيره.

وفى اللغة: القلقلة تعنى شدة الصياح، واللقلقة شدة الصوت، ولذلك قالوا:

لابد عند القلقلة أن تسمع غيرك، أَمَّا إن لم تسمع إلا نفسك، فلا يقال إنك أتيت بالقلقلة، بل يقال إنك تركتها وأتيت باللحن.

والإتيان بالقلقلة فى غير حروفها لحن، ومثال ذلك:

١- قلقلة الهمزة الساكنة: فقد اتفق أهل الأداء على عدم قلقلتها؛ لما لها من صوت جرسى فإذا سكنت ثقلت وازداد انضغاطها، فإذا قلقلت خرج صوتها كالعليل الذى يعانى التقيُّؤ أو السَّعلة؛ لخروجها من أقصى الحلق، ولذلك يجب المحافظة على: احتباس الصوت والنفس فى الهمزة، وجعل زمنها زمن احتباس الصوت ولا زيادة. ولقد نبَّه العلماء على وجوب إخراجها بلطف، ورفق، وعدم التكلف فى ضغط مخرجها، فيأتى بها القارئ سلسة من غير خروج بها عن حقها بحيث يألف ذلك طبع كل أحد، ويستحسنه أهل القراءة والتجويد.

٢- قلقلة الكاف والتاء الساكنتين: لأنهما مهموستان، والهمس يعنى ضعف الاحتباس، أى ضعف الشِّدَّة التى يناسبها الهمس، ومعلوم أن الذى يُقَلقِلُ الكاف والتاء الساكنتين يجعلهما مجهورتين، وهذا من اللحن، فلابد أن يحافظ القارئ على تعاقب الشدة والهمس، فى الكاف والتاء الساكنتين.

٣- قلقلة الحروف الرخوة المجهورة: نحو الضاد الساكنة فى ﴿ٱضْرِب ﴾ أو الموقوف عليها فى نحو ﴿ قَاضٍ ﴾، وغيرها من الحروف الرخوة المجهورة، وقلقلتها معناها: تقصير زمن الجريان جدًّا وانفصال طرفى المخرج بدفعة سريعة وقوية، فينتهى صوت الحرف الساكن الرخو بقلقلة، ولذلك نقول: المحافظة على تصادم طرفى مخرج الحروف الرخوة الساكنة– طوال زمن النطق بها– صمام أَمان يمنع قلقلتها.

الثمرة الثالثة:

فى تعريف القلقلة بأنها اضطراب المخرج دليل على أن الحرف المقلقل لا يتجه صوته إلى حركة؛ لأن الاضطراب غير التحريك، فالشىء المضطرب (يضطرب) فى مكانه، أو (يتقلقل)، أو(يتخلخل) فيه، أمَّا المتحرك فتارك لمكانه متباعد عنه. ولذلك ننظر إلى الحرف الساكن المقلقل على أنه ساكن، مثل غيره من الحروف السواكن، واضطرابه فى مخرجه أو قلقلته، لا يعنى قلبه حرفًا متحركًا. ولو صَاحَبَ الحرف الساكن حركة، مهما كانت من الخفة والاختلاس، فهذا معناه عمليًّا: التباعد عن مخرج الحرف إلى مخرج أصل الحركات (الجوف)، فيختل البنيان الحركى للكلمة فيختل معناها، لأن من المعلوم أن الحركة المختلسة أو المرامة تقوم مقام الحركة الكاملة عند تطبيق الأحكام، فالراء المرامة أو المختلسة ضمتها تفخم كما تفخم الراء المتحركة بالضمة الكاملة، والراء المرامة أو المختلسة كسرتها ترقق كما ترقق الراء المتحركة بالكسرة الكاملة. وعند الوقف: يعامل الحرف المرام معاملة الموصول؛ فمثلاً: عند الوقف على نحو:

﴿نَسْتَعِينُ﴾، بوجه الروم، تُمَدُّ الياء بمقدار حركتين فقط كالوصل. وكل هذه الأمور متفق عليها ولا خلاف فيها بين القراء قاطبة.

ولابد أن ينتبه القارئ إلى أن كل كلمة لها بنيان حرفى وبنيان حركى، وكلمات القرآن هى قوالب لمعانيه التى أرادها الله سبحانه منها، ولكى نحافظ على هذه المعانى لابد أن نحافظ على البنيان الحرفى (من حيث مخرج كل حرف فلا ننطق الطاء تاءً، ولا القاف كافًا... إلخ)، ونحافظ على البنيان الحركى (فنحافظ على سكون الساكن، وحركة المتحرك).

ومن هنا جاءت تسمية علم النحو بالإعراب؛ لأن الحركات الثلاث تُعرِب عن معنى الكلمة عن طريق فتح الحرف، أو ضمه، أو كسره، أو إسكانه.

والخلاصة :

حرف القلقلة لا يصاحبه تصعُّد الصوت كتصعده مع حركة الفتح، ولا ضم الشفتين كضمهما مع حركة الضم، ولا تسفل الصوت كتسفله مع حركة الكسر. ولا يتبع حركة ما

قبلـه ولا مـا بعـده، ولا يميـل سـكونه إلـى شـيء مـن الحـركة، مهـما كانـت مـن الخـفة والاختلاس، ومن يفعل ذلك فقد وقع فى اللحن الجلى الذى يؤدى إلى تغير المعانى.

فلاحظ الفرق فى المعنى فى حال سكون القاف وحال حركتها فى (خَلَقْنَا) و(خَلَقَنا) فى قولـه تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾، ففتح القاف أَخَلَّ بالمعنى تمامًا فجعل الله سبحانه مفعولاً به وليس فاعلاً. وقس على ذلك.

الثمرة الرابعة:

عند تحريك الحرف يترك الصوت مخرج الحرف المحقق متباعدًا إلى مخرج الجوف حيث أصل حركتـه، فيتباعد إلى الألف، إن كان الحرف متحركًا بالفتح، أو إلى الواو، إن كان متحركًا بالضم، أو إلى الياء، إن كان متحركًا بالكسر، أما فى الحرف الساكن فيظل الصوت ماسكًا فى المخرج مهما اضطرب طرفاه (كما فى حروف القلقلة)، أو انفرجَا (كما فى الكاف والتاء الساكنتين)، وهذا هو الخط الفاصل بين القلقلة والتحريك، ففى الحرف المقلقل الصوت ماسك فى المخرج، أما الحرف المتحرك فمتباعد عنه.

والحرف المقلقل مثله مثل باقى حروف الهجاء، له حالتان: فهو يأتى ساكنًا، أو يأتى متحركًا بحركة من الحركات الثلاث.

عند سكونه يحتاج إلى اضطراب المخرج (القلقلة)، وعند حركته يحتاج إلى التباعد إلى أصل الحركة.

ويستحيل أن يجتمع العملان فى الحرف الواحد، فإما القلقلة وإمَّا التحريك.

وصفة القلقلة لا توجد إلا فى سكون الحرف وتنعدم تمامًا عند تحركه، وهذا أمر يتفق مع العقل ولا يحتاج إلى دليل.

وانعدام الصفة الذاتية (القلقلة)، لوجود الصفة العارضة (الحركة)، أمر لا غضاضة فيه، كما انعدمت صفة الاستفال، وهى صفة ذاتية، لوجود الصفة العارضة (التفخيم)، عند تغليظ اللام فى نحو ﴿ وَٱللَّهُ ﴾، ولم يقل أحد بوجود أصل الاستفال مع اللام أثناء التفخيم.

ولا مجال لتشبيه القلقلة بالغنة، والاستدلال على وجود أصل القلقلة فى المتحرك كما توجد أصل الغنة فى الميم والنون المتحركتين؛ لأن الغنة مكملة لذات الحرفين تخرج من الخيشوم، وهو مخرج مستقل عن الميم والنون، فالغنة باقية فى الحرفين فى جميع

أحوالهما سواء فى حالة السكون أو حالة الحركة، ووجود الغنة فى المتحرك محسوس ومنطوق وليس مقدرًا ولا متخيلاً، فإذا نطقنا نونًا أو ميمًا متحركة وسددنا فتحتى الأنف لاختل الصوت، واختلاله دليل على وجود الغنة مع الحركة- وسبق أن أشرنا إلى هذا الأمر مع توضيح سببه فى آخر مخرج الخيشوم، فارجع إليه- أما فى حروف القلقلة فتنعدم القلقلة مع الحركة؛ لأن القلقلة والتباعد إلى الحركة يحدثان في موضع واحد وهو (مخرج الحرف)، ولا يوجد للقلقلة مخرج مستقل عن الحرف كما فى الغنة، ولذلك:

لم ترد قراءة أو رواية بقلقلة حرف غير حروف القلقلة الخمسة، ووردت القراءة والرواية بمصاحبة الغنة لغير النون والميم.

والخلاصة: لا توجد القلقلة فى المتحرك ألبتة، لا بأصلها ولا بغيره؛ لأنه يستحيل أن يجتمع اضطراب المخرج، أي قلقلته، وتحريكه فى الموضع الواحد، أي في المخرج الواحد، وفى آنٍ واحد.

ولهذا السبب: عندما ذكر الإمام ابن الجزرى صفات الحروف ذكرها على إطلاقها، ولم يذكر سكونًا ولا تحريكًا، أمَّا عندما ذكر القلقلة خصها بالسكون، فقال:

وبيِّنَنَّ مقلقلاً إن سَكَنَا ....

فجميع الصفات التى ذكرها الإمام موجودة فى الساكن والمتحرك إلا القلقلة فلا توجد إلا فى الساكن فقط.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى:

" القلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة فى حال سكونها، سواء كانت متوسطة فى أثناء الكلمة ﴿يَقْتُلُونَ﴾، أم متطرفة فى آخر الكلمة، سواء كان سكونها أصليًا نحو ﴿يُشَاقِقِ﴾، أم عارضًا للوقف نحو ﴿شِقَاقٍ﴾ "، ولم يذكر تحريكًا.

الثمرة الخامسة:

الحرف المجهور هواؤه قليل، فإذا كان شديدًا كان هواؤه أقل ما يكون، فكمية الهواء الموظفة لنطق الحرف المقلقل قليلة تكفى لإخراج الصويت الدال على معالم الحرف، ثم ينتهى الهواء فينقطع الصوت، فعندما يأتى بعده حرف متحرك أو ساكن، لو لم يصطدم به

القارئ قبل انقطاع صوت القلقلة لحدث سكت بين الحرف المقلقل والذى يليه، وإليك الأمثلة: حرف القلقلة الساكن فى وسط الكلمة، أو فى وسط الكلام، فيما يلى:

١- ﴿ تُحِطْ بِهِۦ ﴾، ﴿ يَطْبَعُ ﴾، لعدم إحداث سكت بين الطاء والباء فى المثالين، لابد من التصادم فى مخرج الباء قبل انقطاع صوت قلقلة الطاء، فزمن قلقلة الطاء الموصولة أقصر من الموقوف عليها، فى نحو: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾.

٢- ﴿ يُقْتَلُ ﴾، ﴿ يَسْرِقْ فَقَدْ ﴾، لعدم إحداث سكت بين القاف والتاء، أو بين القاف والفاء فى المثالين، لابد من التصادم فى مخرجيهما قبل انقطاع صوت قلقلة القاف، فزمن قلقلة القاف الموصولة أقصر من الموقوف عليها، فى نحو: ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾.

٣- ﴿ يَجْمَعُونَ ﴾، ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾، لعدم إحداث سكت بين الجيم والميم فى المثالين، لابد من التصادم فى مخرج الميم قبل انقطاع صوت قلقلة الجيم، فزمن قلقلتها موصولة أقصر من زمن قلقلتها موقوفًا عليها، فى نحو: ﴿ أَخْرِجْ ﴾.

٤- ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾، ﴿ يُدْخِلُ ﴾ لعدم إحداث سكت بين الدال والسين، أو بين الدال والخاء فى المثالين، لابد من التصادم فى مخرجيهما قبل انقطاع صوت قلقلة الدال، فزمن قلقلتها موصولة أقصر من الموقوف عليها، فى نحو: ﴿ مَرْصَدٍ ﴾.

٥- ﴿ قَبْلُ ﴾، ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ ﴾ لعدم إحداث سكت بين الباء واللام، أو بين الباء والهمزة فى المثالين، لابد من التصادم فى مخرجيهما قبل انقطاع صوت قلقلة الباء، فزمن قلقلتها موصولة أقصر من الموقوف عليها، فى نحو: ﴿ بَابٍ ﴾.

مع ملاحظة:

قصر زمن قلقلة الحرف الموصول عن زمن قلقلة الحرف الموقوف عليه يجعل نبرة القلقلة أقل بيانًا فى الوصل عن الوقف.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

وبَيِّنَنَّ مُقَلْقَلاً إنْ سَكَنَا   وإنْ يَكُنْ فِى الْوَقْفِ كَانَ أَبْيَنَا

وحرف القلقلة الساكن الموقوف عليه نوعان: إما ساكن مخفف أو ساكن مشدد.

وإليك الأمثلة:

مثال الطاء: المخفف ﴿ٱلْقِسْطَ ﴾، ولم تأت طاء مشددة متطرفة فى القرآن.

مثال القاف: المخفف ﴿ٱلْفَلَقِ ﴾، المشدد﴿ٱلْحَقُّ ﴾.

مثال الجيم: المخفف ﴿يُخْرِجْ ﴾، المشدد ﴿ٱلْحَجَّ ﴾.

مثال الدال: المخفف ﴿قَدْ ﴾، المشدد﴿ رَدَّ ﴾.

مثال الباء: المخفف﴿ٱلْبَابَ ﴾، المشدد﴿ٱلْجُبِّ ﴾.

ومن المعلوم: أن الحرف المشدد حرفان فى النطق: الأول ساكن والثانى متحرك.

عند النطق بالمشدد الموقوف عليه، يحتبس الصوت زمن سكون الحرف الأول، ثم يقلقل الساكن الثانى. فالقلقلة (التى هي اضطراب المخرج)، تأتى فى الثانى بعد طول احتباس، فتقوى نبرتها عن قلقلة الساكن المخفف، مع ملاحظة: أن زمن القلقلة واحد فى الحالتين، لأن القلقلة فى الحالتين لا تكون إلاَّ فى الساكن الموقوف عليه، ولكن بيانها فى الساكن المشدد أقوى من الساكن المخفف. والمساواة بين زمن القلقلة فى نحو ﴿ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ ﴾، جعلت بعض العلماء يقول إن للقلقلة درجتين:

صغرى (فى الساكن الموصول فى وسط الكلمة، أو فى وسط الكلام).

كبرى (فى الساكن الموقوف عليه سواء كان مخففًا، أو مشدَّدًا).

ولكن الأدق أن للقلقلة ثلاث درجات كما أن للحرف ثلاث حالات:

صغرى: الساكن الموصول فى وسط الكلمة، أو فى وسط الكلام.

وسطى: الساكن المخفف الموقوف عليه.

كبرى: الساكن المشدد الموقوف عليه.

الخلاصـــة:

درجة القلقلة من ناحية قوة الحرف وضعفه كالتالى:

الطاء، ثم القاف، ثم الجيم، والدال، والباء.

درجة القلقلة من ناحية الوصل والوقف كالتالى:

صغرى– وسطى– كبرى.

وينبغى الانتباه إلى أن:

القلقلة الصغرى زمنها أقصر من الوسطى والكبرى، وأقل بيانًا منهما.

والقلقلة الوسطى أقل بيانًا من الكبرى ولكن زمنهما واحد.

وسوف يشعر القارئ أن الفرق المذكور يسير، ولكنه قطعًا موجود لاختلاف آلية النطق بالحرف الساكن الموصول، عن آلية النطق بالساكن المخفف، عن آلية النطق بالساكن المشدد، فى حال الوقف عليه.

وصفة القلقلة من أكثر الصفات المنفردة التى تحتاج من القارئ إلى إدراك وتدريب؛ لأنه أمر مهمل فى اللهجات العامية أو فى القراءة لغير ألفاظ القرآن، ولذلك يكثر وقوع الخطأ فيها، ولا يتقنها إلا من دَرُبَ عليها بالتلقى عن أحد الشيوخ المتقنين، ولا يتقن ضبط درجاتها إلا المهرة من القراء.

ملاحظات هامة:

(١) ضبط مخرج كل حرف من حروف القلقلة يضمن للقارئ أن تكون: قلقلة الطاء مفخمة مطبقة، وقلقلة القاف مفخمة منفتحة، وقلقلة الحروف الباقية مرققة مستفلة.

(٢) حروف القلقلة المشددة الموصولة، نحو: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ﴾، ﴿حَبَّبَ﴾... إلخ. لا قلقلة فى الساكن الأول، لأن الحرف المشدد فى حكم المدغم، وقلقلة الساكن الأول منه يعنى إظهاره وفك الإدغام والتشديد، فيصير النطق بحرفين منفصلين متماثلين، الأول ساكن والثانى متحرك، وهذا العمل من اللحن الجلى فى القرآن واللغة.

فيجب على القارئ أن يعطى للساكن الأول زمن احتباس الصوت فيه كاملاً بدون قلقلة ثم يتباعد عنه للنطق بالمتحرك، وذات النطق ينطبق على حرف القلقلة المدغم فى مثله نحو: ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ﴾، أو فى مجانسه نحو:﴿ أَرَدتُّمْ ﴾، أو فى مقاربه نحو: ﴿ نَخْلُقكُّم ﴾.

(٣) لا قلقلة مع الرَّوم أو الاختلاس لأن فيهما تحريكًا، والقلقلة لا تكون إلا مع السكون، أمَّا الإشمام: فلا بد معه من القلقلة لأنَّه إسكان يعقبه إشارة إلى حركة الضم التى زالت بالإسكان إما بسبب الوقف أو بسبب الإدغام.

وحينئذٍ تكون القلقلة فى زمن الإسكان الذى يسبق الإشارة، وليحترز القارئ من إطالة الزمن بين القلقلة والإشارة، ومن ضم الشفتين فى أثناء القلقلة.

(٤) المحافظة على سكون الحرف المقلقل، فلا يُصَعِّد الصوت فيه فيخرج مائلاً إلى الفتح، فى نحو: ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾،﴿ أَجْرُ ﴾،﴿ ٱكْتَسَبْنَ ﴾، ولا يصاحبه ضم فيخرج مائلاً إلى الضم، فى نحو: ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾،﴿ تُعَذِّبْهُمْ ﴾.

ولا يصاحبه كسر فيخرج مائلاً إلى الكسر، فى نحو:﴿ لَقَدِ ﴾، ﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾،﴿ ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾.

ويكثر الوقوع فى خطأ إمالة حرف القلقلة إلى حركة عندما يأتى حرف القلقلة ساكنًا وقبله ساكن، نحو: ﴿ فِسْقٌ ﴾،﴿ ٱلْبَسْطِ ﴾، أو يأتى ساكنًا وبعده ساكن، نحو: ﴿ ٱلْهَدْىِ ﴾،﴿ ٱلْعَبْدُ ﴾،﴿ رَطْبٍ ﴾، فالواجب أن يحافظ القارئ على سكون الحرفين.

وقد يقع فى مثل هذه الكلمات وما ماثلها خطأ آخر، هو: تشديد المخفف عند القلقلة فيصير النطق بحرفين، وهذا من الخطأ الشائع عند المبتدئين، وهو من اللحن الجلى؛لأنه فيه زيادة حرف فى اللفظ القرآنى، فينطق الدال من﴿ عَهْدَ ﴾، مثل الدال من﴿ أَشَدَّ ﴾.

وهناك من يفعل العكس فيخفف المشدد فينطق بالدال من﴿ أَشَدُّ ﴾، مثل ما ينطق الدال من﴿ عَهْدَ ﴾، وهذا أيضًا من اللحن الجلى؛ لأنه يُنْقِصُ حرفًا من اللفظ القرآنى.

ومن الأخطاء أيضًا ختم صوت الحرف المقلقل بهمزة، وخاصة عند الوقف عليها متطرفة؛ كما فى:

﴿كِتَٰبٌ﴾، ﴿مَّرِيجٍ﴾، وما شابه.

صـــفة اللـــين

اللين لغةً: المرونة والطراوة.

اصـطلاحًا: مرونــة مخـرج الـواو واليـاء المحققتـين، وإمكانيــة تباعـد طرفيــه فيجـرى صوتهما فى الجوف فى سهولة وبغير كلفة، كجريان حروف المد واللين الثلاثة.

واللين فى الأصل، هو: قابلية حروف الجوف لزيادة زمن جريان الصوت فيها، ولذلك فحـروف المـد واللـين آصل فـى اللـين مـن حرفـى اللـين فقـط؛ لأن كـل حـرف ممـدود لـين، ولـيس كـل لـين ممـدودًا. وحرفـا اللـين لا مـد فيهمـا إلا عنـد وجـود السـبب، وهـو السـكون اللازم، كما فى حرف (عَيْن)، أو السـكون العـارض للوقـف؛ نحـو الوقـف علـى:﴿بَيْتٍ﴾، ﴿خَوْفٌ﴾، أو السكون العارض للإدغام الكبير، نحو: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، أو الهمز كمـا فـى نحو:﴿شَيْئًا﴾، ﴿سَوْءَةَ﴾.

*** لمزيد من البيان ارجع إلى الثمرات المستفادة من دراسة مخرج الجوف.

وحروف صفة اللين: كل واو أو ياء، تعتمد على مخرجها المحقق عند النطق بها، ويشمل ذلك: الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما، والمتحركتين، والمشددتين.

والسـبب: أن كـل صـوت اعتمـد علـى مخـرج لابـد أن يحمـل صـفاته، ولكـن بيـان تلـك الصفة يكون فى حال السكون، أبين من الحركة.

والسبب فى اقتصار ذكر الواو والياء الساكنتين المفتوح مـا قبلهمـا، عنـد الكـلام علـى صفة اللين، كون إمكانية جريان الصوت، وامتداده فـى الجـوف بسـهولة، وبـدون كلفـة، لا يكون إلا فيهما، دون باقى الحروف الساكنة المحققة.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

.... وَاللِّينُ
وَاوٌ وَيَاءٌ سَكَنَا وَانْفَتَـــحَا قَبْلَهُمَا ....

صـــــفة الانحـــراف

الانحراف لغةً: الميل والعدول.

اصطلاحًا: الصوت المنحرف هو الذى يحيد عن الموضع الذى احتبس فيه ليجرى فى موضع آخر.

وحرفاه اللام والراء، كما قال الإمام ابن الجزرى:

.... وَالإِنْحِرَافُ صُحِّحَا

فِى اللاَّمِ والرَّا ....

وقوله (صُحِّحَا)، أى على القول الصحيح، لقول البعض: إن الانحراف صفة للام فقط، وهذا القول منسوب إلى البصريين، وممن قال به أيضًا من علماء المغاربة الإمام ابن برى، والصحيح أن الموصوف بالانحراف حرفا اللام والراء، وعليه الجمهور.

الانحراف فى اللام: يحيد الصوت عن حافتى اللسان الأماميتين، عقب احتباسه، ليجرى فى الحافتين الخلفيتين.

الانحراف فى الراء: يحيد الصوت عن جانبى الطرف، عقب احتباسه، ليجرى فى وسطه.

ففى اللام ينحرف الصوت إلى الوراء. وفى الراء ينحرف الصوت إلى الأمام. ولاتساع مخرج اللام عن مخرج الراء كان الانحراف فى اللام كثيرًا وفى الراء قليلاً.

ويتوقف ضبط صفة الانحراف فى اللام والراء على ضبط مخرجيهما، ولا إعمال أكثر من ذلك.

فائدة صفة الانحراف: تحسين الأداء، وضبط مخرج الحرفين، ومعرفة البقعة التى جرى فيها الصوت عقب احتباسه.

صـــــفة التكـــرير

التكرير لغةً: إعادة فعل الشىء.

اصطلاحًا: قابلية مخرج الراء لارتعاد الطرف بها أكثر من مرة، فتخرج راءات عديدة.

والتكرير لا يقصد به الارتعادة الواحدة اللازمة لإخراج حرف الراء؛ لأن فعل الشىء مرة واحدة لا يُعدُّ تكريرًا.

والتكرير صفة ذاتية خاصة بحرف الراء، ولذلك سميت بالحرف المكرر.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

... وَالرَّا وبِتَكْرِير جُعِلْ ....

فائدة وصف الراء بالتكرير: معرفة القارئ بقابلية مخرج الراء للتكرير فيجتنبها بالكلية، وهذا يحتاج إلى إعمال وضبط لموضع خروج الراء، بحيث يكون بُعَيْد مخرج النون مباشرة مع ترك فرجة بسيطة جدًّا بين وسط الطرف وغار الحنك، كما سبق وأوضحنا عند تناولنا لمخرج حرف الراء.

صـــفة التفشـــى

التفشى لغةً: الانتشار والاتساع، يقال: تفشى الشىء، أى اتسع وانتشر.

اصطلاحًا: تدفق الهواء الكثير الحامل للصوت من بين وسط اللسان وغار الحنك وانتشاره فى الفم، حتى يصل إلى مقدمته.

وللتفشى حرف واحد، وهو حرف الشين. ويسمى بالحرف المتفشى لانتشار هوائه فى الفم عند النطق به حتى وصل إلى مخرج الظاء.

وجرت العادة على ذكر مخرج الظاء عند دراسة صفة التفشى لوقوع مخرجها فى نهاية طرف اللسان مع نهاية الأسنان، والسبب:

بيان أن هواء الشين انتشر من مخرجها حتى نهاية مقدم الفم، والظاء والذال والثاء يشتركن فى مخرج واحد، ولكنهم يذكرون الظاء فقط لأنها أقواهن باستعلائها وإطباقها.

وبعض العلماء ألحقوا حروفًا أخرى بصفة التفشى فقالوا:

وَلِلتَّفَشِّى الشِّينُ والفاءُ وَقِيلْ يَكونُ فى الضادِ وَيُدْعَى المُسْتَطِيلْ

وبذلك ألحقوا الفاء والضاد بالشين فى التفشى.

ولم يأخذ أهل الأداء بهذا القول؛ لأن الفاء وإن كانت مهموسة رخوة مثل الشين، إلا أن مخرجها فى الشفتين، فينتشر هواؤها على الشفة ولا يتفشى داخل الفم.

أمَّا بالنسبة لاعتبار استطالة الضاد تفشيًا، فقد ردَّ عليه العلماء بقولهم: استطالة مخرج الضاد حتى اتصل بمخرج اللام لا يجعل بين مخرج الضاد واللام فاصلاً، بخلاف الشين فبين مخرجها ومخرج الظاء مسافة كبيرة.

وذكر آخرون حروفًا أخرى ألحقوها بالتفشى، فقالوا بتفشى الصاد والسين لما فيهما من رخاوة وصفير، والياء لما فيها من لين، والميم لما فيها من الغنة.

وردَّ عليهم الإمام ابن الجزرى بقوله:

من جعل الميم متفشية بسبب الغنة يلزمه النون؛ لأنها أغن من الميم، ومن جعل السين والصاد متفشيتين لصفيرهما يلزمه الزاى، ومن قال بتفشى الياء بسبب اللين يلزمه الواو.

ويرى الإمام ابن الجزرى والشاطبى وجمهور العلماء وأهل الأداء عدم إلحاق أىٍّ من هذه الحروف بصفة التفشى، وأجمعوا على أن هذه الصفة لحرف واحد هو الشين.

كما قال الإمام ابن الجزرى:

.... وَلِلتَّفَشِّى الشِّينُ ....

فلماذا رأى الجمهور وأئمة الأداء اختصاص الشين فقط بهذه الصفة؟

لأنه لكى ينتشر الهواء الحامل لصوت الحرف فى الفم ويتفشى يحتاج إلى:

(١) حرف رخو، يجرى معه الصوت.

(٢) حرف مهموس، هواؤه كثير.

(٣) حرف مخرجه واسع، ليفرش صوته ويبسط على مساحة كبيرة؛ لأنه من المعلوم أن المخرج كلما اتسع انتشر الصوت فيه ولان، وكلما ضاق انضغط فيه الصوت وصلب.

(٤) حرف مخرجه بعيد عن الشفتين، حتى يعطى مسافة للهواء لينتشر ويتفشى داخل الفم.

(٥) حرف منفتح، حتى لا ينحصر صوته بين مخرجه وما يقابله من غار الحنك.

(٦) حرف يستفل معه طرف اللسان، حتى ينتشر هواؤه مُتَدَفِّقًا للأمام فى سهولة ويسر.

فلما انطبقت جميع الشروط على حرف الشين اختص بهذه الصفة دون باقى حروف الهجاء؛ مع التنبيه على:

تفشى الشين ليس معناه أن صوتها تعدَّى مخرجها؛ لأن صوت الحرف إن تعدَّى مخرجه فَقَدَ فصاحته واختل صوته؛ وإنما معناه أن هواءها تعدَّى مخرجها، أى انتشر همسها فى الفم حتى نهايته، مع ملاحظة أن الحاء والخاء والهاء حروف مهموسة رخوة ومع بُعْد مخرجها ينتشر هواؤها فى الفم، حتى إذا وضع القارئ يده أمام شفتيه يشعر بأثر هواء الحرف، ولكن الشين انفردت بصفة التفشى لتميزها عن هذه الحروف باتساع المخرج، فكان امتلاء الفم بهواء الحرف مع الشين أبين وأوضح من باقى الحروف المهموسة الرخوة.

والتفشى صفة ليس فيها إعمال، فلو ضبط القارئ مخرج الشين فخرجت متصفة بجميع صفاتها من ذوات الأضداد فقد ضبط تفشيها.

وزمن رخاوة الشين هو زمن تفشيها، وبيان الصفتين فى حال السكون، كما فى نحو: ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾، ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أبين من حال الحركة، كما فى نحو: ﴿فَشَرِبُواْ﴾.

صفة الاستطالة

الاستطالة لغةً: الامتداد.

اصطلاحًا: استطالة مخرج الضاد ليشمل الحافتين الأماميَّتين فيمتد صوتها من الحافتين الخلفيَّتين إلى الأماميَّتين حتى يتصل بمخرج اللام.

الفرق بين الاستطالة والمد:

(الاستطالة): يستطيل المخرج ليشمل الحافتين الأَماميَّتين والخلفيَّتين.

أَمَّا (المد): فالمد هو الزيادة، وحروفه لابد أن يأتى قبلها حرف متحرك بحركة مجانسة، فيولد الحرف بامتداد الصوت فيه بمقدار حركتين، فعندما يزيد القارئ زمن الحركة المجانسة إلى حركتين يُولد حرف المد.

فالحرف المستطيل: مخرجه محقق- ينتهى صوت الحرف بانتهاء المخرج لا بانتهاء الهواء- زمنه مساوٍ لمخرجه ويضبط بالمشافهة مثله مثل باقى الحروف الرخوة المحققة.

أَمَّا الحرف الممدود: فمخرجه مقدَّر- ينتهى صوت الحرف بانتهاء الهواء لا بانتهاء المخرج (لأنه مخرج متباعد الطرفين)- لا يولد ذات الحرف إلا بامتداد الصوت فيه- يضبط زمنه بالحركات- زمنه قابل للزيادة فهو أقل من مخرجه.

والحرف المستطيل والحرف الممدود (حروف رخوة)، ولكن زمن الحرف المستطيل أقل من زمن الحرف الممدود؛ لأن مخرج الحرف المستطيل أقل من مخرج الحرف الممدود.

ولقد وصف البعض استطالة الضاد بالتفشى، وهذا خلط بين معنى التفشى ومعنى الاستطالة، ففى الحرف المتفشى يتعدى همس الحرف أو هواؤه مخرجه، ولا يكون التفشى إلا فى حرف مهموس. أما الحرف المستطيل فقد استطال ذات المخرج.

ويسبب جهر الضاد لا يمكن أن تحمل صفة التفشى.

واتفق أهل الأداء جميعًا على أن صفة الاستطالة خاصة بالضاد وحدها؛ ولذلك سميت بالحرف المستطيل.

قال الإمام ابن الجزرى:

.... ضَادًا اسْتَطِلْ

سبب الاستطالة:

أن الضاد العربية رخوة (يجرى معها الصوت)، مفخمة (يستعلى معها أقصى اللسان بالإرادة)، فاحتاجت رخاوتها إلى استطالة مخرجها ليشمل باقى الحافتين الأماميَّتين، وكان ذلك اضْطراريًّا، بسبب أن مخرجها فى الحافتين الخلفيَّتين، فلما استعلى أقصى اللسان استعلى معه باقى اللسان كله، ولما استعلى أقصى اللسان مع طرفه صارت حرفًا مطبقًا فالضاد العربية: رخوة- مجهورة- مستعلية- مطبقة- مستطيلة.

وصفة الاستطالة تحتاج من القارئ إلى ضبط وإعمال، وبدونها لا يمكن بيان رخاوة الضاد. وبسبب رخاوة الضاد تميزت عن باقى الحروف الرخوة المجهورة بصفة الاستطالة لبعد مخرجها عن مقدم الفم.

وضبط الاستطالة فى الضاد بمخرج اللام دليل على عدم جواز خلط الضاد بالظاء.

وإذا ضبط القارئ مخرج الضاد متحققًا من جميع صفاتها من ذوات الأضداد فقد ضبط استطالتها.

وزمن الاستطالة مساوٍ لزمن الرخاوة، ويضبط بالمشافهة.

صفة الغنة

الغنة لغةً: الترنُّم بصوت أغن، يخرج من الخيشوم برنين (لذيذ)، أى ترتاح إليه الأذن.

اصطلاحًا: صوت مكمل لذات النون والميم؛ لأنه لما احتبس الصوت فى مخرج الحرفين تركهما ليجرى فى الخيشوم.

والغنة صفة لازمة للحرفين، فلا تخلو نون ولا ميم من غنة؛ ولذلك سميتا بحروف الغنة.

وهذه الصفة لم يذكرها الإمام ابن الجزرى ضمن الصفات المنفردة، وإنما ذكرها فى المخارج كمكمل لجزئى النون والميم، وهذا هو الصواب؛ لأن الغنة ليست فى الحقيقة كباقى الصفات المنفردة إذا ضبط القارئ مخرج الحرف والصفات ذوات الأضداد ظهرت الصفة المنفردة، وإنَّما هِىَ من ذات الحرف وبنائه، كما أنها مكملة له.

ولكننا نذكرها ضمن الصفات المنفردة لفائدة، هى: أن ينتبه القارئ لئلا يصاحب صوت الغنة حرف آخر غير النون والميم، نظرًا لوقوع مخرجها فى مخرج مستقل عن جميع حروف: الحلق، واللسان، والشفتين.

وللغنة أحوال عدَّة لا يمكن بسطها والتعرض لها إلا من خلال دراسة علاقة النون والميم بما جاورهما من حروف الهجاء، وما يترتب على هذه المجاورة من صفات عارضة، هى: الإظهار، والإدغام، والإخفاء، والقلب. وسيأتى إن شاء الله فى باب (أحكام النون والميم الساكنتين).

* * *

وإلى هنا يكون قد تم الكلام على جميع الصفات المنفردة بالإضافة إلى صفة الغنة.

نذكرها لك مجتمعة كما جاءت فى المقدمة الجزرية:

صَفِيرُهَا صَادٌ وَزَاىٌ سِينُ   قَلْقَلَةٌ قُطْبُ جَدٍ واللِّينُ

وَاوٌ وَيَاءٌ سَكَنَا وانْفَتَحَا   قَبْلَهُمَا والإنْحَرافُ صُحِّحَا

فى اللاَّمِ والرَّا وَبِتَكريرٍ جُعِلْ   وَلِلتَّفَشِّى الشِّينُ ضَادًا اسْتَطِلْ

مع إضافة صفة الغنة مع الصفات التى لا ضد لها كصفة لحرفين هما الميم، والنون.

معرفة كيفية استخراج صفات كل حرف

عند استخراج صفات كل حرف تبدأ أولاً بالصفات المتضادة مستعينًا بالمقدمة الجزرية، فتبدأ بحروف صفة الهمس من قول الإمام ابن الجزرى (مَهْمُوسُها فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ)، فإذا وجدت الحرف المطلوب ضمن حروف الهمس فهو مهموس، وإلا فهو مجهور، ثم تنتقل إلى حروف صفة الشِّدة من قول الإمام (شَدِيدُها لَفظُ أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)، مع حروف صفة التوسط من قول الإمام (وَبَينَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ لِنْ عُمَرْ)، فإذا وجدت الحرف المطلوب فى حروف الشِّدَّة فهو شديد، وإذا وجدته فى حروف التوسط فهو متوسط، وإلا فهو رخو.

ثم تنتقل إلى حروف صفة الاستعلاء من قول الإمام (وَسَبعُ عُلْوٍ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ)، فإذا وجدت الحرف المطلوب فيها فهو مستعلٍ، وإلا فهو مستفل، ثم تنتقل إلى حروف صفة الإطباق من قول الإمام (وصَادُ ضَادٌ طَاءُ ظَاءٌ مُطْبَقة)، فإذا وجدت الحرف المطلوب فيها فهو مطبق، وإلا فهو منفتح، ثم تنتقل إلى حروف الإذلاق من قول الإمام (فَرَّ مِنْ لُبِّ الْحُرُوفُ المُذْلَقةَ)، فإذا وجدت الحرف المطلوب فيها فهو مذلق، وإلا فهو مصمت.

وإلى هنا لابد أن يجتمع للحرف خمس صفات من ذوات الأضداد. ثم تبدأ بالصفات التى لا ضد لها، واحدة واحدة، من بداية قول الإمام ابن الجزرى (صَفِيْرَها صَادٌ وَزَاىٌ سِينُ) وانتهاءً بقوله (ضَادٍ استَطِل)، فإذا وُجد للحرف المطلوب واحدة من الصفات التى لا ضد لها، كانت سادسة له، وإذا وُجِدَت له صفتان كانتا السادسة والسابعة له، وإذا لم يوجد له شىء منها كانت له خمس صفات فقط جميعها من ذوات الأضداد.

وعندما تحاول استخراج صفات كل حرف سوف تلاحظ ما يلى:

أولاً: عدد الحروف الهجائية تسعة وعشرون حرفًا. أمَّا عند دراسة المخارج والصفات فعددها واحد وثلاثون، كل حرف منها لابد أن يحمل خمس صفات من الصفات ذوات الأضداد، ماعدا الألف، فلا تحمل إلا صفتين فقط، وهما: الجهر والرخاوة، أمَّا باقى الصفات وهى (الاستعلاء وضده الاستفال) (الإطباق وضده الانفتاح) (الإذلاق وضده الإصمات)، فلا توصف بواحدة منها؛ لأنها ليس لها عضو يمكن أن ينحصر صوتها فيه؛ كما سبق وأوضحنا.

ثانيًـا: الحـرف الوحيـد الـذى لـه سـبع صـفات هـو حـرف الـراء؛ لأنـه يحمـل مـن الصـفات المنفردة صفتين، هما (التكرير والانحراف).

ثالثًـا: الحروف التى لها ست صفات هى التى ورد ذكرها فى الصفات التى لا ضد لها، ماعدا الراء، وهى:

الصاد والزاى والسين (حروف صفة الصفير)- القاف والطاء والباء والدال والجيم (حـروف صـفة القلقلة)- الياء والواو المحـققتان (حـروف صـفة اللين)- الـلام (صـفة الانحراف)- الشين (صـفة التفشـى) - الضاد (صفة الاستطالة) - الميم والنون (صفة الغنة).

رابعًا: الحروف المتحدة فى الصفات، هى:

الكاف والتاء- النون والميم- الواو والياء الجوفيتان- الـواو واليـاء اللينتـان- الفـاء والحـاء والثاء والهاء- الجيم والدال.

خامسًا: صفات القوة من الصفات ذوات الأضداد، هى:

الجهر- الشدة- التوسط- الاستعلاء- الإطباق- الإصمات. أما من الصفات التـى لا ضد لها فجميعها صفات قوة، ماعدا صفة اللين.

كيفية قياس قوة الحرف أو ضعفه:

لقياسٍ دقيقٍ لقوة حرفٍ ما أو ضعفه لابد من:

احتسـاب صـفة التوسط (لأنهـا تمثـل درجـة الإعاقـة أو مـا يقابـل الرخـاوة أو الشـدة)، وتوضـع فـى ميـزان الصـفات القويـة؛ لأنهـا إلـى القـوة أقـرب مـن الضـعف، كمـا سـبق وأوضحنا.

ب- استبعاد صفتى الإذلاق والإصمات؛ (لأنهما لا علاقـة لهمـا بالهيئـة التـى يكـون عليهـا صوت الحرف).

ثـم: الحـرف الـذى تكـون كـل صفاته (صفات قوة)، فهـو أقـوى الحـروف، وهـو حـرف الطاء.

والحـرف الـذى تكـون كـل صـفاته (صـفات ضـعف)، فهـو أضـعف الحـروف، وأضـعف الحروف أربعة: مجموعة فى قولك (فحثه)، الفاء والحاء والثاء والهاء.

والحرف الذى تكون صفاته القوية أكثر من الضعيفة فهو حرف قوى.

والحرف الذى تكون صفاته الضعيفة أكثر من القوية فهو حرف ضعيف.

أما الحرف الذى تتساوى فيه عدد صفاته القوية مع عدد صفاته الضعيفة فهو حرف متوسط بين القوة والضعف.

وخلاصة الأمر: أقوى الحروف الطاء، وأضعفها حروف كلمة (فحثه)، ولا يخفى عليك تقدير ما عداها مستعينًا بما بيَّناه لك، وبالله التوفيق.

* * *

التعليق على (صفة الخفاء)، التى لم نتعرض لها رغم وجودها فى كثير من كتب التجويد كصفة منفردة لأربعة أحرف، هى: الهاء، وحروف المد واللين الثلاثة:

هذه الصفة لم نذكرها كصفة عند دراستنا للمخارج والصفات؛ لأن الإمام ابن الجزرى لم يذكرها فسلكنا مسلكه؛ لأننا نرى أَنَّ ترك الإمام ابن الجزرى لصفة من الصفات لابد أن يؤخذ بعين الاهتمام ونبحث فى أسباب عدم ذكره لها، وهو إمام هذا العلم، والذى ثبت بالدليل والبرهان أن اختياره هو غالباً اختيار الجمهور وأئمة الأداء، فعند دراستنا لاختلاف القراء فى عدد المخارج أخذ الجمهور باختيار ابن الجزرى، وعند دراستنا لمذاهب القراء فى درجات التفخيم أخذ الجمهور باختيار ابن الجزرى، وسوف نرى ذلك فى باب (التفخيم والترقيق).

وصحيح أن الإمام ابن الجزرى لم يذكر الغنة أيضًا ضمن الصفات، ولكنه ذكرها فى موضعها الصحيح عندما قال: (وغنة مخرجها الخيشوم)، وذكرها فى أحكام النون والميم الساكنتين، وذِكْرُنا للغنة ضمن الصفات المنفردة كان لفائدة، أشرنا إليها فى مكانها.

التعريف بصفة الخفاء، والتعليق على ما يرد عنها فى كتب التجويد:

فى كتب التجويد يعرِّفون الخفاء فى اللغة: بأنه الاستتار.

وفى المصطلح التجويدى: خفاء صوت الحرف عند النطق به.

وحروفه: أربعة، يجمعها كلمة (هاوى)، أى الهاء، وحروف المد واللين الثلاثة.

ولدراسة هذه الصفة قمت بتجميع ما قيل عنها فى العديد من كتب التجويد،
ووصلت إلى ما يلى:

لماذا اختيرت الحروف الأربعة لتحمل صفة الخفاء؟ قالوا:

لأنها تخفى فى اللفظ إذا اندرجت بعد حرف أو وقعت بين حرفين.

فنقول: نعم الهاء خفية بهذا المعنى، ومعها أيضًا: الضاد الساكنة، فهي تخفى فى اللفظ إذا اندرجت بعد حرف، أو وقعت بين حرفين، ومعها أيضًا: كل حرف من حروف القلقلة، يخفى فى اللفظ إذا لم يقلقل، وكل كاف وتاء ساكنتين تخفى فى اللفظ إذا لم يظهر الهمس بعد الشَّدَّة، وكل حرف رخو لا يجرى معه الصوت يخفى فى اللفظ، وأيضًا الهمزة الساكنة تخفى فى اللفظ، إن لم نحققها فى مخرجها.

وهل الألف المفخمة، أو المرققة إذا اندرجت بعد حرف قبلها أخفيت فى اللفظ فى نحو: ﴿طَآئِرٍ﴾، ﴿صَابِرًا﴾، ﴿سَآئِلٌ﴾، ﴿دَارُ﴾ ؟

وهل الواو فى نحو ﴿يَقُولُ﴾، والياء فى نحو ﴿نَسْتَعِينُ﴾، خفية، وهى حروف مجهورة، والجهر هو البيان والوضوح ؟

وكيف تكون الحروف الثلاثة- التى هى أصل الحركات الثلاث- حروفًا خفية فى حين أن الحرف المتحرك يقوى بالحركة عن الحرف الساكن ؟

لأنَّهُ من المعلوم أن الحركة صوت مجهور قوى، كذلك أُمِّها الألف أو الواو أو الياء. وعلماء الأصوات يقولون: أَوضح الأصوات جميعًا هى أَمَّهات الحركات، وخاصة الألف المفخمة.

أمَّا إن كان المقصود بخفاء حروف الجوف الثلاثة هو: سقوطها من اللفظ إن لم يمتد الصوت فيها بمقدار حركتين؛ فالصواب أن يقال (أعدمت)، لا أخفيت.

ويقولون: بسبب خفاء حروف الجوف الثلاثة فامتداد الصوت فيها تقوية لها.

ونقول: امتداد الصوت فى حروف الجوف الثلاثة هو سبب وجودها وليس تقوية لها؛ لأن ذات الحرف لا توجد إلا بامتداد الصوت فيه، أما التقوية فتكون بالاستعلاء، أو بالإطباق، أو بزيادة جهرها.

ويقولـون: من أجل خفـاء حروف الجوف الثلاثـة طال مدها إذا التقت بهمزة أو سكون، لسهولة حرف المد وصعوبة الهمز أو الساكن المحقق، ولأنه إذا وقع الأصعب بعد الأسهل يهتم الطبع بالأصعب فيذهل عن الأسهل فينعدم فى اللفظ.

ونقول: إذا كان إطالة المد عند ملاقاة الهمز أو السكون بسبب خفائها، فلماذا لم يتفق الجميع على وجوب إطالة المد فى نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾، ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ﴾، أو عند الوقف على نحو: ﴿ ثَوَابُ ﴾، ﴿ يَعۡمَلُونَ ﴾، ﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾، عملاً بصفة الخفاء، وحتى لا يهتم الطبع بالأصعب فيذهل عن الأسهل؟

ويقولون: من أجل خفاء الهاء قوَّوْها بالزوائد، أى بالصلة فتزاد واو الصلة فى نحو ﴿ لَهُۥ ﴾ وياء الصلة فى نحو ﴿ بِهِۦ ﴾.

ونقـول: مـن المعلـوم أن دراسـة الصـفات للحـروف تنصب علـى حالـة السكون لا حالـة الحركـة، فلماذا الحديث عن خفاء الهاء المتحركة؟ ثم: إذا كان السبب فى الصلة هو الخفاء، فلماذا يتفق الجميع على حذفها عند الوقف، مع العلم أن خفاء الهاء يزداد مع الوقف عليها –هذا فى الوقف– أما فى الوصل فمعلوم أن القراء مختلفون فى صلة الهاء، فهناك من يصلها، وهناك من لا يصلها، ففى قراءه حفص، كمثال:

لم يصل الهاء المضمومة فى﴿ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾، وسكن الهاء فى﴿ أَرۡجِهۡ ﴾، ﴿ فَأَلۡقِهۡ ﴾، ووصلها غيره. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل توجد صفة لازمة لحرف من الحروف يجوز أن يأخذ بموجبها قارئ ولا يأخذ بها غيره؟

ويقولون: لخفاء الهاء جاز فى لغة العرب أن تحذف واو الصلة بعد الهاء إذا كان قبل الهاء ساكن، كما فى نحو﴿ مِنۡهُ ﴾، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾، وأن تحذف ياء الصلة بعد الهاء إذا كان قبل الهاء ساكن، كما فى نحو ﴿ فِيهِ ﴾، ﴿ عَلَيۡهِ ﴾، فتحذف واو الصلة، وياء الصلة لالتقاء الساكنين، ولا يعتد بالهاء حاجزًا.

ونقول: إذا كان خفاء الهاء هو سبب صلتها بواو أو بياء فهي فى حالة مجيء ساكن قبلها أحوج ما تكون إلى الصلة؛ لأنها تزداد خفاءً لوجود ساكن قبلها، وأيضًا: إذا كان

الخفاء هو سبب حذف الصلة فلماذا يصلها ابن كثير فى جميع القرآن، ويصلها حفص فى ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾؟

ويقولون: لخفاء الهاء أدغمت الهاء الأولى فى الثانية، فى نحو﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾، فى رواية السوسى، ولم يعتد بالواو بينهما؛ لأنها ليست بحاجز لخفائها.

ونقول: إذا كان سبب عدم الاعتداد بالواو حاجزًا هو خفاؤها، فلماذا تعتدُّون بالألف حاجزًا فى نحو ﴿ أَنَا۠ نَذِيرٌ ﴾، مع العلم أن الألف، عندكم، خفية أيضًا.

وإذا كان خفاء الهاء هو سبب الإدغام، فلماذا يجتمع أهل الأَداء قاطبة على عدم إدغام الواو والياء المدِّيَّتين فى نحو: ﴿ قَالُواْ وَهُمْ ﴾ و﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾، وهما -عند من يقول بخفاء حروف المد الثلاثة- خفيتان أيضًا.

وأخيرًا نقول:

لا يصح أن تحمل حروف الجوف الثلاثة صفةً تسمى بصفة الخفاء بحجة أن الحرف يعدم إن لم يمتد الصوت فيه، لأن الصفة وَصفٌ لموجود فإذا عُدِمَ عدمت الصفة.

وتسمية الهاء بالحرف الخفى لا يعنى وجود صفة ذاتية لها تسمى بصفة الخفاء؛ بقدر ما يعنى إرادة بيان خفاء صوتها واستتاره عند النطق بها ساكنة مقارنة بغيرها من الحروف المهموسة الرخوة المستفلة المنفتحة، أو مقارنة بالهمزة لاتحادهما فى المخرج.

*   *   *

ونختم الكلام على (المخارج والصفات) بما قاله الإمامُ العلاَّمةُ عَلَمُ الدِّين أبو الحسن، علىُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ السَّخاوىُّ، المُتوفَّى سنة (٦٤٣هـ) رحمه اللهُ تعالى، فى مطلعِ قصيدته المُسمَّاة: "عُمْدَةُ المُفيدِ وعُدَّةُ الْمُجيدِ فى معرفة التَّجْويد":

يَا مَنْ يَرُومُ تِلاَوَةَ الْقُرْآنِ   وَيَرُودُ شَأْوَ أَئِمَّةِ الإِتْقَانِ
لاَ تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مَدًّا مُفْرِطًا   أَوْ مَدَّ مَا لاَ مَدَّ فِيهِ لِوَانِ
أَوْ أَنْ تُشَدِّدَ بَعْدَ مَدٍّ هَمْزَةً   أَوْ أَنْ تَلُوكَ الْحَرْفَ كَالسَّكْرَانِ
أَوْ أَنْ تَفُوهَ بِهَمْزَةٍ مُتَهَوِّعًا   فَيَفِرَّ سَامِعُهَا مِنَ الْغَثَيَانِ
لِلْحرْفِ مِيزَانٌ فَلا تَكُ طَاغِيًا   فِيهِ وَلاَ تَكُ مُخْسِرَ الْمِيزَانِ

فاجتهدْ– أيها القارئ– رَحِمَكَ اللهُ، واشتغِلْ بتصحيح ألفاظ حروف القرآن على الصفة المتلقاة من الأئمة أولى الإتقان المتصلة بالسند المتواتر، والتى لا يجوز مخالفتُها ولا العدول عنها إلى غيرها، فأعطِ كل حرف حقه فى قراءتك، وأحكم النطق بكل حرف مستوفيًا حقه من المخرج والصفة، ودرِّب نفسك على النطق به حال التركيب؛ لأنه ينشأ من التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مماثل، ومجانس، ومقارب، وقوى، وضعيف، ومفخم، ومرقق، فيغلب القوى الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة، كما جاء فى السلسبيل الشافى:

وَمَا لَهُ ضَبْطٌ سِوَى التكرارِ   بالفمِ واسْتِمَاعِهِ مِن قَارِى

وإياك – أيها القارئ العزيز– والقراءةَ بالحدر والإسراع وأنت ما زلت فى أول الطريق؛ فالقراءة بالحدر لا يتقنها إلا الماهر الذى أمضى فترة طويلة من التدريب، فينبغى أن يبدأ المتعلم القراءة بالتحقيق، فإذا أتقنها أسرع قليلاً حتى يتقن القراءة بالتدوير، فإذا أتقنها أسرع قليلاً حتى يتقن القراءة بالحدر، وذلك ليكون لديه القدرة على المحافظة على أزمنة الحروف ومخارجها فيأخذ كل حرف حقه كاملاً.
كما قالوا:

زِنِ الْحَرْفَ لاَ تُخْرِجْهُ عَنْ حَدِّ وَزْنِهِ   فوزنُ حروفِ الذِّكْرِ مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ

واعلم أن فترة التدريب ما هى إلا فترة مؤقتة، فعليك بالمثابرة والمجاهدة، حتى إذا صارت القراءة الصحيحة لك طبعًا وسليقة انصرف ذهنك للأمر الأكبر، وهو (التَّدبُّر)، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم،،،

*****



التفخيم والترقيق

وفيه: أشهر المذاهب فى مراتب تفخيم الحروف.

تقسيم الحروف العربية من ناحية التفخيم والترقيق.

أثر الكسر على حروف الاستعلاء المطبقة والمنفتحة.

خطأ ضم الشفتين بقصد التفخيم.

خطأ بسط الشفتين بقصد الترقيق.

أحوال الراء.

أحوال اللام.

التفخيم والترقيق

التفخيم فى اللغة: الزيادة والتضخيم.

فى الاصطلاح: سِمن يدخل على جسم الحرف، أى صوته فيمتلئ الفم بصداه.

والتفخيم له ألقاب أخرى وكلها بمعنى واحد، نحو: التسمين- التجسيم- التغليظ. والمستعمل منها التغليظ لحرف اللام، والتفخيم لباقى الحروف.

والترقيق معناه فى اللغة: النقص والتنحيف.

وفى الاصطلاح: رقة ونحول يدخلان على جسم الحرف، أى صوته فلا يمتلئ الفم بصداه.

وتقسيم الحروف العربية وحروف ألفاظ القرآن بين التفخيم والترقيق ضابطه المنقول إلينا من لغة العرب، فما نقل إلينا أنهم كانوا يفخمونه أو كانوا يرققونه نحاكيهم فيه فى اللغة وفى ألفاظ القرآن؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وبلسانهم.

وقبل أن نتكلم عن أقسام الحروف العربية من حيث التفخيم والترقيق سنتكلم أولاً عن: العلاقة بين آلية الحركات الثلاث وبين التفخيم والترقيق، أو بمعنى آخر العلاقة بين درجات التفخيم فى الحرف الواحد وبين تصّعد الصوت فى الألف والفتح، وتسفُّله فى الياء والكسر، واعتراضه أى بين التصعد والتسفل فى الواو والضم. فنقول وبالله التوفيق:

الحرف العربى له أربع حالات:

فهو يأتى ساكنًا- ويأتى متحركًا بالفتح- أو متحركًا بالضم- أو متحركًا بالكسر.

والحركات الثلاث بنات حروف المد الثلاثة، فالفتحة بنت الألف، والضمة بنت الواو، والكسرة بنت الياء.

فيتصعَّد الصوت عند النطق بالألف أو بالحرف المتحرك بالفتح.

ويتسفَّل الصوت عند النطق بالياء أو بالحرف المتحرك بالكسر.

ويعترض الصوت (بين التصعد والتسفل) عند النطق بالواو أو بالحرف المتحرك بالضم.

فإذا كان الحرف المستعلى متحركًا بالفتح، نحو: ﴿طَلْعٌ﴾، ﴿قَتَلَ﴾اجتمع له استعلاء أقصى اللسان مع تصعّد الصوت إلى أعلى، فيتوافق العملان، فيمتلئ الفم بصدى صوت الحرف، ويأخذ الحرف درجة تفخيمية عالية. فإذا أتى بعده ألف، نحو: ﴿طَآئِرٍ﴾، ﴿وَقَٰتَلَ﴾

طال زمن تصعّد الصوت، وازداد امتلاء الفم بصدى الصوت وضوحًا، وأخذ الحرف درجة تفخيمية أعلى من المفتوح وليس بعده ألف.

أما إذا كان الحرف المستعلى متحركًا بالضم، نحو: ﴿وَطُبِعَ﴾، ﴿قُتِلَ﴾ اجتمع له استعلاء أقصى اللسان مع اتجاه الصوت للأَمام ناحية الشفتين، ولعدم توافق العملين تقل درجة امتلاء الفم بصدى صوت الحرف، ويأخذ الحرف درجة تفخيمية أقل من درجة المفتوح وليس بعده ألف.

وإذا كان الحرف المستعلى متحركًا بالكسر، نحو: ﴿طِبَاقًا﴾،﴿قِتَالٍ﴾ اجتمع له استعلاء أقصى اللسان مع انحدار الصوت إلى أسفل، ولعدم توافق العملين تقل درجة امتلاء الفم بصدى صوت الحرف، ويأخذ الحرف درجة تفخيمية أقل من المضموم؛ لأن الصوت فى المضموم يتجه ناحية الشفتين، أمَّا فى المكسور فينحدر ناحية قاع الفم.

ونلاحظ ما يلى:

إذا استعلى أقصى اللسان، وتصعد الصوت إلى أعلى، كانت درجة استعلاء الصوت ناحية غار الحنك أعلى مما لو استعلى أقصى اللسان واتجه الصوت إلى الشفتين.

ولذا: تكون درجة المفتوح أفخم من درجة المضموم.

وإذا استعلى أقصى اللسان، وتسفل الصوت إلى قاع الفم، كانت درجة استعلاء الصوت أقل مما لو استعلى أقصى اللسان واتجه الصوت إلى الشفتين.

ولذا: تكون درجة المضموم أفخم من المكسور.

وإذا استعلى أقصى اللسان، وسكن الصوت فى المخرج فلم يتصعَّد إلى أعلى، ولم يتجه ناحية الشفتين، كانت درجة استعلاء الصوت أقل من المضموم، وأكبر من المكسور.

ولذا: تكون درجة الساكن أفخم من المكسور.

ومما سبق نخلص إلى الثمرة المستفادة :

مراتب التفخيم فى الحرف المستعلى الواحد (أى الذى يصاحبه استعلاء أقصى اللسان بالإرادة بقصد تفخيمه) تبعًا لآلية الحركات الثلاث، خمس مراتب:

١- المفتوح وبعده ألف.

٢- المفتوح وليس بعده ألف.

٣- المضموم.

٤- الساكن.

٥- المكسور.

أشهر المذاهب فى مراتب تفخيم الحروف:

المذهب الأول:

وهو مذهب الإمام ابن الجزرى، ويتفق مع الترتيب الذى ذكرناه آنفًا. وأشار إليه الإمام محمد بن أحمد الشهير بالمتولى بقوله:

وَقِيلَ: بَلْ مَفْتُوحُهَا مَعَ الأَلِفْ   وَبَعْدَهُ الْمَفْتُوحُ مِنْ دُونِ أَلِفْ

مَضْمُومُهَا، سَاكِنُهَا، مَكْسُورُهَا   فَهَذِهِ خَمْسٌ أَتَاكَ ذِكْرُهَـــا

المذهب الثانى:

ويرى أصحابه أن الساكن ليس لـه مرتبـةٌ برأسه، وإنما يتبع المتحرك قبله، فيكون الاثنان فى درجة تفخيمية واحدة.

فمراتب التفخيم عندهم أربع:

١- المفتوح وبعده ألف.

٢- المفتوح وليس بعده ألف، ومعه الساكن وقبله فتح.

٣- المضموم، ومعه الساكن وقبله ضم.

٤- المكسور، ومعه الساكن وقبله كسر.

المذهب الثالث:

ويرى أصحابه مثل رأى أصحاب المذهب الثانى مع جعل مراتب التفخيم ثلاثًا، وهى:

١- المفتوح وبعده ألف، مع المفتوح وليس بعده ألف، مع الساكن وقبله فتح.

٢- المضموم، ومعه الساكن وقبله ضم.

٣- المكسور، ومعه الساكن وقبله كسر.

وأشار الإمام المتولى إلى هذا المذهب بقوله:

ثُمَّ الْمُفَخَّمَاتُ عَنْهُمْ آتِيَـــهْ   عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلاَثٍ وَهِيَـــهْ:

مَفْتُوحُهَا، مَضْمُومُهَا، مَكْسُورُهَا   وَتَابِعٌ مَا قَبْلَهُ سَاكِنُـــهَا

فَمَا أَتَى مِنْ قَبْلِهِ مِنْ حَرَكَـــهْ   فَافْرِضْهُ مُشْكَلاً بِتِلْكَ الْحَرَكَهْ

التعليق على المذهبين الثانى والثالث:

بالنسبة لجعل المفتوح وبعده ألف فى مرتبة المفتوح وليس بعده ألف:

فالملاحظة والسماع شاهدان على أن المفتوح وبعده ألف فى نحو: ﴿طَآئِرٍ﴾، ﴿قَاتَلَ﴾ أفخم من المفتوح وليس بعده ألف فى نحو: ﴿طَلْعٌ﴾، ﴿قَتَلَ﴾؛ لأن الألف تتبع ما قبلها، وليس لها عضو يعاق صوتها فيه، فيمتلئ الفم بصدى تصعد الصوت زمن حركتى فتح، وهذا يعطى تفخيمًا أقوى مما لو تصعد الصوت زمن حركة فتح واحدة ثم اصطدم القارئ فى مخرج الحرف التالى، الأمر الذى يؤدى إلى كسر قوة تصعد الصوت فيقل امتلاء الفم بالصوت أى تقل درجة التفخيم؛ وهذا الأمر ملاحظ تمامًا فى قولنا: ﴿طَآئِرٍ﴾ و﴿طَلْعٌ﴾، وقولنا: ﴿قَاتَلَ﴾ و﴿قَتَلَ﴾.

أمَّا القول بأن الساكن ليس له مرتبة برأسه وأنه يأخذ درجة تفخيم ما قبله، فإن كان ما قبله مفتوحًا يأخذ درجة المفتوح، وإن كان ما قبله مضمومًا يأخذ درجة المضموم، وإن كان ما قبله مكسورًا يأخذ درجة المكسور، كما قال الإمام المتولى:

فَمَا أَتَى مِنْ قَبْلِهِ مِنْ حَرَكَةْ   فافِرِضْهُ مُشْكَلاً بِتِلْكَ الْحَرَكَةْ

فلم يتبعه الإمام ابن الجزرى، ولم يأخذ به الجمهور، فما السبب فى ذلك؟

الجـــــواب:

لأن بيان الحرف المتحرك فى زمن حركته، والذى يقوم عليه عاتق بيان ثمرة استعلاء الحرف المتحرك هو الحركة؛ ولذلك كانت العلاقة وثيقة بين نوع وآلية كل حركة ودرجة التفخيم. فى حين أن بيان الحرف الساكن فى زمن سكونه، ودرجة امتلاء الفم به أى تفخيمه تتوقف على درجة استعلائه فقط، دون أن يتصعد الصوت معه كتصعده فى الحرف المفتوح، أو يعترض كاعتراضه فى الحرف المضموم، أو يتسفل كتسفله فى الحرف المكسور.

ولا يمكن أن تتساوى درجة تفخيم الساكن مع درجة تفخيم المفتوح، أو المضموم أو المكسور، إذ كيف يسكن الصوت ويأخذ درجة المتصعّد أو المعترض أو المتسفل، أو بمعنى آخر: كيف يتصادم طرفا مخرج الحرف حال السكون ويتباعدان حال الحركة، ويأخذ

الاثنـان درجـة تفخيميـة واحـدة، مـع العلـم أن السكون والحركـة ضـدان، والأثـر النـاتج عن سكون الحرف غير الأثر الناتج عن حركته؟

وبملاحظة الأداء فى الحرف الساكن وقبلـه فتح، نحـو: ﴿يَطْبَعُ﴾ ﴿وَيَصْبِرْ﴾، لا يمكننا إعطاء الطاء الساكنة مرتبـة الطاء المفتوحـة فى نحو﴿طَبَعَ﴾، ولا يمكننـا إعطـاء الصاد الساكنة مرتبـة الصـاد المفتوحـة فى نحو: ﴿صَبَرَ﴾، ولكن يمكننـا زيادة تفخيمها عن مرتبـة السكون، وذلك بالابتداء بتصعد الصوت واستعلاء أقصـى اللسان ابتداءً من حركة الفتح فى الياء التى قبل الطاء وقبل الصاد الساكنتين، فيؤدى ذلك إلـى امتلاء الفم بحركة الفتح، وينضغط الصوت إلى أعلـى كثيرًا، فيمتلئ فراغ الفم بالصوت قبل أن يعتمد على مخرج الساكن. ونتيجة هذا العمل: زيادة فى تفخيم الساكن والمتحرك قبلـه، فإن كان ما قبل الساكن حرفًا مرققًا فخم كالياء فى المثالين المذكورين.

وبملاحظة الأداء فى الحرف الساكن وقبلـه ضم، فى نحـو: ﴿يُطْعِمُ﴾، ﴿يُصْرَفْ﴾ لا يمكننـا إعطـاء الطـاء والصـاد السـاكنتين درجـة تفخـيم المضـموم فـى نحـو:﴿وَطُبِعَ﴾، ﴿صُرِفَتْ﴾، ولكـن يمكـن زيـادة تفخيمهمـا عـن مرتبـة السـاكن، وذلـك بالابتـداء بالاسـتعلاء بأقصى اللسان مع ضم الشفتين ابتداءً من الياء قبلهما، على أن يستمر ذلك أثنـاء النطق بالساكنتين، وهذا العمل نتيجته: تفخيم الطاء والصاد الساكنتين أعلـى من درجة السكون مع تفخيم الياء قبلهما، مع الوقوع فى خطأ ضم الشفتين فى الطاء والصاد الساكنتين.

وبذلك نكون قد وقعنا في خطأ تفخيم الحرف المرقق، وخطأ ضم الشفتين في الساكن.

وبملاحظـة الأداء في الحـرف الساكن وقبله كسـر، في نحـو: ﴿إِطْعَامُ﴾، ﴿إِصْرًا﴾ نجـد أن إعطـاء الحـرف السـاكن درجـة المكسـور يعنـي إضـعاف تفخيمـه عمـا يسـتحقه وإذهاب الكثير من إطباقه، حتـى تكاد الطاء تشبه التـاء والصاد تشبه السين. ومستحق الحرف الساكن المستعلي أن يأخذ درجة تفخيمية أعلى من الكسر؛ لأن الحرف المستعلي يحتفظ باستعلائه مع السكون. أما مـع الكسر فيفقد جزءًا منـه نظرًا لمشاركة مخرج اليـاء التـي لابـد أن يصـاحبها انخفـاض لا إرادي فـي أقصـى اللسـان. وهـذا مـا يشـهد بـه النطـق

السليم ونلحظه في الأداء. وهذا ما لاحظه بعض ممن يرون أن الساكن يتبع ما قبله، مما حدا بهم أن يتخـذوا لأنفسـهم مذهبًـا رابعًـــا يجعـلون فيـه السـاكن وقبـله كسـر أفخــم مـن المكسـور، فقالـوا:

مراتب التفخيم خمس، وهى:

المفتوح وبعده ألف.

المفتوح وليس بعده ألف ومعه الساكن وقبله فتح.

المضموم ومعه الساكن وقبله ضم.

الساكن وقبلة كسر.

المكسور.

وهذا المذهب أشار إليه صاحب السلسبيل الشافي بقوله:

أَشَدُّها المفْتُوحُ بَعْدَهُ أَلِـفْ وَدُونَـهُ المفتـوحُ مِنْ غَيْرِ أَلِفْ

مَضْمُومُها وساكِنٌ عَنْ كَسْرِ مكسُـورُها فخمسةٌ بالحَــصْرِ

وسـاكِنٌ عَنْ فتحةٍ كَفَتْــحَهْ وَسَـاكِنٌ عَنْ ضَمَّةٍ كَضَــمَّهْ

وبعد هذا العرض يتبيَّن أن مذهب الجمهور، واختيـار الإمـام ابن الجزرى هو الذي يجب أن يكون عليه العمل.

ومما يؤكد ذلك أيضًا:

أن علاقة الحرف الساكن بالحرف المتحرك قبلـه علاقة إظهار وبيان دائمًا، فيخرج الحرف الساكن بطبيعته المحايدة، والكيفيـة التـى يتميز بهـا كحرف هجـاء حكمـه الانفصال عمـا جـاوره، سـواء كـان مـا جـاوره مفتوحًـا أو مضـمومًا أو مكسـورًا، مسـتفلاً أو مسـتعليًا. وهذه هى حقيقة التجويد، أن ننطق بالحرف الساكن المظهر حال الاجتمـاع كما ننطق بـه حال الانفراد. وإذا استعلى معه أقصى اللسان بالإرادة يأخذ درجتـه التفخيميـة المستحقة لـه بما يتناسب مـع صفاتـه وطبيعة مخرجـه وموضعه داخل الفم والحلق، الأمر الذى يُضْفِى على القراءة رونقًا وجمالاً، ويدل على مهارة القارئ وإجادته.

تقسيم الحروف العربية
من ناحية التفخيم والترقيق

قَسَّمَ العلماء الحروف العربية من ناحية التفخيم والترقيق إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: يضم الحروف المفخمة على كال حال، وهى أحرف الاستعلاء السبعة المجموعة فى قولهم: (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ).

القسم الثانى: يضم الحروف المستفلة التى تفخم أحيانًا، وهى: اللام والراء.

القسم الثالث: يضم حرفًا واحدًا وهو الألف التى لا توصف بتفخيم ولا بترقيق.

القسم الرابع: ويضم باقى الحروف وجميعها حروف مستفلة حكمها الترقيق على كل حال.

بالنسبة للقسم الثالث: وهو حرف الألف. سبق دراسته مع حروف مخرج الجوف.

وبالنسبة للقسم الرابع: وهو الحروف المستفلة على كل حال. سبق دراستها مع مخرج كل حرف منها. وستقتصر الدراسة فى هذا الباب على القسمين الأول والثانى فقط.

وقبل أن نشرع فى دراستهما ننبه إلى أن سبب إدراج العلماء لصفتى (التفخيم والترقيق) ضمن الصفات العارضة هو:

١- مع تركيب الحروف المستفلة مع غيرها توجد حروف مستفلة تفخم أحيانًا، وترقق أحيانًا أخرى.

٢- مع تركيب الحروف المستعلية مع غيرها تختلف درجة تفخيم الحروف المستعلية تبعًا لحال الحرف من ناحية السكون، والحركة، وتبعًا لنوع الحركة.

القسم الأول:

الحروف المفخمة على كل حال: وهى حروف الاستعلاء السبعة (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ).

وتنقسم إلى مجموعتين:

مجموعة الحروف المطبقة، مرتبة بحسب درجة استعلائها: الطاء، ثم الضاد، ثم الظاء، ثم الصاد.

ومجموعة الحروف المنفتحة، مرتبة بحسب درجة استعلائها: القاف، ثم الغين، ثم الخاء.

مراتب التفخيم للحرف الواحد على المذهب المختار (المذهب الأول):

حروف الاستعلاء المطبقة:

مراتب التفخيم الخمس	أقواها الطـاء	ثم الضـاد	ثم الظـاء	ثم الصـاد
الأولى: المفتوح وبعده ألف	طَاب	ضَاق	تَظَاهَرُون	صَالح
الثانية: المفتوح وليس بعده ألف	طَبَع	ضَرَب	ظَلَم	صَرَف
الثالثة: المضموم	طُبِع	ضُرِبت	ظُلِم	صُرِفت
الرابعة: الساكن	يَطْبع	يُضْلل	يَظْلِم	يَصْرِفه
الخامسة: المكسور	طِباقا	ضِرارا	ظِلاًّ	صِراطًا

حروف الاستعلاء المنفتحة:

مراتب التفخيم الخمس	أقواها القاف	ثم الغين	ثم الخاء
الأولى: المفتوح وبعده ألف.	يُقَاتَلون	بِغَائبين	خَائفين
الثانية: المفتوح وليس بعده ألف	قَتَل	غَفَر	خَلَق
الثالثة: المضموم	قُتِل	غُلِبت	خُلِق
الرابعة: الساكن	يَقْتل	مَغْفِرة	يَخلُق
الخامسة:			

المكسور	قِتال	غِلّ	خِفَافًا

الثمرات المستفادة: وعددها أربع.

الثمرة الأولى:

إذا ضبط القارئ مخرج الحرف المستعلى ـ المنفتح أو المطبق ـ وضبط كيفية التباعد إلى أصل حركته، فتصعَّدَ بالصوت فى الحرف المفتوح، واعترض بالصوت بضم شفتيه فى الحرف المضموم، وتسفل بالصوت بخفض وسط اللسان فى الحرف المكسور فسيجد أن الحرف يأخذ درجته التفخيمية المستحقة له دون عناء.

أَمَّا إطلاق عبارة (الحرف المفخم ينضغط صوته فى داخل الفم)، فغير صحيحة؛ لأن الحرف المستعلى يأخذ درجته التفخيمية بما يتفق مع موضع مخرجه داخل الفم والحلق مع ما يحمله من صفات القوة والضعف، فإذا لم ينتبه القارئ إلى ذلك وقام بضغط صوته إلى داخل الفم للنطق بالحرف المستعلى أدى ذلك عمليًّا إلى: زيادة فى درجة الاستعلاء نتيجة لانفصال العلاقة بين (مخرج الحرف ودرجة الاستعلاء)، فيأخذ الحرف درجة تفخيميه أعلى مما يستحقه. وهذا الأمر نلاحظه فى قراءة من يقوم بالاستعلاء مع تصعد الصوت فى الألف والفتح؛ فيخرج صوت الحرف وقد انضغط جدًّا فى داخل الفم.

الثمرة الثانية:

فى درجات التفخيم لم يرد الحرف المضموم وبعده واو ساكنة، ولا الحرف المكسور وبعده ياء ساكنة، كما ورد الحرف المفتوح وبعده الألف الساكنة، والسبب:

أن الألف تتبع ما قبلها فى استعلائه وإطباقة، كما فى نحو﴿ طَابَ ﴾ وتتبع ما قبلها فى استعلائه وانفتاحه، كما فى نحو: ﴿ قَالَ ﴾ لعدم وجود عضو نطق لها يشارك الجوف، أما الواو والياء فلهما عضوان يشاركان الجوف عند النطق بهما، وهما (الشفتان فى الواو، ووسط اللسان فى الياء)، يخرج منهما حروف لا تفخم، بمعنى أن الصوت المعتمد على الشفتين، أو على وسط اللسان لا يصاحبه استعلاء إرادى فى أقصى اللسان لكونها أعضاء نطق لا تُخرج إلا حروفًا مرققة.

مع الانتباه إلى:

مشاركة الجوف لكل من الشفتين ووسط اللسان عند إخراج الواو والياء المدِّيَّتين يؤدى إلى عدم تمكن الصوت من الشفتين، ومن وسط اللسان، بنفس الدرجة التى فى المحققتين اللتين تخرجان من المخرج المحقق فقط بتصادم طرفيه، دون مشاركة الجوف، وبالتالى: قد يشوب الواو، فى نحو: ﴿ٱلطُّورَ﴾، ﴿وَأَلَّوْ﴾ وما شابههما، والياء فى نحو: ﴿عِضِينَ﴾، ﴿عَظِيمٌ﴾ وما شابههما، شيء يسير من التفخيم- يشهد به الحس والسماع- وهذا مما يعفى عنه، نظرًا لطبيعة المخرج المقدَّر للحرفين، ولا يعنى هذا ألْبتة أن الواو والياء يتبعان ما قبلهما تفخيمًا وترقيقًا، لأن التبعية معناها: أن الواو والياء ليس لأىٍّ منهما عضوُ نطق ممكن أن ينحصر صوتهما فيه كالألف، ولا يكون لهما مخرج محقق أبدًا، ولا يأتيان متحركتين أبدًا، ولا يأتى قبل الواو إلا ضم ولا يأتى قبل الياء إلا كسر، وهذا كله غير صحيح.

ولذلك اتفق أهل الأداء قاطبة على أن الألف تتبع ما قبلها تفخيمًا وترقيقًا، وعلى أن الواو والياء مرققتان على كل حال.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا:

إذا أتى قبل الواو والياء الساكنتين حرفٌ مُستعلٍ، يستطيع القارئ المحافظة على عدم تبعيتهما لما قبلهما، إذا انتبه إلى عدم الاحتفاظ بالاستعلاء الإرادى عند النطق بالواو أو بالياء، ويساعده على ذلك:

عدم المبالغة فى امتلاء الفم بحركة الحرف المستعلى عند التباعد إلى الحركة.

الثمرة الثالثة:

إن اتبع القارئ المذهب المختار، وهو أن الساكن له مرتبة برأسه، وأن الساكن أفخم من المكسور، يجد أن الحروف الساكنة ليس فيها استثناء. فلا تُسْتَثْنَى الخاء والغين الساكنتان فى الوقف على كلمتى:﴿شَيْخٌ﴾، ﴿زَيْغٌ﴾، ولا تستثنى الخاء الساكنة وقبلها كسر واتصل بها فى كلمتها راء مفخمة حيث وقعت فى القرآن، فى نحو:

﴿إِخْرَاجِ﴾ وما تصرف منها، ومثلها ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ﴾ بكسر التاء على قراءة حفص،

أو بضمها على قراءة غيره.

بيان المقصود من هذه الثمرة:
يقول أصحاب مذهب أن الساكن ليس له مرتبة برأسه:

بالنسبة لكلمتى ﴿شَيْخٌ﴾، ﴿زَيْغٌ﴾: من أجل الياء الساكنة قبلهما يجوز قراءة الكلمتين – عند الوقف – بإعطاء الخاء والغين درجة تفخيم الساكن، مع جواز إعطائهما درجة أَقل؛ أى درجة تفخيم المكسور(على اعتبار أن الياء الساكنة مثل الكسر).
ونقول:

الصحيح أنهما يأخذان درجة الساكن ولا استثناء، فلا فرق بينهما وبين كل خاء أو غين ساكنة موقوف عليها أو موصولة، سواء كان ما قبلهما مفتوحًا، نحو: ﴿يَغْفِرَ﴾، ﴿يَخْلُقُونَ﴾.

أو كان ما قبلهما مضمومًا، نحو: ﴿يُغْفَرْ﴾، ﴿يُخْلَقُونَ﴾.

أو كان ما قبلهما مكسورًا، نحو: ﴿لَا تُزِغْ﴾، ﴿ٱخْتَلَفُواْ﴾.

أمَّا بالنسبة لكلمة: ﴿وَإِخْرَاجُ﴾، وما تصرف منها وكذلك ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ﴾، فكثيرًا ما يرد الكلام عنهما فى كتب التجويد للتنبيه على تفخيم الخاء الساكنة تفخيمًا قويًّا ليحصل التناسب بين صوت الخاء الساكنة وقبلها كسر وصوت الراء المفخمة بعدها، ويستشهدون بالقول:

وَخَاءَ إخراجٍ بتفخيمٍ أَتَتْ مِنْ أَجِل رَاءٍ بَعْدَها قَدْ فُخِّمَتْ

ونقول:

هذا الاستثناء، إن كان الغرض منه تحقيق التناسق الصوتى بين الحرفين فالتناسق موجود بدون استثناء، بشرطين:

١- مراعاة المذهب المختار فى أن الخاء الساكنة تأخذ مرتبة أعلى من المكسورة.
٢- أن الراء المفتوحة أو المضمومة لا يستعلى معها بأقصى اللسان بالإرادة فتخرج مطبقة مفخمة جدًّا؛ وإنما يكفى ضبط مخرجها مع ضبط حركتها.

وبهذين العملين يحدث التناسق الذى خلقه الله طبيعيًّا بين الحرفين المتجاورين.

الثمرة الرابعة:

حروف الاستعلاء المطبقة أشد تفخيمًا من حروف الاستعلاء المنفتحة. كما قال أحد العلماء:

وَحَرَفَ الاستِعْلاَءِ فَخِّمْ وَمُطْبَقُهَا اشْتَدَّ تَفْخِيمُهِ ....

وترتيب حروف الاستعلاء السبعة – بشكل عام – هو:

الطاء، ثم الضاد، ثم الظاء، ثم الصاد، ثم القاف، ثم الغين، ثم الخاء: كما يوضحها أوائل كلم هذا البيت:

وَفَخِّمِ اسْتِعْلاَ بِتَرْتِيبٍ يَفِى طِبْ ضَيْفَ ظَلَّ صِدْقٍ قُلْ غَيرَ خَفِىْ

كل حرف من الأحرف السبعة له فى ذاته خمس مراتب:

وتكون المراتب للأحرف السبعة خمسًا وثلاثين مرتبة.

وأقوى الحروف المطبقة تفخيمًا: حرف الطاء المفتوح وبعده ألف.

وأضعف الحروف المطبقة تفخيمًا: حرف الصاد المكسور.

وأقوى الحروف المنفتحة تفخيمًا: حرف القاف المفتوح وبعده ألف.

وأضعف الحروف المنفتحة تفخيمًا: حرف الخاء المكسور.

فيكون أقوى حروف الاستعلاء تفخيمًا: حرف الطاء المفتوح وبعده ألف.
وأضعف حروف الاستعلاء تفخيمًا: حرف الخاء المكسور.

وكل حرف أقوى مما بعده فى المرتبة الواحدة، بمعنى: إذا تماثلا فى المرتبة الواحدة فالطاء التى بعدها ألف أعلى من الضاد التى بعدها ألف، وهكذا.

والقاف التى بعدها ألف أقوى من الغين التى بعدها ألف، وهكذا.

وإن كان كل منهما فى أعلى مراتب التفخيم.

وأقوى من نفسه بالاعتبار: أى بالنسبة للنظر إلى حال كل حرف، فالطاء حال كونه مفتوحًا أقوى من نفسه حال كونه مضمومًا أو مكسورًا، والقاف حال كونه مفتوحًا أقوى من نفسه حال كونه مضمومًا أو مكسورًا، وهكذا فى غيرهما من الحروف السبعة.

أثر الكسر على حروف الاستعلاء
المطبقة والمنفتحة

حركة الكسر وأمها الياء يرتبطان دائمًا بالاستفال والترقيق، وهذا ملاحظ عند إمالة الألف التابعة لحرف مستعل نحو الضاد فى ﴿ قَضَىٰ ﴾، والقاف فى ﴿ فَتَلَقَّىٰ ﴾.

حيث نجد أن الضاد قد ذهب إطباقها، والقاف قد زاد انفتاحها، وبالتالى ضعف تفخيمهما، والسبب ما يحدث لأقصى اللسان من تسفل لا إرادى عند النطق بالياء والكسر مما يؤدى إلى فقدان الحرف الكثيرَ من استعلائه، وبالتالى تفخيمه.

ويتوقف مقدار تفخيم الحرف المكسور على ما تبقى له من استعلاء.

وكلما قوى استعلاء الحرف احتفظ بتفخيم مع الكسر.

فالحرف المطبق: يستعلى معه أقصى اللسان وطرفه مما يجعل استفال أقصاه عند الكسر أقل من الحرف المنفتح الذى يجتمع عليه عند الكسر:

استفال طرف اللسان، مع انحدار لا إرادى فى أقصى اللسان، ولذلك:

فأثر الكسر على الحرف المنفتح أكبر من أثره على الحرف المطبق.

والطاء المكسورة أفخم من الضاد المكسورة.

والضاد المكسورة أفخم من الظاء المكسورة.

والظاء المكسورة أفخم من الصاد المكسورة.

والصاد المكسورة أفخم من القاف المكسورة.

والقاف المكسورة أفخم من الغين المكسورة.

والغين المكسورة أفخم من الخاء المكسورة.

فأثر الكسر على الحروف الثلاثة المنفتحة أكبر من أثره على الحروف الأربعة المطبقة، وأثره على الخاء أكبر من الغين، وعلى الغين أكبر من القاف.

والحروف الثلاثة المنفتحة – فى حال الكسر – تقْرُب كثيرًا من الترقيق؛ ولذلك يطلقون عليها اسم حروف (التفخيم النسبى)، أى أنها مفخمة نسبة إلى ترقيق الحروف المستفلة، وأشار إلى ذلك الإمام المتولى فقال:

فَهْىَ– وَإِنْ تَكُنْ بِأَدْنَى مَنْزِلَهْ–   فَخِيمَةٌ قَطْعًا مِنَ الْمُسْتَفِلَهْ

فَـــلاَ يُقَـــالُ: إنَّهَـا رَقِـيقَــهْ كَضِدِّهَا، تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَهْ

أَمَّا سبب كونها (فخيمة قطعًا من المستفلة):

أن التباعد إلى أصل حركتها يأتى عن استعلاء، أما التباعد فى الحروف المستفلة فيأتى عن استفِال؛ ولذلك لا يفنى تفخيم المستعلية المنفتحة – مع الكسر – فَنَاءَه فى المستفلة.

والخلاصة: أَنَّ الحرف المستعلى المنفتح لا يرقق بحال، ولو كان فى أدنى منزلة بسبب الكسر، فالكسر يضعف تفخيمه ولا يفْنيه.

خطأ ضم الشفتين بقصد التفخيم

ما ذكرناه سابقًا، عند الكلام عن حروف مخرج الجوف الثلاثة من استعلاء أقصى اللسان اللاإرادي عند النطق بالواو، وما يترتب عليه من خطأ تفخيم الحروف. لاحظه البعض، فقاموا باستخدامه فى تفخيم الحروف المستعلية عن طريق ضم الشفتين مع الحروف المفتوحة والألفات التابعة لها، وفى الحروف المكسورة.

وهذا العمل خطأ يترتب عليه أخطاء عدَّة، هى:

١- عَلِمْنَا أن الحرف المستعلى له درجات: أعلاها المفتوح وبعده ألف، ثم المفتوح وليس بعده ألف، ثم المضموم، ثم الساكن، ثم المكسور. وضم الشفتين فى الحرف المستعلى (المفتوح، أو الساكن،أو المكسور) يؤدى إلى أن يأخذ اللسان – داخل الفم – وضع النطق بالواو، فينضغط الصوت داخل الفم، ويعطى للحرف تفخيمًا زائدًا يخل بميزان تفخيم الحروف تبعًا لآلية حركاتها وسكونها.

٢- ضم الشفتين، عند النطق بالحرف الساكن معروف لدى القراء بالإشمام. وهذا العمل صحيح فى مواضعه بضوابطه، خطأ فى غيرها، والذى يضم شفتيه فى القاف الساكنة فى نحو ﴿يَقْبَلُ﴾، أو الطاء فى نحو ﴿يَطْبَعُ﴾ بقصد تفخيمهما، يقع فى خطأ إشمام حرف ساكن، من غير رواية ولا دليل.

٣- مشاركة ضم الشفتين للحرف المفتوح أو المكسور فيه خلط حركة بحركة يجعل الفتحة الأصلية حركة فرعية، تتردد بين الفتحة والضمة، ويجعل الكسرة الأصلية حركة فرعية، تتردد بين الكسرة والضمة، وخلطُ الفتحة بالضمة لم يرد، أمَّا خلطُ الكسرة بالضمة فورد كحرف فرعى فى ست كلمات فى القرآن، منها:

﴿ قِيلَ ﴾ ﴿ وَغِيضَ ﴾ ﴿ وَسِيقَ ﴾... إلخ. وقد سبق شرحها عند الكلام عن الحركات الفرعية والحروف الفرعية.

وخلط حركتين بدون رواية خطأ ولحن جلى لا يجوز تلاوة القرآن به.

٤- ضم الشفتين بقصد التفخيم يجعل إعمال القارئ على ضبط ضم شفتيه، فيشغله عن ضبط مخرج الحرف، ويلغى تمامًا صفتى الاستعلاء والإطباق.

٥- ضم الشفتين فى الألف التابعة لحرف مستعل بقصد التفخيم معناه عمليًّا: أن الألف لها عضو نطق يشارك الجوف وهو الشفتان. وهذا يخالف جميع صفات الألف وأحكامها وأحوالها.

كما أنه يؤدى إلى إعطاء جميع الألفات التابعة لجميع الحروف المستعلية السبعة درجة تفخيمية واحدة، فلا فرق بين الألف التابعة للطاء، فى نحو:

﴿ طَآئِرٍ ﴾، والتابعة للخاء، فى نحو: ﴿ خَآئِفًا ﴾.

كما أنه يؤدى إلى خروج الألف مخلوطة بصوت الواو فتصير حرفًا فرعيًّا، وليست كذلك.

وأخيرًا: الذى يخرج الألف بضم الشفتين، فى نحو: ﴿ قَضَىٰ ﴾، ﴿ فَتَلَقَّىٰ ﴾ يستحيل عليه أن يقللها أو يميلها، إن أتت الرواية بذلك، إذ كيف يضم شفتيه ويتجه بالصوت ناحية الكسر أو الياء ؟

خطأ بسط الشفتين أو كسرهما بقصد الترقيق

ما ذكرناه من استفال أقصى اللسان اللاإرادى عند النطق بالياء، وما يترتب عليه من ترقيق، لاحظه البعض فقاموا باستخدام مخرج الياء مع بسط الشفتين وخفض الفك السفلى، فى ترقيق الحروف المستفلة، وترقيق الألفات التابعة لها.

وهذا العمل خطأ ينتج عنه عدَّة أخطاء، هى:

(١) مشاركة مخرج الياء لحركتى الفتح أو الضم فيه خلط حركة بحركة، يجعل الفتحة الأصلية حركة فرعية تتردد بين الفتحة والكسرة (وهو ما يعرف بالإمالة أو التقليل)، أوتتردد بين الضمة والكسرة.

والاثنان وردت القراءة بهما فى كلمات مخصوصة وبضوابط معروفة لدى القراء، ولا يجوز فى غير أماكنهما. وفى قراءة حفص: لم يمل إلا ألفًا واحدة فى القرآن وهى ألف ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ بسورة هود. ولم ترد عنه فتحة ممالة أو مقللة، ولم ترد عنه ضمة مخلوطة بالكسرة، وإن وردت عن غيره.

(٢) إعمال مخرج الياء فى الحرف المستفل وبسط الشفتين بحجة الترقيق سواء كان الحرف ساكنًا، أو مفتوحًا وبعده ألف، أو مفتوحًا فقط، أو مضمومًا، يورث الحرف نحولاً زائدًا يخرجه عن طبيعته الفصحى، ومن العجيب: أن الذى يقوم بضم شفتيه بقصد التفخيم نجده عند النطق بالواو يترك الصواب – وهو ضم الشفتين – إلى بسطهما وخفض الشفة السفلى بحجة الترقيق، فتخرج الواو نحيلة جدًا مخلوطة بالياء، كما فى نحو: ﴿ذُو﴾، ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿رَسُولٌ﴾.

(٣) خروج الألف التابعة لحرف مستفل بخفض الفك السفلى أو بسط الشفتين، (كوضع الابتسام، كما يقولون)، يجعل المخرج الفموى مضغوطًا إلى أسفل ومهما حاول القارئ أن يتصعد بالصوت فى الألف فلا يمكنه، ولابد أن تخرج مقللة أو ممالة.

(٤) إعمال مخرج الياء عند خروج الألف التابعة لحرف مستفل، نحو:

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿دَآبَّةٍ﴾ معناه عمليًا: أن الألف لها عضو نطق يشارك الجوف، وهذا يخالف جميع أحكام الألف وأحوالها.

ولقد سبق وذكرنا أن (خفض الفك السفلى)، ليس مخرج الياء، وإنما مخرجها خفض وسط اللسان، دون أن يظهر لذلك أثر على الفك السفلى، وهذا فى الياء الجوفية التى تخرج من جوف وسط اللسان، أما الياء المحققة: فتخرج بتصادم وسط اللسان بما يحاذيه من غار الحنك الأعلى وتكون الشفتان على وضعهما الطبيعى.

وإليك ما ذكره الشيخ الحصرى رحمه الله بخصوص (ضم الشفتين بقصد التفخيم وبسطهما فى حال الترقيق) حيث قال:

(تدوير الشفتين فى حالة التفخيم وتمطيطهما فى حالة الترقيق حال كون الحرف المفخم أو المرقق مفتوحًا أو ساكنًا ليس بصحيح ولا هو من كمال الأداء، بل هو تكلف؛ لأن تدوير الشفتين هو إشارة إلى الضم (وهو ما يعرف بالإشمام)، وتمطيطها (أى بسطهما)، إشارة إلى الكسر، فتشبه المفتوح والساكن فى النطق بالمضموم أو المكسور. وهذا لحن ينبغى الاحتراز عنه، وتبقى الشفتان فى حالتهما الطبيعية المحايدة)، انتهى بنصه.

وختاماً نقول:

مخرج الحرف مع وضع أقصى اللسان هما اللذان يتحكمان فى تفخيم الحروف وترقيقها، وهذا الأمر مضبوط مع كل حرف بما يتصف به من صفات الاستعلاء- الاستفال- الإطباق- الانفتاح، واستخدام ضم الشفتين كوسيلة للتفخيم، وبسطهما كوسيلة للترقيق، هو ببساطة إلغاء للحركات الثلاث وأثرها على تفخيم الحروف، وإلغاء لصفات الحرف وإهمال لها.

والأحرى بقارئ القرآن أن يبتعد عن تلك الأمور وأمثالها التى لا تورث إلا التكلف والتعسف والبعد عن الصواب، ويشقى بها القارئ، والناظر، والمستمع.

فشقاء القارئ: يأتى من قضاء وقته فى التدريب على كيفية خروج الحرف المفتوح، والساكن، والمكسور، بضم الشفتين ليفخمه، وعلى كيفية خروج الحرف المفتوح، والمضموم، والساكن، بخفض الفك وبسط الشفتين ليرققه، متأوّلاً قول الإمام ابن الجزرى:

وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ   إلا رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِّهِ

وهذا القول ليس معناه التدريب على تلك الأعمال التى تخرج الحروف عن طبيعتها الفصيحة السوية، وإنما مقصود الإمام: أن هذا العلم لا يؤخذ بمجرد السماع، أو من الكتب ولا يمكنك إتقانه إلا بالتلقى مع التدريب بفمك، ولسانك، على ما تلقيته من الشيخ المتقن، على أن يكون شعارك البعد عن التكلف والتعسف، ولذلك قال الإمام قبل البيت المذكور مباشرة:

مُكَمَّلاً مِنْ غَيرِ مَا تَكَلُّفَ   بِالُّلطفِ فى النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ

أمَّا شقاء الناظر: فيأتى مما يراه على وجه القارئ، فهو يراه وكأنه يبتسم، ثم يضم شفتيه، ثم يعود فيبتسم، ثم يضم، وهكذا، دون أن يكون هناك سبب للابتسام أو لضم الشفتين، فى حين أن ذات القارئ إن تكلم فى غير القرآن وجده وقد عاد إلى طبيعته السوية.

أمَّا شقاء المستمع: فيأتى من استماعه لحروف اللغة الفصيحة وقد تبدلت بسبب تلك التلاوة، لأنه يسمع ذات القارئ إذا قرأ نصًا غير القرآن تكلم بصورة طبيعية وخرجت الحروف منه بلا تكلف.

والواجب أن يترك القارئ فمه ووجهه على طبيعته التى خلقه الله عليها، ويحرص على أن يكون مجودًا لكلمات الله بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ حسية ومعنوية.

وإلى هنا ينتهى الكلام عن حروف القسم الأول من الحروف العربية وهى الحروف المفخمة على كل حال، وسنشرع فى بيان:

القسم الثانى:

الحروف التى تفخم أحيانًا وترقق أحيانًا أخرى: وهما حرفا الراء واللام:

(حرف الراء)

الراء من أكثر الحروف التى كثر كلام العلماء عن أحوالها، حتى إن بعض العلماء أفردها فى كتب خاصة كالنونية للسخاوى. وأكثر أحوال الراء كما قال الإمام ابن الجزرى فى النشر: "إنما هو قياس على الأصول، وبعضه أخذ سماعًا من العرب، ولكن الرواية هى الحجة لكل قارئ".

وتدور أحوال الراء حول:

أحوال تفخم فيها الراء قولاً واحدًا.

أحوال ترقق فيها الراء قولاً واحدًا.

أحوال دائرة بين التفخيم والترقيق.

ضوابط أحوال الراء تتلخص فى:

الأصل فى تفخيم وترقيق الراء هو (الحركة):

فإن أتت الراء متحركة: فينبغى الحكم بالترقيق أو التفخيم بالنظر إلى الراء فى ذاتها، دون ما قبلها وما بعدها.

وإذا سكنت الراء: فالذى يقرر حكم تفخيمها أو ترقيقها ما جاورها من حروف كلمتها. وجميع أحوال الراء ليس لها علاقة بغير حروف كلمتها، ولا اعتبار بوجود حرف بعدها مادام منفصلاً عنها فى كلمة أخرى. سواء كان هذا الحرف حرف استعلاء، مثل الصاد فى ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا ﴾، أو حرف استفال، مثل اللام فى ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾.

والراء الساكنة إما أن يكون سكونها أصليًّا أو عارضًا، وإما أن تكون متوسطة أو متطرفة.

فالراء المتوسطة الساكنة:

ينبنى الحكم بتفخيمها أو بترقيقها على النظر إلى ما قبلها مع ما بعدها، فإن أتت ساكنة وقبلها كسر فهي تتبع ما بعدها تفخيمًا وترقيقًا، أى:

إن أتى بعدها حرف استعلاء فخمت، فى نحو: ﴿ قِرۡطَاسٍ ﴾.

وإن أتى بعدها حرف استفال رققت، فى نحو: ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾.

وإن أتى بعدها حرف استعلاء مكسور دارت بين التفخيم والترقيق، كما فى ﴿فِرْقٍ﴾ بالشعراء.

أمَّا إن أتت الراء الساكنة وقبلها همزة وصل مكسورة فحكم الراء هو التفخيم، سواء ثبتت همزة الوصل للابتداء بها فى نحو ﴿ٱرْتَضَىٰ﴾، أم سقطت لوصلها بما قبلها فى نحو ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، فلا يعتد بهمزة الوصل ولا بحركتها، لأن كلاًّ منهما أمر عارض.

والراء المتطرفة الساكنة:

ينبنى الحكم على تفخيمها أو ترقيقها على النظر إلى ما قبلها دون ما بعدها، مع ملاحظة:

- إن أتت الراء ساكنة وقبلها ساكن، فينبنى الحكم بالترقيق أو التفخيم على أول حركة أتت قبل الساكن، كما فى نحو:﴿ٱلسِّحْرَ﴾.
- الراء الساكنة وما قبلها ياء ساكنة (مدية لينة)، كما فى نحو:﴿خَبِيرٌ﴾، أو(لينة) فقط، كما فى نحو:﴿ضَيْرَ﴾، تعامل الراء معاملة الساكنة وما قبلها مكسور، لاعتماد الصوت فى الحالتين على مخرج الياء، لكونها أم الكسرة.
- الألف المقللة أو الممالة تكون سببًا فى ترقيق الراء، سواء أتت الراء قبلها فى نحو: ﴿ذِكْرَىٰ﴾، أم بعدها فى نحو: ﴿ٱلنَّارِ﴾، وذلك وصلاً ووقفًا.

كما قال الإمام الشاطبى:

وَلاَ يَمْنَعُ الإسْكَانُ فِى الْوَقْفِ عَارِضًا إِمَالَةَ مَا لِلْكَسْرِ فِى الوصلِ مِيِّلا

والمعنى: ما أُمِيْلَ وصلاً لأجل الكسرة فإنه كذلك يمال وقفًا وإن عدمت الكسرة.

وقد علق على ذلك الإمام ابن الجزرى فى النشر بقوله:

"الأصل هو الوصل والوقف عارض، لأن الوقف مبنى على الوصل، فَمَا أميل وصلاً لأجل الكسرة فإنه كذلك يمال وقفًا، وإن عدمت الكسرة فيه ليفرق بذلك بين الممال لعلة وبين مالا يمال أصلاً، وللإعلام بأن ذلك كذلك فى حال الوصل، كإعلامهم بالروم والإشمام

حركة الموقوف عليه، وهذا مذهب الأكثرين من أهل الأداء واختيار جماعة المحققين، وهو الذى عليه العمل من عامة المقرئين" انتهى.

تنبيهات:

- الترقيق غير الإِمالة:

فالراء المرققة: لا يمتلئ الفم بها وينفتح صوتها جدًّا، وتكون خالية من صوت الياء؛ لأن القارئ يعتمد على مخرج الراء فقط.

أمَّا الإِمالة: فلا تكون إلا فى الألف أو الفتحة، ويعتمد القارئ على مخرج الألف والياء فى آنٍ واحد، ولذلك لابد أن يخالطها صوت الياء.

وقد علق الإمام ابن الجزرى على تسمية البعض " ترقيق الراءات إمالة"، بقوله فى النشر:

"وقد عبَّر قوم عن الترقيق فى الراء بالإمالة، كما فعل الدانى وبعض المغاربة، وهو تجوُّز، إذ الإمالة أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة، وبالألف إلى الياء، والترقيق إنْحاف صوت الحرف، فيمكن اللفظ بالراء مرققة غير ممالة، ومفخمة ممالة، وذلك أوضح فى الحس والبيان، وإن كان لا يجوز رواية مع الإمالة إلا الترقيق، ولو كان الترقيق إمالة لم يدخل على المضموم، والساكن، ولكانت الراء المكسورة ممالة، وذلك خلاف إجماعهم.

ومن الدليل أيضًا على أن الإمالة غير الترقيق: أنك إذا أملت ﴿ذِكْرَىٰ﴾، كان لفظك بها غير لفظك﴿ذِكْرًا﴾، بالراء المرققة لورش؛ لأن ما قبلها مكسور كسرًا أَصليًّا، ولو كان الترقيق هو الإمالة لكان اللفظ بها سواء، وليس كذلك" انتهى.

*** معنى قوله (ومفخمة ممالة): أن الراء المفتوحة تفخم- عند غير المميلين- ولكن من أمالها ترقق تبعاً للإمالة.

- جميع أحوال الراء تقوم على تحقيق التناسق الصوتى بين الراء مع ما جاورها من حروف أو حركات؛ ولهذا نجد بعض أحكامها غير مطلقة، وذلك حتى تتوافق الراء مع ما جاورها من حروف كلمتها، فنجدها إذا سكنت تتأثر بحركة ما قبلها، أَمَّا ما بعدها فتتأثر باستعلائه وباستفاله.

- للراء مراتب تفخيم تتفق مع آلية كل حركة، فالراء المفتوحة وبعدها ألف أفخم من المفتوحة وليس بعدها ألف، والراء المضمومة أقل تفخيمًا من المفتوحة.

وتختلف مراتب تفخيم الراء عن مراتب تفخيم الحروف المستعلية فى أمرين:

١- أن الراء الساكنة ليس لها مرتبة برأسها.

٢- أن الراء المكسورة مرققة.

والسبب فى الأمرين: أن الراء، وإن فخمت، فهي حرف مستفل منفتح لا يستعلى معها بأقصى اللسان بالإرادة بغرض التفخيم؛ ولذلك إذا تحركت بالكسر رققت، مثلها مثل جميع الحروف المستفلة.

الدراسة التفصيلية لأحوال الراء

الراءات فى القرآن موزعة على ثلاثة أقسام:

قسم يضم الراءات التى تفخم قولاً واحدًا.

وقسم يضم الراءات التى ترقق قولاً واحدًا.

وقسم يضم الراءات التى يجوز فيها الوجهان (التفخيم والترقيق).

أولاً: **الراءات التى تفخم قولاً واحداً**

(١) الراء المتحركة بالفتح أو بالضم (مخففة أو مشددة):

سواء كانت فى أول الكلمة، نحو: ﴿رَبِّ﴾، ﴿رُشْدًا﴾.

أو كانت فى وسط الكلمة، نحو: ﴿تَبَارَكَ﴾، ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾، ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ .

أو كانت متطرفة مفتوحة، نحو: ﴿ذُكِرَ﴾ [ولا يكون ذلك إلا وصلاً، أما فى حالة الوقف فتتبع حكم الراء الساكنة].

أو كانت متطرفة مضمومة، نحو: ﴿ٱلۡقَمَرُ﴾. [ولا يكون ذلك إلا وصلاً أو عند الوقف بالروم (لأن الروم كالوصل)، أمَّا عند الوقف بالإشمام أو بالسكون المحض فتتبع حكم الراء الساكنة].

(٢) الراء الساكنة فى وسط الكلمة وقبلها فتح أو ضم:

فى نحو: ﴿فَرۡدًا﴾، ﴿قُرۡءَانٍ﴾.

(٣) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا أصليًا وقبلها فتح أو ضم:

فى نحو: ﴿يَسۡخَرۡ﴾، ﴿وَأۡمُرۡ﴾.

(٤) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف وقبلها فتح أو ضم:

فى نحو: ﴿شَكَرَ﴾، ﴿كُبُرَ﴾.

(٥) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف وقبلها ساكن صحيح قبله فتح أو ضم:

فى نحو: ﴿نَصۡرُ﴾، ﴿مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾.

(٦) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف وقبلها ألف غير ممالة أو مقللة:

فى نحو: ﴿ٱلنَّارُ﴾.

أو قبلها واو ساكنة، فى نحو: ﴿يَحُورَ﴾.

(٧) الراء المتطرفة الموقوف عليها بوجه الروم، وهى فى الوصل مضمومة:

فى نحو: ﴿يَسِيرٌ﴾ ، ﴿خَيۡرٌ﴾.

فهي فى الوصل مفخمة لتحركها بالضم (ولأن الروم كالوصل تفخم مع الوقف بالروم، وترقق مع الوقف بالإسكان المحض، أو بالإشمام).

(٨) الراء الساكنة سكونًا أصليًا فى وسط الكلمة بعد كسر أصلى، وبعدها حرف استعلاء مفتوح، متصل بها فى كلمتها:

ولم يقع هذا فى القرآن إلا فى خمس كلمات، هى:

﴿مِرۡصَادًا﴾ النبأ آية ٢١.

﴿لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ الفجر آية ١٤.

﴿ قِرۡطَاسٍ ﴾ الأنعام آية ٧.

﴿ فِرۡقَةٍ ﴾ التوبة آية١٢٢.

﴿ وَإِرۡصَادًا ﴾ التوبة آية ١٠٧.

وأشار الإمام الشاطبى إلى هذا الحكم بقوله:

وَمَا حَرْفُ الاسْتِعْلاءِ بَعْدُ فَرَاؤُهُ　　　لِكُلِّهِمُ التفخيمُ فِيها تَذَلَّلاَ

*** أجاز بعض القراء إجراء الوجهين (التفخيم والترقيق)، عند الوقف على ﴿ فِرۡقَةٍ ﴾ للكسائى لإمالته فتحة تاء التأنيث، وقال الإمام ابن الجزرى (القياس يجيزه ولا أعلم فيه نصًّا).

(٩) الراء الساكنة سكونًا أصليًّا بعد همزة الوصل مطلقًا:

من المعلوم أنه إذا أتت الراء ساكنة فى أول الكلمة فلابد من الإتيان بهمزة الوصل قبلها للتمكن من النطق بها (مثلها مثل كل حرف يبتدأ به ساكنًا). ودخول همزة الوصل على الراء الساكنة يجعلها تأخذ حكم الراء الساكنة المتوسطة، وتكون الراء الساكنة هى الحرف الثانى فى ترتيب حروف الكلمة بعد همزة الوصل.

وهمزة الوصل حركتها عارضة، لكونها لا تثبت إلا ابتداءً وتسقط لفظًا فى درج الكلام، أى وصله، وتأتى الراء بعد همزة الوصل المفتوحة، والمضمومة، والمكسورة، والراء التى تقع بعد فتح لابد أن يأتى قبل همزة الوصل التى تسبقها حرف عطف، نحو: ﴿ وَٱرۡحَمۡنَآ ﴾، والتى تقع بعد همزة وصل مضمومة أو مكسورة تكون بعد همزة الوصل المبتدأ بها بالضم، كما فى﴿ ٱرۡكُضۡ ﴾، أو بالكسر، كما فى﴿ ٱرۡتَضَىٰ ﴾، وتفخيم الراء الساكنة بعد همزة الوصل المفتوحة أو المضمومة على أصل القاعدة، أما تفخيم الراء الساكنة بعد همزة الوصل المكسورة فبسبب أن كسرتها عارضة فلا يعتدُّ بها.

كما قال الإمام الشاطبى:

وَمَا بَعْدَ كَسْرٍ عَارِضٍ...　　فَفَخِّمْ.........................

ولقول الإمام ابن الجزرى عند الكلام على شروط تفخيم الراء:

أَوْ كَانَتِ الْكَسْرَةُ لَيْسَتْ أَصْلاَ　　　........................

*** فى نحو ، ﴿ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾، عند وصل الكلمتين: تحذف همزة الوصل وتأتى الراء الساكنة بعد كسر عارض.

وفى نحو﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾، ﴿ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ ﴾، عند وصل الكلمتين: تحذف همزة الوصل وتأتى الراء الساكنة بعد كسر أصلى.

والحكم واحد فى الحالتين، وهو التفخيم مطلقًا.

فإن قيل: إذا كان سبب التفخيم هو أن همزة الوصل وحركتها عارضتان، فلماذا تفخمون التى وقع قبلها كسر أصلى؟ الجواب: لسببين:

الأول:

الذى يؤثر فى الراء الساكنة حركة الحرف الذى اتصل بها فى كلمتها، فلما انفصلت الكسرة الأَصلية عن الراء فى كلمة أخرى صارت– رغم أصالتها– لا أثر لها على الراء.

لأن من شروط الترقيق بسبب الكسر أن يكون أصليًّا، وموصولاً بالكلمة.

كما قال صاحب السلسبيل الشافى:

وَرَقِّقِ الرَّا حَالَ الاِنكسَارِ وحال إسكانٍ عن انكسارِ

إنْ كان أصليًّا وموصولاً بِها ....

الثانى:

أن وجود الكسر الأَصلى قبل الراء مؤقت بسبب الوصل، وهمزة الوصل، وإن سقطت فى اللفظ، مقدر وجودها عند الابتداء.

ثانياً: الراءات التى ترقق قولاً واحداً

(١) الراء المتحركة بالكسر (مخففة أو مشددة):

سواء كانت فى أول الكلمة، نحو: ﴿ رِزۡقًا ﴾.

أو كانت فى وسط الكلمة، نحو: ﴿ وَٱلۡغَٰرِمِينَ ﴾، ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾.

أو كانت متطرفة غير موقوف عليها، وكانت متحركة بكسرة أصلية، نحو:﴿ ٱلۡقَدۡرِ ﴾.

أو كانت متطرفة غير موقوف عليها، وكانت متحركة بكسرة عارضة، وذلك فى:

أ- الراء الساكنة سكونًا أصليًّا وتحركت بالكسر للنقل وصلاً، فى نحو:

﴿وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ ...﴾، فى قراءة ورش.

ب- الراء الساكنة سكونًا أصليًّا وتحركت وصلاً بالكسر، حركة عارضة للتخلص من التقاء الساكنين، فى نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ﴾، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ﴾، وذلك عند جميع القراء.

*** كل راء متحركة بالكسر حكمها الترقيق: سواء أكانت الكسرة أصلية، أم عارضة، وسواء أكانت الكسرة كاملة، أم مختلسة أَم مرامة.

قال الإمام ابن الجزرى:

وَرَقِّقِ الرَّاءَ إِذا ما كُسِرَتْ ....

(٢) الراء الساكنة المتوسطة وقبلها كسر أصلى (لازم متصل بها فى كلمتها)، ولم يأتِ بعدها حرف استعلاء (متصل بها فى كلمتها)، فى نحو: ﴿ٱلْفِرْدَوْسِ﴾، ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

قال ابن الجزرى:

وَرَقِّق الرَّاءَ إذا ما كُسِرَتْ كذاك بعدَ الكسرِ حيثُ سَكَنَتْ
إنْ لمْ تكُنْ منْ قبلِ حَرْفِ اسْتِعْلا أو كانتِ الكسرةُ ليستْ أصْلاَ

(٣) الراء المتطرفة الساكنة وقبلها كسر:

سواء كان سكونها أصليًّا، فى نحو: ﴿ٱغْفِرْ﴾، ﴿تُصَعِّرْ﴾.

أو كان سكونها عارضًا للوقف، فى نحو:

﴿لِّيُنذِرَ﴾، فهي فى الوصل مفتوحة.

﴿ٱلْكَافِرُ﴾، فهي فى الوصل مضمومة.

﴿مُّنْهَمِرٍ﴾، فهي فى الوصل مكسورة.

(٤) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف، وقبلها ساكن صحيح مستفل، وقبل هذا الساكن كسر:

كما فى نحو: ﴿ٱلشِّعْرَ﴾، فهي فى الوصل مفتوحة.

﴿ذِكۡرٌ﴾، فهي فى الوصل مضمومة.

﴿وَبِئۡرٖ﴾، فهي فى الوصل مكسورة.

(٥) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف، وقبلها ياء ساكنة (مدية لينة أو لينة فقط):

بغض النظر عن حركة الحرف السابق للياء الساكنة، لأن الياء هى أم الكسرة، فكأن الراء ساكنة وقبلها مكسور.

وذلك فى الوقف على نحو: ﴿وَٱلۡعِيرَ﴾، ﴿ضَيۡرَ﴾، فالراء فى الوصل مفتوحة.

﴿قَدِيرٌ﴾،﴿خَيۡرٌ﴾ فالراء فى الوصل مضمومة.

﴿بَشِيرٖ﴾،﴿ٱلطَّيۡرِ﴾ فالراء فى الوصل مكسورة.

وجمع صاحب السلسبيل الشافى حكم الراء الساكنة وقبلها كسر، أو ياء ساكنة، أو ساكن مستفل قبله كسر، فى قوله:

وَرَقِّقَنْ وقفًا بُعَيْدَ الكسرِ أو يا سَكَنْ أو سَاكنٍ عَنْ كَسْرِ

(٦) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف وهى متحركة بالكسر وصلاً، ووقفنا عليها بوجه الرَّوم:

سواء كان قبلها حرف مد، نحو: ﴿ٱلنَّهَارِ﴾،﴿ٱلصُّورِ﴾، ﴿كَثِيرٖ﴾.

أو ليس قبلها حرف مد، نحو: ﴿كَٱلۡقَصۡرِ﴾، ﴿ٱلۡقَدۡرِ﴾،﴿خُسۡرٍ﴾.

(٧) الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف وقبلها ألف ممالة (إمالة صغرى أو كبرى)، فى نحو:

﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ﴿مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، ﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾.

(٨) الراء المتحركة بالفتح وأتى بعدها ألف ممالة (إمالة صغرى أو كبرى)، فى نحو:

﴿ذِكۡرَىٰ﴾، ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾.

وحفص قرأ مع من قرأ ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾، بالإمالة، ولم يُمِل غيرها.

وقد تمال الألف فترقق بسببها راء مفتوحة قبلها، وراء متطرفة ساكنة بعدها، فى نحو:﴿قَرَارٖ﴾، ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾.

قال الشاطبى:

وَلَكِنَّهَا فِىَ وقْفِهِمْ مَعَ غَيرِهَا تُرَقَّقُ بَعْدَ الْكسرِ أَوُ مَا تَمَيَّلا

والمعنى: كما ترقق الراء الساكنة بعد الكسر، ترقق أيضًا بعد الحرف الممال.

(٩) الراء المفتوحة المرققة (فى قراءة ورش)، وبعدها راء ساكنة متطرفة رققت من أجل ترقيق الأولى:

وهذا لم يقع إلا فى كلمة واحدة، وهى ﴿بِشَرَرٍ﴾ بالمرسلات، ولورش خاصة.

قال الإمام الشاطبى:

وفى شرَرٍ عَنْهُ يُرَقِّقُ... ....

وقال الإمام ابن الجزرى فى النشر:

"إذا وقفت بالسكون على ﴿بِشَرَرٍ﴾ لمن يرقق الأولى رققت الثانية، وإن وقعت بعد فتح، ذلك أن الراء الأولى إنما رققت فى الوصل من أجل ترقيق الثانية، فلما وقف عليها رققت الثانية من أجل الأولى، فهو فى الحالين ترقيق لترقيق". انتهى.

ثالثا: الراءات الدائرة بين التفخيم والترقيق

الحالة الأولى:

الراء الساكنة، وسط الكلمة بعد كسر أصلى، وبعدها حرف استعلاء مكسور.

ولم ترد فى القرآن إلا فى موضع واحد فى لفظ ﴿فِرْقٍ﴾، فى قوله تعالى بسورة الشعراء آية ٦٣ ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فاختلف فى الراء فيها بين التفخيم والترقيق.

قال الشاطبى:

.... وَخُلْفُهُم بِفِرْقٍ جَرَى بينَ المشايخِ سَلْسَلاَ

وقد يسأل سائل: لماذا اختلف فى ﴿فِرْقٍ﴾ ولم يختلف فى﴿فِرْقَةٍ﴾.

الجواب: لأن حرف الاستعلاء قد كُسر.

كما قال ابن الجزرى:

.... والخُلْفُ فى فِرقٍ لكسرٍ يُوجَدُ

وكما قال صاحب السلسبيل الشافى:

وفِرْقٌ الخلافُ فيها مُشْتَهِرْ لأنَّ الاستِعلاَءَ بَعْدَها انْكَسَرْ

مذاهب العلماء فى حال وصل ﴿ فِرْقٍ ﴾ بما بعدها:

اختلف العلماء على مذهبين:

المذهب الأول:

مَن نظر إلى القاف على أنها مستعلية منفتحة مكسورة، قال: هناك قوة واحدة تجذب الراء ناحية التفخيم وهى قوة الاستعلاء، وعملان يجذبانها ناحية الترقيق، وهما الانفتاح والكسر، فانكسرت قوة الاستعلاء وصارت الراء فى مرتبة ضعيفة من التفخيم، فكأنها وقعت بين مكسورين، فقالوا الحكم هو الترقيق.

فأصحاب هذا المذهب اعتدُّوا بالكسر الواقع قبل الراء وكسر حرف الاستعلاء بعدها، ولم يعتدُّوا بقوة الاستعلاء.

المذهب الثانى:

من نظر إلى أن القاف حرف مستعلٍ، فمستحقه التفخيم على كل حال، وإن كان منفتحًا، فلابد من تميزه عن الحرف المستفل المنفتح الذى مستحقه الترقيق على كل حال، فقالوا:

إن أَذْهبنا أثر قوة استعلاء القاف على تفخيم الراء، بسبب انكسار حرف الاستعلاء، فسوف يتساوى أَثر الحرف المستعلى المنفتح مع المستفل المنفتح، أى: ستتساوى الراء فى﴿ فِرْقٍ ﴾، مع الراء فى﴿ شِرْكٍ ﴾، فقالوا الحكم هو التفخيم.

فأصحاب هذا المذهب اعتدُّوا بقوة الاستعلاء، ولم يعتدُّوا بالكسر الواقع قبل الراء ولا بكسر حرف الاستعلاء، وعاملوا الراء فى ﴿ فِرْقٍ ﴾ معاملة الراء فى ﴿ قِرْطَاسٍ ﴾، وأخواتها.

والوجهان صحيحان مقروء بهما لكل القراء.

فمن رقق جاز لـه التفخيم، ومن فخم جاز لـه الترقيق، غير أنهم قالوا: إن القـول بالترقيق هو الأشهر والمقدم فى الأداء، كما قال الإمام ابن الجزرى فى النشر: النصوص متواترة على الترقيق.

آراء العلماء عند الوقف على (فِرْق) بالسكون المحض:

عند الوقف على ﴿ فِرْقٍ ﴾، بالسكون المحض، صار لدينا راء ساكنة وقبلها مكسور وبعدها حرف استعلاء ساكن، وللعلماء رأيان:

الرأى الأول: رأى أن الخلاف كان من أجل الكسر، فلما سكنت القاف صارت أقوى تفخيمًا، لأن الساكن أقوى تفخيمًا من المكسور، فقالوا: تفخم الراء قولاً واحدًا.

الرأى الثانى: رأى أن القاف – وإن سكنت – لم تصل إلى مرتبة المفتوح فى مثل:

﴿ فِرْقَةٍ ﴾، وأخواتها، حتى تفخم قولاً واحدًا، فقالوا بجواز التفخيم والترقيق، ولكنهم ضبطوه بحال الوصل، فقالوا:

من قرأ ﴿ فِرْقٍ ﴾، بترقيق الراء وصلاً، جاز له عند الوقف:

الترقيق عملاً بالوصل، وعدم الاعتداد بالسكون العارض.

وجاز له التفخيم اعتدادًا بالسكون العارض ومراعاة لمرتبة الساكن.

أما من قرأها بتفخيم الراء وصلاً، فلا يجوز لـه وقفًا إلا التفخيم، عملاً بالوصل، ولأن فى الترقيق نزولاً بمرتبة الساكن إلى مرتبة الكسر، أو نزولاً من الأعلى إلى الأدنى، وهذا لا يصح.

أما عند الوقف على (فِرْقٍ) بوجه الروم:

فلا خلاف بين العلماء (لأن الروم كالوصل)، فمن أخذ بمذهب التفخيم وصلاً لا يجوز له الوقف بالروم إلا به. ومن أخذ بمذهب الترقيق وصلاً لا يجوز له الوقف بالروم إلا به.

ومما سبق يتضح لنا أنه:

من فخم وصلاً: له الوقف بالتفخيم فقط مع الإسكان المحض، أو مع الروم.

ومن رقق وصلاً: جاز له الوقف بالترقيق، أو التفخيم مع الإسكان المحض، والوقف بالترقيق فقط مع الروم.

الحالة الثانية: (**من حالات الراء الدائرة بين التفخيم والترقيق**).

الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف، ومتحركة بالكسر وصلاً، وبعدها ياء محذوفة للتخفيف:

وهذا لم يأت فى القرآن إلا فى كلمتين:

الأولى: كلمة ﴿وَنُذُرِ﴾، المسبوقة بالواو.

وهى فى ستة مواضع بسورة القمر، أربعة منها فى قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، آية رقم ٣٠،٢١،١٨،١٦.

وموضعان فى قوله تعالى:

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، آية رقم ٣٩،٣٧.

الثانية: كلمة ﴿يَسْرِ﴾، فى سورة الفجر آية رقم ٤ من قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

فأصل الكلمتين (وَنُذُرِى– يسْرِى) وحذفت الياء رسمًا للتخفيف.

ففى الكلمة الأولى ﴿وَنُذُرِ﴾، عند الوقف، تكون الراء ساكنة وقبلها ضم، فالحكم هو: التفخيم.

وفى الكلمة الثانية ﴿يَسْرِ﴾، عند الوقف، تكون الراء ساكنة قبلها ساكن صحيح قبله فتح، فالحكم هو: التفخيم.

خلاف العلماء فى الوقف على الراء فى هاتين الكلمتين:

اختلفوا على مذهبين:

المذهب الأول: من نظر إلى الأصل، وهو الياء المحذوفة للتخفيف، ونظر إلى حالتها فى الوصل، حيث إنها مرققة لكسرها، قال الحكم هو: الترقيق.

فأصحاب هذا المذهب: أجروا الوقف مجرى الوصل، ولم يعتدُّوا بالعارض، وهو السكون.

المذهب الثانى: من لم ينظر إلى الوصل ولا إلى الأصل (وهو الياء المحذوفة رسمًا)، واكتفى بالنظر إلى حركة ما قبل الراء الساكنة، قال الحكم هو: التفخيم.

والوجهان صحيحان مقروء بهما والأمر على الخيار.

وللشيخ رزق خليل (شيخ المقارئ المصرية السابق)، رأى آخر حيث قال:

"أرى أن التفخيم وقفًا فى ﴿وَنُذُرِ﴾ أقوى من الترقيق، والترقيق وقفًا فى ﴿يَسۡرِ﴾ أقوى من التفخيم، وبخاصة عند من يقرأ برواية حفص، وذلك:

أولاً: لأن رواية حفص لا تثبت الياء بعد راء هاتين الكلمتين، وإنما تثبت هذه الياء عند ورش وصلاً، وعند يعقوب وصلاً ووقفًا.

ثانيًا: كلمة ﴿وَنُذُرِ﴾، الراء فيها آخر الكلمة لأنها على وزن (فُعُلْ)، فالراء في مقابل لام الكلمة، فهى متطرفة، وقد صارت ساكنة بعد ضم، فحقها التفخيم، وترقق جوازًا نظرًا لتقدير ياء المتكلم بعدها، فهي بخلاف كلمة ﴿يَسۡرِ﴾، ذلك لأن كلمة ﴿يَسۡرِ﴾ على وزن (يفعِلْ) فالراء وقعت في مقابل عين الكلمة، فهى متوسطة لا متطرفة، وهى مكسورة، وما دامت كذلك فقد أصبح من حقها الترقيق، نظرًا لكسرها متوسطة، وتفخم جوازًا نظرًا للسكون العارض لها وقفًا".

تنبيـــــه:

كلمة﴿بِٱلنُّذُرِ﴾، حيث وقعت، ليس فيها ياء محذوفة، فهي مفخمة قولاً واحدًا، عند الوقف.

وكلمة ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾، آخرها ياء محذوفة، ولكن لم ينص عليها لأن ترقيق الراء فيها وما شابهها يستوجب إمالة الألف قبلها، والفتح والإمالة مبنيان على الرواية، لا على القياس.

الحالة الثالثة: (**من حالات الراء الدائرة بين التفخيم والترقيق**):

الراء الموقوف عليها بالسكون وبعدها ياء محذوفة للبناء.

ولم يقع ذلك إلا في كلمة واحدة وهى ﴿أَسۡرِ﴾، سواء قرنت بـ (الفاء) أو بـ (أَن).

أولاً: المقرونة بـ (الفاء)، وهي ﴿فَأَسۡرِ﴾، وجدت في ثلاثة مواضع:

الأول: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾، هود آية: ٨١.

الثاني: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾، الحجر آية: ٦٥.

الثالث: ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾، الدخان آية: ٢٣.

وحفص مع من قرأها بهمزه قطع﴿ فَأَسْرِ ﴾، وقرأها غيرهم بهمزة وصل(فَاسْرِ)، وهى فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة وهو الياء، والكسرة تحت الراء دليل عليها.

ونظرًا لأن الفاء لا يمكن فصلها عن الكلمة فلم تختلف أوجه الوقف على الراء الساكنة في القراءتين.

فإجراء الوجهين (الترقيق والتفخيم)، وقفًا في الراء الساكنة جائز على القراءة بوصل الهمزة أو قطعها على السواء؛ لأن الراء في قراءة القطع سبقها فتح متصل بها في كلمتها ﴿ فَأَسْرِ ﴾، وعلى قراءة وصل الهمزة سبقها فتح متصل بها في كلمتها وإن سقطت همزة الوصل في الدرج (فَسْرِ).

وأصحاب مذهب الترقيق قالوا:

الترقيق أولى: بالنظر إلى حالتها فى الوصل وإلى الأصل وهو الياء المحذوفة، وحتى إن اعتدَدْنَا بالسكون العارض للوقف كان الترقيق أولى أيضًا؛ للفرق بين كسرة الإعراب وكسرة البناء، لأن الأصل (أَسْرِى)، بياء حذفت لبناء الفعل، فيبقى الترقيق دلالة على الأصل، وفرق بين ما أصله الترقيق، وما كان الترقيق عارضًا له.

وَأَمَّا أصحاب مذهب التفخيم فقالوا:

التفخيم أولى: اعتدادًا بالعارض وهو سكون الراء، فلم ينظروا إلى الأصل وهو الياء المحذوفة، ولا إلى حال الراء عند الوصل.

ثانيًا: المقرونة بـ (أَن) وهى﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾، وتوجد في موضعين:

الأول:﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾، طه آية: ٧٧ .

الثاني:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾، الشعراء آية: ٥٢.

وحفص ممن قرأها بنون ساكنة وهمزة قطع ﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾، وقرأها غيرهم بهمزة وصل، فتحركت النون الساكنة بكسرة عارضة للتخلص من التقاء الساكنين (أَنِ اسْرِ).

وهى فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة وهو الياء، والكسرة تحت الراء دليل عليها.

ولكون ﴿أَن﴾ كلمة، و﴿أَسْرِ﴾ كلمة أخرى، اختلفت أوجه الوقف على الراء الساكنة باختلاف القراءة.

فعلى قراءة قطع الهمزة ﴿أَنْ أَسْرِ﴾:

فالراء سبقها فتح متصل بها في كلمتها؛ لذلك جاز فيها ما جاز في راء ﴿فَأَسْرِ﴾.

وعلى قراءة وصل الهمزة(أَنِ اسْرِ):

ففي حال وصل الراء بما بعدها تسقط همزة الوصل لفظًا، وترقق الراء لتحركها بالكسر قولاً واحدًا.

وفى حال الوقف على الراء قال العلماء:

حكمها الترقيق أيضًا، لكَوْن الراء -مع الوقف- سكنت سكونًا عارضًا، وهمزة الوصل المحذوفة والمقدرة كسرتها عارضة أيضًا، فيتعادل السكون العارض للراء مع الكسرة العارضة، فلا أولوية لأحد على الآخر، فيلغيان معًا، وترجع الراء إلى كونها في الأصل مكسورة، فترقق قولاً واحدًا.

فلمَّا اتفق حالها في الوصل مع حالها في الوقف صار لها وجه واحد عند الوقف والوصل، وهو الترقيق بلا خلاف.

وبناءً على ذلك: إن وقفت على قوله (أَنْ) وقفًا اختباريًّا، وأَردت الابتداء بقوله (اسْرِ) على قراءتها بهمزة وصل، فإنه يُبْتَدَأ بكسر همزة الوصل، سواء وقفت على الراء، أم وصلتها بما بعدها، والسبب في ذلك:

أنه في حالة الوصل: يكون ثالث الفعل (وهو الراء المتحركة بالكسر)، مكسورًا كسرًا حقيقيًّا.

أمَّا في حالة الوقف: فيكون ثالث الفعل (وهو الراء الساكنة سكونًا عارضًا للوقف)، مكسورًا كسرًا مقدَّرًا.

تنبيـــه:

لفظ ﴿ وَلَمۡ أَدۡرِ ﴾، بسورة الحاقَّة، حذفت الياء للجزم لا للبناء، ولم ينص عليها كما نص على ﴿ أَنۡ أَسۡرِ ﴾، ﴿ فَأَسۡرِ ﴾، لأن الجزم عارض، والبناء أصلى ثابت.

الحالة الرابعة: (**من حالات الراء الدائرة بين التفخيم والترقيق**)

أَن تأتى الراء متطرفة ساكنة سكونًا عارضًا للوقف، وقبلها حرف ساكن مطبق، وقبل هذا الساكن حرف مكسور، أي أن (الساكن المطبق)، كان فاصلاً بين الكسرة والراء الساكنة، ولم يأتِ هذا في القرآن إلا في كلمتين لا ثالث لهما، وهما:

كلمة ﴿ ٱلۡقِطۡرِ ﴾، من قوله تعالى ﴿ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ ﴾ سبأ آية: ١٢.

وكلمة ﴿ مِّصۡرَ ﴾، غير المنونة، ووقعت في أربعة مواضع، هي :

الأول: قوله تعالى: ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتًا ﴾، يونس آية: ٨٧.

الثـاني والثالـث: قولـه تعـالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ ﴾ ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾، يوسف آية: ٢١،٩٩.

الرابع: قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِى مُلۡكُ مِصۡرَ ﴾، الزخرف آية: ٥١.

أمَّا لفظ ﴿ مِصۡـرًا ﴾، المنون فنقف عليه بالإبدال، أو ما يعرف بمد العوض؛ لأنها منصوبة، وتكون الراء حينئذٍ متوسطة وحكمها التفخيم قولاً واحدًا، ولم يرد إلا فى موضع واحد فى سورة البقرة آية رقم ٦١ من قوله تعالى:

﴿ ...ٱهۡبِطُواْ مِصۡـرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ... ﴾.

ونلاحظ فى كلمة ﴿ ٱلۡقِطۡرِ ﴾، الراء فى الوصل مكسورة. وفى كلمة ﴿ مِّصۡرَ ﴾، الراء فى الوصل مفتوحة.

ولم ترد فى القرآن راء ساكنة قبلها ساكن مستعلٍ قبله كسر، وهى فى الوصل مضمومة، كما لم ترد فى القرآن راء ساكنة قبلها ساكن مستعلٍ قبله ضم.

اختلاف الأئمة فى الوقف على الراء من الكلمتين:

عند الوقف على الراء فى الكلمتين يكون الحكم هو الترقيق- تبعًا للقاعدة- لأن الراء ساكنة، قبلها ساكن صحيح، قبله كسر.

ولكن لكون هذا الساكن مطبقًا كان للأئمة مذهبان:

المذهب الأول:

قالوا: الراء عند الوقف عليها تكون ساكنة، فلابد أن نبحث لها عن حركة تؤثر عليها بالترقيق أو التفخيم، فنظروا إلى أن ما قبل الساكن المجاور للراء "كسر"، وهو موجب لترقيقها، أى أنهم اعتدُّوا بحركة الكسر فجعلوا الإعمال لها، ولم يعتدُّوا بكون الساكن الذى يجاور الراء "مطبقًا" ولم ينظروا إليه كحاجز حَصينٍ فاصل بين الراء وحركة الكسر، أو بمعنى آخر: لم ينظروا إلى أنَّ الساكن المطبق قد حَصَّن الراء من أن يصل إليها أثر الكسر، فقالوا: الحكم هو الترقيق.

المذهب الثانى:

قالوا: كيف نغفل وجود الساكن المطبق، فهو أحق من الكسر بالتأثير فى الراء لمجاورته لها، وبسبب إطْباقه كان حاجزًا بين الكسرة والراء فَحصَّنها من وصول أثر الكسر إليها، فهو ساكن حصين، أى أنهم لم يعتدُّوا بالكسر قبل الساكن، ولم يجعلوا الإعمال له بل اعتدُّوا بالساكن الحصين، فجعلوه مانعًا من الترقيق، فقالوا: الحكم هو التفخيم.

ولقد صحح ابن الجزرى كلا المذهبين، وأجاز فى الكلمتين الترقيق والتفخيم، غير أنه اختار أن يكون المقدم فى الأداء ما عليه الراء فى حال الوصل، فإن كانت فى الوصل حكمها التفخيم، كان هو الأولى، مع جواز الترقيق، وإن كانت فى الوصل حكمها الترقيق، كان هو الأولى، مع جواز التفخيم .

وبناءً على ذلك:

عند الوقف على الراء من ﴿ مِّصْرَ ﴾، يكون الوجه المقدم هو التفخيم لتحركها فى الوصل بالفتح، مع جواز الترقيق.

وعند الوقف على الراء من ﴿ٱلْقِطْرِ﴾، يكون الوجه المقدم هو الترقيق لتحركها فى الوصل بالكسر، مع جواز التفخيم.

وقال العلامة المتولى شارحًا اختيار ابن الجزرى:

وَمِصْرُ فيهِ اخْتارَ أَن يُفَخَّمَا وَعَكْسُهُ فى القِطْرِ عَنْهُ فَاعْلَمَا

وتتلخص أحوال الراء الدائرة بين التفخيم والترقيق، فى سبع كلمات، متفق عليها بين جميع القراء، وهى:

١- راء واحدة (ساكنة متوسطة)، يجوز فيها الترقيق والتفخيم وصلاً، والترقيق أشهر وأولى، وذلك فى كلمة واحدة وهى: ﴿ فِرْقٍ ﴾ بالشعراء.

وسبب الخلاف هو: الاعتداد أو عدم الاعتداد بحرف الاستعلاء المكسور، والمتصل بالراء الساكنة فى كلمة واحدة.

٢- راء واحدة (متطرفة متحركة بالفتح وصلاً)، ساكنة فى الوقف، يجوز فيها التفخيم والترقيق، والتفخيم أولى.

وذلك فى كلمة ﴿ مِّصْرَ ﴾، غير المنونة.

وسبب الخلاف هو: الاعتداد أو عدم الاعتداد بحرف الاستعلاء المطبق، أى بالساكن الحصين الفاصل بين الكسر والراء الساكنة.

والباقى: خمس راءات (متطرفة متحركة بالكسر وصلاً)، ساكنة فى الوقف، يجوز فيها التفخيم والترقيق، والترقيق أولى. وهى:

٣- كلمة ﴿ٱلْقِطْرِ ﴾، بسبأ، وسبب الخلاف هو: الاعتداد أو عدم الاعتداد بحرف الاستعلاء المطبق، أى بالساكن الحصين الفاصل بين الكسر والراء الساكنة.

٤- كلمة ﴿وَنُذُرِ ﴾ بالقمر.

٥- كلمة ﴿يَسْرِ ﴾ بالفجر.

وسبب الخلاف هو: الاعتداد أو عدم الاعتداد بالياء المحذوفة للتخفيف.

٦- كلمة ﴿أَنْ أَسْرِ ﴾ حيث وردت.

٧- كلمة ﴿ فَأَسْرِ ﴾ حيث وردت.

وسبب الخلاف هو: الاعتداد أو عدم الاعتداد بالياء المحذوفة للبناء.

تنبيهـات: وعددها ستة.

التنبيه الأول:

نلاحظ أن الراء هى التى تتأثر بما جاورها من حروف كلمتها، ولا تؤثر هى فيها، فإن جاور الراء حرف مستعل فى كلمتها فلا تأثير لها على درجة تفخيمه، بل هى التى تتأثر به إذا سكنت من حيث كونه مطبقًا أو منفتحًا، ومن حيث نوع حركته.

وهذا يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من أن القول بزيادة تفخيم الخاء الساكنة عن درجتها نظرًا لتفخيم الراء المفتوحة فى كلمة ﴿إِخْرَاجًا﴾ وما تصرف منها، أو الراء المضمومة فى كلمة ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ﴾، قول فيه نظر، فالصحيح أن تحتفظ الخاء بدرجتها المحايدة من التفخيم، حيث لا تأثير للراء عليها.

التنبيـه الثانى:

بالنسبة للراءات التى يجوز فيها الوجهان عند الوقف على مثل:

﴿نُذُرِ﴾، ﴿أَسْرِ﴾، ﴿فَأَسْرِ﴾، ﴿مِصْرَ﴾، ﴿ٱلْقِطْرِ﴾، ومــا شــابهها، أرى أن العبرة بالمنطوق والملفوظ، لا بالمقدَّر فى الذهن عند الوقف، وما دامت أحوال الراءات تدور حول التناسق الصوتى، فحال الحرف مع الوقف بالسكون يختلف عن حاله مع الوصل بالحركة، فأرى أن التفخيم هو الأنسب، وهو الذى يكون عليه العمل فى كل راء ساكنة للوقف وقبلها فتح أو ضم، وإن كانت مكسورة فى الوصل، بسبب حذف الياء للبناء أو للتخفيف، وكذلك فى كلمتى ﴿مِصْرَ﴾، ﴿قِطْـرًا﴾، لأن تفخيم الراء الساكنة بعد الحرف المطبق أنسب من ترقيقها. والله أَعلم.

التنبيـه الثالث:

ذُكر عن أبى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى، وموافقيه، جواز ترقيق الراء فى حالتين:

الحالة الأولى: أن تقع فى لفظ ﴿ٱلْمَرْءِ﴾، أو لفظ ﴿مَرْيَمَ﴾، أو لفظ ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾.

وجواز الترقيق سببه: النظر إلى أن الراء الساكنة وقع بعدها كسر فى ﴿ٱلْمَرْءِ﴾، وياء مفتوحة فى﴿مَرْيَمَ﴾، و﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾.

فقالوا: إن الكسر والياء بعد الراء الساكنة يتناسب مع ترقيقها، ولقد بالغ أبو الحسن الحصرى فى تأنيب وتغليظ من يقول بالتفخيم بقوله:

وَإِنْ سَكَنَتْ والياءُ بعْدُ كَمَرْيَمِ فَرَقِّقْ وَغَلِّظْ مَنْ يُفَخِّمُ عَنْ قَهر

واعترض الأئمة والمحققون على هذا الرأى وقالوا:

وَمَا بَعْدَهُ كَسْرٌ أَوِالْيَا فما لَهُمْ بترقيقِهِ نَصٌّ وثيقٌ فَيَمْثلا

والمعنى: ليس لأصحاب هذا الرأى دليل يوثق به على ترقيق الراء الساكنة وبعدها كسر أو ياء، قياسًا على ترقيق الراء الساكنة وقبلها كسر أو ياء.

الحالة الثانية: الراء المتطرفة الساكنة سكونًا عارضًا للوقف، وهى فى الوصل مكسورة:

إذا أتى قبلها فتح، مثل: ﴿بِقَدَرٍ﴾.

أو أتى قبلها ضم، مثل: ﴿نُّكُرٍ﴾.

أو أتى قبلها ساكن مطبق وقبله فتح، مثل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾.

أو أتى قبلها ساكن مطبق وقبله ضم، مثل: ﴿خُضۡرٍ﴾.

أو أتى قبلها ساكن مستفل وقبله ضم، مثل: ﴿ٱلۡعُسۡرِ﴾.

أو أتى قبلها ألف وبعدها ياء محذوفة، نحو: ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾.

أو أتى قبلها ألف وليس بعدها ياء محذوفة، نحو: ﴿أَنصَارٍ﴾.

أو أتى قبلها واو ساكنة نحو: ﴿وَٱلطُّورِ﴾.

فيقولون بترقيق كل ما سبق، وما ماثله، قولاً واحدًا، إجراءً للوقف مجرى الوصل.

ويقول فى ذلك صاحب هذا المذهب:

وَمَا أَنْتَ بِالتَّرْقِيقِ وَاصِلُهُ فقفْ عليهِ بهِ إذْ لَسْتَ فِيهِ بِمُضطَّرْ

وقال آخرون: بل يجوز فى هذه الأحوال الترقيق– لمن لم يعتدَّ بالعارض– وهو السكون للوقف، واعتدَّ بحالها فى الوصل، ويجوز التفخيم لمن لم يعتدَّ بحالها فى الوصل، واعتدَّ بالسكون العارض للوقف.

وذهب المحققون وجمهور أهل الأداء على عدم الاعتداد بهذه الأقوال وأن الصواب والمعوَّل عليه، والمقروء به، هو تفخيم الراء قولاً واحدًا فى جميع الأمثلة المذكورة، وما شابهها، فى الحالتين الأولى والثانية.

وقال الإمام الشاطبى:

وَمَا لِقِيَاسٍ فِى الْقِرَاءةِ مَدْخَلٌ   فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفلاَ

والمعنى: لا مدخل للقياس فى القراءات، وإلا لاتَّسع الأمر فى ذلك وَرُقِّقَ ما لا يصح ترقيقه، فالزم أيها القارئ ما ارتضاه الأئمة المحققون.

ونلاحظ أن أصحاب هذه القياسات ذكروا الراء الساكنة وقبلها ألف فى ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ و﴿أَنصَارٍ﴾، وهذا ما لا يمكن ترقيقه عمليًا إلا بتقليل الألف أو إمالتها، وفى ذلك دليل على أن كل قياس خارج عما أجمع عليه الأئمة والمحققون لا يجوز اتباعه، ولا القراءة به.

التنبيــه الرابع:

يجب الاعتناء بعدم المبالغة فى تفخيم الراء، وخاصة إذا تحركت بالفتح، فى مثل: ﴿وَذَكَّرَ﴾ ﴿أَبْرَحَ﴾، وكل ما شابههما.

أو أتت ساكنة وقبلها مفتوح، سواء أكان هذا المفتوح حرفًا مستفلاً، كما فى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، أم حرفًا مستعليًا، كما فى: ﴿قَرْيَةٍ﴾، ويكون الاعتناء آكد إذا أتت مفتوحة وبعدها ألف فى مثل: ﴿وَرَآءَ﴾، وكل ما شابهها.

فالراء لا تحتاج إلى كثير من الإعمال لتفخيمها.

فعند تفخيم الراء المفتوحة: لا تحتاج إلا إلى مجرد التمكن من مخرج الراء مع المحافظة على تصعد الصوت لأعلى، دون الاتجاه بالصوت إلى داخل تجويف الفم، وكذلك بدون (قوة دفع)، تزيد من درجة اصطدام الصوت بسقف الحنك، وكذلك بدون استعلاء إرادى فى أقصى اللسان، وكل هذا يؤدى إلى أن يخرج صوتها مطبقًا، والواجب أن يكون منفتحًا.

وعند تفخيم الراء المضمومة: ينبغى التمكن من مخرجها مع تمكن صوت الراء من طرف اللسان جيدًا حتى يخرج صوتها مجهورًا واضحًا، لأن الراء المضمومة يصاحبها ضم

الشفتين، فيرجع طرف اللسان إلى الخلف قليلاً، فإن لم يتمكن القارئ من طرف اللسان ترك مخرج الراء، وفقدت الراء فصاحتها.

وكذلك دون تكوير تجويف الفم من الداخل؛ لأن هذا الفعل يؤدى إلى زيادة انضغاط الصوت داخل الفم، فيخرج صوت الراء مطبقًا، والواجب أن يكون منفتحًا.

وعند تفخيم الراء الساكنة: يجب عدم الاستعلاء الإرادى فينضغط صوتها لأعلى ناحية غار الحنك، وكذلك يجب عدم تكوير تجويف الفم من الداخل.

ويجب الانتباه على وجوب المحافظة على وضع الشفتين فى حالة سكون غير مشوب بالضم، إذا أتت الراء ساكنة وقبلها حرف مضموم، فى نحو: ﴿يَكْفُرْ﴾، ﴿قُرْءَانٍ﴾.

وعند النطق بالراء المشددة: يجب أن يلفظ بها مشدَّدة، بمعنى: أن يظهر الراء الساكنة الأولى ثم الراء الثانية المتحركة. كل ذلك من غير مبالغة فى حصرها مخافة تكريرها، فقد يبالغ البعض فى إخفاء تكريرها، فيأتى بالراء المشددة المفخمة محصرمة مطبقة شبيهة بالطاء، ويأتى بالمرققة نحيلة جدًّا، وكل ذلك خطأ لا يجوز، سببه عدم ضبط مخرجها، فى حين أن القارئ إذا ضبط مخرج الراء سيجدها تخرج بارتعادة قوية (فى حال التفخيم)، وارتعادة ضعيفة (فى حال الترقيق).

وفى حال الوقف على الراء المشددة المتطرفة (التى حكمها الترقيق)، فى نحو: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾، يراعى النبر مع المحافظة على ترقيقها.

وفى حال الوقف على الراء المشددة المتطرفة (التى حكمها التفخيم)، فى نحو: ﴿خَرَّ﴾، يراعى النبر مع المحافظة على تفخيمها.

ولا نبر مع الوقف عليها بالروم؛ لأنه فى حكم الوصل.

وإذا سكنت الراء وأتى قبلها ياء، أو كسر: فإذا حافظ القارئ على تسفل أقصى اللسان، على وضع النطق بالياء أو بالكسر حال نطقه بالراء الساكنة، خرجت الراء مرققة نحو: ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿مِرْيَةٍ﴾.

وإذا تحركت الراء بالكسر، وأتى بعدها ساكن: فكلما تمكَّن القارئ من تحقيق كسرتها كاملة حافظ على ترقيقها دون أن يتجه بصوتها ناحية الفتح، وهو ما يعرف بلحن الحركة، وذلك فى نحو: ﴿رِجْسًا﴾، وما شابهه.

وفى كلمة﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾: أتت الراء مضمومة وقبلها كسر، فلابد من الانتباه إلى ضبط مخرج الراء مع ضبط ضَمَّتها، حتى لا تخفى الراء أو ترقق.

وفى قولــه تعالى ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: بإدغام النون الساكنة فى الراء، يصبح النطق بثلاث راءات متتالية (غَفُورُرْ رَحِيم)، فينبغى المحافظة على درجات التفخيم، على أن تكون الراء المفتوحة أفخم من المضمومة، مع عدم ضم الشفتين عند النطق بالراء الساكنة بعد ضم، مع عدم المبالغة فى تفخيم الراء الساكنة، فيجب ألا يزيد تفخيمها عن المفتوحة أو المضمومة.

التنبيـه الخامس:

تتأثر الراء بأحوال الفتح (أى الفتحة المحضة) وأحوال التقليل والإمالة؛ والقاعدة:

من فتح فخَّم، ومن قلل أو أمال رقق. فأجريت الألف والفتحة المقللة أو الممالة قبل الراء الساكنة مجرى الكسرة أو الياء الساكنة، فصارت الراء كأنها ساكنة قبلها كسر، أو ياء ساكنة، وذلك عند الوقف بالسكون العارض على الراء المتطرفة، بشرط:

أن تكون الراء متحركة وصلاً بالكسر، وقبلها ألف ممالة أو مقللة، كما فى:

﴿ٱلنَّارِ﴾ ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾.

أمَّا إن تحركت الراء وصلاً بالضم أو بالفتح، كما فى:﴿ٱلْقَرَارُ﴾ ﴿ٱلنَّارَ﴾ ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾، فلا خلاف فى تفخيمها عند الجميع.

وكذلك أجريت الفتحة المقللة والممالة، المتحركة بها الراء، مجرى الكسرة، فصارت الراء كأنها متحركة بالكسر، وذلك إذا أتت الراء مفتوحة وبعدها ألف ممالة، فى نحو:

﴿مَجْرٜىٰهَا﴾، ﴿ذِكْرَىٰ﴾.

التنبيـه السادس:

أحكام الراء المتفق عليها بين القراء العشرة، هى:

(١) الراء الساكنة:

متفق على جميع أحوالها بين جميع القراء، سواء كانت فى أول الكلمة، وقبلها همزة وصل، أَو كانت فى وسط الكلمة، أَو فى آخرها.

وأيضًا لا خلافٍ بين القراء العشرة فى أوجه الوقف على الراء المتطرفة، من ناحية الوقف عليها بالإسكان المحض، أَو بالإشمام، أَو بالروم.

(٢) الراء الدائرة بين التفخيم والترقيق:

لا خلاف بين القراء فى أحكامها، وفى الوجه المقدم فى الأداء، فى أىٍّ منها.

(٣) الراء المتحركة بالكسر:

حكمها الترقيق لجميع القراء بلا خلاف، سواء كانت الكسرة تامة، أو مبعَّضة (أى مختلسة أو مرامة).

وسواء كانت الكسرة لازمة أَو عارضة، وسواء كانت ممالة أو مقللة، وسواء كانت وسطًا أو طرفًا، وسواء كانت منونة أو غير منونة، وسواء سكن ما قبلها أو تحرك، وسواء وقع بعدها حرفٌ مستفل أو مستعلٍ.

(٤) الراء المتحركة بالفتح أو بالضم:

حكمها التفخيم عند جميع القراء عدا ورش، فهو:

يرققها بشرط أن يسبقها كسرة لازمة أو ياء ساكنة متصلة بها فى كلمتها نحو:

﴿نَّاضِرَةٌ﴾، ﴿مُّنِيرًا﴾، ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، ﴿بَشِيرٌ﴾.

ويرققها إذا حال بين الراء والكسر الذى يسبقها حرف ساكن غير مستعل (إلا حرف الخاء)، فى نحو: ﴿إِكْرَاهَ﴾، ﴿ٱلسِّحْرُ﴾.

ويرققها فى: ﴿إِخْرَاجِ﴾، ويفخمها فى: ﴿إِصْرًا﴾، ﴿وِقْرًا﴾، ﴿قِطْرًا﴾.

ويرقق الراء الأولى من كلمة﴿بِشَرَرٍ﴾، فى المرسلات آية:٣٢.

ويفخمها فى الأسماء الأعجمية، وهى: ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ﴿عِمْرَٰنَ﴾.

ويفخمها إذا أتى بعدها حرف استعلاء فى كلمتها، نحو:

﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾، ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾، ﴿إِعْرَاضًا﴾، ولا يعتد بالألف حاجزًا.

ويفخمها إذا تكررت، نحو: ﴿ضِرَارًا﴾، ﴿إِسْرَارًا﴾.

ويفخمها فى كلمة ﴿إِرَمَ﴾، من قوله تعالى ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، الفجر آية:٧.

ونختم كلامنا على الراء وأحوالها بما ختم بـه الإمـام الشـاطبى الأبيـات التـى ذكـر فيهـا أحوال الراء، ومذاهب القراء فيها، فى قصيدته المعروفة بالشاطبية، حيث قال:

وَفِيَما عَدَا هَذَا الَّذِى قَدْ وَصَفْتُهُ   عَلَى الأَصْلِ بالتَّفْخِيمِ كُنْ مُتَعَمِّلاَ

وقال العلامة الضباع تعليقًا على هذا البيت فى معرض شرحه للشاطبية:

"أى كـن عـاملاً علـى الأصـل، الـذى هـو التفخـيم، فيمـا سـوى مـا تقـرر لـك مـن الأسـباب الموجبة للترقيق؛ لأنه خلاف الأصل".

(حرف اللام)

وهو الحرف الثانى من الحروف المستفلة التى يعتريها التفخيم أحيانًا.

ودراسة اللام– فى علم التجويد– نتناولها من ناحيتين:

الناحية الأولى: ناحية الإظهار والإدغام: ولا يكون إلا فى اللامات الساكنة، ويدرس تحت عنـوان (أحكـام اللامـات السـواكن)، وتجـده فـى المجلـد الثـانى بعـد أحكـام النـون والمـيم الساكنتين.

الناحيـة الثانيـة: ناحيـة التغليـظ أو التفخـيم، والترقـيق أو التنحـيف: ويكـون فـى اللامـات الساكنة والمتحركة، وهو محل البحث، ولها أربع حالات:

الحالة الأولى: لام مغلظة باتفاق.

الحالة الثانية: لام مغلظة باختلاف.

الحالة الثالثة: لام يجوز فيها التغليظ والترقيق.

الحالة الرابعة: لام مرققة باتفاق.

الحالة الأولى: اللام المغلظة باتفاق:

وهى اللام المشددة فى لفظ الجلالة:

- إذا ابتدئ باسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾.
- أو إذا وقعت بعد فتحة حقيقية خالصة (أى غير ممالة)، سواء:

كان فتحًا أصليًا، نحو ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾.

أو فتحًا عارضًا، نحو ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.

- أو إذا وقعت بعد فتح حكمى، وذلك فى لَفْظَى:

﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾، ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، على كلا الوجهين: أى الإبدال أو التسهيل، والحكم هو تفخيم اللام فى اللفظين على كلا الوجهين، بلا خلاف للجميع؛ لأنه وإن أبدلت همزة الوصل المفتوحة أو سهلت، فقد بقيت همزة الاستفهام وهى مفتوحة أيضًا.

- أو إذا وقعت بعد ضم سواء:

كان ضمًّا أصليًا، نحو: ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾.

أو ضمًّا عارضًا، نحو: ﴿ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

- أو إذا زيدت على لفظ الجلالة الميم فى آخره، سواء:

ابتدئ به نحو: ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾.

أو أتى قبله فتحة حقيقية خالصة (غير ممالة)، نحو: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾.

أو أتى قبله ضم، نحو: ﴿ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ ﴾.

- أو إذا وقعت بعد ساكن قبله فتح، نحو: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

- أو إذا وقعت بعد ساكن قبله ضم، نحو: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾.

فالحكم فى جميع ما سبق هو التغليظ قولاً واحدًا.

وقد أشار الإمام ابن الجزرى إلى ذلك بقوله:

وَفَخِّمِ اللَّامَ مِنِ اسْمِ اللهِ   عَنْ فتحٍ أو ضَمٍّ كَعَبدُ اللهِ

وأشار إلى ذلك الإمام ابن برى بقوله:

وَفُخِّمَتْ فى اللهِ وَاللَّهُمَّهْ   لِلْكُلِّ بعدَ فَتْحَةٍ أوْ ضَمَّهْ

الحالة الثانية: اللام المغلظة باختلاف:

(وتعرف بلامات ورش، لأنه هو الذى يقرأ بتغليظها دون سائر القراء).

وهى كل لام مفتوحة: مخففة، أو مشددة، متوسطة، أو متطرفة، بشرط أن يأتى قبلها طاء، أو ظاء، أو صاد، سواء فتحت هذه الأحرف الثلاثة، أو سكنت، وسواء شددت، أو خففت.

فقرأ ورش عن طريق الأزرق، بتغليظ اللام التالية لهذه الثلاثة، من ذلك كله، لكون هذه الحروف مستعلية مطبقة ليعمل اللسان عملاً واحدًا.

الأمـثلة:

﴿صَلَاتِهِمْ﴾، ﴿يَصْلَى﴾، ﴿مُّفَصَّلَتٍ﴾.

﴿طَلَبًا﴾، ﴿مَطْلَعِ﴾، ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾.

﴿ظَلَّ﴾، ﴿أَظْلَمُ﴾، ﴿بِظَلَّامٍ﴾.

أمَّـا إذا أتـت الـلام مضـمومة، أو مكسـورة، أو سـاكنة، أو أتـت هـذه الأحـرف الثلاثـة مضمومة، أو مكسورة، فالترقيق لاغير.

قال الإمام الشاطبى:

وَغَلَّظَ وَرْشٌ فَتْحَ لاَمٍ لِصَادِهَا أَوِ الطَّاءِ أو لِلظَّاء قَبْلُ تَنَزُّلاَ
إِذَا فُتِحَتْ أَوْ سُكِّنَتْ كَصَلاَتِهِمْ وَمَطْلَعِ أَيْضًا ثُمَّ ظَلَّ وَيُوصَلاَ

الحالة الثالثة: **التى يجوز معها التغليظ والترقيق**:

ووقع ذلك فى أربع لامات:

اللام الأولى: هى اللام فى لفظ الجلالة، إذا وقعت بعد الراء الممالة وصلاً، فى قراءة السوسى (أحد رواة الإمام أبى عمرو البصرى)، وذلك نحو قوله تعالى:

﴿نَرَى ٱللَّهَ﴾، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾. وما شابه ذلك.

قال الإمام الشاطبى:

.... وَذُو الرَّاءِ فِيهِ الْخُلْفُ فى الْوَصْلِ يُجْتَلا

فللسوسى وجهان:

الوجه الأول: فتح الراء، أى عدم إمالة فتحتها، لعدم اعتداده بـالألف المحذوفـة وصـلاً لالتقـاء الساكنين، وحكم اللام فى هذه القراءة هو التغليظ قولاً واحدًا.

الوجه الثانى: إمالة فتحة الراء، للدلالة على الألف المحذوفة وصلاً للسـاكنين، واعتدادًا بهـا.

وهنا اختلف العلماء فى حكم اللام:

فمن نظر إلى أنه مع الإمالة يكون اتجاه الصوت ناحيـة قـاع الفم، وهذا يناسبه الترقيق، قـال حكم اللام يكون الترقيق.

ومن نظر إلى أن الإمالة ليست مثل الكسرة الخالصة، حتى تستحق اللام الترقيق، قال حكم اللام يكون التغليظ.

والوجهان صحيحان مأخوذ بهما.

وأخذ الإمام الشاطبى بهما، وصححهما الإمام ابن الجزرى فى النشر.

وقال الشيخ عبد الفتاح القاضى فى كتابه الوافى:

"وينبغى أن يعلم أن السوسى إذا أمال الراء وصلاً ووقع بعدها لفظ الجلالة جاز له فى لفظ الجلالة التفخيم نظرًا للأصل، وهو وجود الفتحة على الراء، وجاز له الترقيق نظرًا لإمالة الراء".

وعلى هذا يكون للسوسى فى قوله تعالى: ﴿ نَرَى ٱللَّهَ ﴾ ونحوه، ثلاث قراءات:

الأولى: فتح الراء (أى عدم الإمالة)، ولا يكون معه إلا تغليظ اللام.

الثانية: إمالة فتحة الراء، مع تغليظ اللام.

الثالثة: إمالة فتحة الراء، مع ترقيق اللام.

وأمَّا فى نحو قوله تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ يُبَشِّرُ ٱللَّهُ ﴾، ففى قراءة ورش:

حكم الراء هنا هو الترقيق سواء اتصلت باللام أو انفصلت عنها، فلا أثر لهذا الترقيق على تغليظ اللام من اسم الله بعدها؛ لوجود موجب التغليظ، وهو وقوع اللام بعد حرف متحرك بالفتح، أو متحرك بالضم، وهو الراء، ولا اعتبار لترقيقها، كما قال ابن الجزرى فى النشر:

(لأن الترقيق لم يغَيِّر من فتح الراء، أو ضمها).

اللام الثانية: فى الحالات التى حالت فيها الألف بين اللام المفتوحة وحرف من الأحرف الثلاثة، وهى (الطاء، والصاد، والظاء)، وقد وقع ذلك فى حرف الطاء، فى نحو:

﴿ أَفَطَالَ ﴾، ﴿ طَالَ ﴾. وحرف الصاد فى نحو: ﴿ فِصَالًا ﴾.

وفيها اختلف الرواة عن ورش، فروى بعض الرواة عنه تغليظ اللام، وروى آخرون عنه ترقيقها.

والقول بالتغليظ: هو الذى عليه جمهور أهل الأداء؛ لأن الحاجز بين اللام المفتوحة وحرف الطاء أو الصاد ليس بساكن حصين.

اللام الثالثة: فى اللام المتطرفة المتحركة بالفتح وصلاً، والواقعة بعد حرف من الأحرف الثلاثة (الطاء والصاد والظاء).

ووقع ذلك فى ثمانية مواضع، هى:

﴿ أَن يُوصَلَ ﴾، بالبقرة والرعد ﴿ ظَلَّ ﴾، بالنحل والزخرف

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ ﴾، بالبقرة ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾، بـ ص

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾، بالأنعام ﴿ وَبَطَلَ ﴾، بالأعراف

فعند الوصل: فالحكم هو التغليظ بالاتفاق.

أما عند الوقف بالسكون العارض فقد اختلف الرواة عن ورش: فرُوِىَ عنه الوقف بالتغليظ عملاً بالوصل (وهو الأرجح)؛ لأن السكون عارض، والتغليظ دلالة على حكم الوصل، وروى عنه الوقف بالترقيق (اعتدادًا بالسكون العارض).

قال الإمام الشاطبى:

وَفِى طَالَ خُلْفٌ مَعْ فِصَالاً وَعِنْدَمَا يُسَكَّنُ وَقْفًا والمُفَخَّمُ فُضِّلاَ

اللام الرابعة:

ووقع فى اللام المفتوحة وقبلها حرف من الأحرف الثلاثة المذكورة لورش عند الإمالة الصغرى أو التقليل، فى نحو: ﴿ يَصْلَى ﴾، ﴿ سَيَصْلَى ﴾، ففيها وجهان:

تغليظ اللام مع الفتح (أى عدم الإمالة)، وترقيق اللام مع الإمالة الصغرى.

الحالة الرابعة: اللام المرققة باتفاق:

وهى كل لام سوى (ما سبق ذكره)، سواء كانت:

مفتوحة نحو: ﴿ لَكُمْ ﴾، أو مكسورة نحو: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، أو مضمومة نحو: ﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾.

وأشهر اللامات المرققة هى: اللام المشددة من لفظ الجلالة، إذا سبقها كسر.

سواء كانت الكسرة متصلة بها رسمًا، لدخول حرف من حروف الجر على لفظ الجلالة، فى نحو: ﴿ لِلَّهِ ﴾ ﴿ بِٱللَّهِ ﴾.

أو كانت الكسرة منفصلة عنها رسمًا، وسواء كانت الكسرة أصلية نحو:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، أو كانت عارضة نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾.

وإن زيدت عليه الميم فى نحو﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾، أو إذا سبقها ساكن قبله كسر، نحو:

﴿يَأْتِ ٱللَّهُ﴾ ﴿أَفِى ٱللَّهِ﴾.

وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبى بقوله:

وَكُلٌّ لَدَى اسْمِ اللهِ مِنْ بَعْدِ كَسْرَةٍ ... يُرَقِّقُهَا حَتَّى يَرُوقَ مُرَتَّلاَ

تنبيهات:

(١) تفخم اللام بدرجة تفخيم الحروف المستعلية المطبقة، لما يصاحبها من استعلاء إرادى فى أقصى اللسان مع طرفه. وهذا معنى ما قاله صاحب نهاية القول المفيد:

(وينبغى أن يزاد فى اللام المفخمة فى اسم الله عز وجل، لما نقل عن الرعاية أنه إذا كان المشدد مفخمًا للتعظيم والإجلال، نحو: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾، وشبهه، وجب على القارئ أن يظهر التشديد إظهارًا متمكنًا ليظهر التفخيم فى اللام). انتهى.

ولذا قال العلماء: اللام أعلى تفخيمًا من الحروف المستعلية المنفتحة.

واشتهر إطلاق اسم (التغليظ)، على تفخيم لام لفظ الجلالة، لأنه أبلغ فى بيان حقيقة أن تفخيم اللام أكبر من تفخيم الراء؛ لأن لفظ (التغليظ) أبلغ من لفظ (التفخيم).

وانسحب هذا الاسم على باقى اللامات المفخمة، وأصبح لفظ (التغليظ)، يطلق على كل لام مفخمة، كما يطلق لفظ (التفخيم)، على كل راء مفخمة.

أما اللام المرققة فقد أطلق عليها البعض لقب (التنحيف)، بدلاً من (الترقيق)، حتى يكون: التغليظ مقابله التنحيف، والتفخيم مقابله الترقيق.

(٢) أسباب ترقيق اللام من لفظ الجلالة إذا سبقها كسر، وتغليظها إذا سبقها ضم، أو فتح، ترجع إلى ما نقل عن لغة العرب التى نزل بها القرآن، ولأن موجب الترقيق معدوم، ولأن الصوت يتصعَّد مع الفتح، ويمتلئ الفم به مع الضم، وهو ما يناسب التفخيم، ويتسفل الصوت مع الكسر، وهو ما يناسب الترقيق.

والأمر كله مرهون بالنقْل عن لغة القرآن.

ولو قيل: لِمَ كانت الكسرة العارضة والمفصولة توجب ترقيق اللام من اسم الله، ولا توجب ترقيق الراء كما فى نحو: ﴿ ٱرْتَضَىٰ ﴾، ﴿ مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾؟

الجـواب:

أن اللام لما كان أصلها الترقيق وكان التغليظ عارضًا لم يستعملوه فيها، إلا بشرط أن لا يجاوره منافٍ للتغليظ وهو الكسر، وكل حركة قبل لام اسم الله مفصولة لفظًا أو تقديرًا، فإذا جاورتها الكسرة ردتها إلى أصلها، أما الراء فأصلها التفخيم، فلم تَقْوَ الكسرة غير اللازمة على ترقيقها[1].

ولو قيل: لماذا حذفت لام التعريف رسمًا من لفظ الجلالة عندما اتصلت بها اللام فى قوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾، ولم تحذف عندما اتصلت بها الباء فى قوله ﴿ بِٱللَّهِ ﴾؟

الجواب:

لأن العرب لا تستسيغ تكرار رسم الحروف المتماثلة فى الكلمة الواحدة، فتحذف الحروف السواكن وهى:همزة الوصل، واللام التى تليها فنَنطق بثلاث لامات، وترسم بلامين ﴿ لِلَّهِ ﴾.

وإن قيل: فى قوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ ﴾، عند الوقف على التاء من ﴿ ٱللَّٰتَ ﴾ بالهاء، كما يقْرؤُها أبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب، (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّه)، فكيف لا يلتبس على السامع المعنى بين (اللاه) و(الله)؟

الجـواب:

لا يلتبس على السامع: لأن كلمة ﴿ ٱللَّٰتَ ﴾، الموقوف عليها بالهاء، لامها مرققة، وقد سبقها ضم، والمعلوم أن لام لفظ الجلالة تغلظ إذا سبقها ضم.

وإن قيل: هل حذف الألف فى الخط من لفظ الجلالة سببه أن اللام إذا سبقت بباء الجر رققت وصارت (باللاه)، الذى هو اسم فاعل من (لَهَا) (يلهو).

الجـواب:

نعم، وللتَّخْفيف أيضًا، لكثرة دورانها فى القرآن، ولعدم توقع الخطأ مع حذفها لاتفاق خلق الله جميعًا عليه.

---

[1] انظر النشر لابن الجزرى.

(٣) فى سورة الإخلاص فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾، عند الابتداء بلفظ الجلالة فى الآيتين تغلظ اللام، أما عند وصل الآيتين بعضهما ببعض فتحرك نون التنوين بالكسر حركة عارضة للتخلص من الساكنين، فترقق اللام، فيصير:

﴿ ... أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾، وما جاء مثلها فى القرآن، عومل معاملتها.

والموضع الوحيد فى القرآن الذى تكرر فيه لفظ الجلالة بدون فاصل، وقع فى سورة الأنعام آية رقم ١٢٤.

فى قوله تعالى ﴿ ... رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ ... ﴾، واللام فى الأولى مغلظة؛ لأنها بعد ضم، وفى الثانية مرققة؛ لأنها بعد كسر.

(٤) يلاحظ من بعض القراء تفخيم اللام عند أول النطق بلفظ الجلالة، ثم يرققون الصوت عند آخر النطق بها مراعاة للهاء، وهذا خطأ، والواجب الإبقاء على صوت التفخيم فى اللام حتى نهاية النطق بها، ثم الاصطدام فى مخرج الهاء بعدها.

كما يلاحظ من بعض القارئين أنَّه بعد نطقه للألف يقوم بزيادة مقدار التباعد بين الفكين للنطق بالهاء، فتخرج الهاء نحيلة جدًّا، والصواب:

بعد الانتهاء من نطق الألف يصطدم القارئ فى مخرج الهاء دون أن يصاحب ذلك: زيادة فى مقدار التباعد بين الفكين؛ أو خفض للفك السفلى، أو بسط للشفتين كوضع الابتسام.

*****

تم بحمد الله

الجزء الأول

الفهـــــرس

الفصل السابع:

* * *

وإلى هنا ينتهي الجزء الأول من الكتاب، ويليه الجزء الثاني، ويضم الأبواب الستة الباقية.